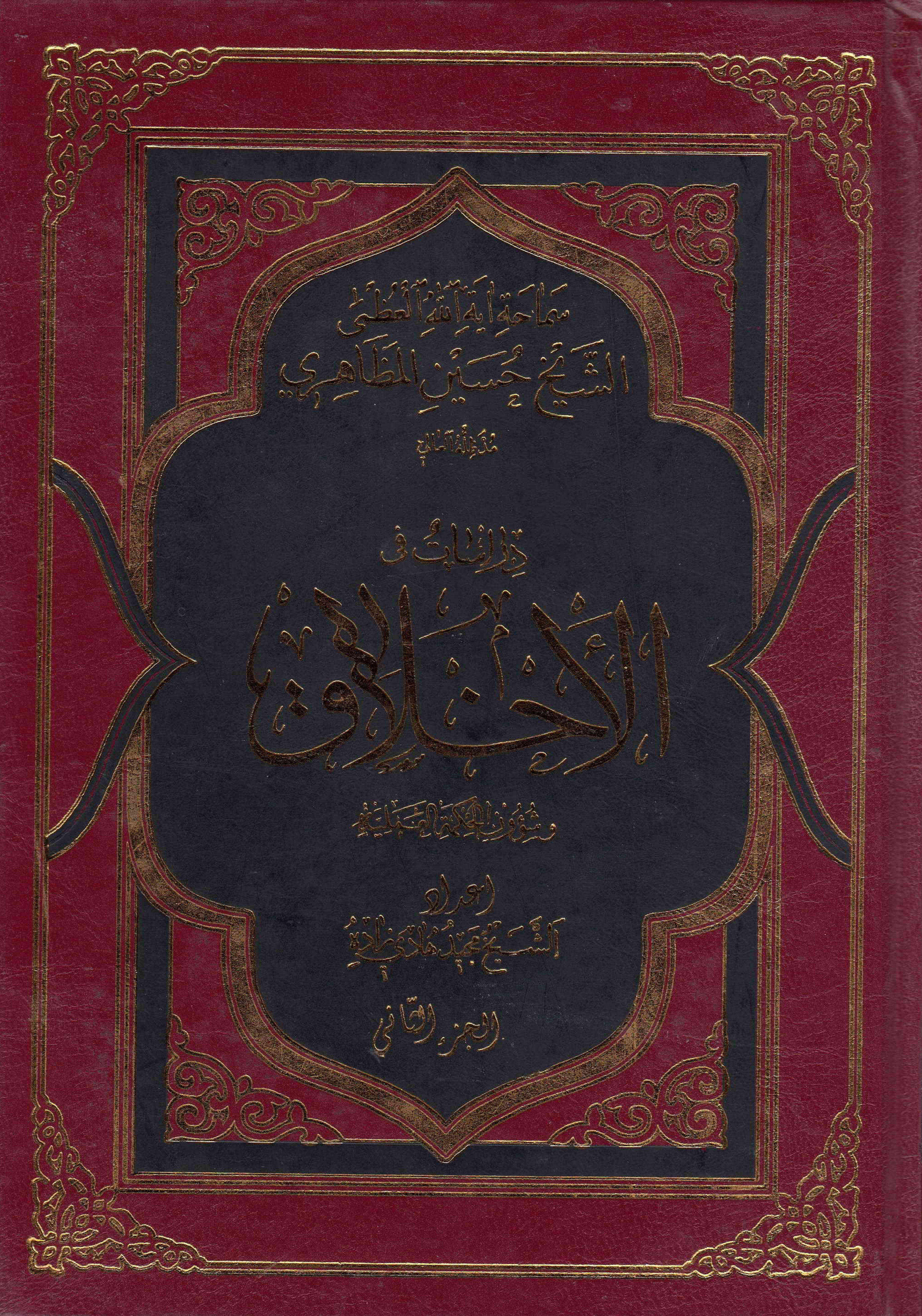


سماحة آية الله العظمى
الشيخ حسين المظاهري
مدّ ظله العالي
دراسات في
الأخلاق
وشؤون الحكمة العملية
إعداد
الشيخ محمد هادي زادة
الجزء الثاني

سماحة آية الله العظمى

الشيخ حسين المظاهري

مدّ ظلّه العالي

دراسات في

الأخلاق

وشؤون الحكمة العملية

إعداد

الشيخ مجيد هادي زاده

الجزء الثاني

فهرست‌نویسی پیش از انتشار: کتابخانه ملّی ایران

سرشناسه	: مظاهری، حسین، ۱۳۱۲ـ
عنوان و نام پدیدآور	: دراسات فی الأخلاق و شؤون الحکمة العملیّة / حسین المظاهری
مشخصات نشر	اصفهان: مؤسّسه فرهنگی مطالعاتی الزهراء و دفتر تبلیغات اسلامی حوزه علمیه قم، شعبه اصفهان، ۱۳۸۹ -
مشخّصات ظاهری	: ج
فروست	: مجموعه آثار؛ ۲۲، ۲۳، ۲۴. اخلاق؛ ۳، ۲، ۱
شابک	: (دوره) ۱-۲۴-۲۹۸۵-۹۶۴-۹۷۸: ۲۱۰۰۰۰ ریال؛ ج ۱: ۸-۲۵-۲۹۸۵-۹۶۴-۹۷۸؛ ۷۰۰۰۰ ریال؛ ج ۲: ۵-۲۶-۲۹۸۵-۹۶۴-۹۷۸؛ ج ۳: ۲-۲۷-۲۹۸۵-۹۶۴-۹۷۸
وضعیّت فهرست‌نویسی	: فیپا — یادداشت: عربی.
موضوع	: اخلاق اسلامی — شناسه افزوده: حوزه علمیّه قم، دفتر تبلیغات اسلامی.
رده‌بندی کنگره	: ۱۳۸۹ ۴د۶۲۵م/۸/ BP ۲۴۷ — رده‌بندی دیویی: ۲۹۷/۶۱
شماره کتابشناسی ملّی	۲۲۵۶۵۶۲





دراساتٌ في الأخلاق و شؤون الحِكمة العَمَليَّة (المجلّد الأوّل)

سلسلة المؤلّفات ـ ۲۳، الأخلاق / ۲

تأليف : سماحة آية الله العظمى المظاهري «مدّ ظلّه العالي»

اعداد و نشر : «مكتب الإعلام الإسلامي التابع لحوزة قم العلميّة ـ فرع إصفهان» و «مؤسّسة الزهراء الثقافيّة الدراسيّة»

الطبعة : الأولى ـ ۱۴۳۲ هـ ق / المطبعة: القلم

الكميّة المطبوعة : ۱۰۰۰ نسخة / ثمن الدورة: ۲۱۰۰۰ تومان

شابك (الدورة): ۱-۲۴-۲۹۸۵-۹۶۴-۹۷۸ شابك ج ۱: ۵-۲۶-۲۹۸۵-۹۶۴- ۹۷۸

التوزيع: ۱) مكتب الإعلام الإسلامي ـ فرع إصفهان؛ الهاتف: ۲۲۰۸۰۰۵ - ۰۳۱۱

۲) مؤسّسة الزهراء الثقافيّة الدراسيّة؛ الهاتف و فكس: ۴۴۶۳۶۷۱ـ ۰۳۱۱

Internet: www.al_zahra.ir

بسم الله الرّحمن الرّحیم

نخستین بارقه‌ی وحی - که سرآغاز تمدن شکوهمند اسلامی بود - سخن از خواندن داشت؛ و خداوند آموزگر «، که قلم در کار می‌کند، تا آدمی را بیاموزاند.

وحی «بیان» بود، و سخن و سیره‌ی معصومان - علیهم السّلام، که همانا پاکان و باورمندان اتمند - «تبیین» آن. و چنین شد که هر چند عصر «بیان» کوتاه بود، امّا دوره‌ی «تبیین» - که اصالةً عصر معصومان را در برداشت - ، به دلالت و امر همانان، تا روزگار ما و تا روز بازپسین ، ادامه خواهد داشت.

تلاش‌ها و تکاپوهای فکری / فرهنگی دانشیان مسلمان، از این رهگذر - که نشان از علم جویی و حقیقت طلبی آنان دارد - ، بسیار ارزشمند است؛ و از آن رهگذر - که نشانگر امتداد عنصر تبیین است - ، بسیار مقدّس، چه براین باور، تبیین - و به دیگر سخن: پژوهش - در چشم کردن توتیای غباری است، که از کوی معصومان برخاسته و در فضای فرهنگی مسلمین، پراکنده شده است.

«مرکز مطالعات اسلامی» وابسته به پژوهشگاه علوم و فرهنگ اسلامی، و سامان یافته در معاونت پژوهش دفتر تبلیغات اسلامی حوزه‌ی علمیّه‌ی قم، شعبه‌ی اصفهان، بر همین اساس همگام با دیگر مراکز پژوهشی ایران اسلامی، با تعریف ماموریّت و تبیین مخاطبین خود، سلسله‌ای از طرح‌های پژوهشی را به اجرا گذارد؛ تا در غنای بیشتر دانش مایه‌ی مسلمین بکوشد، و در این راه پرشکوه نصیبی فراهم خود آورد.

آنچه هم اکنون در قالب این دفتر فراروی خواننده‌ی ارجمند است، یکی از ثمرات آن کوشش است؛ و امید تا قبول نظر مردم صاحب نظر شود.

والسلام علیکم و رحمة الله و برکاته

مرکز مطالعات اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدللّه ربّ العالمين وصلّى اللّه على خير خلقه محمّد وآله الطّاهرين سيّما بقيّة اللّه في الأرضين، ولعنة اللّه على أعدائهم أجمعين.

وبعد؛ فهذا هو المجلّد الثّاني من كتاب «الأخلاق و شؤون الحكمة العمليّة»، نقدّمه إلى القرّاء الكرام؛ راجين من المولى أن يتقبّله من شيخنا الأستاذ المؤلّف بقبولٍ حسن، وأن يمتّعنا بطول بقائه الشريف.

الفصل الحادي عشر

الفضيلة الحادية عشرة: الحلـم

الرّذيلة الحادية عشرة: الغضب

الفضيلة الحادية عشرة: الحلم

و هو ضبط النّفس عند طغيانها و هيجانها، فالحليم هو من يملك نفسه و يسيطر عليها و يردعها عن طغيانها.

قال في المفردات: الحلم ضبط النّفس و الطّبع عن هيجان الغضب.

و في جامع السّعادات: الحلم هو طمأنينة النّفس بحيث لايحرّكها الغضب بسهولة و لايزعجها المكروه بسرعة(١).

و هو زينة الإنسان و ضروريّة، سيما العالم المطاع في قومه.

و الذكر الحكيم اهتمّ به اهتماماً بليغا حتّى أطلق اللّه تعالى فيه الحلم و ما يشتقّ منه على العقل، و ذلك في مواضع عدّة، تنبيهاً على ربطهما الوثيق، بل على أن لا عقل الا مع الحلم، و لا أقل من أنّ كماله به.

قال تعالى: ﴿ يا ايّها الّذين آمنوا ليستأذنكم الّذين ملكت ايمانكم و الّذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرّات...و إذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا ﴾(٢)

---

١ ـ جامع السّعادات، ج ١، ص ٣٣١

٢ ـ النّور / ٥٨ ـ ٥٩

و قال تعالى: ﴿ أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون ﴾[١]

و هذا الاطلاق من باب ذكر المسبب و ارادة السّبب اهتماماً بالسبب و تنبيهاً على أنّ المسبب يكاد أن يكون هو السبب بعينه.

و القرآن اهتمّ بشأن الخليل عليه السلام في آيات كثيرة و بيّن في تلك الآيات جملةً من فضائله عليه السلام، و منها الّتي ورد ذكرها في أكثر من آيةٍ هي فضيلة الحلم.

قال تعالى: ﴿ انّ ابراهيم لحليم اوّاه منيب ﴾[٢]

و من صفات البارى تعالى الّتي كرّر جلّ و علا ذكرها في الذكر الشريف، تنويهاً إلى غاية عظمته و جلاله و جماله جلّ و علا هي صفة الحلم و قد ورد ذكرها فيه فيما يزيد على عشرة موارد، منها:

قال تعالى: ﴿ و اعلموا أنّ الله غفور حليم ﴾[٣]

آثار هذه الفضيلة

و لهذه الفضيلة آثار هامّة تفيد صاحبها و لتلك الآثار آثار أيضاً فهى شجرة طيّبة تؤتى اكلها كلّ حين باذن ربّها، و من تلك الآثار الشرف و العزّة عند النّاس و كونه محبوباً في قلوبهم، و المرء في غالب الأحيان يفوز بمقصده و مرماه بعزّه عندهم.

و من لطائف توفيق الأنبياء و الاوصياء و العلماء فيما يرمونه، هي فضيلة الحلم الّتي يتزيّنون بها، لانّهم بفضائلهم الخُلقيّة سيّما فضيلة الحلم يحكمون على القلوب، ثمّ إذا ثبت لهم هذا الحكم، يؤثّر كلامهم في أنفس المؤمنين، و هذا ممّا دلّت عليه التّجربة طوال الأعصار.

فهذه الفضيلة مما يحتاج النّاس كلّهم اليها سيّما علماء الشريعة و مبلّغيها و مربّيى الناس و الأمراء و من حاذاهم في تدبير أمور المجتمع بشؤونها المختلفة.

---

١ ـ الطور / ٣٢ ٢ ـ هود / ٧٥ ٣ ـ البقرة / ٢٣٥

و بعبارةٍ أخرى احتياج من بيده زمام أمر من الأمور إلى هذه الفضيلة كاحتياج الكاتب إلى القلم حيث لا يصلح للكاتب أن يستفيد الناس منه إلّا بالقلم و ان شئت قلت احتياجهم اليها كاحتياج الماء الجارى إلى النّهر فكما أنّ الماء الجارى بلا نهر لا يتمّ له الصلاح بل يضّر فكذلك من بيده زمام أمر من الأمور سيّما العلم و الحكم لا يصلح له أمره إلّا بتزيّنه بهذه الفضيلة، فهما بلا حلم لا ينفعان بل يضرّان.

و من آثار هذه الفضيلة و ثمراتها صحّة الجسم و الرّوح.

توضيح ذلك: انّ المتّصف بهذه الفضيلة يكون نشيطاً ذا طمأنينةٍ و سكينة، فلا يهجم عليه الأمراض النفسيّة المؤدّية إلى الامراض الجسمانيّة امّا من لم يتزيّن بها، فيهجم عليه الكسل و البطالة، فيغلب عليه السكون و الحزن و الهم، فلا نهاية لأمره إلّا الأمراض الروحيّة و الجسميّة كضعف الحواس و ما يشبهه، فالحياة له حينئذٍ موت تدريجى و يترتب على تلك الحياة لا محالة خسران الآخرة، لأنّ من لاحياة طيّبة له في الدّنيا لاحياة طيّبة له في الآخرة، فهو خسر الدّنيا و الآخرة و ذلك هو الخسران المبين.

و ممّا قلنا ظهر أنّ تدبير المنزل بحاجة ماسّةٍ إلى فضيلة الحلم، ليكون البيت مسكناً للروح كما هو منزلٌ للجسم، فاذاً يصير مهبطاً لملائكة الرحمة و مهجراً للشياطين، أمّا ان كان الأمر فيه بالعكس، فيكون الغاية المتوخّاة منه بالعكس، فيكون البيت كحبسٍ منفردٍ لايطيب فيه العيش.

و منها توقّف جلب المنافع و دفع المضارّ عليه.

توضيح ذلك: انّ الإنسان مدنى بالطّبع و لا يتيسّر له أن يعيش وحيداً منقطعاً عن الناس. ثمّ صلاح المدنيّة و تمام أمرها لايتمّ إلّا بالحلم، لأنّ الحليم له أنّ يألف كما له أنّ يُؤلف، امّا الغضبان فلا، فلا يُجلب إليه المنافع كما لا يُدفع عنه المضارّ. فالحلم هو الّذي يتوقّف عليه أمر المعاش الجماعى.

هذا ممّا يرتبط بدنياه. أمّا السعادة في الآخرة، فهي أيضاً مرهونة به، لأنّ الغضبان غير الحليم يسوقه غضبه إلى ارتكاب الذنوب المتتالية، فلا سعادة له في العقبى ايضاً. و سيأتى زيادة توضيح لذلك في بيان رذيلة الغضب.

فتلخّص ممّا قلنا أنّ سعادة الدارين رهنيةٌ بهذه الفضيلة.

و من آثارها الهامّة هي المروة و الرّفق و المداراة، و هذه الثّلاثة و ان كانت قريبة المعنى لانها حسن المصاحبة مع الناس و اللّين لهم في الأقوال و الأفعال إلّا انّه تفترق المروة عن غيرها باشراب الوفاء في معناها، و المداراة عن غيرها باشراب تحمل الاذى في معناها.

و الكلّ من العبادات العظيمة و يترتّب عليها ثواب جزيل، و سيأتى ذكر بعض الرّوايات فيها ان شاء الله.

والقرآن عدّها من علائم الايمان.

قال تعالى: ﴿ و عباد الرّحمن الّذين يمشون على الارض هوناً و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً[1]... و إذا مرّوا باللّغو مرّوا كراماً ﴾[2]

و عند العقل لها منزلة عظيمة كما انّ لصاحبها عند النّاس مقاماً جليلاً.

و من يتنعّم بهذه النّعم الّتي خير الدّارين فيها، فليشكر شكراً كثيراً و ليحمدالله عليها حتّى يزيدها و لا يسلبها عنه.

قال تعالى: ﴿ لإن شكرتم لأزيدنّكم و لان كفرتم انّ عذابى لشديد ﴾[3]

و معلوم انّ هذه النّعم الثّلاث كالحلم ذات مراتب، فالضّعيفة منها و إن كانت مطلوبة إلّا انّ الإنسان لا بدّ له من ان يترقّى آناً فاناً و ان يكون بصدد تحصيل المراتب العُليا.

فاوّل مراتبها هو الوفاء و الصّداقة و اللّينة و حسن المعاشرة و الاجتناب عن الغدر و الخدعة و العنف و سوء المعاشرة و حزن الوجه، و آخر مراتبها ان يحبّ لغيره ما يحب لنفسه

---

١ ـ الفرقان / ٦٣ ٢ ـ الفرقان / ٧٢ ٣ ـ ابراهيم / ٧

و يكره لغيره ما يكره لنفسه لا في القول فقط، بل في مقام العمل أيضاً. فطوبى لمن كان كذلك و رزقنا الله و ايّاكم هذه بحقّ الّذين تخلّقوا بأعلى مراتبها.

و من آثارها الهامّة هو العفو و الصّفح، و الفرق بينهما مع اشتراكهما في كونهما خلاف الانتقام و هو اسقاط حقّه على من ظلمه و الاعراض عنه، انّ الصّفح أبلغ من العفو لا شراب غمض العين في معناه دون العفو، فالعفوّ يسقط حقّه مع رؤية ما ظُلم به عليه و جعله نصب عينيه، ولكنّ الصّفوح يغمض عمّا ورد عليه من الاذى و المظلمة فكأنّه لم يرد عليه شيء فيحسن إلى الظّالم كما احسن إليه قبل ذلك، فالعفو فعل الرّحيم و الصّفح عمل الكريم.

فالعفوّ يعفو بعد أنّ ظَلِم ولكنّ الصّفوح يصفح من دون تعرّض فالعفوُّ يمكن أن يظهر المظلمة ثمّ يسقط حقّه بالنسبة اليها ولكن الصّفوح يخفيها و يعرض عنها.

و هي من صفات الله تعالى و لذلك قد أمر في كتابه الكريم مراراً بالعفو و الصّفح، بل يظهر من بعض الآيات أنّ غفرانه تعالى يوم القيامة يتوقّف على ذلك.

قال تعالى : ﴿ و ليعفوا و ليصفحوا ألا تحبّون أن يغفر الله لكم ﴾[١]

كما جعل تعالى العفو من علائم التّقوى.

قال تعالى : ﴿ و ان تعفوا اقرب للتّقوى ﴾[٢]

و جعله من علائم الايمان.

قال تعالى : ﴿ و الكاظمين الغيظ و العافين عن النّاس و الله يحبّ المحسنين ﴾[٣]

و جعله آلة الفوز في الرّئاسة و الرّسالة أى هو ممّا يتوقّف عليه الفوز بالغاية و بالمآل آلة الوصول إلى الهدف.

قال تعالى : ﴿ خذ العفو و أمر بالعرف و أعرض عن الجاهلين ﴾[٤]

---

١ ـ النّور / ٢٢   ٢ ـ البقرة / ٢٣٧   ٣ ـ آل عمران / ١٣٤

٤ ـ الاعراف / ١٩٩

و في الختام نتعرّض لنكتةٍ و هي أنّ العفو و الصّفح مضافاً إلى كونهما من صفات الله تعالى، انّه تعالى يحبّ أن يظهرهما و يعمل بهما، و آيات التّوبة تدل على ذلك و سيأتى في باب التّوبة زيادة توضيح ان شاءالله تعالى لذلك، و من تلك الآيات:

﴿قل يا عبادى الّذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمةالله انّالله يغفر الذنوب جميعاً إنّه هو الغفور الرّحيم﴾(١)

تنبيهٌ

قد مرّ الكلام في أنّ الفضائل و الرّذائل من الفطريات، و أنّ الإنسان بفطرته يدرك حسن الفضائل و قبح الرّذائل، و يدرك موارد اعمال الفضائل و ينهى عن استعمال شيء منها في غير موضعه.

و قد دلّ على ذلك مضافاً إلى حكم العقل به، قوله تعالى: ﴿و نفس و ما سوّيها فالهمها فجورها و تقويها﴾ (٢)

فبناءً عليه انّ العقل و ان يدرك حسن العفو و الرّفق و المداراة بل يستحسن الإحسان إلى المسيىء كما أمر بذلك القرآن الشّريف،

قال تعالى: ﴿ادفع بالّتى هي أحسن السّيّئة نحن أعلم بما يصفون﴾(٣)

و قال تعالى: ﴿و لا تستوى الحسنة و لا السّيّئة ادفع بالّتى هي احسن فاذا الّذي بينك و بينه عداوة كانّه ولى حميم* و ما يلقّيها إلّا الّذين صبروا و ما يلقّيها إلّا ذو حظّ عظيم﴾(٤)

و قال تعالى: ﴿ و يدرؤن بالحسنة السّيّئة اولئك لهم عقبى الدّار ﴾(٥)

١ـ الزّمر / ٥٣ ٢ـ الشمس / ٨ـ٧ ٣ـ المؤمنون / ٩٦

٤ـ فصّلت / ٣٤ و ٣۵ ۵ـ الرّعد / ٢٢

و لكن مع ذلك يستحسن تنبيه المسيئ و حفظ العفّة العامّة و حفظ النّظام عن الهرج و المرج، و رفع الموانع عن بسط الحقّ و دفع ظلم الظّالم و نحو ذلك، و قد امضا القرآن الحكيم حكمه هذا في غير و احد من الآيات :

قال تعالى : ﴿ و السّارق و السّارقة فاقطعوا ايديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله ﴾[١]

و قال تعالى : ﴿ الزّانية و الزّاني فاجلدوا كلّ واحد منهما مأة جلدة و لا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تومنون بالله و اليوم الآخر و ليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾[٢]

و قال تعالى : ﴿ إنّما جزاء الّذين يحاربون الله و رسوله و يسعون في الأرض فساداً ان يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع ايديهم و ارجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى في الدّنيا و لهم في الآخرة عذاب عظيم * إلّا الّذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم ﴾[٣]

و قال تعالى : ﴿ و قاتلوهم حتّى لا تكون فتنة و يكون الدّين كلّه لله ﴾[٤]

و قال تعالى : ﴿ لا ينهيكم الله عن الّذين لم يقاتلوكم في الدّين و لم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم و تقسطوا إليهم انّ الله يحبّ المقسطين * إنّما ينهيكم الله عن الّذين قاتلوكم في الدّين و اخرجوكم من دياركم و ظاهروا على اخراجكم أن تولّوهم و من يتولّهم فاولئك هم الظّالمون ﴾[٥]

و اصطياد قاعدة كلّية عن هذه الشريفة ليُعمل بها في جميع الموارد ليس بمشكلٍ، ذلك لاحتواء هذه الآية على جميع ما يحتوى عليه غيرها من الآيات. فالعقل و النعقل يحكمان باستعمال الفضائل و منها الحلم و العفو في موارد يليق بها خاصّةً، لا فيما يوجب تجرّى الفاسق على فسقه و الظالم على ظلمه، و ذلك لبداهة قبح اعانتها على فعلها، و لا ريب في

---

١ ـ المائدة / ٣٨ ٢ ـ النّور / ٢ ٣ ـ المائدة / ٣٣ و ٣٤

٤ ـ الانفال / ٣٩ ٥ ـ الممتحنة / ٨ و ٩

أنّ العفو عنهما و الحلم قِبلهما يؤدّى و لا أقلّ في بعض الموارد إلى تشييدهما عليه، فيكون الحليم العفوّ مصداقاً لقوله عليه السلام : «الرّاضى بفعل قوم كالدّاخل فيه معهم»[1]

تتمّة

إنّ الحلم يتوقّف على كظم الغيظ تحلّماً، أى تحمّل الحلم لانّه بالتّحلّم يحصل الحلم، فكما انّ العلم يحصل بالتّعلّم فكذلك الحلم يحصل بالتّحلّم، أمّا أن يكون الحلم سجيّةً لأحدٍ من الناس فلا يكون إلّا للأوحدىّ منهم، و عليه أيضاً أن يتحلّم، لانّه بمنزلة الغذاء له، فبقاؤه و نموّه و استكماله يحتاج اليه.

فان شئت قلت إنّ كظم الغيظ هو العلّة الموجدة للحلم في عامّة الناس و هو العلّة المبقية لها فيهم و في المتّصفين به بالطّبع، فالحلم يُحتاج إليه طوال عمر الحليم احتياج المعلول إلى علّته و هذا سرّ ندب الذكر الحكيم إليه و جعْله من علائم المتّقين.

قال تعالى : ﴿ و الكاظمين الغيظ و العافين عن النّاس والله يحبّ المحسنين ﴾[2]

و يظهر من الآية الشريفة انّ العفو و الاحسان يحتاجان إلى كظم الغيظ و يترتّبان عليه ترتّب المعلول على علّته.

و هذا أيضاً سرُّ ما يُتراءى من كثيرٍ من الاخبار من ترتّب ثوابٍ عظيمٍ عليه، و سنأتى بطائفةٍ من تلك الروايات الحاثّة عليه، بعونه و منّه.

---

١ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ١٥٤

٢ ـ آل عمران / ١٣٤

روايات في الحلم و كظم الغيظ

* عن حفص ابن أبي عائشه قال: بعث أبو عبدالله عليه السلام غلاماً له في حاجة فابطأ، فخرج أبو عبدالله عليه السلام على اثره لمّا ابطأ، فوجده نائماً، فجلس عند رأسه يروّحه حتّى انتبه، فلمّا تنبّه قال له أبو عبدالله عليه السلام: يا فلان والله ما ذلك لك، تنام اللّيل و النّهار، لك اللّيل و لنا منك النّهار.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا وقع بين رجلين منازعة نزل ملكان فيقولان للسّفيه منهما: قلت و قلت و انت اهل لما قلت، ستجزى بما قلت و يقولان للحليم منهما: صبرت و حلمت سيغفرالله لك ان اتممت ذلكقال فان ردّ الحليم عليه ارتفع الملكان.[2]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: ما احبّ انّ لي بذلّ نفسى حمر النعم، و ما تجرعت جرعة احبّ اليّ من جرعة غيظ لا اكافي بها صاحبها[3].

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها، فإنّ عظيم الأجر لمن عظيم البلاء، و ما أُحبَّ اللهُ قَوماً إلّا ابتلاهم.[4]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: ما من عبد كظم غيظاً إلّا زاده الله عزّوجلّ عزاً في الدّنيا و

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١١٢، باب الحلم، ح ٧

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ١١٢، باب الحلم، ح ٩

٣ الكافى، ج ٢، ص ١٠٩،باب كظم الغيظ،ح ١

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٠٩، باب كظم الغيظ، ح ٢

الاخرة، و قد قال الله عزّوجلّ : ﴿و الكاظمين الغيظ و العافين عن النّاس والله يـحبّ المحسنين﴾ و اثابه الله مكان غيظه ذلك. (١)

* عن أبي جعفر عليه‌السلام قال : من كظم غيظاً و هو يقدر على امضائه حشاالله قلبه امناً و ايماناً يوم القيامة. (٢)

* عن عليّ بن الحسين عليه‌السلام قال : قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : من احبّ السّبيل إلى الله عزّوجلّ جرعتان : جرعة غيظ تردّهابحلم و جرعة مصيبة تردّها بصبر. (٣)

* عن محمّد بن عبيدالله قال : سمعت الرّضا عليه‌السلام يقول : لا يكون الرّجل عابداً حتّى يكون حليماً، و انّ الرّجل كان إذا تعبّد في بنى اسرائيل لم يعدّ عابداً حتّى يصمت قبل ذلك عشر سنين. (٤)

* عن أبي جعفر عليه‌السلام قال : كان عليّ بن الحسين عليه‌السلام يقول : انّه ليعجبنى الرّجل ان يدركه حلمه عند غضبه. (٥)

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : ما اعزّ الله بجهل قطّ و لا اذلّ بحلم قطّ (٦).

* قال أبو عبدالله عليه‌السلام : كفى بالحلم ناصراً، و قال : إذا لم تكن حليماً فتحلّم. (٧)

* عن أبي جعفر عليه‌السلام قال : قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم :يحبّ الحـيى الحـليم العـفيف

---

١ ـ الكافي، ج ٢، ص ١١٠، باب كظم الغيظ، ح ٥

٢ ـ الكافي، ج ٢، ص ١١٠، باب كظم الغيظ، ح ٧

٣ ـ الكافي، ج ٢، ص ١١٠، باب كظم الغيظ، ح ٩

٤ ـ الكافي، ج ٢، ص ١١١، باب الحلم، ح ١

٥ ـ الكافي، ج ٢، ص ١١٢، باب الحلم، ح ٣

٦ ـ الكافي، ج ٢، ص ١١٢، باب الحلم، ح ٥

٧ ـ الكافي، ج ٢، ص ١١٢، باب الحلم، ح ٦

المتعفّف.[١]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: ما من جرعة يتجرّعها العبد احبّ إلى الله عزّوجلّ من جرعة غيظ يتجرّعها عند تردّدها في قلبه، امّا بصبر و امّا بحلم.[٢]

* قيل للامام الحسن بن على عليه السلام: ما الحلم ؟، قال: كظم الغيظ و ملك النّفس[٣]

* عن الجواد عليه السلام: و ليس الحليم الّذي لا يتّق احداً في مكان التّقوى، و الحلم لباس العالم فلا تعرينّ منه[٤]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: أنّما الحلم كظم الغيظ و ملكُ النّفس[٥]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: ليس الحليم من عجز فهجم و إذا قدر انتقم، أنّما الحليم من إذا قدر عفى و كان الحلم غالباً على امره[٦]

* عن أبي عبدالله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: من لم يكن فيه ثلاث لم يقم له عمل: ورع يحجزه عن معاصى الله، و خلق يدارى به النّاس، و حلم يردّ به جهل الجاهل[٧]

* قال الصادق عليه السلام: الحلم سراج الله يستضيئ به صاحبه إلى جواره، و لا يكون حليماً إلّا المؤيّد بانوار الله، و بانوار المعرفة و التّوحيد، و الحلم يدور على خمسة أوجه: أن يكون عزيزاً فيذلّ، أو يكون صادقاً فيتّهم أو يدعو إلى الحقّ فيستخفّ به، أوأن يوذى بلا

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١١٢، باب الحلم، ح ٨

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ١١١، باب كظم الغيظ، ح ١٣

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ١٠٢، باب ١٩، ح ٢

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٣٦٢، باب ٢٧، ح ٢

٥ ـ غرر الحكم، طبع بيروت، ج ١، الفصل الخامس عشر، ص ٢٦٦، ح ١

٦ ـ غرر الحكم، طبع بيروت، ج ٢، الفصل الثالث و السبعون، ص ١٣٧، ح ٧٨

٧ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٤٢٢، باب ٩٣، ح ٥٩

جرم، أوأن يطالب بالحقّ و يخالفوه فيه، فان آتيت كلّاً منها حقّه فقد اصبت، و قابل السّفيه بالاعراض عنه و ترك الجواب، يكن النّاس انصارك، لانّ من جاوب السفيه و كافاه قد وضع الحطب على النّار. قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم : مثل المؤمن مثل الارض، منافعهم منها و إذا هم عليها و من لا يصبر على جفاء الخلق لايصل إلى رضى الله تعالى، لانّ رضى الله مشوب بجفاء الخلق، و...و قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم :بعثت للحلم مركزاً و للعلم معدناً و للصّبر مسكناً[١]

* قال الرّضا عليه السلام : من صبر على ماورد عليه فهو الحليم و قال لقمان : عدوّ حليم خير من صديق سفيه، و قال لقمان : ثلاثة لا يعرفون إلّا في ثلاثة مواضع : لا يعرف الحليم إلّا عند الغضب، و لا يعرف الشّجاع إلّا في الحرب و لا تعرف اخاك إلّا عند حاجتك اليه[٢]

في حلم المعصومين

* عن موسى بن جعفر عن ابيه، عن آبائه عليهم السلام عن اميرالمؤمنين عليه السلام قال : انّ يهوديّا كان له على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم دنانير فتقاضاه فقال له : يا يهوديّ ما عندى ماأعطيك فقال : فانّى لا افارقك يا محمّد حتّى تقضينى، فقال : اذاً أجلس معك، فجلس معه حتّى صلّى في ذلك الموضع الظهر و العصر و المغرب و العشاء الآخرة و الغداة، و كان اصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يتهدّدونه و يتواعدونه، فنظر رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إليهم فقال : ما الّذي تصنعون به ؟ فقالوا يا رسول الله يهوديّ يحبسك ؟ فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم : لم يبعثنى ربّى عزّوجلّ بان أظلم معاهداً و لا غيره، فلمّا علا النّهار قال اليهوديّ : أشهد ان لا اله إلّاالله و أشهد ان محمّداً عبده و رسوله، و شطر مالى في سبيل الله، اما و الله ما فعلت بك الّذي فعلت

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٤٢٢، باب ٩٣، ح ٦١

٢ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٤٢٦، باب ٩٣، ح ٧٠

إلّا لأنظر إلى نعتك في التوراة، فانّی قرأت نعتك في التوراة : محمّد بن عبدالله مولده بمكّة و مهاجره بطيبة، و ليس بفظّ و لا غليظ و لا سخّاب و لا متزيّن بالفحش و لا قول قين، و أنا أشهد أن لا اله إلّا الله، و انّك رسول الله، و هذا مالی، فاحكم فيه بما أنزل الله، و كان اليهودیّ كثير المال.[١]

※ عن بحر السّقا قال : قال لي أبو عبدالله عليه‌السلام : يا بحر حسن الخلق يسر، ثمّ قال : ألا أخبرك بحديث ما هو في يدی أحد من أهل المدينة قلت : بلی، قال : بينا رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ذات يوم جالس في المسجد اذجاءت جارية لبعض الأنصار و هو قائم، فأخذت بطرف ثوبه، فقام لها النّبی صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فلم تقل شيئاً و لم يقل لها النّبی صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم شيئاً حتّى فعلت ذلك ثلاث مرّات، فقام لها النّبی في الرابعة و هي خلفه فاخذت هُدبة من ثوبه ثم رجعت فقال لها النّاس : فعل الله بك و فعل حبست رسول الله صلى الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ثلاث مرّات، لا تقولين له شيئاً و لا هو يقول لك شيئاً ما كانت حاجتك إليه ؟ قالت : إنّ لنا مريضاً فأرسلنی أهلی لآخذ هدبة من ثوبه يستشفی بها، فلمّا أردت أخذها رأنی فقام فاستحييت منه أن أخذها و هو يرانی و أكره ان أستأمره في أخذها فأخذتها[٢]

أن اميرالمؤمنين عليه‌السلام مرّ بأصحاب التمر فاذا هو بجارية تبكی فقال : يا جارية ما يبكيك ؟ فقالت : بعثنی مولای بدرهم فابتعت من هذا تمراً فاتيتهم به فلم يرضوه، فلمّا أتيته به أبی أن يقبله، قال : يا عبدالله انّها خادم و ليس لها أمر، فاردد اليها درهماً و خذالتمر، فقام إليه الرجل فلكزه[٣]، فقال النّاس : هذا أميرالمؤمنين، فربا [٤] الرجل و اصفرّ و أخذ التّمر و

---

١ ـ بحار الانوار ج ١٦، ص ٢١٦، باب ٩، ح ٥

٢ ـ الكافی، ج ٢، ص ١٠٢، باب حسن الخلق، ح ١٥

٣ ـ اللّكز : الدفع و الضّرب بجمع الكفّ

٤ ـ أي: اخذه الربو ، و هو علة تحدث في الرئة فتصير النّفس صعبا

ردّ اليها درهمها ثم قال : يا اميرالمؤمنين ارض عنّي فقال : ما أرضاني عنك إن اصلحت أمرك[١].

و كان عليّ عليه‌السلام في صلاة الصبح فقال ابن الكوّاء من خلفه : ﴿ و لقد اوحى إليك و إلى الّذين من قبلك لئن أشركت ليحبطنّ عملك و لتكوننّ من الخاسرين ﴾ فأنصت عليّ عليه‌السلام تعظيماً للقرآن حتّى فرغ من الآية، ثم عاد في قرائته ثم أعاد ابن الكوّاء الآية، فأنصت عليّ عليه‌السلام ايضاً، ثم قرأ فاعاد ابن الكوّاء، فانصت عليّ عليه‌السلام ثم قال : ﴿ فاصبر انّ وعدالله حقّ و لا يستخفنّك الّذين لا يوقنون ﴾ ثم اتمّ السورة و ركع[٢]

و لمّا ادرك (علي) عمرو بن عبدود لم يضربه، فوقعوا في عليّ عليه‌السلام فردّ عنه حذيفة فقال النّبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : مه يا حذيفة فانّ عليّاً سيذكر سبب وقفته، ثم انّه ضربه فلمّا جاء سأله النّبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم عن ذلك فقال : قد كان شتم اُمّي و تفل في وجهي فخشيت ان أضربه لحظّ نفسي فتركته حتّى سكن مابي ثم قتلته في الله[٣]

روى ان شاميّاً رآه ـ الحسن عليه‌السلام ـ راكباً فجعل يلعنه و الحسن لا يرد فلمّا فرغ اقبل الحسن عليه فسلم عليه و ضحك و قال : ايّها الشيخ اظنك غريباً و لعلّك شبهت فلو استعتبتنا اعتبناك[٤] و لو سئلتنا اعطيناك و لو استرشدتنا ارشدناك و لو استحملتنا حملناك و ان كنت جائعاً اشبعناك و ان كنت عريانا كسوناك و ان كنت محتاجاً أغنيناك و ان كنت طريداً آويناك و ان كان لك حاجة قضيناها لك فلو حركت رحلك الينا و كنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان اعود عليك لان لنا موضعاً رحباً و جاهاً عريضاً و مالاً كبيراً فلمّا سمع الرّجل كلامه بكى ثم قال : اشهد انّك خليفة الله في ارضه الله اعلم حيث يجعل رسالاته

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٤١، ص ٤٨، باب ١٠٤، ح ١

٢ ـ بحار الانوار، ج ٤١، ص ٤٨، باب ١٠٤، ح ١

٣ ـ بحار الانوار، ج ٤١، ص ٥٠، باب ١٠٤، ح ٢

٤ ـ استعتبه : أي: استرضاه

و كنت انت و أبوك ابغض خلق الله الىّ و الآن انت احبّ خلق الله الىّ و حول رحله إليه و كان ضيفه إلى ان ارتحل و صار معتقداً لمحبتهم [١]

و كان عمرى يؤذيه (الكاظم عليه السلام) و يشتم عليّا عليه السلام فقال له بعض حاشيته : دعنا نقتله، فنهاهم عن ذلك، فركب يوما إليه فوجده في مزرعة فجالسه و باسطه و قال له : كم عزمت في زرعك هذا ؟ قال : مائة دينار، قال : و كم ترجوا ان تصيب ؟ قال : مائتى دينار، قال فاخرج له صرّة فيها ثلاثمائة دينار فقال : هذا زرعك على حاله يرزقك الله فيه ما ترجو فاعتذر العمرى إليه و قال : الله اعلم حيث يجعل رسالته و كان يخدمه بعد ذلك [٢]

---

١ ـ المناقب لابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٩، فصل : في مكارم اخلاق الحسن عليه السلام

٢ ـ المناقب لابن شهر آشوب، ج ٤، ص ٣١٩، فصل : في معالى امور الكاظم عليه السلام

الرّذيلة الحادية عشرة: الغضب

و هو كيفيّةٌ نفسانيّة تورث عنده رؤية ما يُكره منه فيراد منه الانتقام، فثورانها يوجب ثوران الدم في الأعضاء لتقوى على القيام بالانتقام فيؤثّر على الاعضاء و الجوارح فيتلاطم القلب، و يحمرّ الوجه و يضطرب الجسد، و يلتذّ من الانتقام و لا يسكن إلّا به، و إن لم يقدر عليه يهجم عليه الحزن و يصفرّ لونه و تضطرب أعضاؤه و جوارحه، و يستتر العقل و يخمد نوره بالغضب فلذا لا يؤثّر في الغضبان الوعظ و النّصيحة بل الزّجر و التّهديد.

قال الفيض رحمه الله تعالى: امّا بعد فانّ الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة إلّا أنّها لا تطّلع إلّا على الأفئدة و أنّها لمستكنّة في طيّ الفؤاد استكنان الجمر تحت الرّماد، و يستخرجها الكبر الدّفين من قلب كلّ جبّار عنيد كما يستخرج الحجر النّار من الحديد، و قد انكشف للنّاظرين بنور اليقين انّ الإنسان ينزع منه عرق إلى الشّيطان اللّعين، فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال ﴿ **خلقتنى من نار و خلقته من طين**﴾[1] فمن شأن الطّين السّكون و الوقار و شأن النّار التّلظّى و الاستعار و الحركة و الاضطراب و الاصطهار و منه قوله تعالى: ﴿**يصهر به ما في بطونهم** ﴾[2] انتهى ما اردنا

---

١ ـ الاعراف / ١٢ ٢ ـ الحجّ / ٢٠

من كلامه.[۱]

ثم اعلم انّ الغضب من المهلكات العظيمة و ربّما ادّى بصاحبه إلى الشقاء الابدى.

ولله درّ من قال: السّفينة الّتي وقعت في اللّجج الغامرة و اضطربت بالرّياح العاصفة و غشيتها الأمواج الهائلة ارجى إلى الخلاص من الغضبان الملتهب.

و جعله مولانا أميرالمؤمنين عليه‌السلام من الجنون و قال: «الحدّة ضرب من الجنون لأنّ صاحبها يندم فإن لم يندم فجنونه مستحكم»[۲].

و كيف لا يكون كذلك و الحال أنّه يصدر من الغضبان أنّه يصدر منه ما لا يصدر من الجاهل الاحمق كانطلاق اللّسان بالشّتم حتّى بالنّسبة إلى الحيوانات و النباتات و الجمادات، و ربّما ينجرّ شتمه إلى الرّدّة لانّه يشتم الله تبارك و تعالى و رسله و اوصيائه أعاذناالله عن ذلك.

و ربّما ينجرّ إلى إفشاء الأسرار و هتك الاستار حتّى افشاء سرّ نفسه و هتك سترها كما ربّما يشتم نفسه و عرضه.

و كالضّرب و الجرح و القتل بالنّسبة إلى نفسه أو إلى غيره من أقربائه و الكبراء و العظماء و غيرهم.

و كالكسر و الانعدام حتّى بالنّسبة إلى أعزّ الاشياء عنده.

و أخيراً، فاذا لم يقدر على شيء من ذلك، يمزق ثوبه و يلطم وجهه و يضرب نفسه.

و بالجملة، يصدر منه مالا يصدر من الصّبيان مع كون الغضبان عند خمود ثورة الغضب من المشهورين عند النّاس بوفور العقل و قوّة السكينة و من الموجّهين عند الخواصّ نعوذ بالله من الغضب الّذي يشتعل فيحرق كلّ شيء حتّى الدّين.

---

۱ ـ المحجّة البيضاء، ج ۵، ص ۲۸۹

۲ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الكلم ۲۵۵

هذا و قد مرّ منا الاشارة مراراً إلى كون الرذائل كالفضائل ذات عرض عريض، لكلّ مرتبةٍ منها قبحها كما انّ لكل مرتبةٍ من الفضائل حسنها. نعم الرذيلة بما هي رذيلة قبيحة لايتصور الحسن و الخير فيها و لو كان من مراتبها الضعيفة، فكما لا يعقل تصوّر البرودة من النّار فكذلك لا يعقل تصوّر الحسن و الكمال من الرّذيلة.

فالغضب مذموم و هو جمرة من نار جهنّم و وسوسة من وساوس الشّيطان فكيف يتوقّع أن يُشمّ منه رائحة نسيم الجنّة و نفس الرّحمن.

فما اشتهر بين أصحاب الأخلاق من أنّ لقوّة الغضب مراتب و هي الافراط و التفريط و الاعتدال فيه، فالافراط منه مذموم و هو مورد كلام علماء الأخلاق، و التّفريط منه مذموم لا من باب الغضب بل بما انّه من باب الجبن و الاعتدال منه فضيلة و هو من الشّجاعة، ليس بسديد لأنّ الغضب نار تشتعل عند الانتقام و حدّة تحصل من الجنون و تغطية العقل و رذيلة مانعة عن التسلّط على النّفس، اذ الغضبان لا يملك نفسه بخلاف الحليم الّذي يسلّط على نفسه و يملكها، فتلك الحالة مذمومة افراطاً و تفريطاً و اعتدالاً.

فربّ حيوان له الحلم وجمعت فيه رذيلة الجبن و فضيلة الحلم و ربّ حيوان اجتمع فيه الجبن و الغضب، و قوّة الغضب فيه في مراتبها الأخيرة الشّديدة، و ربّ شجاع له الحلم مع ذلك قد قلع مادة الغضب عن نفسه فهو مع تسلّطه على نفسه له قوّة القلب في المعارك و الحروب و هو لا يخاف إلّا ربّه.

ألا ترى أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام في غزوة خندق إذا هجم على عمرو بن عبدودّ فضربه و أسقطه على الأرض كيف شتمه عمروٌ و أساء بالنسبة اليه، فهو عليه السلام لم يقتله بل مكث و مدّة ثمّ قتله، و لمّا سأله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك أجاب: إنّي خفت أن لا يكون عملي هذا لله تعالى بل يخالطه التّشفّي و الانتقام إن قتلته حين شتمني و أساء اليّ.

و قد روى عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: الشّجاع من يملك نفسه عند غضبه[۱] فعلى هـذا الكلام المنير إنّ الشّجاعة لا تلائم الغضب.

و بالجملة انّ الجبن ليس من مراتب الغضب و كذلك الشّجاعة ليست من مراتبه . بل الشّجاعة من الفضائل و الغضب من الّرذائل فكيف يمكن الجمع بينهما بأن تكون الشجاعة المرتبة الشديدة من الغضب كما يترائى من كلماتهم.

و أظن أنّ ما الزمهم على هذه المقالة، نسبة الغضب و شبهه إلى الله تعالى و إلى بعض الأنبياء و الأمر به في القرآن الكريم في موارد خاصّة.

قال الله تعالى : ﴿ كلوا من طيّبات مارزقناكم و لا تطغوا فيه فيحلّ عليكم غضبى و من يحلل عليه غضبى فقد هوى ﴾[۲]

و قال تعالى : ﴿ فرجع موسى إلى قومه غضبان اسفا قال يا قوم الم يعدكم ربّكم و عداً حسناً أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحلّ عليكم غضب من ربّكم ﴾[۳]

و قال تعالى : ﴿ و ذا النّون إذ ذهب مغاضباً فظنّ أن لن نقدر عليه ﴾[٤]

و قال تعالى : ﴿ محمّد رسول الله و الّذين معه أشداء على الكفّار رحماء بينهم ﴾[٥]

و قال تعالى : ﴿ يا ايّها النّبيّ جاهد الكفّار و المنافقين و اغلظ عليهم ﴾[٦]

ولكن من المعلوم أنّ المراد بالغضب و شبهه في هذه الآيات هو الانتقام فيما يحقّ فيه و هو موارد لا يليق فيها العفو و الصّفح فلمّا يشبه الانتقام النّاشيء من الغضب يطلق عليه الغضب و يريد منه الانتقام فيما يحقّ فيه و هو العقاب العادل على مستحقّه، فنعوذ بالله من ذلك الغضب الّذي يصدر من قهر الجبّار على المستكبرين من العباد.

---

١ ـ جامع السّعادات، ج ١، ص ٣٢٥، آخر فصل ٢ من فصول الغضب

٢ ـ طه / ٨١ ٣ ـ طه / ٨٦ ٤ ـ الانبياء / ٨٧

٥ ـ الفتح / ٢٩ ٦ ـ التّوبة / ٧٣

طريقة تهذيب النّفس عن الغضب:

قد مرّ الكلام منّا في طريقة تهذيب النّفس و حسبك ما قلنا هناك إلّا أنّه لمّا اشتهر في كتب الأخلاق في بحث الغضب أن يُذكر فصلان فصلٌ يُخصّص باثبات امكان ازالة الغضب عن النّفس و فصلٌ يُخصّص لارائة طريقٍ لها، فنحن نقتفي أثرهم اقتداءً بهم و تذكاراً لما مرّ الكلام فيه من إمكان إزالة مطلق الرّذائل، فنقول أمّا امكان الإزالة فمضافاً إلى ما يترائى من احوال النّاس و الامم من كونهم في غاية الانحطاط فصاروا بتربية الأنبياء من أشرف السّعداء انّ القرآن جيئ لتهذيب النّفس و هو كتاب الأخلاق و قد يدلّ على أنّ الرّسل كلّهم بعثوا لتهذيب نفوس النّاس.

قال الله تعالى: ﴿ لقد ارسلنا رسلنا بالبيّنات و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم النّاس بالقسط و أنزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للنّاس ﴾[١]

و تفسير القسط بالمساواة و العدالة الاجتماعية فقط كما يترائى ذلك من كثير من كتب التّفاسير، اختصاص بلا وجه بل الظّاهر من الآية الشّريفة أنّ الأنبياء كلّهم ارسلوا لقسط القلب أي جعله في نقطة الوسط بين الاميال و المشتهيات و هو تهذيبه عن الرّذائل كلّها و تزيينه بأضدادها و من مصاديق ذلك هو القسط و العدالة الجماعيّة و القرآن الكريم أمر النّاس بتهذيب نفوسهم بعد أن جاء متتالياً بأحد عشر قسماً تنويهاً على عظم شأن المأمور به، فقال: ﴿ قد أفلح من زكّيها ﴾[٢].

و أنذر بعد ذلك إنذاراً شديداً حثّاً لهم عليه بقوله: ﴿ و قد خاب من دسّيها ﴾[٣]

كما أنّ الرّوايات الواردة في تهذيب النّفس و وجوب بعث النّاس إليه و اهتمامهم به فوق حدّ الإحصاء.

فهل يعقل بعد ذلك أن يقال أنّ الرّذائل و منها الغضب تُعدّ من طبع الإنسان و طبيعته و

١ـ الحديد / ٢٥ ٢ـ الشّمس / ٩ ٣ـ الشّمس / ١٠

أنّه جُبّل عليها أو أنّ الخلق(بالضّمّ) كالخلق (بالفتح) و كلاهما لا يقبلان التغيير، فلايمكن قلعها، بل الممكن كسر سورته و ثورانه حتّى لا يشتدّ هيجانه.

و هذا الكلام خلط بين النّفس الامّارة و الصّفات الرذيلة، و ما لا يمكن ازالته هو النّفس الأمّارة لأنّها طبيعة للإنسان و خلق(بالفتح) له، و أمّا الصّفات الرذيلة فهى ليست من الذّاتيات بل هي قابلة للإزالة كما أنّها قابلة للإشتداد و قابلة للتّضعيف، حتّى أنّها قابلة للايجاد بعد أن لم تكن بموجودة، فربّ شخصٍ لم يكن متكبّراً و لكنّ العلم والّتمكّن و الجاه جعله جبّاراً و أصبح من المتكبّرين كما انّه ربّ رجلٍ حليمٍ و لكن ضعف النّفس بالهرم و الفقر و المصائب ابتلاه بأمراض روحيّة و منها الغضب.

ألا سمعت قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: يهرم ابن آدم و تشبّ منه اثنتان: الحرص و الأمل[1].

أما رأيت في حيوتك غير الواسعة أفراداً في غاية الانحطاط ولكن بإقبالهم إلى الله تعالى و إلى رجال الدين و إعراضهم عن شياطين الإنس و الجنّ و عن الدّنيا الدّنيّة و زخرفها، كيف صاروا من المهذّبين و من الأزكياء الّذين صدق عليهم قوله تعالى: ﴿**ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون**﴾[2]

و با لمآل صدق عليهم قوله تعالى: ﴿**و من يطع الله و الرّسول فاولئك مع الّذين أنعم الله عليهم من النّبيين و الصّدّيقين و الشّهداء و الصّالحين و حسن اولئك رفيقاً**﴾[3].

و بالجملة إنّ القول بانّ الصّفات الرذيلة غير قابلةٍ للزوال يخالف الكتاب و السّنّة و العقل و المشاهَد من سيرة بعض الناس، و إن قلت تسويلات الشّيطان و خدع النّفس بل انّه وحى من شياطين الجن، لم تقل بخلاف، نعوذ بالله تعالى منها كلّها.

و أمّا كيفية تهذيب النّفس من الرذائل و منها الغضب و إن كان في غاية الصّعوبة بحيث

---

١ ـ تحف العقول، ص ٤٥ ٢ ـ يونس / ٦٢ ٣ ـ النّساء / ٦٩

ليس أمر أشدّ صعوبة منه إلّا أنّه من الجهاد الأكبر فيترتّب عليه ثواب أعظم و أكبر من ثواب جهاد العدوّ ولو لم يصل بالمقصود و لم يقدر على إزالتها.

و لكن بالرّياضات الدّينيّة و التّوسّل إلى الله تعالى بالدّعاء و الإنابة، و التّوسّل إلى الأزكياء من العترة الطّاهرة عليهم السلام خصوصاً، و أولادهم الجسمانيّة من السّادات الأبرار و الرّوحانيّة و هم العلماء المتّقون الّذين رفعهم الله تعالى في كتابه درجات بقوله: ﴿ **يرفع الله الّذين آمنوا منكم و الّذين اوتوا العلم درجات** ﴾ [1] يسهل خطبه و سيجعل الله له مخرجاً و فرجاً و يرزقه الفضائل و يزول عنه الرّذائل قال تعالى: ﴿ **و من يتّق الله يجعل له مخرجاً * و يرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ [2].

و هذا وعد و بشارة من القرآن يدلّ على أنّ الرّياضات الدّينيّة توجب تسهيل الأمور و ان يحصل الفرج و المخرج كما أن قوله تعالى: ﴿ يا ايّها الّذين امنوا اتّقوا الله و ابتغوا إليه الوسيلة ﴾ [3]، يدلّ على أنّ التّوسّل إلى العترة الطّاهرة و ذرّيّتهم الصّالحة و خدّامهم الزّاكية له تأثيرٌ في هذا المضمار لايُنكر.

فعليك ثمّ عليك قبل القيام بتهذيب النّفس، بالتّقوى و الارتباط و الاتّصال مع الله تعالى، و التّوسّل و القربة إلى رسوله و الأئمة عليهم السلام سيّما بقيّة الله الأعظم روحي و ارواح العالمين لتراب مقدمه الفداء و من ينوب منه بالنيابة العامّة.

فعليك ثمّ عليك قبل تطرّق الطّريق بالتّوجّه إلى قوله تعالى: ﴿ **و لولا فضل الله عليكم و رحمته مازكى منكم من أحد ابداً ولكنّ الله يزكّي من يشاء** ﴾ [4]

حتّى يحصل لك حالة الانقطاع و الابتهال إلى الله تعالى في الجملة، ثمّ يحصل لك العلم بل تيقّن بأنّه لا مؤثّر إلّا الله تعالى، فبهذا السّلاح تبارز إلى النّفس و تجاهدها لتهذّبها و

---

١ ـ المجادلة / ١١   ٢ ـ الطّلاق / ٢ و ٣   ٣ ـ المائدة / ٣٥

٤ ـ النّور / ٢١

لاريب فيه أنّه لو لم تجد ذلك السّلاح لم تقدر على شيء أبداً.

و بعد ذلك فاجود الطّرق و أسهلها لتهذيب النّفس هو الدّفع لا الرّفع بمعنى أنّك تفوز على كلّ رذيلةٍ قبل طغيانها و ثورانها، و امّا بعد التّحرّك و الطّغيان فالغلبة عليها عسيرة جدّاً.

و هذا الدّفع تارة يكون بالاعراض عن موجبات الطّغيان و التّحرّك، و هذا و ان كان لابأس به إلّا أنّه كفاح منفيٌّ و هو إبعاد النّفس عن موجبات الذّنب.

فمن ترك معاشرة الناس بالترهّب فليس له موجب للغضب كما لا موجب له لارتكاب الذّنب، و هذا مرادٌ من انشد بالفارسيّة:

ز دست دیده و دل هر دو فریاد	که هرچه دیده بیند دل کند یـاد
بسازم خنجری نیشش ز فـولاد	زنم بـر دیـده تـا دل گـردد آزاد

و هذا الكفاح و ان كان موجباً للاجتناب عن الغضب و ارتكاب الذّنب إلّا أنّ هذا المكافح لايقدر على ازالة قوّة الغضب و قلع مادّة الفساد بل له أن يمنع عن ثوران تلك القوّة فقط.

و أخرى يكون بازالة تلك القوّة و هي الغاية من علم الأخلاق.

و هذا الدفع يقدّمه دفع كثير من الرّذائل كالحقد و الحسد و الكبر و الحميّة الجاهليّة و الغرور و نحو ذلك ممّا ينشأ الغضب منه، و إلى الإجتناب عن كثير من القبائح الخُلقية كاللّجاجة و المهارات و الهزل بالنّاس و التّعيير و الا ستهزاء و نحو ذلك.

و ثانياً يحتاج إلى كفاح القوّة الغضبيّة، و تلك المبارزة، بالمواظبة اوّلاً عن طغيانها و هي كظم الغيظ الّذي مرّ الكلام فيه و في ترغيب العقل و الكتاب و السّنّة اليه، و بقلع مادّته ثانياً بالتّذكّر و التّفكّر في تبعاته من القتل و الضّرب و الشّتم و هتك النّفسيّة و إفشاء الأسرار و هتك الاستار و نحو ذلك، و بالتّفكّر و التّذكّر في أنّ الغضبان يحلّ عليه سخط الله

تعالى حيث قال تعالى: ﴿و من يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾[١] و أنّه موجب لخسران الدّنيا و الاخرة.

فلو لم يكن للغضب شيء سوى العنف في الكلام و الشّدّة في العمل و الانتقام، حسبك أن تزيل عن نفسك هذه الرّذيلة الّتي ترتّب عليها كثير من القبائح الأُخر.

و قد مرّ الكلام في أنّ سيرة المؤمن و سنّته رفقٌ و مداراةٌ فبما أنّ الشدّة لاتجامع الرفق، لم توجد فيه، و لا في سيرته، هذا مضافاً إلى أنّ العنف و الشدّة يوجبان توحّده و تفرّق النّاس عنه.

قال الله تعالى: ﴿و لو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك﴾[٢]

هذا مع أنّهما يلازمان إهانة المؤمنين و الفحش و اللّعن و الطّعن لهم و قد وردت في مذمّة تلك القبائح روايات كثيرة سيأتي ذكر بعضها. و نكتفي الآن برواية رُويت عن الصادق عليه السلام:

عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: قال الله عزّوجلّ: **﴿ليأذن بحرب منّي من أذى عبدي المؤمن و ليأمن غضبي من اكرم عبدي المؤمن﴾[٣]**

و أمّا طلب الانتقام و الاصرار عليه، فهو ضدّ العفو و الصّفح و كذلك هو ضدّ كظم الغيظ و هو من آثار ثوران الغضب، بينما يكون بمنزلة الغذاء له فيشدّده و يحكمه، فمن أراد أن يهذّب نفسه و يزيل الغضب عنها فلا بدّله من ترك الإنتقام حين طغيان الغضب و بعبارةٍ أخرى أنّ كظم الغيظ ثمّ العفو و الصّفح عمّن جنى عليه، يوجب رفع هذه الصّفة الرّذيلة و غرس صفة الحلم في القلب.

و قد مرّ الكلام في أنّ العفو و الصّفح يوجبان غفران الله تعالى.

١ـ طه / ٨١　　　٢ـ آل عمران / ١٥٩

٣ـ الكافي، ج ٢، ص ٣٥٠، باب من أذى المسلمين، ح ١

قال تعالى : ﴿ و ليعفوا و ليصفحوا ألا تحبّون أن يغفر الله لكم ﴾[١]

ثمّ لايخفى أنّ الغضب مذموم و لا يعقل أن يصير حسناً باعتبار المتعلّق و لو كان متعلّقه إحياء الدّين أو إعانة المظلوم فضلاً عمّا لا يُعد حسناً، بل يرجع إلى شخص الغضبان و هوائه.

توضيح ذلك: انّ الغضب كما مرّ في تعريفه هو قوّة توجب تلاطم الإنسان قلباً و جوارحاً فيستر العقل و يُسلب عن الغضبان التسلّط على قلبه و جوارحه و يصير الإنسان به في معرض الهلاك حيت يحرّكه كيف يشاء. فبعد ذلك كيف يمكن أن يكون حسناً؟.

و بالجملة انّ الغضب من الرّذائل و المهلكات و لا يعقل أن يؤثّر المتعلّق فيه فيكون حسناً باعتباره و ان كان ذلك المتعلّق من الضّروريّات الاوّلية كالقوت و الملبس و المسكن، فالغضب فيها مذموم، فمن اخذ منه مسكنه الضّروريّ أو لباسه الضّروريّ أو غذائه الّذي يحتاج إليه في حياته أو مائه المحتاج اليه، فلا يجوزله أن يغضب عليه و إن جاز بل وجب عليه أن يمنع الظالم عن ظلمه، و الفرق بينهما واضح لأنّ الأوّل مذموم و الثّانی ممدوح لأنّه من الشّجاعة و هي من الفضائل، فيكون حسناً و قس عليه ما لا يكون من الضّروريّات الاوّلية كالجاه و المال، فمنع الظّالم عن ظلمه عند التّجاوز جائز بل واجب و امّا الغضب عند سلب الجاه عنه أو أخذ ماله عنه فهو غير جايز.

و بالجملة لا فرق في مذمّة الغضب، عند الضّروريّات كالأكل و الشّرب أو غير الضّروريّات كالجاه و التّمكّن.

فما يترائى من المحجّة من أنّ الغضب في الضّروريّات الاوّليّة جائز بل لا يمكن قمع أصله بل هو خلاف مقتضى الطّبع، فليس بسديد، لأنّ الحلم و التّأنّي في مثل هذه الأمور لازم حتّى يقدر على احقاق حقّه و على دفع المكروهات أو رفعها و على جلب المنافع أو حفظها.

---

١ ـ النّور / ٢٢

فربّ غضب يمنع الإنسان عن احقاق حقّه و عن دفع المكروه أو رفعه عن نفسه، و عن جلب المنفعة و حفظها لنفسه، بل الغضب مانع عن أن يُفقَه قوله فيحلّ العقدة في لسانه فليس للغضبان احقاق حقّه فضلاً عن منع الظّالم عن ظلمه.

روايات في الغضب

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخلّ العسل.[1]

* عن ميسر قال: ذكر الغضب عند أبي جعفر عليه السلام فقال: انّ الرّجل ليغضب فما يرضى ابداً حتّى يدخل النّار، فأيّما رجل غضب على قوم و هو قائم فليجلس من فورة ذلك، فانّه سيذهب عنه رجز الشيطان، و أيّما رجل غضب على ذى رحم فليدن منه فليمسّه، فانّ الرّحم إذا مسّت سكنت.[2]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: الغضب مفتاح كلّ شرّ.[3]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: مكتوب في التّوراة فيما ناجى الله عزّوجلّ به موسى عليه السلام: يا موسى أمسك غضبك عمّن ملّكتك عليه اكفّ عنك غضبى.[4]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعت أبي عليه السلام يقول: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل بدويّ فقال: انّى اسكن البادية فعلّمنى جوامع الكلام، فقال: امرك ان لا تغضب، فاعاد عليه الاعرابيّ المسألة ثلاث مرّات حتّى رجع الرّجل إلى نفسه، فقال: لا اسأل عن شيء

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٠٢، باب الغضب، ح ١.

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٠٢، باب الغضب، ح ٢

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٠٣، باب الغضب، ح ٣

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٠٣، باب الغضب، ح ٧

بعد هذا، ما امرنى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إلّا بالخير. قال: و كان أبي يقول: ایّ شيء اشدّ من الغضب، انّ الرّجل ليغضب فيقتل النّفس الّتي حرّم الله و يقذف المحصنة.[١]

* قال أبو عبدالله عليه‌السلام: اوحى الله عزّوجلّ إلى بعض انبيائه: يا ابن آدم اذكرنى في غضبك اذكرك في غضبى لاأمحقك فيمن أمحق و ارض بى منتصرا فانّ انتصارى لك خير من انتصارك لنفسك.[٢]

* عن سيف ابن عميره، عمّن سمع ابا عبدالله عليه‌السلام يقول: من كفّ غضبه سترالله عورته.[٣]

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: قال رجل للنبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: يا رسول الله علّمنى، قال: اذهب و لا تغضب، فقال الرّجل: قد اكتفيت بذاك، فمضى إلى اهله فاذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفاً و لبسوا السّلاح فلمّا رأى ذلك لبس سلاحه، ثمّ قام معهم ثمّ ذكر قول رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «لا تغضب» فرمى السلاح، ثمّ جاء يمشى إلى القوم الّذين هم عدوّ قومه، فقال: يا هؤلاء ما كانت لكم من جراحة أو قتل أو ضرب ليس فيه أثر فعلىّ في مالى أنا أو فيكموه فقال القوم: فما كان فهو لكم، نحن اولى بذلك منكم، قال: فاصطلح القوم و ذهب الغضب.[٤]

* عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: انّ هذا الغضب جمرة من الشّيطان توقد في قلب ابن آدم و انّ احد كم إذا غضب احمرّت عيناه و انتفخت اوداجه و دخل الشّيطان فيه، فاذا خاف احدكم ذلك من نفسه فليلزم الارض فانّ رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك.[٥]

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٠٣، باب الغضب، ح ٤

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٠٣، باب الغضب، ح ٨

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٠٣، باب الغضب، ح ٦

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٠٤، باب الغضب، ح ١١

٥ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٠٤، باب الغضب، ح ١٢

* قال أبو عبدالله عليه السلام : الغضب ممحقة لقلب الحكيم، و قال : من لم يملك غضبه لم يملك عقله.[۱]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من كفّ نفسه عن اعراض النّاس اقال الله نفسه يوم القيامة و من كفّ غضبه عن النّاس كفّ الله تبارك و تعالى عنه عذاب يوم القيامة.[۲]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام : الحدّة ضرب من الجنون، لانّ صاحبها يندم، فان لم يندم فجنونه مستحكم[۳]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال الحواريّون لعيسى بن مريم : يا معلّم الخير اعلمنا ایّ الاشياء اشدّ ؟ فقال: اشدّ الاشياء غضب الله عزّوجلّ، قالوا فبم يتّقى غضب الله ؟ قال : بان لاتغضبون قالوا : و ما بدؤالغضب ؟ قال : الكبرو التّجبّر و محقرة النّاس.[٤]

---

١ ـ الكافی، ج ٢، ص ٣٠٥، باب الغضب، ح ١٣

٢ ـ الكافی، ج ٢، ص ٣٠٥، باب الغضب، ح ١٤

٣ ـ نهج البلاغة، الرقم ٢٥٥ من الحكم

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٢٦٣، باب ١٣٢، ح ٥

الفصل الثّانی عشر

الفضیلة الثّانیة عشرة: العفو و الصفح

الرّذیلة الثّانیة عشرة: الحقـد

الفضيلة الثّانية عشرة: العفو و الصّفح

و هو ملكة الرّضى و التّجاوز عن المكروه الوارد عليه و عمّن أراده به.

و بعبارةٍ أخرى هو ملكة يقتدر بها على ترك الانتقام و المجازات و على التّجاوز عن المذنب.

و الصّفح أعلى من العفو و إن كان منه لأنّ العفو هو التّجاوز عن المذنب مع التّوجّه إلى ذنبه و الصّفح هو التّجاوز عنه مع عدم توجّهه إليه و صفحه عن نفسه.

و بالجملة أنّه ذو مراتب شدّة وضعفاً.

و ممّا ينبغى أن يُلتفت إليه هيهنا أنّ العفو من الأخلاق و الأخلاقيّات معاً فالعفو يطلق تارةً و يراد منه ما يرجع إلى الخُلق و هو التجافي عن الذنب و تارةً أُخرى يطلق و يراد منه الفعل و هو ترك الانتقام و التّجاوز عمّن ظلمه عملاً و بهذا الاعتبار يساوى لفظة الغفران، فبهذا المعنى يكون لفظتى العفو و الغفران بمعنىً واحدٍ.

و هو من أجمل الصّفات و أحسنها، و قد كرّر الله تعالى اطلاقه في القرآن على نفسه،

منها قوله تعالى: ﴿إنّ الله لعفوّ غفور﴾[١]

و كلمة الغفران بمعناها المرادف للعفو أطلقها الله تعالى على نفسه أيضاً فيما يزيد على ثلاثمأة موردٍ، بل مسألة التّوبة الّتي هي من أفضل نعم الله على العباد، من هذا الباب أيضاً.

فمن تخلّق بهذا الخلق فقد تخلّق بأخلاق الله تعالى و تشبّه به من هذه الجهة، و قد أمر الله تعالى عباده به ليتشبّهوا به.

قال الله تعالى : ﴿ خذ العفو و أمر بالعرف و أعرض عن الجاهلين ﴾[٢]

بل يظهر من القرآن أنّ غفران الله تعالى يتوقّف على غفران العبد و عفوه، فلا يشمل غفرانه تعالى إلّا من كان غفوراً عفوّاً.

قال تعالى : ﴿ و ليعفوا و ليصفحوا ألا تحبّون أن يغفر الله لكم ﴾[٣]

و قد ذكره تعالى في عداد صفات المتّقين و المحسنين.

قال : ﴿ و أن تعفوا أقرب للتّقوى ﴾[٤]

و قال : ﴿ فاعف عنهم واصفح انّ الله يحبّ المحسنين ﴾[٥]

فطوبىٰ لمن اتّصف بهذه الفضيلة، فاحبتنى من ثمرات غرسها المثمرة، فله أن يعفو عمّن أساء اليه، بل الانتقام منه يكون على خلاف طبعه، فالقيام به يكون صعباً عليه، بخلاف من لا يتّصف بهذه الفضيلة فترك الانتقام ممّن ظلمه يكون على خلاف ميله و طبعه و يصعب عليه أن يعفو فضلاً عن أن يصفح.

و هذا الكلام لا يختصّ بالعفو و الصّفح بل يجرى في كلّ الفضائل و الرّذائل.

ألا ترى أنّ يوسف عليه السلام إذا عرفه اخوته قال: ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم و

---

١ ـ الحجّ / ٦٠ و المجادلة / ٢
٢ ـ الاعراف / ١٩٩
٣ ـ النّور / ٢٢
٤ ـ البقرة / ٢٣٧
٥ ـ المائدة / ١٣

هو أرحم الرّاحمين﴾[١]، مع ما هم عليه من الدناءة، كما اشار الذكر الحكيم إلى سوء عملهم و دناءتهم في عدّةٍ من آيه.

فبيّن الله تعالى اوّلا دناءتهم و ما يترتّب عليها من الذّنوب حتّى قيل انّهم عصوا ربّهم ما يزيد على عشرين ذنباً موبقاً، و لكنّهم كانوا على ما كانو عليه و لم يندموا و لم يتوبوا، فاتّهموا يوسف عليه‌السلام بالسّرقة إذا وجد عمّال يوسف صواع الملك في رحل أخيه من غير أن يندموا على ما فعلوا به.

قال تعالى حاكياً عنهم: ﴿ إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فاسرّها يوسف في نفسه و لم يبدها لهم قال أنتم شرّ مكاناً والله اعلم بما تصفون ﴾[٢]

و ممّا حكاه تعالى عنه عليه‌السلام و عنهم، يظهر أنّهم بعد تلك السنين الطوال الّتي مضت على ما جنوا به عليه عليه‌السلام، كانوا يبغضونه و يكمنون عداوته في قلوبهم، و هذا هو الحقد الّذي يستر الحقّ و لا يسمح للمتّصف به أن يتبعه، كما قال تعالى في موضع آخر من الذكر الحكيم حاكياً عمّن يساويهم في الاتّصاف بهذه الرذيلة:

﴿و اذ قالوا اللّهمّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فامطر علينا حجارة من السّماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾[٣]

و قال تعالى حكاية عن يوسف عليه‌السلام: **﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم و هو ارحم الرّاحمين ﴾[٤].**

روى الفخر الرّازى مذيّلاً على الآية الشّريفة في تفسيره: «إنّ إخوة يوسف عليه‌السلام لمّا عرفوه ارسلوا إليه أنّك تحضرنا في مائدتك بكرة و عشيّاً، و نحن نستحيى منك لما صدر منّا من الإسائة اليك، فقال يوسف عليه السّلام: إنّ أهل مصر و ان ملكت فيهم فانّهم ينظرونى

---

١ يوسف /٩٢ ٢ ـ يوسف / ٧٧ ٣ ـ الانفال ٣٢/

٤ ـ يوسف / ٩٢

بالعين الاولى و يقولون سبحان من بلغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ، و لقد شرفت الآن باتيانكم، و عظمت في العيون لما جئتم، و علم النّاس أنّكم إخوتى وأنّى من حفدة إبراهيم عليه السلام»[1].

شتّان بين الامرين و بين المتّصفين بهما، بين الفضيلة و الرّذيلة، بين الحقد و الصّفح، بين الفسق و التّقوى و بين الفاضل و بين الدنى و بين الحقود و بين الصافح و بين الفاسق و بين المتّقى، فانظر ثمّ انظر إلى الطريقين و إلى الفرق بينهما، فبينهما بونٌ بعيد.

قال تعالى: ﴿ فسيروا في الأرض فانظروا... ﴾[2]

قال يوسف: ﴿ إنّه من يتّق و يصبر فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾[3]

و قال إخوة يوسف: ﴿إن يسرق فقد سرق اخ له من قبل ﴾[4]

و قال يوسف: ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم و هو أرحم الرّاحمين ﴾[5]

و قد تأسّى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بهذا القول حين أن فتح مكّة، فعفى عن أهلها مع ما كانوا عليه من العداوة معه، و هذا ينبؤ عن علوّ هذا الكلام و مقامه السامى.

روى الفخر أيضاً: «إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أخذ بعضادتى باب الكعبة يوم الفتح و قال لقريش: ما ترونى فاعلاً بكم؟ فقالوا: نظنّ خيراً، أخ كريم، و ابن أخ كريم، و قد قدرت. فقال: أقول ما قال أخي يوسف: ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾[6]

و قد كتبت هذه الصّفحات ليلة القدر من رمضان المبارك لسنة ١٤١٣ و هي الليلة الثالثه و العشرين منها فأرفع يدي السؤال و الابتهال إليه تعالى و اقول: اللّهم تخلّقنا باخلاقك، اللّهمّ اهدنا بهدايتك، اللّهمّ باعدنا عن منكرات الأخلاق، اللّهم قرّبنا و أعطنا

---

١ ـ تفسير الكبير للفخر الرّازى، ج ١٨، ص ٢٠٦
٢ ـ آل عمران / ١٣٧
٣ ـ يوسف / ٩٠
٤ ـ يوسف / ٧٧
٥ ـ يوسف / ٩٢
٦ ـ تفسير الكبير للفخر الرّازى، ج ١٨، ص ٢٠٦

مكارم الأخلاق بحقّ مولانا وليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشّريف.

تلخيص القول في هذا المضمار انّ الله تعالى قد أكّد على اتّصاف النّاس بهذه الفضيلة تأكيداً بليغاً، حيث جعلها صفةً لنفسه مرّة و صفة للمتّقين أخرى، و ثالثةً ذكرها صفةً لنفسه و للمتّقين معاً، فكأنّه تعالى جعل المتّصف بها تلواً لنفسه تعالى و تقدّس فما اكرم هذه الفضيلة و ما أشرف من اتّصف و تخلّق بها. قال: **﴿و سارعوا إلى مغفرة من ربّكم و جنّة عرضها السّموات و الأرض اعدّت للمتّقين * الّذين ينفقون في السّرّاء و الضّرّاء و الكاظمين الغيظ و العافين عن النّاس و الله يحبّ المحسنين * و الّذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم و من يغفر الذّنوب إلّا الله و لم يصرّوا على ما فعلوا و هم يعلمون * اولئك جزاء هم مغفرة من ربّهم و جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها و نعم أجر العاملين﴾** (۱)

بل جعل الله تعالى جزاء السّيّئة بالسّيّئة ـ أي: السوء بالسوء ـ سيّئةً أُخرى.

قال تعالى: ﴿ و جزاء سيّئة سيّئة مثلها فمن عفى و أصلح فأجره على الله إنّه لا يحبّ الظّالمين ﴾ (۲)

بناءً على أنّ المراد من الآية الشريفة أنّ جزاء السوء بالسوء سوء، لأنّ المؤمن عفوٌّ، فمن خرج عن سيرة المؤمنين، ففعله ليس إلّا سيّءٌ. فيظهر ممّا قلنا انّ مطلوب الشرع و ان جاز القصاص و لكنّه هو العفو و الصفح، هذا مع تأكيد القرآن على حواز القصاص، بل على الحثّ عليه في موارد خاصّة، قال تعالى: **﴿ولكم في القصاص حيوة يا اولى الألباب﴾** (۳)

و قال تعالى: ﴿ كتب عليكم القصاص في القتلى الحرّ بالحرّ و العبد بالعبد و الانثى بالانثى فمن عفى له من أخيه شيء فاتّباع بالمعروف و اداء إليه بإحسان﴾ (٤)

---

۱ ـ آل عمران / ۱۳۳ ـ ۱۳٦ ۲ ـ الشّورى / ٤٠

۳ ـ البقرة / ۱۷۹ ٤ ـ البقرة / ۱۷۸

موارد العفو و الصّفح و الغفران

من اللافت للنظر، التنبيه على نكتةٍ موطّئةٍ للدخول في صلب هذا المبحث، و هو انّا و ان اشرنا إلى حسن العفو و فضله، ولكن يجب أن يُدقّق النظر في موارده، حيث إنّ الحَسَن حَسَنٌ و لكن لا يجوز أن يُحسن في جميع الاحوال، فالاحسان بالنسبة إلى الظالم اعانةٌ له في ظلمه، و هذا قبيحٌ في منظرى الشرع و العقل. ثمّ الكلام نفس الكلام في موارد العفو، حيث انّ العفو بما هو هو بما أنّه نورٌ لايشوبه ظلمةٌ، حسنٌ في جميع الاحوال، ولكن له موارد خاصّة يجب أن يعمل به فيها.

و لمّا كانت الفضائل و الرّذائل من الفطريّات كما قال تعالى: ﴿ و نفس و ما سوّيها * فالهمها فجورها و تقويها ﴾[1] فاستعمالها في مواردها أيضاً يكون كذلك بحسب الفطرة، فتلك الموارد واضحة لمن لم يبدّل فطرته. فينبغى صرف الكلام عن موارد العفو و عطفه إلى موارد لايجوز فيها. و هى:

١ ـ العفو و الصفح بالنسبة إلى حقوق المجتمع لا يجوز لأحد إلّا للحاكم، فله أن يصفح عن حقٍّ يرجع إلى المجتمع فيما إذا كان صلاحه فيه. فعليه لو كان الحد من حقوق الناس كالقصاص، فيجوز لولىّ الحد ان يصفح عنه، بل هو الأولى له، كما مرّ الكلام فيه، امّا لو كان الحدّ من حقوق الله تعالى كالزنا الثابت بالشهود فلا يجوز عفو فاعلَيه إلّا إذا رأى الحاكم صلاحاً للمجتمع أفضل من وجوب اقامة الحدّ عليهما.

٢ ـ الصفح عن الظالم المتّصف به بالفعل، و هذا كما أشرنا إليه لايجوز عقلاً و لا شرعاً، حيث بالعفو يجربز عليه، فيجب منعه و قطع يده عنه.

قال تعالى : ﴿ لا ينهيكم الله عن الّذين لم يقاتلوكم في الدّين و لم يخرجوكم من

---

١ ـ الشمس / ٧ و ٨

ديارکم أن تبرّوهم و تقسطوا إليهم إنّ الله يحبّ المقسطين * إنّما ينهيكم الله عن الّذين قاتلوكم في الدّين و أخرجوكم من دياركم و ظاهروا على إخراجكم أن تولّوهم و من يتولّهم فاولئك هم الظّالمون ﴾[۱]

و قال تعالى : ﴿ يا ايّها النّبيّ جاهد الكفّار و المنافقين و اغلظ عليهم ﴾[۲]

و قال تعالى : ﴿ و قاتلوا المشركين كافّة كما يقاتلونكم كافّة ﴾[۳]

و قال تعالى : ﴿ فقاتلوا أئمّة الكفر إنّهم لا أيمان لهم ﴾[٤]

و قال تعالى : ﴿ و قاتلوهم حتّى لا تكون فتنة و يكون الدّين لله ﴾[٥]

فترى أنّ الآيات كلّها مع بيانها الحكم، لها اشاراتٌ إلى لَمّيّته، الّتي تشهد لها الفطرة، كقوله تعالى " قاتلوكم في الدّين " و قوله تعالى " كما يقاتلونكم كافّة " و قوله تعالى " حتّى لا تكون فتنة "، فالعفو في مثل هذه الموارد يكون في غير ما وضع له بل يتضمّن مفاسد.

ولله درّ من أنشد بالفارسيّة :

ترحّم بر پلنگ تيز دندان   ستمكارى بود بر گوسفندان

و نصّ الوحى يتضمّن قاعدة كلّيّة في هذا المضمار، و هي قوله تعالى : ﴿محمّد رسول الله و الّذين معه أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم ﴾[٦]

٣ ـ إذا كان العفو موجباً لجسارة المذنب على الذنب، فيصير بذلك صفيق الوجه وقيحاً:

قال تعالى بعد الأمر بالعفو في القصاص : ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب

---

١ ـ الممتحنة / ٨ و ٩   ٢ ـ التّوبة / ٧٣   ٣ ـ التّوبة / ٣٦

٤ ـ التّوبة / ١٢   ٥ ـ البقرة / ١٩٣   ٦ ـ الفتح / ٢٩

أليم﴾[١]

و قال تعالى : ﴿ عفا الله عمّا سلف و من عاد فينتقم الله منه﴾[٢]

و قال تعالى : ﴿ إن نعف عن طائفة منكم نعذّب طائفة بانّهم كانوا مجرمين﴾[٣]

و أعطت هذه الآية الشّريفة أيضاً قاعدة كلّيّة: و هي أنّ العفو يحسن فيما يصلح المجرم و أمّا إن كان سبباً لازدياد جرمه و جرأته عليه فهو لا يجوز.

و هذا سرّ ما يُرى في تكرير قوله تعالى : ﴿إلّا من تاب و آمن و عمل صالحاً﴾[٤] في آيات التوبة و ما يشبهها.

و ذكر الإصلاح بعد التّوبة، مضافاً إلى اشارته إلى أنّه ليست التوبة بالندم، بل بـه و باصلاح العمل، تشير إلى جواز العفو بل حسنه فيما يؤدّى بالمعفوّ و المفصح عنه بالخير و التهذيب و الكفّ عن القبائح، و إلّا فان كان سبباً لتجربزه عليها، فالعفو عنه و ان كان حسناً في ذاته و لكنّه قبيح بحسب مورده.

هذا، و هيهنا موارد أُخرى كشحنا البحث عنها لوضوحها، حيث أشرنا إلى أنّ هـذه الموارد كلّها مستفادةٌ ممّا يحكم به الفطرة، فللقارىء أن يستخرج موارد غير ما أشرنا اليها، و الحمد لله ربّ العالمين.

---

١ ـ البقرة / ١٧٨ ٢ ـ المائدة / ٩٥ ٣ ـ التّوبة / ٦٦

٤ - مريم / ٦٠

روايات في العفو

* عن الصّادق عليه السلام : انّ النّبى صلى الله عليه و آله و سلم قال : ينادى مناد يوم القيامة من بطنان العرش ألا فليقم كلّ من اجره علىّ فلايقوم إلّا من عفى عن اخيه[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان علىّ بن الحسين عليه السلام يقول : ما احبّ انّ لي بذلّ نفسى حمر النّعم، و ما تجرّعت جرعة احبّ الىّ من جرعة غيظ لا أكافي بها صاحبها.[2]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال : انّا اهل بيت مروّتنا العفو عمّن ظلمنا[3]

* عن عبدالله ابن زهير قال : وفد العلا بن الحضرميّ على النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم فقال : يـا رســول الله انّ لي اهــل بـيت احســن إليهـم فـيسيئون، و اصـلهم فـيقطعون، فـقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : ادفع بالتّى هي احسن فاذا الّذي بينك و بينه عداوة كانّه ولىّ حميم، و ما يلقّيها إلّا الّذين صبروا و ما يلقّيها إلّا ذو حظّ عظيم[4]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ثلاث من كنّ فيه استكمل خصال الايمان : من صبر على الظلم، و كظم غيظه و احتسب، و عفا و غفر، كان ممّن يدخله الله عزّوجلّ الجـنّة بـغير

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٤٠٣، باب ٩٣، ح ١١

٢ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٤٠٦، باب ٩٣، ح ٢٠

٣ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٤١٤، باب ٩٣، ح ٣١

٤ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٤١٥، باب ٩٣، ح ٣٦

حساب، و يشفّعه في مثل ربيعة و مضر [١]

* عن الرضا عليه السلام في قول الله عزّوجلّ ﴿ فاصفح الصّفح الجميل ﴾ قال: العفو من غير عتاب [٢]

* عن أبي حمزة الثمالى عن علىّ بن الحسين عليه السلام قال: سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك و تعالى الاولين و الاخرين في صعيد واحد، ثمّ ينادى مناد: اين اهل الفضل ؟ قال: فيقوم عنق من النّاس فتلقّاهم الملائكة فيقولون: و ما كان فظلكم ؟ فيقولون: كنّا نصل من قطعنا و نعطى من حرمنا، و نعفو عمّن ظلمنا، قال: فيقال لهم: صدقتم ادخلوا الجنّة [٣]

* قال الصّادق عليه السلام: العفو عند القدرة من سنن المرسلين و المتقين و تفسير العفو ان لا تلزم صاحبك فيما اجرم ظاهراً و تنسى من الاصل ما اصبت منه باطنا، و تزيد على الاختيارات احساناً و لن يجد إلى ذلك سبيلا إلّا من قد عفى الله عنه، و غفر له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر، و زيّنه بكرامته، و البسه من نور بهائه، لانّ العفو و الغفران صفتان من صفات الله عزّوجلّ اودعهما في اسرار أصفيائه، ليتخلّقوا (مع الخلق) باخلاق خالقهم، و جعلهم كذلك قال الله عزّوجلّ ﴿ و ليعفوا و ليصفحوا ألا تحبّون ان يغفر الله لكم و الله غفور رحيم ﴾ [٤] و من لا يعفو عن بشر مثله كيف يرجو عفو ملك جبّار. قال النّبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم حاكياً عن ربّه يأمره بهذه الخصال قال: صل من قطعك، و اعف عمّن ظلمك، واعط من حرمك، و احسن إلى من أساء اليك، و قد امرنا بمتابعته يقول الله عزّوجلّ ﴿ و ما اتاكم

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٤١٧، باب ٩٣، ح ٤٤

٢ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٤٢١، باب ٩٣، ح ٥٦

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٠٧، باب العفو، ح ٤

٤ ـ النور/٢٢

الرسول فخذوه و مانهاكم عنه فانتهوا﴾.[١] و العفو سرّ الله في قلوب خواصّه ممن يسرّ له سرّه، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أيعجز احدكم ان يكون كابى ضمضم، قالوا: يا رسول الله و ما أبو ضمضم؟ قال: رجل كان ممّن قبلكم كان إذا اصبح يقول: اللّهمّ انّى اتصدّق بعرضى على النّاس عامّة.[٢]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله في خطبته: ألا اخبركم بخير خلائق الدّنيا و الاخرة؟: العفو عمّن ظلمك، و تصل من قطعك، و الاحسان إلى من أساء اليك، و اعطاء من حرمك.[٣]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عليكم بالعفو، فانّ العفو لا يزيد إلّا عزّاً فتعافوا يعزّكم الله[٤]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: النّدامة على العفو افضل و ايسر من النّدامة على العقوبة.[٥]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: إذا قدرت على عدوّك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه.[٦]

١ ـ الحشر /٧ ٢ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٤٢٣، باب ٩٣، ح ٦٢

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٠٧، باب العفو، ح ١

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٠٨، باب العفو، ح ٥

٥ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٠٨، باب العفو، ح ٦

٦ ـ نهج البلاغة، قصار الحكم، الرقم ١١

الرّذيلة الثّانية عشرة: الحقد

الحقد ضدّ العفو و الصّفح و هو العداوة الرّاسخة في النّفس بحيث توجب كدورة النّفس و ظلمتها فتوجب عدم الموازنة في نفسيّات الحقود، فتنتج له آثاراً سوءاً تمنعه عن الكمال.

منها: اللّجاج و عدم كونه منعطفاً قابلاً للهدى و الحقّ و إذا اشتدّ اللجاج فيه يضلّ على علمٍ.

و منها: الخلاف و المشاجرة و المنازعة و عدم الرضى عن غيره بل عن نفسه، فهو لايزال في التشاجر سواء فيه التشاجر مع غيره أو مع نفسه!.

و منها: الهمّ و الغمّ الّذي يغلب على مشاعره فيأكلها كما تأكل النّار الحطب.

و منها: سوء الظّنّ بالنّاس بل بجميع المخلوقات، و هذا ينتهى به ـ والعياذ بالله ـ إلى سوء الظنّ به تعالى و تقدّس.

و منها: الاعتزال و التوحد و ترك المعاشرة و هذا ينجرّ إلى الاعتزال عن الاقرباء، بل عن الاهل و العيال.

و منها: إظهار عيوب من كمُن عداوته في نفسه من ناحيةٍ و إخفاء فضائله من ناحيةٍ أُخرى. و هو مضافاً إلى كونه غيبة و إشاعة فاحشة بل تهمةً و كذباً في كثيرٍ من الأحيان،

يعدّ من أقبح الأشياء.

و منها: السعى في عدم ارتفاع حوائج من كمن عداوته في نفسه، و لو بالمنع عن ارتفاعها بأيدٍ أُخرى، و اثم هذا عظيم حتّى نقل في الكافي عن الصّادق عليه السلام: انّه يوم القيامة بعد ان يفضحه الله تعالى يؤمر به فيُصلى في النار.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أيما مؤمن منع مؤمناً شيئاً ممّا يحتاج إليه، و هو يقدر عليه، من عنده أو من عند غيره، أقامه الله يوم القيامة مسودّاً وجهه، مزرقة عيناه، مغلولة يداه إلى عنقه، فيقال هذا الخائن الّذي خان الله و رسوله، ثمّ يؤمر به إلى النّار.(١)

و نظير هذه الرّواية في ذلك الباب و غيره كثير.

و منها: كفران النّعمة، لأنّ الحقود لا يقدر على شكر النّعمة حيث لا يراها نعمةً، من غير فرق بين أن تكون من الله تعالى أو من مخلوقه لأنّ هذه الرذيلة المتمكّنة في نفسه تمنعه عن القيام بالشكر الواجب عليه و لقد أشار الكتاب المبين إلى ذلك بقوله: ﴿ **إنّ الإنسان لربّه لكنود * و إنّه على ذلك لشهيد * و إنّه لحبّ الخير لشديد** ﴾(٢)

توضيح ذلك: ان الآيات المباركات دلّت على ان الإنسان يحبّ الدّنيا و زخارفها بطبعه، ثمّ منهم من لم يصل اليها، فيصير حقوداً بالنسبة إليه تعالى لما يظنّ من أنّه تعالى هو سبب حرمانه عمّا يشتهيه، فيصير عنوداً كافراً لأنعمه فيستحقّ العذاب لقوله تعالى: ﴿ و لإن كفرتم إنّ عذابي لشديد﴾(٣) و لقوله تعالى: ﴿ **قتل الإنسان ما أكفره** ﴾(٤)

ثمّ انّ فحص الذكر الحكيم ينبؤ عن اخبار الوحى عن طائفتين من الناس: طائفة حقود و طائفة عفوٌّ. امّا الحقود فهو الّذي يخفى الحقّ كيف أمكن له، كما أنّه يظلم الناس بأىّ طريقٍ سهل له، و من الآيات المنبئة عنه قوله تعالى: ﴿كلّا إنّه كان لآياتنا عنيداً * سارهقه صعوداً

---

١ ـ الكافي، ج ٢، ص ٣٦٧، باب من منع مؤمناً شيئاً، ح ١
٢ ـ العاديات / ٦ ـ ٨
٣ ـ إبراهيم / ٧
٤ ـ عبس / ١٧

﴿ إنّه فكّر و قدّر * فقتل كيف قدّر * ثمّ قتل كيف قدّر * ثمّ نظر * ثمّ عبس و بسر * ثمّ أدبر و استكبر * فقال إن هذا إلاّ سحر يؤثر * إن هذا إلاّ قول البشر ﴾[١]

قال الطّبرسى رحمه الله تعالى في تفسيره مجمع البيان مفسّراً هذه الآيات: «و يروى انّ النّبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لمّا انزل عليه: ﴿ حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذّنب و قابل التّوب شديد العقاب ﴾[٢] قام إلى المسجد و الوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته، فلمّا فطن النّبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لاستماعه لقراءته أعاد قراءة الآية، فانطلق الوليد حتّى أتى مجلس قومه بنى مخزوم فقال: و الله لقد سمعت من محمّد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس، و لا من كلام الجنّ، و إنّ له لحلاوة، و إنّ عليه لطلاوة، و إنّ أعلاه لمثمر، و إنّ أسفله لمعذق، و إنّه يعلو و ما يعلى، ثمّ انصرف إلى منزله. فقال قريش: صبأ و الله الوليد، و الله لتصبأنّ قريش كلّهم و كان يقال للوليد: ريحانة قريش، فقال لهم أبوجهل: أنا اكفيكموه فانطلق فقعد إلى جانب الوليد حزيناً، فقال لي: ما أراك حزيناً يا ابن أخى ؟ قال: هذه قريش يعيبونك على كبر سنّك و يزعمون أنّك زيّنت كلام محمّد، فقام مع أبي جهل حتّى أتى مجلس قومه فقال: أتزعمون أنّ محمّداً مجنون فهل رأيتموه يخنق قطّ ؟ فقالوا: اللّهمّ لا، قال: أتزعمون أنّه كاهن فهل رأيتم عليه شيئاً من ذلك ؟ قالوا: اللّهمّ لا، قال: أتزعمون أنّه شاعر فهل رأيتموه أنّه ينطق بشعر قطّ ؟ فقالوا: اللّهمّ لا، قال: أتزعمون أنّه كذّاب فهل جرّبتم عليه شيئاً من الكذب ؟ فقالوا: اللّهمّ لا و كان يسمّى الصّادق الأمين قبل النّبوّة من صدقه فقالت قريش للوليد فما هو ؟ فتفكّر في نفسه ثمّ نظر و عبس فقال: ما هو إلاّ ساحر ! ما رأيتموه ! يفرّق الرّجل و أهله و ولده و مواليه، فهو ساحر و ما يقوله سحر يؤثر. فأنزل الله تعالى تلك الآيات فيه».[٣]

و الطائفة الثانية هم الّذين يظهرون الحقّ بأىّ وجه يمكن، و يرحمون النّاس بأىّ وجه

---

١ ـ المدّثّر / ١٦ ـ ٢٥ ٢ ـ غافر / ١ ـ ٣ ٣ ـ مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٨٤

يقدر، و من تلك الآيات قوله تعالى : ﴿ ذلك ليعلم أنّى لم أخنه بالغيب ﴾ [١]

توضيح ذلك : إنّ الله تعالى أراد أن يخرج يوسف من السّجن و أن يؤتيه الملك و العزّة، فأرى اللهُ الملكَ رؤيا و أعجز المعبّرين عن تأويلها فقالوا: أضغاث أحلام، ثمّ صاحب يوسف عليه‌السلام في السّجن ادّكره فطلب منه التعبير، فعبّرها له، و لمّا أخبر صاحبه الملكَ بالتعبير، طلبه لينادمه، ولكنّه عليه‌السلام لم يقبل منه ذلك مستدلاً بأنّ الملك و العزّة لايلائم التّهمة و سوء الظّن، و لا محيص عن تنزيه ذيله عن ما نسبته إليه امرأة العزيز، فقال عليه‌السلام : ﴿ارجع إلى ربّك فسئله ما بال النّسوة اللّاتى قطّعن أيديهنّ ﴾ ؟[٢] فقال ذلك من غير أن يعيّن تلك المرأة المعهودة، فأحضرهنّ الملك فأقررن كلّهنّ بطهارته و صدقه حتّى أنّ امرأة العزيز أقرّت بالذّنب و قالت : ﴿الآن حصحص الحقّ أنا راودته عن نفسه و إنّه لمن الصّادقين ﴾ [٣] فجاء الصّديق إلى الملك و قال: ﴿ ذلك ليعلم أنّى لم أخنه بالغيب و أنّ الله لا يهدى كيد الخائنين * و ما ابرّئ نفسى إنّ النّفس لأمّارة بالسّوء إلّا ما رحم ربّى إنّ ربّى غفور رحيم ﴾ [٤]

يعنى ليس بثّ شكواى إلى الملك و جبرهنّ على الاقرار بذنبهنّ لبغضاء تمكّنت في نفسى، و لكنّه ليعلم الملك انّى امين لا أخون ما أُئتمن عليه، ثمّ قال بعد ذلك : ﴿ قال اجعلنى على خزائن الأرض إنّى حفيظ عليم ﴾ [٥] فلم يكن عليه‌السلام حقوداً بالنسبة اليهنّ مع ما لهنّ من العداوة معه.

كما انّ ما حكاه تعالى من حكايته مع أبيه عليه‌السلام يدلّ على سلامة نفسه من الحقد، و انّه لم يكن فيها هذه الرذيلة و لو بالنسبة إلى اخوته الظالمين عليه.

قال تعالى : ﴿ فلمّا دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه و قال ادخلوا مصر إن شاء الله

---

١ ـ يوسف / ٥٢
٢ ـ يوسف ٥٠
٣ ـ يوسف / ٥١
٤ ـ يوسف / ٥٢ و ٥٣
٥ ـ يوسف / ٥٥

امنين * و رفع أبويه على العرش و خرّوا له سجّداً و قال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربّى حقّاً و قد أحسن بى إذ أخرجنى من السّجن و جاءبكم من البدو من بعد أن نزغ الشّيطان بينى و بين إخوتى إنّ ربّى لطيف لما يشاء انّه هو العليم الحكيم ﴾[١]

فترى أنّه عليه السلام جعل ما فعله إخوته من الذّنوب العظام من نزغ الشيطان و مفاسده، ليبرأهم منها، و هذا يدلّ على غاية كرامته و فضله عليهم و لنا فيه عليه السلام اسوة حسنة لنقتدى به فنحصل سعادة الدارين به. و بالجملة انّ الصفح من أعظم الفضائل، كما انّ الحقد و البغضاء من النقم العظام، يدلّ عليه قوله تعالى حاكياً عمّا فعل باليهود من بثّ البغضاء في قلوبهم جزاءً لما فعلو من نقض العهود.

قال تعالى: ﴿ فاغرينا بينهم العداوة و البغضاء إلى يوم القيامة ﴾[٢]

و قال تعالى: ﴿ و ألقينا بيهم العداوة و البغضاء إلى يوم القيامة ﴾[٣]

كما انّه ورد ذكرها في جملةٍ من آى الذكر الحكيم في عداد صفات اهل النار، منها قوله تعالى: ﴿ الأخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلّا المتّقين ﴾[٤]

و قوله تعالى: ﴿ كلّما دخلت امّة لعنت اختها حتّى إذا ادّاركوا فيها ﴾[٥]

كما قد اخبر تعالى عنها بأنّها شفا حفرةٍ من النار بالنسبة إلى المجتمع.

قال الله تعالى: ﴿ و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرّقوا و اذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداءً فألّف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخواناً و كنتم على شفا حفرة من النّار فأنقذكم منها ﴾[٦]

كما قد جُعل في الذكر تلواً لما يُعذّب به المجتمع المستحقّق له، بل في عداده، كالصّاعقة و القحط و الغلى و السّيل و الزّلزلة و الخوف و نحو ذلك، و من عذاب الاستيصال سلطان

---

١ ـ يوسف / ٩٩ و ١٠٠ ‏ ٢ ـ المائدة / ١٤ ‏ ٣ ـ المائدة / ٦٤

٤ ـ الزخرف / ٦٧ ‏ ٥ ـ الاعراف / ٣٨ ‏ ٦ ـ آل عمران / ١٠٣

الأجانب على الأنفس و الأموال و الأعراض.

قال تعالى : ﴿ **قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً و يذيق بعضكم بأس بعض** ﴾ (١)

و لتلك الآيات دلالةٌ واضحة على انّ العفو و الصفح تعدّ من نعم اللّه العظام، وهبها للمتّقين من اهل الجنّة، كما قد وهبها لهم في حياتهم لينزل بها عليهم رحمته و يرفع عنهم العذاب، و نظير تلك الآيات في القرآن كثير و منها : **قوله تعالى : ﴿ و نزعنا ما في صدورهم من غلّ إخواناً ﴾** (٢)

و قوله تعالى : ﴿ و لقد صدقكم الله وعده إذ تحسّونهم بإذنه حتّى إذا فشلتم و تنازعتم في الأمر و عصيتم من بعد ماأريكم ما تحبّون ﴾ (٣)

ما يوجب الحقد و البغضاء

انّ اموراً يوجب الحقد و تثبته في النّفس فيجب أن يجتنب عنها.

منها : الاستهزاء و التّعيير و الشّماتة و السّبّ و نحو ذلك، و هو مضافاً إلى ضرورة حكم العقل بكونها سبباً له، انّ التّجربة دلّت عليه بل ربّما يُرى انَّ الحقد و البغضاء يؤدّى إلى القتل و هتك العِرض، و لذلك قد رُتّب عليه في قسطٍ من مروّيات اهل البيت عليهم السلام ذنبٌ عظيم و يكفيك قول أبي عبدالله عليه السلام : إذا كان يوم القيامة نادى مناد : أين الصّدود لأوليائى ؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم، فيقال : هؤلاء الّذين آذوا المؤمنين و نصبوا لهم و عاندوهم و عنّفوهم في دينهم، ثمّ يؤمر بهم إلى جهنّم (٤)

و مثلها في الكافي كثير حتّى ورد في قدسيّ شريف أنّ اللّه تعالى قال:«**من أهان لي وليّاً**

---

١ ـ الانعام / ٦٥ ٢ ـ الحجر / ٤٧ ٣ ـ آل عمران / ١٥٢

٤ ـ الكافى، ج ٢، باب من أذى المسلمين، ص ٣٥١، ح ٢

فقد أرصد لمحاربتي»[١].

و منها: المراء و الجدال، و قد روى ثاني الشهيدين رحمهما اللّه في منية المريد انّه قال سليمان بن داود عليه السلام لابنه: يا بنيّ، ايّاك و المراء فانّه ليست فيه منفعة و هو يهيّج بين الإخوان العداوة، و قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتّى يدع المراء و إن كان محقّاً.

و منها: الظّلم بأقسامه سيّما الظّلم في العرض و المال.

و معلوم أنّ الظّلم مضافاً إلى أنّه ظلمات في الدّارين يستجلب العداوة و البغضاء، فتبقى في بعض الأحيان حتّى تسير إلى الأجيال القادمة، فلايزال نكونون مختلفين تدور بينهم العداوة و البغضاء إلى ما شاء الله، و كان وزر ذلك عليهم و على البادىء بالظلم.

قال تعالى: ﴿ فقطع دابر القوم الّذين ظلموا و الحمدلله ربّ العالمين ﴾[٢]

و قال تعالى: ﴿ و لا تحسبنّ الله غافلاً عمّا يعمل الظّالمون * إنّما يؤخّرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾[٣]

و منها: الخمر و الميسر بأقسامهما.

و هما مضافاً إلى مفاسدهما العظيمة كتخدير العقل و ضعف الأعصاب و غيرهما من الأمراض المزمنة روحاً و جسماً و تورثان العداوة و البغضاء.

قال تعالى: ﴿ إنّما الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام رجس من عمل الشّيطان فاجتنبوه لعلّكم تفلحون * إنّما يريد الشّيطان أن يوقع بينكم العداوة و البغضاء في الخمر و الميسر و يصدّكم عن ذكر الله و عن الصّلوة فهل أنتم منتهون ﴾[٤]

---

١ ـ الكافي، ج ٢، باب من أذى المسلمين، ص ٣٥١، ح ٣   ٢ الانعام / ٤٥

٣ ـ ابراهيم / ٤٣ ـ ٤٢   ٤ ـ المائدة / ٩٠ ـ ٩١

روايات في الحقد

* عن أبي عبدالله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا أُنبّئكم بشرّ النّاس؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من أبغض النّاس و ابغضه النّاس، ثمّ قال: ألا أُنبّئكم بشّر من هذا؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: الّذي لا يقبل عثرة، و لا يقبل معذرة، و لا يغفر ذنبا، ثمّ قال: ألا أُنبّئكم بشّر من هذا؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من لا يؤمن شرّه، و لا يرجى خيره[1].

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا يقبل الله من مؤمن عملاً و هو يضمر على المؤمن سوءاً.

قال أبو عبدالله عليه السلام: حقد المؤمن مقامه، ثمّ يفارق اخاه فلا يجد عليه شيئاً و حقد الكافر دهره[2].

*...فقال اميرالمؤمنين عليه السلام: يا همّام المؤمن هو الكيّس الفطن، بشره في وجهه، و حزنه في قلبه، اوسع شيء صدراً، و اذلّ شيء نفساً، زاجر عن كلّ فان، حاض على كلّ حسن، لا حقود و لا حسود، و لا وثّاب، و...[3].

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا اخبركم بابعدكم منّى شبهاً؟

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٢، ص ٥٣، باب ٤٢، ح ١٥

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٢، ص ٢١١، باب ٦٤، ح ٧

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ٢٢٦،، باب المؤمن و علاماته و صفاته، ح ١

قالوا : بلى يا رسول الله، قال : الفاحش المتفحّش البذى البخيل المختال الحقود الحسود القاسى القلب، البعيد من كلّ خير يرجى، غير المأمون من كلّ شرّ يتّقى.[١]

* قال أبوالحسن الثالث عليه السلام : العتاب مفتاح الثقال، و العتاب خير من الحقد[٢].

* قال الصّادق عليه السلام :... و المؤمن يحقد مادام في مجلسه، فاذاقام ذهب عنه الحقد.[٣]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام :... و احتمل اخاك على ما فيه، و لا تكثر العتاب فانّه يورث الضغينة.[٤]

* قال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : حسن البشر يذهب بالسّخيمة.[٥]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام : احصد الشّرّ من صدر غيرك بقلعه من صدرك.[٦]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام : الدّنيا أصغر و أحقر و أنزر من ان تطاع فيها الاحقاد.[٧]

* قال امير المؤمنين عليه السلام :

الحقد ألأم العيوب.

الحقد خلق دنى و عرض مردى.

الحقد داء دويّ و مرض موبى.

الحقد نار لا تطفئ إلّا بالظّفر (كامنة لا يطفئها الا موت أو ظفر)

الحقد من طبائع الاشرار.

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ٢٩١، باب اصول الكفر و اركانه، ح ٩

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٣٦٩، باب ٢٨، ح ٤

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٢٨٩، باب ٢٤، ح ٢

٤ ـ بحارالانوار، ج ٧٤، ص ٢١٢، باب ٨، ح ١

٥ ـ بحار الانوار، ج ٧٤، ص ١٥٠، باب ٧، ح ١

٦ ـ نهج البلاغة قصار الحكم، الرقم ١٧٨

٧ ـ غرر الحكم، طبع بيروت، ج ١، الرقم ١٨٢٨

ألأم الخلق الحقد.

اشدّ القلوب غلّاً قلب الحقود.

رأس العيوب الحقد.

سلاح الشّرّ الحقد.

شرّ ما سكن القلب الحقد.

طهّروا قلوبكم من الحقد فانّه داء موبي.

من اطّرح الحقد استراح قلبه و لبّه.

الحقد يذرى (يدوى).

الحقد مثار الغضب.

الحقود لا راحة له.

الحقود معذّب النّفس متضاعف الهمّ.

ثلاث لا يهنا لصاحبهنّ عيش، الحقد و الحسد و سوء الخلق.

دع الحسد و الكذب و الحقد، فانّهنّ ثلاثة تشين الدّين و تهلك الرّجل.

سبب الفتن الحقد.

من كثر حقده قلّ عتابه.

من زرع الاحن حصد المحن.

ما انكد عيش الحقود.

لا مودّة لحقود.

لا يكون الكريم حقوداً.

شدّة الحقد من شدّة الحسد.(۱)

---

۱ ـ تضنيف غرر الحكم، لمولّفه: عبد الواحد بن محمّد تميمى آمدى، ص ۲۹۹، الفصل الرابع، في الحقد و الحسد ۰

الفصل الثالث عشر

الفضيلة الثالثة عشرة: التواضع

الرّذيلة الثالثة عشرة: الكبر

الرّذيلة الرابعة عشرة: العجب

الرّذيلة الخامسة عشرة: مركّب النّقص

الفضلية الثّالثةعشرة: التّواضع

و هي ملكة تمنع صاحبها من أن يرى فضائله و اعماله الحسنة، و إذا توجّه إلى فضيلة من فضائل نفسه أو إلى عمل من أعماله الحسنة، يرى ـ مضافاً إلى كونها كسراب بقيعة يحسبه الظّمآن ماء و لا شيء بل نفسه لا شيء فضلاً عن فضائله و اعماله الحسنة، و لا أقلّ من كونها قطرة من بحر فضائل ربّه ـ أنّه من الله تعالى و أنّ نفسه فقر محض، و بعبارةٍ أخرى يدرك قوله تعالى: ﴿ يا ايّها النّاس أنتم الفقراء إلى الله و الله هو الغنيّ الحميد ﴾[1]

و هي ملكة تظهر له معائبه و معائب أعماله الحسنة، ظاهريّة و باطنيّة، و تجعلها في مرءآه و منظره، فيرى أنّه صرف الفقر و الضّعف و العيب و النّقصان و أنّ أوّله نطفة و آخره جيفة و ما بينهما حامل العذرة، و لو لا حسن صنع الله تعالى له ليفضحه تعفّنه، و قد كرّر في لسان أهل البيت عليهم السلام نسبة العيب إلى أعمالهم الصّالحة. بل نسبة كونهم عليهم السلام لا شيء محض، هذا بالنسبة إليهم فكيف بالنسبة إلى غيرهم من النّاس.

---

١ ـ فاطر / ١٥

و بالجملة يرى نفسه صرف العيب و محض البطلان، و اعماله الصّالحة سيّئة فهو عبد كلّ على مولاه و المولى يقبله بقبول حسن و يرحمه دوماً و يلطف إليه و يفضل عليه آناً فآناً، و لولا فضل الله و رحمته ليهلك و يعدم و يفنى.

و إن شئت قلت في تعريف التّواضع إنّها ملكة تعرّف الإنسان نفسه كما هى، فالانسان بهذه الملكة يصل إلى مقامٍ أراده الرسول صلّى الله عليه و آله وسلّم بقوله: ربّ أرنى الأشياء كما هى.

و هذه الفضيلة مقولة بالتّشكيك، و كلّما زادت في شدّتها زادت في فضيلتها، و آخر مراتبها هو مقام اللّقاء بمراتبه غير المتناهية، فلا يرى نفسه فضلاً عن أن يرى فضائله أو أعماله الحسنة.

و ما اشتهر بين الاخلاقيّين من أنّ التّواضع هو الحدّ الوسط، و الإفراط هو التّكبّر و التّفريط فيه هو الذّلّة و المهانة و كلاهما من الرّذائل، و حدّ الوسط من الفضائل، خطأٌ لأنّه مضافاً إلى أنّ التواضع و نحوه من الفضائل مقولة بالتّشكيك و لا يفرض فيه الإفراط و لا التّفريط و لا حدّ الوسط، بل كلّ مرتبةٍ من مراتبه فضيلة و كلّما اشتدّت مرتبةٌ زاد في فضيلتها كما أشرنا إلى ذلك مراراً، أنّ التّكبّر و الذّلّة و العجب من أضداد التّواضع لا من الافراط أو التفريط فيه و سيأتى البحث عن كلّ واحد منها إن شاء الله تعالى.

و هيهنا يجب أنّ ننبّه على نكتةٍ و هي أنّ التواضع يتضمّن ذلّة نفس المتواضع، فالمتواضع يرى نفسه ذليلاً، و كلّما زاد تواضعه زاد ذلّتها، ولكن بين هذه الذلّة و الذلة الّتي هي من أضداد التواضع بونٌ بعيدٌ، كما مّر الكلام فيها و سيأتى البحث عنها مرّةً أخرى. اذ ذلّة النّفس الحاصلة عن التواضع تُعدّ من المحاسن و قد جعلها الوحى المبين من صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿ يا ايّها الّذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبّهم و يحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله و لا يخافون لومة

لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله واسع عليم ﴾[١]

فهذه الذّلّة عين العزّة و الكرامة.

فخفض جناح من كان من الكبراء كرسول الله و أهل بيته عليهم السلام للمؤمنين بل لمن يُعدّ من أصاغرهم عين العزّة بل عدمه بالنسبة إلى الكمّلين يعدّ من الذلّة.

و قد روى عن الصّادق عليه السلام أنّه قال: ما من رجل تكبّر أو تجبّر إلّا لذلّة وجدها في نفسه[٢].

نعم إنّ خفض الجناح عند الجبابرة أو فيما يُشمّ منه رائحة المطامع الدنياويّة و نحو ذلك الّذي يكشف عن مهانة النّفس قبيح عقلاً و حرام شرعاً بل التّكبّر عند المتكبّر ممدوح عقلاً و شرعاً، و هو و إن كان ضدّ التّواضع لكنّه ليس بقبيح كما أنّ التّواضع قد يستعمل في غير محله فيكون قبيحاً اذ هو استعمال الشّيء في غير ما وضع له.

فتسوية عالم البلدة نعل خادمه ليست من باب التواضع إذا دلّت على مهانته بين الناس، و أمّا إذا دلّت على حرمته لخادمه، فهو تواضعٌ حسن، كما روى أنّ السلطان أباالحسن على بن موسى الرّضا عليه السلام دلك في الحمّام ظهر رجل لم يعرفه، و أنّ المقدّس الأردبيلى قام بتغسيل ألبسة زوّار سيد الكونين أبي عبداللّه الحسين روحى له الفداء و لمّا عرّفه بعضهم فاعترض عليه أجابه بأنّ التواضع قبال الزوّار فخرٌ لا فخر أشرف منه.

و يمكن أن يقال: كلّ مورد يوجب إذلال النّفس فهو حرام و تواضعٌ في غير محلّه، و كلّ مورد لا يكون كذلك فهو واقعٌ في محلّه، و مع الوصف هذه الذّلّة غير الذّلّة الّتي تعدّ من الرّذائل و هي مهانة النّفس أى الملكة الّتي تمنع الإنسان أن يرى استعداداته و معدّاته و ما ودّع الله فيه من الكمالات قوّة و فعلاً.

فما يترائى من الغزالي من جعله هذه الموارد من تفريط التّواضع، و تبعه في ذلك غير

---

١ ـ المائدة / ٥٤

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣١٢، ذيل ح ١٧

واحد من علماء علم الأخلاق، فهو خطأٌ آخر. و يدلّ عليه مضافاً إلى ما قلنا، وجدانك و ضميرك لأنّ افضل الادلّة و اعلاها و أوضحها في باب الأخلاق هو الوجدان و الضمير الأخلاقي و قد مرّ الكلام فيه مفصّلاً في المجلّد الأوّل من هذا الكتاب؛ فراجع.

فتلخّص من جميع ما ذكر أنّ التّواضع حالة و ملكة تمنع الإنسان من أن يرى فضائله و اعماله الصّالحة، بل لا يرى إلّا معايبه و أعماله القبيحة، فلايرى فضائله و أعماله الصّالحة.

و كلّما زاد التّواضع شدّةً زاد الرّؤية نقصاً له.

فما يترائى في أدعية أهل البيت عليهم السلام من الخضوع و الخشوع و إظهار القصور و التّقصير في الأعمال و نسبة السّيّئات إلى أنفسهم، ينشأ من تمكّن هذه الملكة الشّريفة.

و لازم هذه الملكة ليس إلّا خفض الجناح لعباد الله تعالى فضلاً عنه تعالى.

و لهذه الملكة أضداد:

١ ـ الكبر و هو ملكة تمنع الإنسان من أن يرى معايبه، بل لا يرى لنفسه إلّا العلوّ و العظمة و فيه نفسيّة التفرعن، و لازم ذلك هو الاستنكاف عن قبول الحقّ و تحقير النّاس فهو صرف الخيال و لا واقع له و لذا سمّى المتكبّر في القرآن بالمختال و الفخور ـ و سيأتى البحث عنه ـ.

قال الله تعالى: ﴿و لا تمش في الأرض مرحاً إنّ الله لا يحبّ كلّ مختال فخور﴾ [١]

٢ ـ مركّب النقص و مَهانتها عند صاحبها ـ أي: خودكم بينى ـ، و هي ملكة تمنع الإنسان من أن يرى ما له من الاستعداد للتّرقّي و التّكامل قوّة و فعلاً، بل يرى أنّه غير لائق لشيء، و لا يرى لنفسه إلّا المهانة و الذّلّة، و يلازم ذلك أن يسلّط على المتّصف اليأسُ و عدم الجرأة على الاقدام بالأمور العظام كأنّه خُلق لأن يكون مُهاناً و هو صرف الخيال لا واقع له ـ كما ذكرنا في الكبر ـ، فلهذا سمّى المتّصف بمركّب النقص في القرآن الكريم بالظلوم والجهول.

---

١ ـ لقمان / ١٨

قال تعالى : ﴿ إنّا عرضنا الأمانة على السّموات و الأرض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الإنسان إنّه كان ظلوماً جهولاً ﴾ [۱]

٣ ـ العُجْب و هو ملكة توجب أن يرى لنفسه حُسناً بالغاً و فضائله و أعماله كلّها حسنةً، بل أعماله السّيئة حسنة. فهو معجب بنفسه و بفضائله و أعماله. فهو مدلّ بأعماله و فضائله. مفتخر بما لا واقع له. فهو خيالٌ آخر كالكبر فلذا سمّى في القرآن أيضاً بالمختال و الفخور.

قال تعالى : ﴿ و اعبدوا الله و لا تشركوا به شيئاً و بالوالدين إحساناً و بذى القربى و اليتامى و المساكين و الجارذى القربى و الجار الجنب و الصّاحب بالجنب و ابن السّبيل و ما ملكت أيمانكم إنّ الله لا يحبّ من كان مختالاً فخوراً ﴾ [۲]

فكلّ هذه الرّذائل الثّلاث من الخيالات الواهية و لا واقع لها في نفس الأمر و الواقع.

أمّا التواضع فهو من الحقائق الواقعة، و أمّا أضداده فليس الا وهم أو خيال و التواضع من أمّهات الفضائل، و أضداده من قبائح صفات الحيوان، و هو يوجب فخر الدارين و رفعة الإنسان و شوكته فيهما، و أمّا اضداده فلاتكون إلّا وبالاً و وضيعةً تضع صاحبها فيهما و تنقص من شأنه، و قد كرّر في الرّوايات أنّه من تواضع رفعه الله و من تكبّر وضعه الله.

ولله درّ من نظم بالفارسية :

يكى قطره باران ز ابرى چكيد	خجل شد چو پهناى دريا بديد
كه جائى كه درياست من كيستم	گر او هست حقّا كه من نيستم
چو خود را به چشم حقارت بديد	صدف در كنارش به جان پروريد
سپهرش به جائى رسانيد كار	كه شد نامور لؤلؤ شاهوار
بلندى از آن يافت كو پست شد	در نيستى كوفت تا هست شد

۱ ـ الاحزاب / ۷۲ ۲ ـ النّساء / ٣٦

تــواضــع كــنـد هــوشمند گــزين　　نــهد شـاخ پـر مــيوه سـر بـر زمـين

أقسام التّواضع

إنّ لهذه الفضيلة العظمى أقساماً باعتبار المتعلّق:

١ ـ التّواضع لله تعالى

و هو أفضلها، و لهذا القسم مراتب شدّةً و ضعفاً، فأوّل مرتبته هو الدّعاء و المسألة، و هو كلام صاعد عند أهله يظهر تواضع الداعى له تعالى و قد عدّت في الرّوايات أفضل العبادات حتّى كأنّها أفضل من الصّلوات النّافلة، و أفضل من قراءة القرآن، و هذا سرّ ما يتراءى من اهتمام أهل البيت عليهم‌السلام بها. فنظائر دعاء سيّدنا الخضر لأميرالمؤمنين عليه‌السلام و دعاء عرفه لأبى عبدالله الحسين عليه‌السلام و دعاء علّمها سيّدنا على بن الحسين عليه‌السلام لأبى حمزة الثمالى و مناجات الشّعبانيّة الّتي ناجى أهل البيت كلّهم ربّهم بها، ليس إلّا تواضعاً خاصّاً منهم لله تعالى، و مثل الصّلوة الّتي تكون معراجاً للعبد و إظهاراً للحبّ، و معاشقة للعاشقين و مكالمة للكاملين و غذاء لروح المؤمنين، تواضع خاصّ شرّع لإظهاره.

قال تعالى: ﴿ إنّنى انا الله لا إله إلّا أنا فاعبدنى و أقم الصّلوة لذكرى ﴾[(١)]

و منتهى مراتبه هو العبوديّة الّتي هي أفضل من الرّسالة بل الرّسالة تنشأ منها، و هي فخرٌ لمن يكون أهلاً لها.

قال أميرالمؤمنين عليه‌السلام: «إلهى كفى بى عزّاً أن أكون لك عبداً و كفى بى فخراً أن تكون لي ربّا أنت كما احبّ فاجعلنى كما تحبّ»[(٢)]

و هذا التواضع كما يظهر من نص الوحى سارٍ في جميع الموجودات.

---

١ ـ طه / ١٤

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٤٠٢، باب ١٥، ح ٢٣

قال تعالى : ﴿ و إن من شيء إلّا يسبّح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ [١]

و قال تعالى : ﴿ أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيّؤا ظلاله عن اليمين و الشّمائل سجّداً لله و هم داخرون * ولله يسجد ما في السّموات و مافي الأرض من دابّة و الملئكة و هم لا يستكبرون ﴾ [٢]

بل يظهر منه أنّه و إن لم يكن لبعض الأفراد طوعاً و لكنّه لهم كرهاً من غير علم منهم به، و انّ ذرّات الوجود كلّها يسجدن لله تعالى و إن لم يكن لها ارادة.

قال تعالى : ﴿ ولله يسجد من في السّموات و الأرض طوعاً و كرهاً و ظلالهم بالغدوّ و الآصال ﴾ [٣]

و هل السّجود في الآيات بمعنى كمال الخضوع، لإنّ من يريد الخضوع التّامّ لشيء يسجد له أو أنّ لكلّ موجود سجود لا نفهمه نحن كما لا نفقه تسبيحهم، فيه و جهان و الثانى أولى بل هو المتعيّن.

و من كان له سمعاً واعياً فيسمع تسبيحهم و ذو العين يرى سجودهم، فنحن عمياء ،كما نحن صمّاء فلانرى سجودهم و لا نسمع تسبيحهم و من المؤسّف عليه أنّ ذرات الوجود كلّها سميعةٌ بصيرةٌ شاهدةٌ علينا و على أعمالنا و ما يصدر منّا، كما يشهد به القرآن الكريم و مأثورات أهل بيت العصمة و الطهارة عليهم السلام .

و لله درّ من أنشد بالفارسيّة :

ما سميعيم و بصيريم و هشيم   با شما نا محرمان ما خامشيم

٢ ـ التّواضع لأهل البيت عليهم آلاف الصّلوات و السّلام.

و اظهار التّواضع لهم أيضاً ذو مراتب.

الف : الاقرار بكونهم وسائط فيض الله تعالى و هم هادون بأمره.

---

١ ـ الاسراء / ٤٤   ٢ ـ النّحل / ٤٨ ـ ٤٩   ٣ ـ الرّعد / ١٥

قال تعالى: ﴿ و جعلنا هم أئمّة يهدون بأمرنا ﴾[١]

فما من نعمة و فيض من الأزل إلى الأبد إلّا و هم وسائطها. و في زيارة الجامعة الكبيرة: «بكم فتح الله و بكم يختم و بكم ينزّل الغيث و بكم يمسك السّماء أن تقع على الأرض إلّا و بكم ينفّس الهمّ و يكشف الضّرّ »[٢]

و بعبارةٍ أخرى انّهم الأسماء الحسنى كما قال الصّادق عليه السلام مذيّلاً على قوله تعالى: **﴿و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾**[٣]: نحن و الله الاسماء الحسنى[٤]

و إن شئت قلت إنّهم كلمات الله في قوله تعالى: **﴿و لو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام و البحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾**[٥]

و قال الامام الهادى عليه السلام : نحن كلمات الله في هذه الآيات.

و الإقرار بمثل هذه المقامات لهم و إظهاره في حقّهم صعب مستصعب لا يتحمّله إلّا من توغّل في التّواضع، فلذا أنّ كثيراً من العلماء يستنكفون عن الاقرار بها، بل ينكرونها أشدّ الإنكار، و يرمون من يقرّ بها بالغلوّ و الشّرك أى يرمونهم بما لا يليق بهم و وصلوا إلى انّهم ينكرون سعة علمهم و يظنّون أنّهم غير عالمين بالموضوعات بل الأحكام إلّا إذا اوحى إليهم أو تعلّموا من ذى علم آخر، أعاذنا الله من الجهل و الخذلان.

و كم فرق بين من قال بمثل هذه الموهومات و بين من قال: الحمدلله و سبحانك اللّهمّ صلّ على محمّد و آله مظاهر جمالك و جلالك و خزائن اسرار كتابك الّذي تجلّى فيه الأحديّة بجميع أسمائك حتّى المستأثر منها الّذي لا يعلمه غيرك.

و كم فرق بين من تخيّل أنّهم ليسوا وسائط الفيض، و الاقرار بكونهم في هذه المرتبة

---

١ ـ الأنبيا / ٧٣
٢ ـ مفاتيح الجنان، زيارة الجامعة الكبيرة
٣ ـ الاعراف / ١٨٠
٤ ـ الكافى، ج ١، ص ١٤٣، باب النوادر، ح ٤
٥ ـ لقمان / ٢٧

كفر و شرك بل انّهم جاهلون بالموضوعات و الاحكام و بين قول الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشّريف في دعاء أمر أن يدعو الشّيعة به كلّ يوم من شهر رجب: «لا فرق بينك و بينها إلّا انّهم عبادك و خلقك.... فبهم ملأت سمائك و أرضك حتّى ظهر أن لا إله إلّا أنت»[١]

ب: التّوسّل بهم في الأدعية و الاوراد لدفع المضارّ و جلب المنافع الآجلة و العاجلة و قد أمر الله تعالى به في كتابه بقوله: ﴿و لله الاسماء الحسنى فادعوه بها﴾[٢]

و بقوله تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا اتّقوا الله و ابتغوا إليه الوسيلة﴾[٣].

و قال الصّادق عليه السلام: نحن الأسماء الحسنى في القرآن و نحن الوسيلة في القرآن

بل رفع اليد إليهم لأخذ الحاجة منهم لأنّهم خزائن الله تعالى و قد سبحانه: ﴿و إن من شيء إلّا عندنا خزائنه و ما ننزّله إلّا بقدر معلوم﴾[٤]

و قد دلّت رواياتٌ كثيرةٌ على انّهم خزائن الله تعالى و قد روى الصّفار رحمه الله في بصائر الدّرجات في باب ١٩ من الجزء الثّانى شطراً من تلك الرّوايات و منها: عن الباقر عليه السلام: و الله إنّا لخزّان الله في سمائه و أرضه لا على ذهب و لا على فضّة و انّ منّا لحملة العرش يوم القيامة».

و لا فرق بين أن نأخذ الحاجة من الله تعالى بغير واسطةٍ أو نأخذها منه تعالى بهم أو نأخذ الحاجة منهم، بما أنّهم خزّان رحمتة تعالى لأنّ مرجع الثلاثة إلى شيء واحد و كلّ من الله تعالى لأنّ الله تعالى أمر بأخذ الحاجة منهم لكونهم عباداً أخلصهم الله لنفسه و أعطاهم ما في الدّارين لانّهم عباده المخلصون.

و من هذا القبيل الشّفاعة و طلب الاستشفاع منهم لأنّ التّوسّل و الشّفاعة يسقيان من ثدى واحد.

---

١ ـ مفاتيح الجنان، دعاء كلّ يوم من شهر رجب، الخامس
٢ ـ الاعراف / ١٨٠
٣ ـ المائده / ٣٥
٤ ـ الحجر / ٢١

و الشّفاعة من مسلّمات القرآن و كونها باذنه تعالى لايحتاج إلى الذكر، و الإذن منه يمكن أن يكون تكويناً لانّهم وسائط فيضه تعالى في الآخرة ايضاً، و يمكن أن يكون تشريعاً بمعنى انّهم يدعون الله ليغفر للمذنبين و العاصين، و بالجملة لمن استشفع منهم. أو بمعنى أنّ الله تعالى أذن لهم بالإذن العامّ أن يشفعوا لمن يكون لائقاً لدخول الجنّة، فيدخلونها بها.

و الظّاهر من الرّوايات بل الآيات هو المعنى الثّالث و لا منافاة في الجمع بين المعانى الثّلاث و هو الحقّ عندنا.

ج ـ طاعتهم في أوامرهم و نواهيهم، و التّواضع للمولى يجىء في عرف اهل اللغة و المتشرّعة بهذا المعنى، و لها مراتب أيضاً و أعلى مراتبها هو الاذي ّكّد عليه الذكر الحكيم.

قال الله تعالى : ﴿ فلا و ربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت و يسلّموا تسليماً ﴾(١)

و الوصول بهذه المرتبة صعبٌ لا ينالها إلّا الاوحدى من المرتاضين بالرياضات الشرعية لغرس شجرة التواضع في النفس، فطوبى لهم و طوبى لمن شمّ رائحة هذه المرتبة الّتي تفوح منها رائحة الجنّة، جعلنا اللّه تعالى من أهلها.

٣ ـ التّواضع لعباد الله الصّالحين :

و قد اكّد عليه القرآن غاية التأكيد.

قال تعالى : ﴿يا أيّها الّذين امنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبّهم و يحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله و لا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله واسع عليم﴾.(٢)

و قال تعالى : ﴿و اخفض جناحك للمؤمنين﴾.(٣)

---

١ ـ النّساء / ٦٥ ٢ ـ المائدة / ٥٤ ٣ ـ الحجر / ٨٨

و قال تعالى : ﴿و اخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين﴾.[١]

حتّى روى في قوله تعالى: ﴿ و على الأعراف رجال يعرفون كلّاً بسيماهم ﴾[٢] هم اهل التواضع.[٣]

و قال تعالى : ﴿و عباد الرّحمن الّذين يمشون على الأرض هوناً و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾.[٤]

يظهر من هذه الآيات أنّ التواضع لايختصّ بالمؤمنين و ان تعرّضت الآيات لذلك، بل تشترك فيه الحيوانات أيضاً و ان كان فيها على سبيل الغرائز.

و تخصيص المؤمنين بالذكر دون الكافرين، للاشارة إلى نكتةٍ أشرنا اليها آنفاً و هي أنّ التواضع بحسب الكافر ليس إلّا وضع الشّيء فيما لا يناسبه، اذ هو اعزّ من ان ينسب إلى الكافر، مع حسنه من المؤمنين بالنسبة إليهم مادام لم يهن به الاسلام، كما أنّ الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم تواضع لعدى بن حاتم الّذي صار من خلّص أصحاب اميرالمؤمنين عليه السلام لمكان أبيه المشتهر بالجود[٥].

و قد روى أنّ امرأة نصرانيّة أسلمت لمّا رأت تواضع ابنها لها فسألته عن وجهه، فقال: هذا أمر مولاى جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام.

فلذا أمر الله تعالى في عدّةٍ من آى الكتاب بالتّواضع للكفّار أيضاً و منها قوله تعالى: ﴿و إن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما و صاحبهما في الدّنيا معروفا﴾.[٦]

و قوله تعالى : ﴿لا ينهيكم الله عن الّذين لم يقاتلوكم في الدّين و لم يخرجوكم من

---

١ ـ الشعراء / ٢١٥
٢ ـ الاعراف / ٤٦
٣ بحار الانوار، ج ٧٢، ص ١٢١، باب ٥١، ح ١٢
٤ ـ الفرقان / ٦٣
٥ بحار الانوار، ج ٢١، ص ٣٦٦، باب ٣٥، ذيل ح ١
٦ ـ لقمان / ١٥

ديارکم أن تبرّوهم و تقسطوا إليهم إنّ الله يحبّ المقسطين * إنّما ينهيكم الله عن الّذين قاتلوكم في الدّين و أخرجوكم من دياركم و ظاهروا على إخراجكم أن تـولّوهم و مـن يتولّهم فاولئك هم الظّالمون﴾.(١)

و قوله تعالى: ﴿اذهبا إلى فرعون إنّه طغى * فقولا له قولاً ليّناً لعـلّه يـتذكّر أو يخشى﴾(٢).

و من تفحّص الكتاب بعد أنّ نصب هذا التنبيه أمام عينيه، له أن يجد أزيد من مأة آية تدلّ على أنّ سيرة الأنبياء في تبليغهم لم تكن إلّا على اللّينة و الموعظة و التّـواضـع، بـل خضوعهم و خشوعهم للنّاس تعدّ من معاجزهم الباهرات، و الإرعاب و التّهديد لم يكن إلّا بعد اليأس عنهم، بل الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر و جميع أنحاء الارشاد بُنى على التّواضع و الخشوع، و امّا غير هذا فلم يكن إلّا في صورة اليأس عن التّأثير أو مع احتمال التأثير في صورة التهديد و الإرعاب.

۴ ـ التّواضع للحقّ و الحقيقة:

و هذا التّواضع أجود و أحسن ما يتّصف به المرء، لأنّه لايمكن أن ينال شيئاً من العلم و التّهذيب و التّقوى إلّا بعد أن حاز هذا القسم من التّواضع لأنّ التّواضع و العلم و التّقوى و التّهذيب، بل التّواضع و الدّين توأمان لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر و هما يرتضعان من لبن واحد، فالمتواضع يقبل الحقّ و يستفيد العلم و لو من أجهل النّاس، و لو كان صبيّاً، و يتواضع له، و يشكره و لسان حاله يقول: من علّمنى حرفاً فقد صيّرنى عبداً.

و أنت إذا تأمّلت في قصّة موسى و العبد الصّالح عليه السلام في آخر سورة الكهف تـدرك كيفيّة تواضع موسى عليه السلام له عليه السلام قولاً و عملاً، و رسوخ التّواضع في قلبه عليه السلام بحيث كان يستفيد منه مع ما كان عليه من الرسالة و مقام التكليم.

---

١ ـ الممتحنة / ٨ ـ ٩ ٢ ـ طه / ٤٣ ـ ٤٤

و القرآن الشّريف لتعليم هذا النّحو من التّواضع ضرب أمثالاً كثيرةً، و قصَّ قصصاً عديدة، و نحن نذكر بعض تلك الأمثال و القصص:

قال الله تعالى: ﴿ ضرب الله مثلاً للّذين كفروا امرأة نوح و امرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً و قيل ادخلا النّار مع الدّاخلين * و ضرب الله مثلاً للّذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة و نجّنى من فرعون و عمله و نجّنى من القوم الظّالمين * و مريم ابنت عمران الّتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا و صدّقت بكلمات ربّها و كتبه و كانت من القانتين ﴾[١].

و قال تعالى: ﴿ و إذا سمعوا ما أُنزل إلى الرّسول ترى اعينهم تفيض من الدّمع ممّا عرفوا من الحقّ يقولون ربّنا آمنّا فاكتبنا مع الشّاهدين * و ما لنا لا نؤمن بالله و ما جاءنا من الحقّ و نطمع أن يدخلنا ربّنا مع القوم الصّالحين ﴾[٢]

و قال تعالى: ﴿ أفمن يهدى إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدّى إلّا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون ﴾[٣]

و نحن نكتفى ختاماً للبحث عن هذه الفضيلة بذكر طائفةٍ من الروايات الواردة فيها عن اهل بيت العصمة و الطهارة المتوغّلين فيها و العارجين إلى أعلى معارجها ـ صلوات اللّه عليهم أجمعين ـ.

---

١ ـ التحريم /١٢ـ١٠   ٢ ـ المائده / ٨٤ ـ ٨٣   ٣ ـ يونس / ٣٥

روايات فی التواضع

❊ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ارسل النّجاشی إلى جعفر بن أبي طالب و اصحابه فدخلوا عليه و هو في بيت له جالس على التّراب و عليه خلقان الثياب قال: فقال جعفر: فاشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال، فلمّا رأى ما بنا و تغيّر وجوهنا قال: الحمدلله الّذي نصر محمّداً و اقرّ عينه ألا ابشّركم؟ فقلت: بلى ايها الملك، فقال: انّه جائنی السّاعة من نحو أرضكم عين من عيونی هناك فاخبرنی انّ الله عزّوجلّ قد نصر نبيّه محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم و اهلك عدوّه و اسر فلان و فلان و فلان إلتقوا بواد يقال له: بدر كثير الاراك لكانّی انظر إليه حيث كنت ارعى لسيّدی هناك و هو رجل من بنی ضمرة فقال له جعفر: ايّها الملك فمالی اراك جالساً على التّراب و عليك هذه الخلقان؟ فقال له: يا جعفر انّا نجد فيما انزل الله على عيسى عليه السلام انّ من حقّ الله على عباده أن يحدّثوا له تواضعاً عند ما يحدث لهم من نعمة فلمّا احدث الله عزّوجلّ لي نعمة بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم احدثت لله هذا التّواضع فلمّا بلغ النّبیّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لاصحابه: انّ الصّدقة تزيد صاحبها كثرة فتصدّقوا يرحمكم الله، و انّ التّواضع يزيد صاحبه رفعة فتواضعوا يرفعكم الله، و انّ العفو يزيد صاحبه عزّاً فاعفوا يعزّكم الله.[1]

❊ عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: انّ في السّماء ملكين موكّلين بالعباد فمن تواضع لله رفعاه و من تكبّر وضعاه.[2]

---

۱ ـ الكافی، ج ۲، ص ۱۲۱، باب التّواضع، ح ۱

۲ ـ الكافی، ج ۲، ص ۱۲۲، باب التّواضع، ح ۲

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: افطر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشيّة خميس في مسجد قبا، فقال: هل من شراب؟ فاتاه اوس بن خوليّ الانصارى بعسّ مخيض بعسل فلمّا وضعه على فيه نحّاه، ثمّ قال: شرابان يكتفى باحدهما من صاحبه، لا أشربه و لا احرّمه ولكن أتواضع لله، بانّ من تواضع لله رفعه الله، و من تكبّر خفضه الله، و من اقتصد في معيشته رزقه الله، و من بذّر حرمه الله، و من اكثر ذكر الموت احبّه الله.[1]

* عن محمّد بن مسلم قال: سمعت ابا جعفر عليه السلام يذكر أنّه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ملك فقال: انّ الله عزّوجلّ يخيّرك أن تكون عبداً رسولاً متواضعاً أو ملكاً رسولاً، قال: فنظر إلى جبرئيل و أومأ بيده أن تواضع، فقال: عبداً متواضعاً رسولاً فقال الرّسول: مع انّه لا ينقصك ممّا عند ربّك شيئاً، قال: و معه مفاتيح خزائن الارض.[2]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من التّواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس و ان تسلّم على من تلق و أن تترك المراء و إن كنت محقّاً و أن لا تحبّ ان تحمد على التقوى.[3]

* عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اوحى الله عزّوجلّ إلى موسى عليه السلام أن يا موسى أتدرى لم أصطفيتك بكلامى دون خلقي؟ قال: يا ربّ و لم ذاك؟ قال: فاوحى الله تبارك و تعالى إليه أن يا موسى انّي قلّبت عبادى ظهراً لبطن، فلم أجد فيهم احداً اذلّ نفساً منك، يا موسى انّك إذا صلّيت وضعت خدّك على التّراب ـ أو قال: على الارض.[4]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مرّ عليّ بن الحسين عليه السلام على المجذمين و هو راكب حماره و هم يتغدّون فدعوه إلى الغداء، فقال: أما إنّي لولا أنّي صائم لفعلت فلمّا صار إلى منزله أمر

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٢، باب التواضع، ح ٣

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٢، باب التواضع، ح ٥

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٢، باب التواضع، ح ٦

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٣، باب التواضع، ح ٧

بطعام، فصنع و أمر ان يتنوّقوا فيه، ثمّ دعاهم فتغدّوا عنده و تغدّى معهم.[١]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ من التّواضع أن يجلس الرّجل دون شرفه.[٢]

* عن يونس بن يعقوب قال: نظر أبو عبدالله عليه السلام إلى رجل من اهل المدينة قد اشترى لعياله شيئاً و هو يحمله، فلمّا رآه الرّجل استحيى منه، فقال أبو عبدالله عليه السلام: اشتريته لعيالك و حملته إليهم أما و الله لولا اهل المدينة لاجببت أن أشترى لعيالى الشّيء ثمّ احمله اليهم.[٣]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: فيما أوحى الله عزّوجلّ إلى داود عليه السلام يا داود كما أنّ أقرب النّاس من الله المتواضعون كذلك أبعد النّاس من الله المتكبّرون.[٤]

* عن عليّ بن الحكم رفعه إلى أبي بصير قال: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام في السّنة الّتي قبض فيها أبوعبدالله عليه السلام فقلت: جعلت فداك مالك ذبحت كبشاً و نحر فلان بدنة؟ فقال: يا ابا محمّد إنّ نوحاً عليه السلام كان في السّفينة و كان فيها ما شاء الله و كانت السّفينة مأمورة فطافت بالبيت و هو طواف النّساء و خلّى سبيلها نوح عليه السلام، فاوحى الله عزّوجلّ إلى الجبال أنّى واضع سفينة نوح عبدى على جبل منكنّ فتطاولت و شمخت و تواضع الجوديّ و هو جبل عندكم فضربت السّفينه بجؤجؤها الجبل، قال: فقال نوح عليه السلام عند ذلك: يا مارى اتقن، و هو بالسّريانيّة (يا) ربّ أصلح، قال: فظننت أنّ أباالحسن عليه السلام عرّض بنفسه.[٥]

١ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٣، باب التواضع، ح ٨

٢ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٣، باب التواضع، ح ٩

٣ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٣، باب التواضع، ح ١٠

٤ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٣، باب التواضع، ح ١١

٥ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٤، باب التواضع، ح ١٢

* عن الحسن بن الجهم، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال : قال : التّواضع أن تعطى النّاس ما تحبّ ان تعطاه. و في حديث آخر قال : قلت : ما حدّ التّواضع الاذي ّذا فعله العبد كان متواضعاً ؟ فقال : التّواضع درجات منها أن يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم، لا يحبّ أن يأتى إلى أحد إلّا مثل ما يؤتى إليه ،ان رأى سيّئة درأها بالحسنة ،كاظم الغيظ، عاف عن النّاس، و الله يحبّ المحسنين.(١)

١ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٢٤، باب التواضع، ح ١٣

الرذيلة الثّالثةعشرة: الكبر

و هي من اضداد ملكة التّواضع، و هي ملكة توجب ان يرى لنفسه رفعة و عظمة، فيغفل عن معايبه، بل لا يقدر ان يراها، و لازم ذلك أن يستنكف عن الحقّ، بل عدم القدرة على قبوله، و القرآن حدّده بقوله تعالى:

﴿ وَ اِذْ قالوا اللّٰهُمَّ إنْ كانَ هٰذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِکَ فَاَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ اَوِ ائتِنابعذابٍ اَليم ﴾ [١]

هذا لسان حال المتّصفين بهذه الملكة الرذيلة، بل لسان مقالهم.

فهى روح التفرعن و نفسيّته، و هي الطاغوت الأكبر، و هي اللات و العزى، و هي سدّ عظيم يمنع عن الترقيات العظام، و هي الحجاب الأكبر، و هي جنون عظيم، يطرء عـقل الإنسان فيخمده، فلذا يمنعه من ان يقول اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنى إليه و وفّقنى لقبوله و نوّر قلبى به، بل يستنكف منه فيقول: اللهم ان كان هذا هو الحق فاقتلنى حتّى لا اراه، فيسرّه ان يدخل النّار و لا يقبل الحقّ.

كما يشاهد في سيرة امرءتى نوح و لوط، حيث أخبرتا الكفّار ما أرادوا منهما، مع ما

---

١ ـ الانفال / ٣٢

رأتا من آثار الجلال و العظمة في هذين النّبيّن المكرّمين، و آثار الضلال في مجتمع الكافرين، فهل هذا إلّا جنونٌ ظهر عليهما لتمكّن هذه الرذيلة في نفسهما؟

و هل يوجد جنونٌ أشدّ من أنّ يقول أحدٌ ولّدته أمه و هو يأكل و يشرب و ينام:

﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلىٰ ﴾ (١)

أو يقول ﴿ يٰا هٰامٰانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلّي اَبْلُغُ الاَسْبٰاب *اَسْبٰاب السَّمٰوٰاتِ فَاَطَّلِعَ اِلَىٰ اِلٰهِ مُوسىٰ ﴾ (٢)

أو يقول ـ إذا حاجّه ابراهيم ان الله هو الّذي يحى و يميت ـ: ﴿ اَنَا أُحْيِ وَ أُمِيتُ ﴾ (٣).

و نظير هذه الايات الكريمات للتنبّه و الاخطار في القرآن كثير لئلّا يسقط الناس في ورطة هذه الرذيلة الموبقة.

فلذا روى ان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لمّا رأى اجتماع الناس على احد و استفسر عنه فقالوا مجنون، قال: «ليس هذا بمجنون و لكنّه المبتلى»، ثمّ قال معرّفاً لهم المجنون: «المتبختر في مشيه» أي: المتكبّر فيه. (٤)

و هي جهل مركب و خيال صرف و لا واقع لما يرى المتكبّر لنفسه. فلذا اطلق الله تعالى عليه المختال مرّةً و مرّةً أخرى بأنّ الكبر خيالٌ صرفٌ لايمكن أنّ يبلغه المتكبّر.

قال الله تعالى: ﴿ اِنَّ اللهَ لاٰ يحِبُّ كُلَّ مُخْتٰالٍ فَخُورٍ ﴾ (٥)

و قال تعالى: ﴿ وَ اللهُ لاٰ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتٰالٍ فَخُورٍ ﴾ (٦)

و قال تعالى: ﴿ اِنَّ اللهَ لاٰ يُحِبُّ مَنْ كٰانَ مُخْتٰالاً فَخُوراً ﴾ (٧)

و قال تعالى: ﴿ اِنَّ الَّذينَ يُجٰادِلُونَ في آيٰاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطٰانٍ اَتٰيهُمْ اِنْ في صُدُورِهِمْ

---

١ ـ النازعات / ٢٤ — ٢ ـ غافر ٣٧ ـ ٣٦ — ٣ ـ البقرة / ٢٥٨

٤ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٢٣٣، باب ١٣٠، ح ٣٢ — ٥ ـ لقمان / ١٨

٦ ـ الحديد / ٢٣ — ٧ ـ النّساء / ٣٦

إلاّكِبْرٌ ما هُمْ بِبالِغيه فاسْتَعِذْ بِاللهِ ﴾ [١]

و خطره عظيم، فلذا أمر الله تعالى رسوله في هذه الشريفة بأن يستعيذ من شرّه كما حكى تعالى عن موسى عليه‌السلام انه استعاذ من شرّه تعليماً و ارشاداً لنا.

قال تعالى : ﴿ وَ قالَ مُوسى اِنّي عُذْتُ بِرَبّي وَ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ ﴾ [٢]

و ما من خُلق محمود الا و صاحب هذه الرذيلة ممنوع منه، و ما من خُلق ذميم الا و هو يلازمه، فلذا فتحت عليه أبواب الجحيم، و غلقت عليه أبواب الجنّة، لان أبواب الجنّة ليست الا الأخلاق الحميدة، و أبواب النّار ليست الا الأخلاق الذميمةفتلك الخُلُق الذميات حجاب بينه و بين الجنّة، قال الصادق عليه‌السلام: لا يدخل الجنّة من في قلبه مثقال ذرّة من كبر. [٣]

و قال تعالى : ﴿ فَادْخُلُوا اَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدينَ فيها فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرينَ ﴾ [٤]

الا ترى ان الغضب و الحسد و الحقد و الاستنكاف و اللجاجة و العصبية و الغرور و حب الجاه و المال و المدح و العزلة المذمومة و الخمود و الحرص و الجزع و الغدر و المكر و العجب و الريا و نحو ذلك تلازم الكبر، بل تنشأ منه، و قلما يوجد متكبر لا يوجد فيه كلّ ما ذكر و لا اقلّ من غالبها، فابواب النار كلها مفتحة له، هذا بالنسبة إلى خُلق المتكبّر و نفسيّته.

و أمّا من حيث الفعل فهو أيضاً متلبس بغالب المعاصى الكبار، و بعبارةٍ أخرى انه من حيث الأخلاق شقى، و أبواب النار عليه مفتوحة و انه من حيث الأخلاقيّات أيضاً شقى و أبواب النار عليه مفتوحة، الا ترى ان المتكبر (الا من شذّ منهم) يبتلى بالغيبة و التهمة و

---

١ ـ غافر / ٥٦ ٢ ـ غافر / ٢٧

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣١٠، باب الكبر، ح ٦ ٤ ـ النحل / ٢٩

اشاعة الفحشاء و الاهانة و السخرية و الجدال و الكذب و النميمة و الظلم و التفاخر و التكاثر و تفضيل المفضول على الفاضل و مدح الظالم و الاعانة له و تقويته و نحو ذلك فهذا الشق يفتح على نفسه باعماله أبواب جهنم كلها.

و لو تأمّلت تأمّلاً ما يظهر لك انه محروم من غالب الفضائل، و غير متخلق بها، كما انه محروم من غالب الأخلاقيّات من الاعمال الحسنة، فلو لم يكن للكبر قبح غير ما ذكر فحسبك ان تقول انه ام الرذائل ينشأ منه غيره، و انه يوجب شقاوة الدارين.

ثم انّ هذه الرذيلة، كسائر الرذائل مقولة بالتشكيك، و لها مراتب ضعيفة و متوسطة و شديدة.

فالمرتبة الضعيفة منها، هي الترفع و التعظم على غيره من ابناء نوعه، سيما من هو ادون شأنا منه بحسب المال و المقام و العلم و نحو ذلك الّذي يعدّها ابناء الدنيا من الشئون، و من مصاديق هذه المرتبة التفاخر، و التبختر و عدم قبول الحق منهم و رد اقوالهم و عدّهم من اراذل بادى الرأى، و انتظار الخدمة و الاحترام و التواضع و الخضوع منهم و رجاء ذلك كلّه عنهم، فلو رأى خلاف ذلك يغضب و يتأنّف منهم كأنّهم جحدوا حقّه!.

و المرتبة المتوسطة منها الترفع و التعظم على غيره من العلماء و الاولياء، بل على الرسل و الاوصياء، حتّى رأى نفسه اليق منهم بمناصبهم، فلامحالة ينكرهم اشد الانكار، و لا يقبل منهم شيئاً و يخالفهم و ينازعهم في جميع ما أتوا به بحيث يقبل الموت و لا يقبل منهم شيئاً، فيتّهمهم بمايمكن و يخمّن له ان يفضحهم به و لو بلغ ما بلغ، بل يؤذيهم و يقتلهم و هما من آماله و في مصادر علم التاريخ ترى مثل ذلك كثيراً كما حكى الله تعالى عن المتكبرين في القرآن الكريم ما يزيد شقاوةً على ما قلنا، كما كرّر حكاية قتلهم الانبياء عليهم السلام.

و المرتبة الشديدة منها هو انكار الالوهية و المخاصمة معها فيما أرسلت هدايةً للناس حتّى فيما يرجع إلى الآخرة.

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ الله جَميعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَما يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَ يَحْسَبُونَ اَنَّهُم عَلىٰ شَيْءٍ اَلا اَنَّهُمْ هُمُ الْكاذِبُونَ ﴾ (١)

فهم مخاصموا الله تعالى، يقتلون الانبياء و ينفون المعجزات و يؤذون الاولياء.

قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمودُ بطَغْوٰيها* اِذِانْبَعَثَ اَشْقيٰها* فَقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ناقَةَ الله و سُقْيٰها* فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوْها فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوّٰيها* و لا يَخافُ عُقْبٰيها ﴾ (٢)

و القرآن ضمَّن آيات ذمَّ هذه الرذيلة أوّلاً ثم بيّن مفاسدها و مراتبها الضعيفة و الشديدة. و ثانياً بين ذلك كلها في قصص و حكايات فجمع الله تعالى بين التنصيص و الاشارة في مقام قدحه هذه الرذيلة تنبيهاً للناس على غاية قبحها، و نحن نذكر بعض تلك الآيات و القصص، و لكن التفصيل فيه يحتاج إلى افراد كتاب.

فنقول ان القرآن اولاً اخبر بان المتكبر مطبوع على قلبه.

قال تعالى : ﴿ كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبر جبار ﴾ (٣)

فاذاً يُطبع على عينه و أذنه و لسانه، فهو صم بكم عمى فلايعقل شيئاً.

قال تعالى : ﴿ ساصرف عن آياتى الذين يتكبّرون في الارض بغير الحقّ ﴾ (٤)

و ثانياً اخبر ان بالمتكبّر المطرف يكون، بل به يستحقّوا العذاب.

قال تعالى : ﴿ و إذا اردنا ان نهلك قريةً امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميراً ﴾ (٥).

و قال تعالى : ﴿و ما ارسلنا في قريةٍ مِّنْ نَّذير الاّ قال مترفوها انّا بما ارسلتم به كافرون ﴾ (٦).

و قال تعالى: ﴿و كذلك جعلنا في كلّ قريةٍ اكابر مجرميها ليمكروا فيها و ما يمكرون

---

١ ـ المجادلة / ١٨ — ٢ ـ الشّمس / ١٥ ـ ١١ — ٣ ـ غافر / ٣٥

٤ ـ الاعراف / ١٤٦ — ٥ ـ الاسراء / ١٦ — ٦ ـ سباء / ٣٤

إلّا بانفسهم و ما يشعرون* و إذا جاءتهم اية قالوا لن نُؤمن حتّى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله ﴾[١].

و المترف و اكابر المجرمين هم المتكبرون الذين كانوا في سعة من العلم و المال و القدرة فتخيّلوا انهم على شئ‌ٍبه يليقوا بالرسالة فكانوا ينكرون الرسل قائلين لن نومن حتّى نؤتَى الرسالة أيضاً فكروا بذلك و اضلوا الناس كما كانوا ضالّين.

و هذه المصيبة تُعدّ اعظم مصائب المتكبّر، لان الاضلال أمر عظيم حتّى جعله الله تعالى مساوقاً لقتل الناس اجمعين.

قال تعالى : ﴿ من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الارض فكانّما قتل النّاس جميعاً ﴾[٢].

و المراد بقتل النّفس في هذه الآية (كما فسّره أبوعبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام)[٣] هو اضلال الناس كما هو سيرة المتكبرين قديماً و حديثاً.

و لو لم يكن مفسدة للمتكبر الا هذا، ليكفي ان يقال انه رذيلة موبقة تفسد آخرة المتّصف بها، فلذا رتّب القرآن عليه عذاباً شديداً.

قال تعالى : ﴿ ثمّ لننزعنّ من كلّ شيعة ايهم اشدّ على الرّحمن عتيّاً ﴾[٤]

و قال تعالى : ﴿ انّ الّذين كذّبوا باياتنا و استكبروا عنها لا تفتّح لهم أبواب السّماء و لا يدخلون الجنّة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط و كذلك نجزى المجرمين* لهم من جهنم مهاد و من فوقهم غواشٍ و كذلك نجزى الظّالمين ﴾[٥]

و قال تعالى : ﴿ الّذين تتوفّيهم الملئكة ظالمى انفسهم فالقوا السّلم ماكنّا نعمل من

---

١ ـ الانعام / ١٢٤ ـ ١٢٣ ٢ ـ المائدة / ٣٢

٣ ـ الكافي، ج ٢، ص ٢١٠، باب في احياء المؤمن، ح ١ ٤ ـ مريم / ٦٩

٥ ـ الاعراف / ٤١ ـ ٤٠

سوء بلى انّ الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنّم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبّرين ﴾[١]

و ثالثاً اخبر بان الفساد و اللجاج المسلّطان عليه يقفاه أمام الله حتّى يعارضه تعالى، فضلاً عن معارضته عباده، و هذا سرّ اعادة حكاية الشيطان و أقواله في القرآن الكريم بين حينٍ و حينٍ.

قال تعالى : ﴿ قال فبعزّتك لا غوينّهم اجمعين* إلّا عبادك منهم المخلصين ﴾[٢]

و قال تعالى : ﴿ قال فبما اغويتنى لا قعدنّ لهم صراطك المستقيم* ثمّ لاتينّهم من بين ايديهم و من خلفهم و عن ايمانهم و عن شمائلهم و لا تجد اكثرهم شاكرين ﴾[٣]

و اخبر بان عناد المتكبر، يمنعه من أن يقبل رسالة الرسل، أو امامة الاوصياء، أو تبليغ المبلغين، بل ينكرهم، و يعارضهم اشد الانكار و المعارضة.

و ملخص القول انّ كبره عن قبول الحقّ يؤديّه إلى أن يقتلهم بغير الحق و يصدّ سبيلهم بأىّ وجهٍ أمكن و لو بلغ ما بلغ. و القرآن قد كرر ذكر بنى اسرائيل و انكارهم الحق و نسيانهم ما أنعم الله به عليهم و مخالفتهم الرسل حتّى بعد أن تابوا إليه تعالى فقبلها منهم و أذن لهم ان يدخلوا القرية، فقال لهم قولوا حطة، فبدلوا قولاً غير الّذي قيل لهم استهزاءً للرسول بل لله تعالى فضربت عليهم الذلة و المسكنة، فلم يكن ذلك كلّه بشهادة القرآن إلّا لتكبّرهم و عنادهم.

قال تعالى : ﴿ ذلك بانّهم كانوا يكفرون بآيات الله و يقتلون النّبيّين بغير الحقّ ذلك بماعصوا و كانوا يعتدون ﴾[٤]

و قال تعالى : ﴿ و يقتلون الّذين يامرون بالقسط من النّاس فبشّرهم بعذاب

---

١ ـ النحل / ٢٩ ـ ٢٨　　٢ ـ ص / ٨٣ ـ ٨٢　　٣ ـ الاعراف / ١٧ ـ ١٦

٤ ـ البقره / ٦١

اليم ﴾ [١]

و رابعاً قد ذكر في آى عديدة كون المتكبر متخيّلاً جاهلاً بالجهل المركّب بحيث يرى لنفسه على جميع الناس فضلاً بالغاً و لا يرى لأحدٍ على نفسه و لو فضلاً مّا، حتّى أنّه يفضّل نفسه على الرسل و الأولياء، فمن تلك الآيات الدالّة على سيرته الخبيثة

: ﴿ و لقد ارسلنا نوحاً إلى قومه.. .. فقال الملأ الّذين كفروا من قومه ما نريك إلّا بشراً مثلنا و ما نريك اتّبعك إلّا الّذين هم اراذلنا بادى الرّاى و ما نرى لكم علينا من فضل بل نظنّكم كاذبين ﴾ [٢]

و قال تعالى : ﴿ و نادى فرعون في قومه قال يا قوم أ ليس لي ملك مصر و هذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون* ام انا خير من هذا الّذي هو مهين و لا يكاد يبين* فلو لا القى عليه اسورة من ذهب أو جاء معه الملئكة مقترنين* فاستخفّ قومه فاطاعوه انّهم كانوا قوماً فاسقين ﴾ [٣]

و قال تعالى : ﴿ قالوا أنؤمن لك و اتّبعك الارذلون.. .. و ما انا بطارد المؤمنين ﴾ [٤]

و قال تعالى : ﴿ و قال الملا من قومه.. .. ما هذا إلّا بشر مثلكم ياكل ممّا تاكلون منه و يشرب ممّا تشربون* و لئن اطعتم بشراً مثلكم إنّكم اذاً لخاسرون ﴾ [٥]

و قال تعالى : ﴿ قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً ممّا تقول و انّا لنريك فينا ضعيفاً و لو لا رهطك لرجمناك و ما انت علينا بعزيز* قال يا قوم ارهطى اعزّ عليكم من الله ﴾ [٦]

تبّاً للمتكبّر و تبّاً للتكبّر، كيف ينكر الرسل مع ما هم من المعجزات الباهرات و مع رأفتهم في دعوتهم و لكن الملأ من القوم و هم متكبّر وهم الّذين أغفلهم الرئاسة و القدرة و المال عن مبانى الانسانيّة العليا أضلّوا الناس و صدوّا طريقهم لئلّا يهتدوا بنور الانبياء بعد

---

١ ـ آل عمران / ٢١ ٢ ـ هود / ٢٧ ـ ٢٥ ٣ ـ الزخرف / ٥٤ ـ ٥١

٤ الشعراء / ١١٤ ـ ١١١ ٥ ـ المؤمنون / ٣٤ ـ ٣٣ ٦ ـ هود / ٩٢ ـ ٩١

أن أضلّهم كبرهم فذهبوا إلى أن لا فضل لنفوس الانبياء على أنفسهم، بل لا شرف لمتابعيهم، كما نرى فيا حكاه الله تعالى عن سيرة العرب حينما دعاهم النبيّ إلى الاسلام مع تلك المعجزات الّتي تحدّى بها مرّةً بعد أولى، ﴿ و ان كنتم في ريب ممّا نزّلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله و ادعوا شهدائكم من دون الله ان كنتم صادقين ﴾ [١]

فالكبر يضطرّهم ان يقولوا تارةً لم نزل هذا القرآن عليك و لم ينزل على الوليد فانزل الله تعالى ﴿ و قالوا لو لا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ [٢]

و أخرى أن يقولوا اطرد المؤمنين حتّى نؤمن بك فانزل الله تعالى ﴿ و لا تطرد الّذين يدعون ربّهم بالغداة و العشيّ يريدون وجهه ﴾ [٣]

معنى المترف و الملأ

ثم ان القرآن اطلق تارةً على هؤلاء المتكبرين المترف و أخرى الملأ و هي كثيرة تقرب من ثلاثين مورداً.

و المترف من التّرفّه و هو التوسع في النعمة، و الملأ من الْمِلا، و هو المملؤ من النّعمة و لمّا كان المتكبر غالباً ذانعمةٍ من العلم أو المال أو الجاه أو القدرة أو الكرامة و الشرافة عند الناس، أو الجمال أو الحسب و النسب أو كثرة الانصار و نحو ذلك بل العمل الصالح، نظير العبادات و الخدمة للعباد، فهو متوسع في النعمة و مملؤ منها فيعزّز بتلك النعم فيبدل الشكر بالكبر، فيتكبّر على الناس، و يرى نفسه عظيماً و ينسى ان ذلك كله من الله، و هو فقر محض و لا شئ، فيستكبر على ابناء نوعه، بل على من يكون ارفع منه بدرجات من العلماء و الاولياء و الاوصياء، بل الله تعالى، و اقلّ مراتب استكباره على الله ان يستنكف عن ان يدعو الله تعالى و يعبده.

---

١ ـ البقرة / ٢٣ ٢ ـ الزحزف / ٣١ ٣ ـ الانعام / ٥٢

قال تعالى: ﴿ان الّذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنّم داخرين﴾.[١]

فلذلك يطلق على المتكبرين المترف و الملأ. فالاطلاق من باب تسمية المسبب باسم السبب.

و لكن هذا المترف و الملأ لو أطلق نفسه عن هذا الخيال و الجنون و سلك مسلك الحقيقة ليرى أنّ ذلك كلّه من الله تعالى لا من نفسه. فلا يتفوّه بما تقوّل به قارون و غيره من المترفين الغافلين:

قال تعالى: ﴿قال انّما اوتيته على علم عندى﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿ثمّ إذا خوّلناه نعمة منّا قال انّما اوتيته على علم﴾.[٣]

بل له أن يقول لا املك لنفسى نفعاً و لا ضرّاً كما قد أمرنا الله تعالى به:

قال تعالى: ﴿قل لا املك لنفسى نفعاً و لا ضراً إلّا ما شاء الله﴾.[٤]

و عليه أن يقول ان ما آتانى الله من خير فهو له و آتانى تلك النعم لان ابتغى خير الدنيا و الآخرة و لان انفق منها.

قال تعالى: ﴿ هدى للمتّقين* الّذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصّلوة و ممّا رزقناهم ينفقون ﴾[٥]

و قال تعالى: ﴿ و اتوهم من مال الله الاذي آتيكم ﴾[٦]

بل يرى ان النعمة الّتي يتكبر بها بلاء عظيم يوجب خسران الدارين.

ألا ترى ان القرآن العظيم يشهد على عالمٍ لا عمل له أنّ سيرته سيرة الحمار و ان كانت صورته صورة الانسان!

قال تعالى: ﴿ مثل الّذين حمّلوا التّوراة ثمّ لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً ﴾

---

١ ـ غافر / ٦٠ ٢ ـ القصص / ٧٨ ٣ ـ الزّمر / ٤٩

٤ ـ الاعراف / ١٨٨ ٥ ـ البقرة / ٣ ـ ٢ ٦ ـ النّور / ٣٣

(١)

فكذلك العلم الّذي يوجب الكبر و المنيّة يبدّل صاحبه كلباً و لو كان من المقربين عند الناس.

قال تعالى : ﴿ فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ (٢)

و لا تظننَّ أنّ هذا من باب الفحش، لأنّه بئس الظنّ بالله تعالى، و ليس من دأب القرآن الكريم، بل استيقن بأنّ الله تعالى قد أخبر عن حقيقة حالهم و ما يرجع إليه مآلهم، و هذا محسوسٌ مشاهدٌ عند أهل القلوب بنورٍ آتاهم الله حيث خرجوا عن تيه الضلال و دخلوا في حصنه الحصين تعالى و تقدّس. فطوبى لهم و بورك فيما آتاهم.

قال تعالى : ﴿ فلمّا جاءها نودى ان بورك من في النّار و من حولها و سبحان الله ربّ العالمين ﴾ (٣)

و بالجملة ان العلم الّذي يوجب الكبر لصاحبه ليس إلّا طائفة من اصطلاحاتٍ لا نور فيه، فهو جهلٌ على جهلٍ و حجابٌ على حجابٍ كما انّ المال الّذي يوجب الكبر ليس إلّا عظم خنزير في يد اجزم، و قد اخبر القرآن عنه بأنّه نار تكوى بها اعضائه.

قال الله تعالى : ﴿ و الّذين يكنزون الذّهب و الفضة و لا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم* يوم يحمى عليها في نار جهنّم فتكوى بها جباههم و جنوبهم و ظهورهم هذا ماكنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ (٤)

و القدرة الّتي يتكبر بها هي الذلة يوم القيامة.

قال تعالى : ﴿ و لا تحسبن الله غافلاً عمّا يعمل الظّالمون انّما يؤخّرهم ليوم تشخص فيه الابصار ﴾ (٥)

---

١ ـ الجمعة / ٥ ‏ ‏ ٢ ـ الاعراف / ١٧٦ ‏ ‏ ٣ ـ النمل / ٨

٤ ـ التوبة / ٣٥ ـ ٣٤ ‏ ‏ ٥ ـ ابراهيم / ٤٣ ـ ٤٢

و العجب من هذا الإنسان كيف لا يتوجه إلى عجزه و ضعفه و ذلّته فيستكبر و يسترفع.

الا يرى انه لو أصابه وجع شديد في راس انملة من انامله، يصير محتاجاً إلى غيره ليداويه؟!

الا يرى انه لو لم يجد مكاناً لقضاء الحاجة بعد أن احتاج إليه و لو بلحظةٍ، كيف يصير مُلجاءً ؟!

الا يرى انه لو غلب عليه العطش، كيف يستذل نفسه لد ع حاجته؟ فيعطى ما له من الأموال و الشرف طلباً لجرعةٍ من الماء؟!

و المتكبر بالجمال ينبغى له ان ينظر إلى سيرته الّتي يراها اهل القلوب اقبح من القرود و الخنازير، و لابد ان يعلم أنَّ هذا الجمال و الصورة يصير في النار اقبح من كلّ قبيحٍ، كرأس الغنم المشوى بالنار.

قال تعالى: ﴿ كلّا انّها لظى* نزّاعة للشّوى* تدعوا من ادبر و تولىّ ﴾[1]

و السفيه كلّ السفيه من يستكبر بالأقرباء أو بالحسب و النسب و لا يدرى أنّهم لا يد لهم لو أراد الله تعالى به سوءً، بل لو وكّله آناما إلى نفسه، فويل للذى هذا دنياه، و امّا آخرته فحكى القرآن انه يودّ ان يفديهم و ينجى و لكن ذلك غير مقدور له.

قال تعالى: ﴿ يودّ المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذٍ ببنيه* و صاحبته و اخيه* و فصيلته الّتي تؤويه* و من في الارض جميعاً ثمّ ينجيه* كلّا ﴾[2]

و اسؤ من ذلك كله الكبر بالعبادات الّذي يوجب فسادها و لا تخلو حينئذ من المنّ و الرياء و ذنبها على حد الكفر بالله العظيم

قال تعالى: ﴿ لا تبطلوا صدقاتكم با لمنّ و الاذى كالّذى ينفق ماله رئاء النّاس و لا

---

١ ـ المعارج / ١٧ ـ ١٥ ٢ ـ المعارج / ١٥ ـ ١١

يؤمن بالله و اليوم الاخر﴾[1]

والبحث عن هذه الرذيلة و ان طال، خصوصاً مع بناء هذا الكتاب على الايجاز و الاختصار، الا ان التطويل في هذا المبحث مما لابد منه لان قليلاً من عباد الله الصالحين فضلاً عن غيرهم، يقدرون على قلع مادّة هذه الرذيلة الفاسدة عن أنفسهم، و لولا فضل الله و رحمته مازكى احد عنها.

فمن غضب في داره عند أسرته على ما لا يلائم طبعه، و هو غير غضبانٍ عليه عند الناس، ليعلم انه متكبر.

و من غضب في مجلس درسه عند ابداء تلاميذه رأياً يخالف مرماه، ليعلم انه متكبر.

و من حزن عند تقصير غيره فيما يظنّه من شؤونه، ليعلم انه متكبر.

و من جلس مجلسا أدنى ممّا يظنّه لائقاً به فأنف منه ليعلم انه متكبر.

و من ثقل عليه الحوار مع من لا شأن له بحسب العرف ليعلم انه متكبر.

و من اجاب سئوال من دونه، من عياله أو اولاده أو غيرهما من غير اهتمام و توجه فهو متكبر. و من فرح بذكر فضائله و يحب ذلك و يكرم الذاكر لذكره ايّاها، فهو المستكبر.

و من غم بذكر معايبه بل بترك فضائله و يكره ذلك و ببغض الذاكر أو يكره منه ذلك، فهو المستكبر.

و من رأى ان الناس يقدّمون غيره، من اقرانه أو من هو دونه، و لا يخطر بباله شئ، بل يفرح بذلك إذا كان ذلك الشخص اهلاً لذلك، فهو الّذي يصحّ له ان يدعى انه قلع مادة هذه الرذيلة عن نفسه، و قس على ذلك ما يشابهه.

و في الختام نذكر بعض الروايات الصادرة عن اهل البيت عليهم السلام في ذم هذه الرذيلة استنارةً من نور كلامهم المنير.

---

١ ـ البقره / ٢٦٤

رواياتٌ في الكبر

* عن حكيم قال: سألت ابا عبدالله عليه السلام عن ادنى الالحاد، فقال: انّ الكبر ادناه.[1]

* عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: الكبر قد يكون في شرار النّاس من كلّ جنس، و الكبر رداء الله، فمن نازع الله عزّوجلّ رداءه لم يزده الله إلّا سفالاً، انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرّ في بعض طرق المدينة و سوداء تلقط السّرقين فقيل لها: تنحّى عن طريق رسول الله فقالت: انّ الطريق لمعرض، فهمّ بها بعض القوم ان يتناولها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: دعوها فانّها جبّارة[2].

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام العزّ رداء الله، و الكبر ازاره، فمن تناول شيئاً منه اكبّه الله في جهنّم[3].

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: الكبر رداء الله و المتكبّر ينازع الله ردائه[4].

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الكبر رداء الله فمن نازع الله شيئاً من ذلك اكبّه الله في النّار[5].

---

١ ـ الكافي، ج ٢، ص ٣٠٩، باب الكبر، ح ١

٢ ـ الكافي، ج ٢، ص ٣٠٩، باب الكبر، ح ٢

٣ ـ الكافي، ج ٢، ص ٣٠٩، باب الكبر، ح ٣

٤ ـ الكافي، ج ٢، ص ٢٠٩، باب الكبر، ح ٤

٥ ـ الكافي، ج ٢، ص ٣٠٩، باب الكبر، ح ٥

* عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليه‌السلام قالا: لا يدخل الجنّة من في قلبه مثقال ذرّة من كبر[١].

* عن محمّد بن مسلم، عن احدهما عليه‌السلام قال: لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من الكبر، قال: فاسترجعت فقال: مالك تسترجع؟ قلت: لما سمعت منك، فقال: ليس حيث تذهب، انّما اعنى الجحود، انّما هو الجحود[٢].

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: الكبران تغمص النّاس و تسفه الحقّ[٣].

* عن عبدالاعلى بن اعين قال: قال أبو عبدالله عليه‌السلام: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: انّ اعظم الكبر غمص الخلق و سفه الحقّ، قال: قلت: و ما غمص الخلق و سفه الحقّ؟ قال: يجهل الحقّ و يطعن على اهله فمن فعل ذلك فقد نازع الله عزّوجلّ ردائه.[٤]

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: انّ في جهنّم لوادياً للمتكبّرين يقال له: سقر، شكا إلى الله عزّوجلّ شدة حرّه و سأله ان يأذن له ان يتنفّس فتنفّس فاحرق جهنّم.[٥]

* عن داود بن فرقد عن اخيه قال: سمعت ابا عبدالله عليه‌السلام يقول: انّ المتكبّرين يجعلون في صور الذّرّ يتوطّأهم النّاس حتّى يفرغ الله من الحساب.[٦]

* عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: ثلاثة لا يكلّمهم الله و لا ينظر إليهم يوم القيامة و لا يزكّيهم و لهم عذاب اليم، شيخ زان و ملك جبّار و مقلّ مختال.[٧]

---

١ ـ الكافي، ج ٢، ص ٣١٠، باب الكبر، ح ٦

٢ ـ الكافي، ج ٢، ص ٣١٠، باب الكبر، ح ٧

٣ ـ الكافي، ج ٢، ص ٣١٠، باب الكبر، ح ٨

٤ ـ الكافي، ج ٢، ص ٣١٠، باب الكبر، ح ٩

٥ ـ الكافي، ج ٢، ص ٣١٠، باب الكبر، ح ١٠

٦ ـ الكافي، ج ٢، ص ٣١١، باب الكبر، ح ١١

٧ ـ الكافي، ج ٢، ص ٣١١، باب الكبر، ح ١٤

* عن محمّد بن عمر بن يزيد، عن ابيه قال: قلت لابی عبدالله عليه السلام: انّی أكل الطّعام الطّيب و اشمّ الرّيح الطّيّبة و اركب الدّابّة الفارهة و يتبعنی الغلام فترى في هذا شيئاً من التّجبّر فلا افعله؟ فاطرق أبو عبدالله عليه السلام ثمّ قال: انّما الجبّار الملعون من غمص النّاس و جهل الحقّ، قال عمر: فقلت: امّا الحقّ فلا اجهله و الغمص لا ادرى ما هو، قال: من حقّر النّاس و تجبّر عليهم فذلك الجبّار.[1]

* عن عبدالله بن بكير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ما من احد يتيه إلّا من ذلّة يجدها في نفسه، و في حديث آخر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما من رجل تكبّر أو تجبّر إلّا لذلّة وجدها في نفسه.[2]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ يوسف عليه السلام لمّا قدم عليه الشيخ يعقوب عليه السلام دخله عزّ الملك، فلم ينزل اليه، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا يوسف ابسط راحتك فخرج منها نور ساطع، فصار في جو السّماء، فقال يوسف: يا جبرئيل ما هذا النّور الّذي خرج من راحتّي؟ فقال: نزعت النبوّة من عقبك عقوبة لما لم تنزل إلى الشيخ يعقوب فلا يكون من عقبك نبّي.[3]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما من عبد إلّا و في رأسه حكمة و ملك يمسكها، فاذا تكبّر قال له: اتّضع وضعك الله فلا يزال اعظم النّاس في نفسه و اصغر النّاس في اعين النّاس و إذا تواضع رفعه الله عزّ وجلّ، ثمّ قال له: انتعش نعشك الله فلا يزال اصغر النّاس في نفسه و ارفع النّاس في اعين النّاس.[4]

---

١ ـ الكافی، ج ٢، ص ٣١١، باب الكبر، ح ١٣

٢ ـ الكافی، ج ٢، ص ٣١٢، باب الكبر، ح ١٧

٣ ـ الكافی، ج ٢، ص ٣١١، باب الكبر، ح ١٥

٤ ـ الكافی، ج ٢، ص ٣١٢، باب الكبر، ح ١٦

* قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام : ما لابن آدم و الفخر ، اوّله نطفة، و آخره جيفة، و لا يرزق نفسه، و لا يدفع حتفه.[١]

* قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام : ما لابن آدم و للعجب، اوّله نطفة قذرة، و آخره جيفة مذرة، و هو بين ذلك يحمل العذرة.[٢]

١ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم، ٤٥٤

٢ ـ غرر الحكم، طبع بيروت، ج ٢، ص ٢٧٢، ح ٢١٤

الرذيلة الرّابعةعشرة : العُجْب

و هي ضدّ التواضع أيضاً، و هي ملكة اعجاب المرء لنفسه أو عمله و اكثر استعمالها في الاعجاب بالاعمال.

و الفرق بين التكبر و العجب، ان التكبر هو ملكة تؤدّى إلى استعظام المرء نفسه و يقال لها بالفارسيه (خود بزرگ بينى)، و العجب هو ملكة تؤدّى إلى استعظام المرء فضائله أو اعماله، بل قد يعجب بنفسه مع غفلته عن فضائلها و اعمالها، بل مع التفاته إلى أنّه لا فضيلة و لا عمل صالحٍ لها و يقال لها بالفارسية (خود پسندى). نعم هاتان الرذيلتان تلازمان في أغلب الأحيان، و ينشأ كلّ من الاخر، و اما بحسب الهويّة فكل منهما رذيلة برأسها.

و هي كالكبر تعدّ من أمّهات الرذائل فلذا قد جعله القرآن مثله، و اطلق عليه ما اطلق عليه، ففى سورة النساء بعد أن أمر بطائفةٍ من العبادات قال :

﴿انّ الله لا يحبّ من كان مختالاً فخوراً ﴾[1]

و جعل من يعجب بعمله من العبادات مختالاً فخوراً و في سورة الحديد بعد أن نهى عن

---

١ ـ النساء / ٣٦

الفرح و هو تعلق القلب بالدنيا قال:

﴿ و الله لا يحبّ كلّ مختال فخور ﴾ (١)

فتعلق القلب بالدنيا هو العجب أو هو من لوازم العجب و توطئةٌ له، و في سورة لقمان بعد أن نهى عن التكبر قال: ﴿ انّ الله لا يحبّ كلّ مختال فخور ﴾ (٢)

و لولا مفسدة للعجب الا ما يلازمه من المفاسد العديدة، كالكبر و البخل و الحسد و الغضب و الاستنكاف من الحق و اللجاجة و العصبية و الغرور و حب الجاه و المال و الرياء و نحو ذلك، و كالغيبة و التهمة و الاهانة و السخرية و الاستهزاء و الجدال و المراء و الكذب و المفاخرة و نحو ذلك، من الرذائل الكثيرة الّتي تلازمه لتكفي لتدلّ على ان هذه الرذيلة مثل رذيلة الكبر تفتّح على صاحبه أبواب النار و تغلّق عليه أبواب الجنّة.

و الظاهر من الوحي و كلمات أهل العصمة عليهم السلام أنّ ذنب هذه الرذيلة من عظام الذنوب، كما ان الله سبحانه و تعالى عدّ المعجب بالنفس من أشق الأشقياء، و ذلك في آيةٍ من آي الذكر الحكيم لها تأكيد بليغ قلّما ورد مثلها في غيرها من المواضع.

قال الله تعالى: ﴿ قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالاً * الّذين ضلّ سعيهم في الحيوة الدّنيا و هم يحسبون انّهم يحسنون صنعاً ﴾ (٣)

و الآية الشريفة و ان كانت بصدد ذمّ الجاهل بالجهل المركب و لكن كون المعجب بالنفس من افراده الواضحة مما لا اشكال فيه، كما أنّ سيدنا ابالحسن عليه السلام جعله من مصاديقه.

* عن على بن سويد عن أبي الحسن عليه السلام قال سئلته عن العجب الّذي يفسد العمل فقال العجب درجات منها ان يزين للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه و يحسب انه

---

١ ـ الحديد / ٢٣ ٢ ـ لقمان / ١٨ ٣ ـ الكهف / ١٠٤ ـ ١٠٣

يحسن صنعاً و منها ان يؤمن العبد بربّه فيمنّ على الله عزّوجلّ ولله عليه فيه المنّ[١]

هذه الرواية الشريفة اشارت إلى ثلاث آيات نزلت في مذمة العجب

١ ـ قوله تعالى : ﴿ افمن زيّن له سوء عمله فراه حسناً فانّ الله يضلّ من يشاء و يهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾[٢]

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالاً * الّذين ضلّ سعيهم في الحيوة الدّنيا و هم يحسبون انّهم يحسنون صنعاً ﴾[٣]

٣ ـ قوله تعالى : ﴿ يمنّون عليك ان اسلموا قل لا تمنّوا علىّ اسلامكم بل الله يمنّ عليكم ان هديٰكم للايمان ان كنتم صادقين ﴾[٤]

و المعجب بنفسه المتخيّل لها عظمةً خاصّة يظنّ نفسه مولى النّاس و النّاس عبيداً له، فيستكبر عليهم و يتوقع منهم حرمةً خاصةً، فلو بذل لهم شيئاً يمنّ عليهم و يؤذيهم، فيبطل بها ما ينفق عليهم، لمنّه عليهم، فذلك الانفاق بما صاحبه من المنّ ذنبه على حد الكفر بالله العظيم.

قال الله تعالى : ﴿ لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ و الاذى كالّذى ينفق ماله رئاء النّاس و لا يؤمن بالله و اليوم الاخر ﴾[٥]

و المعجب بنفسه يظنّ انه محبوب إلى الله تعالى و انّ الله تعالى لا يحب احداً إلّا ايّاه فيدلّ و يفاخر على النّاس و يعظّم نفسه و يستكبر عليهم و للقرآن الكريم اشاراتٌ إلى هذه الخصلة الرذيلة.

قال الله تعالى : ﴿ و قالت اليهود و النّصارى نحن ابناء الله و احبّائه قل فلم يعذّبكم

---

١ ـ الكافي، ج ٢، ص ٣١٣، باب العجب، ح٣
٢ ـ فاطر / ٨
٣ ـ الكهف / ١٠٤ ـ ١٠٣
٤ ـ الحجرات / ١٧
٥ ـ البقرة / ٢٦٤

بذنوبكم ﴾[1].

(يعنى انه لو صدقتم في مقالتكم هذه فلِمَ سلّط عليكم مثل بخت النّصّر و لِمَ سلّط عليكم الطواغيت كفرعون و لِمَ عذبكم الله في الدنيا بفضائح العذاب كما ثبت في التواراة و الاناجيل و مصادر التاريخ)

و قال تعالى : ﴿ قل يا ايّها الّذين هادو ان زعمتم انّكم اولياء لله من دون النّاس فتمنّوا الموت ان كنتم صادقين * و لا يتمنّونه ابداً بما قدّمت ايديهم و الله عليم بالظّالمين ﴾[2]

تباً للعجب الّذي يؤدّى بالانسان إلى ما لا يصدر إلّا من المجانين، فيقول: ها أنا ابن الله!! فلا يكفيه أن يدّعى كونه من احبّاء الله و أوليائه، بل يدّعى لنفسه ما لا يجوز التفوّه به، كما يدّعى لمن آمن به من الأنبياء و لأمّه عليها السلام ما تشمئزّ منه القلوب.

قال تعالى : ﴿ لقد كفر الّذين قالوا انّ الله هو المسيح ابن مريم ﴾[3]

و قال تعالى : ﴿ و قالت اليهود عزير ابن الله و قالت النّصارى المسيح ابن الله ... قاتلهم الله انّى يؤفكون ﴾[4]

و قال الله تعالى : ﴿ ءانت قلت للنّاس اتّخذونى و امّى الٰهين من دون الله ﴾[5]

كما يرقى من ذلك فيدّعى الربوبيّة: ﴿انا ربّكم الاعلى ﴾[6]

و يظهر من قوله تعالى ﴿ و نادى فرعون في قومه قال يا قوم أ ليس لي ملك مصر و هذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون* ام انا خير من هذا الّذي هو مهين و لا يكاد يبين ﴾[7]

---

١ ـ المائدة / ١٨ | ٢ ـ الجمعة / ٧ ـ ٦ | ٣ ـ المائدة / ١٧

٤ ـ التوبة / ٣٠ | ٥ ـ المائدة / ١١٦ | ٦ ـ النازعات / ٢٤

٧ ـ الزخرف / ٥٢ ـ ٥١

انّ ما أدّاه إلى القول بربوبيّة نفسه، لم يكن إلّا اعجابه بها، فينتج منه أنَّ هذا مقالَ كلّ من يعجب بنفسه و لا يختصّ بفرعون كما يتراءى ذلك من سير الجبابرة في كلّ عصرٍ و مصرٍ، بل كلّ معجب لا يخلو عند اهل القلوب من ذلك الادعاء في أقواله و أفعاله نعوذ بالله من العجب الّذي لا يخرج عن القلب بسهولةٍ، حتّى انّ المعجب بنفسه ربّما يبغض الشرك، و لكنّه بهذا الاعجاب مشركٌ، بل هذه الرذيلة جعلته كافراً من غير أن يتنبّه بكفره و شركه فله اصنام و هو يدّعى التوحيد.

قال الله تعالى : ﴿ افرايت من اتّخذ الهه هواه و اضلّه الله على علم ﴾[١]

و بالجملة فللقرآن الكريم دلالةٌ واضحة على أنّ المعجب بنفسه و لو صدّ عن طغيان العجب و اثارته، إلّا انّه لاخلاص له عن مراتبه الأدنى بل يبقى هذه المرتبه في نفسه فتؤديّه إلى القول بكونه اعزّ الناس و لامحيص للنّاس عن كونهم رقّاً له كما يتراءى ذلك من سيرة اليهود في عصرنا حيث يدّعون كونهم أحسن الملل فطنةً و ذكاءً و أطيبها نسلاً و درايةً، كما أنّ الحروب الدائرة في العالم و اشتعال نائرتها في أرجائه ليست إلّا وليدة هذه الرذيلة المتمكّنة في قلوب الرؤساء و نفوسهم، نعوذ بالله تعالى من شرور هذه الموبقة.

تنبيه

ثم لا يخفى ان العجب كسائر الرذائل، ذاتها سيّئة خبيثة، موجبة للهلاك، فيجب قلعها عن النّفس عقلاً و شرعاً، و بقاؤها موجب لشقاوة الدارين، الا انه يظهر من كثير من الروايات، ان ترتب الاثر من المعجب بالنفس عليه و التوجه إليه بفكره أو قوله أو عمله معصية توافق صاحبها، و سمى ذلك في الروايات بالادلال، و يطلق في كثير من الروايات على المعجب المُدِلّ، و سمى مدلاً، لان فكره و قوله و عمله كلّه يدلّ على عجبه بنفسه و قوله

---

١ ـ الجاثية / ٢٣

و عمله و المعجب مدلٌّ به.

و لعل ترتب أثر المعصية على الادلال، لا على العجب مع كون العجب معصية و الادلال معصية اشد منه تفضّلٌ منه تعالى و منّةٌ له على عباده لئلّا يصيبهم ذنبٌ ماداموا غير عاملين بما يقتضى العجب، فهو كالحسد الّذي يظهر من الروايات انه معصية، ولكن الله رفعها من العباد منّة عليهم، فالعمل به و اظهاره في الاقوال و الافعال ذنبٌ، لانفسه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وضع عن امتى تسع خصال...و الحسد ما لم يظهر بلسانٍ أو يدٍ.[1]

و الظاهران العجب يكون كذلك، فالعجب معصية و لكن ما يكتب عليه هو اظهاره بقلبه أو بلسانه أو بعلمه الّتي هو ترتب الاثر عليه، لانفسه.

و بالجملة من كانت له رذيلة العجب، يعظم عمله في نفسه، كما يعظم نفسه عنده فيتوقّع من الله تعالى ان يكرمه و يستجيب دعواته، و يستيقن انه اهل السعادة في الدارين، فلو اصابه مكروه من سوء عمله فيكره الله تعالى، و لو لم يستجب دعوة من دعواته استبعد ذلك و يتعجب من الله تعالى لانه يرى نفسه مستحقّاً للاجابة و يرى ان الله تعالى مخلف وعده، سبحان الله عما يقول المعجبون بل عمّا يتفكرون.

و الاسف أنّ تلك الفكرة، بل تلك الاقوال و الاعمال من المعجب بالنفس شائعةٌ كثيرةٌ، بل لا يمكنه التخلّف عنها:

قال الله تعالى : ﴿قل كلّ يعمل على شاكلته﴾.[2]

فلا عجب حينئذ لو روى عن الباقر عليه السلام «انه دخل رجلان المسجد احدهما عابد و الآخر فاسق، فخرجا من المسجد و الفاسق صديق و العابد فاسق، و ذلك انه يدخل العابد المسجد مدلاً بعبادته يدل بها، فتكون فكرته في ذلك و تكون فكرة الفاسق في التندم على

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ٤٦٣، باب مارفع عن الامة، ح ٢

٢ ـ الاسراء / ٨٤

فسقه و يستغفر الله عزّ وجلّ مما صنع من الذنوب». [١]

فتلخص ان العجب بالاعمال حمق و جهل و خيالٌ، بل جنون، لانه لا عمل بعد العجب، و لأنّه يجعله هباء منثوراً.

و العجب بالفضائل يبطلها و يجعل صاحبه كالقردة و الخنازير.

و العجب بالجمال أو المال أو القدرة و ما يشابها، جنونٌ ينشأ من الظنّ ببقائها، كما أنّ العجب بالعلم كذلك، كما روى ان العالم غير المهذب يتأذّى اهل جهنم من نتنه ـ هذا و الاجدر صرف الكلام إلى ذكر بعض الروايات في الباب.

---

١ ـ الكافي، ج ٢، ص ٣١٤، باب العجب، ح ٦

روايات العجب

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ الله علم انّ الذّنب خير للمؤمن من العجب و لولا ذلك ما ابتلى مؤمن بذنب ابداً.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من دخله العجب هلك.[2]

* عن عليّ بن سويد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن العجب الّذي يفسد العمل، فقال: العجب درجات منها ان يزيّن للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه و يحسب انّه يحسن صنعاً و منها أن يؤمن العبد بربّه فيمنّ على الله عزّوجلّ ولله عليه فيه المنّ.[3]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ الرّجل ليذنب الذنب فيندم عليه و يعمل العمل فيسرّه ذلك فيتراخى عن حاله تلك فلأن يكون على حاله تلك خير له ممّا دخل فيه.[4]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اتى عالم عابداً فقال له: كيف صلاتك؟ فقال: مثلى يسئل عن صلاته؟! و أنا اعبدالله منذ كذأو كذا، قال: فكيف بكاؤك؟ قال: ابكى حتّى تجرى دموعى، فقال له العالم: فانّ ضحكك و أنت خائف افضل من بكائك و انت مدلّ، انّ

---

١ ـ الكافى، ج٢، ص٣١٣، باب العجب، ح ١

٢ ـ الكافى، ج٢، ص ٣١٣، باب العجب، ح ٢

٣ ـ الكافي ،ج٢،ص ٣١٣،باب العجب ،ح ٣

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣١٣، باب العجب، ح ٤

المدلّ لا يصعد من عمله شي.[١]

* عن احمد بن أبي داود، عن بعض اصحابنا، عن احدهما قال: دخل رجلان المسجد احدهما عابد و الاخر فاسق فخرجا من المسجد و الفاسق صدّيق و العابد فاسق و ذلك انّه يدخل العابد المسجد مدلّاً بعبادته يدلّ بها فتكون فكرته في ذلك و تكون فكرة الفاسق في التّندّم على فسقه و يستغفر الله عزّوجلّ ممّا صنع من الذنوب.[٢]

* عن عبدالرّحمن بن الحجّاج قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام: الرّجل يعمل العمل و هو خائف مشفق ثمّ يعمل شيئاً من البرّ فيدخله شبه العجب به؟ فقال: هو في حاله الاولى و هو خائف احسن حالا منه في حال عجبه.[٣]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بينما موسى عليه السلام جالساً إذ أقبل ابليس و عليه برنس ذو الوان، فلما دنى من موسى عليه السلام خلع البرنس و قام إلى موسى فسلّم عليه فقال له موسى: من انت؟ فقال: انا ابليس، قال: انت فلا قرّب الله دارك قال: انّى انّما جئت لا سلّم عليك لمكانك من الله، قال: فقال له موسى: فما هذا البرنس؟ قال: به اختطف قلوب بنى آدم، فقال موسى: فاخبرنى بالذّنب الاذي ّذا اذنبه ابن آدم استحوذت عليه، قال: إذا اعجبته نفسه و استكثر عمله و صغر في عينه ذنبه. و قال: قال الله عزّوجلّ لداود عليه السلام: يا داود بشّر المذنبين و أنذر الصّدّيقين، قال: كيف ابشّر المذنبين و انذر الصّدّيقين؟ قال: يا داود بشّر المذنبين انّى اقبل التّوبة و اعفو عن الذّنب، و انذر الصّدّيقين إلّا يعجبوا باعمالهم فانّه ليس عبد انصبه للحساب إلّا هلك.[٤]

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣١٤، باب العجب، ح ٥

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣١٤، باب العجب، ح ٦

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣١٤، باب العجب، ح ٧

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣١٤، باب العجب، ح ٨

الرّذيلة الخامسةعشرة: مركّب النّقص

و هي ما يقال له بالفارسيّة: خود كم‌بيني.

و هي ملكة توجب غفلة صاحبها عن فضائله و استعداداته، و تصير الإنسان كالدود يحصر في غزّه، لايمكن له التّرقّي عن مرتبته.

و ليس هي التواضع المرغوب فيه بل هي من أضداده، فى الحقيقة هي تفريط التكبر و العجب، فالمتكبر و المعجب بالنفس يتخيلان لها العظمة و الشوكة و مهين النّفس المركّب النقص يتخيل أنّها في غاية التدانى و السقوط، و لا سبيل لها إلى الرشاد، و كانها خلقت للاستخدام و الاستثمار و الذلّة و المهانة هذا في الدنيا و امّا في الآخرة فلا سبيل لها إلّا النار.

و لهذه الرذيلة مراتب شدة و ضعفاً، كما لغيرها من الرذائل فاول مراتبها هو الغفلة عن استعداداته و صلاحيّاته و صفاته المؤهّلة و الرضا بما لا يرضى الله له به و لم يخلقه له من الركود و السكون و قبول الذلة و المسكنة.

و آخر مراتبها هو ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿ و لقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ و الانس لهم قلوب لا يفقهون بهاو لهم اعين لا يبصرون بها و لهم آذان لا يسمعون بها،

اولئك كالانعام، بل هم اضلّ، اولئك هم الغافلون﴾[١].

فتلك الرذيلة أعمت قلبه، فصيّرته حيواناً، بل أضلّ، ثم صوّرته بصورةٍ هي أقبح من صور الحيوانات فينتج من هذا قبح هذه الرذيلة، فمركّب النقص لولم يكن أقبح من الكبر و العجب فلا أقلّ من أن لايكون أقلّ منهما.

و كان دأب المستثمرين في جميع الأزمان نشر هذه الرذيلة بين الناس و نشؤ الناس عليها، ليقبلوا أنّه لافضيلة لهم و أنّها لا تليق بهم، بل خُلقوا للمهنة و لا شيء لهم غير الدنوّ، و لاشيء للمستثمرين غير العلم و الارتفاع في المجتمع البشرى كما نرى في مدارس و معاهد أسّسها المستعمرين في بلاد المسلمين، فانّها و ان كانت مدرسةً بحسب الظاهر فما كانت إلّا مفحشةً لهم تشيع الفحشاء في المجتمع، و لعلّ اهلاك الحرث و النسل في القرآن اشارة إلى ذلك البلاء العظيم، و لعل الاستضعاف في القرآن اشارة إلى ذلك البلاء المبين.

قال الله تعالى : ﴿ و من النّاس من يعجبك قوله في الحيوة الدّنيا و يشهدالله على ما في قلبه و هو الدّ الخصام* و إذا تولّى سعى في الارض ليفسد فيها و يهلك الحرث و النّسل و الله لا يُحبّ الفساد ﴾[٢]

و قال تعالى : ﴿ انّ فرعون علا في الارض و جعل اهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبّح ابناءهم و يستحيى نساءهم انّه كان من المفسدين ﴾[٣]

(و لعل المراد من ذبح الأبناء و استحياء النساء نفى الغيرة من نفوس الرجال و اعدام الحياء من نفوس النساء).

لانه لايمكن استضعاف ملّة لهم الغيرة و العفة، فبعد اشاعة الاستضعاف و دنائة الطبع لا غيرة للرجال و لا عفّة للنساء فيمكن للمفسد بسهولة من غير اعمال قدرة، التسلط عليهم، لينال منهم ما ينال.

---

١ ـ الاعراف / ١٧٩ ٢ ـ البقرة / ٢٠٥ ـ ٢٠٤ ٣ ـ القصص / ٤

و ان تعجّبت من قولنا، و يثقل عليك قبول السير و التواريخ، و لا يقبل قلبك ما فسّرنا به الآيات، فانظر إلى زماننا هذا، و دأب الدول العظمى و الدول الصغار، فترى بالعينين ما قلنا في احوال المستثمرين و احوال المهينين الذليلين، و العيان اظهر بمراتب من البيان.

هذا قطرةٌ من بحر فضائح هذه الرذيلة، و لكن مع الاسف يبتلى الإنسان بها، و شيوعها فيهم ازيد من شيوع سائر الرذائل حتّى الكبر و الحسد.

فبهذه الرذيلة يقبل عبوديّة الشيطان و الاصنام و يترك ربه الاعلى و يخالفه و يعصيه.

و بهذه الرذيلة يبيع نفسه بالدنيا الدنيّة، و زخرفها و زبرجها و يترك المقامات و الكمالات النفسيّة.

و بهذه الرذيلة ينسى انه مسجود الملائكة، فيعبد الشيطان، بل ما هو أدون منه بمراتب.

و بهذه الرذيلة يبيع الجنّة و يشترى الدنيا، بل ما هو ادون منها من الهوى فيتابعه حتّى يصدق عليه انه يعبده.

قال تعالى : ﴿ افرايت من اتّخذ الهه هواه ﴾[1]

فهذه الرذيلة تنزّل الإنسان حيث تبدّل حسناته بالسيّئاتٍ، و دينه بدنياه الدنيّة، و قربه إلى الله العليّ بالمقام الحيوانى و الشيطانى، فيصدق عليه قوله تعالى ﴿ فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾[2]

أمّا القرآن الكريم فينبّه اوّلاً على عموميّة هذه الرذيلة بين الناس كأنّهم جُبّلوا عليها و كأنّها فطرةٌ ثانيةٌ لهم، و هذا في كثيرٍ من آياته المباركات:

قال تعالى : ﴿ انّ الإنسان خلق هلوعا ﴾[3]

و قال تعالى : ﴿ قتل الإنسان ما اكفره ﴾[4]

---

١ ـ الجاثية / ٢٣ ٢ ـ الاعرف / ١٧٦ ٣ ـ المعارج / ١٩

٤ ـ عبس / ١٧

و قال تعالى : ﴿ انّه كان ظلوماً جهولاً ﴾ [١]

و قال تعالى : ﴿ انّ الإنسان لظلوم كفّار ﴾ [٢]

و ثانياً ينبّه على رفعة مقام الإنسان بحيث لايشاركه فيه حتّى الملائكة المقرّبين.

قال تعالى : ﴿ و اذ قال ربّك للملائكة انّى خالق بشراً من صلصال من حمإٍ مسنونٍ* فاذا سوّيته و نفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين* فسجد الملئكة كلّهم اجمعون* إلّا ابليس ﴾ [٣]

و قد أودع الله تعالى فيه صلاحيّةً و استعداداً لا أعلى منه و لا أحسن، حيث له أن يسخّر السماوات و الأرض بهذه الصلاحيّة الالهيّة.

قال تعالى : ﴿ الم تروا انّ الله سخّر لكم ما في السّموات و ما في الارض ﴾ [٤]

بل له أن يترقّى إلى أعلى مقامات القرب، و هذا أشرف من تسخير السماوات بمراتب:

قال تعالى : ﴿ انّ المتّقين في جنّات و نهر* في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ [٥]

و بالجملة انه خليفة الله فله الحكم على ماسواه تعالى، و له أن يعلم ماسواه تـقدّس و جلّ.

قال تعالى : ﴿ و اذ قال ربّك للملائكة انّى جاعل في الارض خليفة.. . و علّم ادم الاسماء كلّها ﴾ [٦]

فمن هذه الجهة لا قيمة لا الا الجنّة بل لاثمن له إلّا الله تعالى.

قال الله تعالى : ﴿ و سارعوا إلى مغفرة من ربّكم و جنّة عرضها السّموات و الارض اعدّت للمتّقين ﴾ [٧]

---

١ ـ الاحزاب / ٧٢ — ٢ ـ ابراهيم / ٣٤ — ٣ ـ الحجر / ٣١ ـ ٢٨

٤ ـ لقمان / ٢٠ — ٥ ـ القمر / ٥٥ ـ ٥٤ — ٦ ـ البقره / ٣١ ـ ٣٠

٧ ـ آل عمران / ١٣٣

و قال تعالى : ﴿ يا ايّتها النّفس المطمئنّة* ارجعى إلى ربّك ﴾[١]

فبعد ذلك لابد لهذا الإنسان ان يخرج من بالوعة الدنيا الدنيّة و لايمكن له هذا إلّا بالفرار عن رذيلة مركّب النقص ليطير في فضاءٍ أوسع و أرفع مما تدعو إليه نفسه.

و الا فيحبس في قعر سجن الدنيا فيكون منتهى سيره في حياته اسفل السافلين.

قال تعالى : ﴿ لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم* ثمّ رددناه اسفل سافلين ﴾[٢]

فحينئذٍ لاقيمة له، حيث لا قدر له أصلاً.

قال تعالى : ﴿ انّكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنّم ﴾[٣]

و قال اميرالمؤمنين عليه السلام : من كانت همّته ما يدخل بطنه كانت قيمته ما يخرج منه[٤]

فهو حينئذٍ لا يعلم شيئاً.

قال الله تعالى : ﴿ صمّ بكم عمى فهم لا يعقلون ﴾[٥]

فسجود الملائكة حينئذٍ يكون عابد الهوى و الشيطان، يعبد أصنام من دون الله.

قال تعالى : ﴿ افرايت من اتّخذ الهه هويه ﴾[٦]

و قال تعالى : ﴿ الم اعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان ﴾[٧]

فهذا الإنسان يكون عندالله اضل من الحيوان فيصوّرون بما عملوا به بصور الحيوانات، بل صور اقبح منها.

قال تعالى : ﴿ يأكلون كما تأكل الانعام ﴾[٨]

و قال تعالى : ﴿ اولئك كالانعام بل هم اضلّ ﴾[٩]

---

١ ـ الفجر / ٢٨ ـ ٢٧   ٢ ـ التين / ٥ ـ ٤   ٣ ـ الانبياء / ٩٨

٤ ـ غرر الحكم طبع موسسة الاعلمى، ج ٢، ص ٢١٧، ح ١١٧٦

٥ ـ البقرة / ١٧١   ٦ ـ الجاثية / ٢٣   ٧ ـ يس / ٦٠

٨ ـ محمّد / ١٢   ٩ ـ الاعراف / ١٧٩

روايات في مركّب النقص

* عن أبی عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله عزّوجلّ فوّض إلى المؤمن اموره كلها و لم يفوض إليه أن يكون ذليلاأما تسمع قول الله عزّوجلّ يقول: ﴿ولله العزّة و لرسوله و للمؤمنين﴾ فالمؤمن يكون عزيزاً و لا يكون ذليلاً ثمّ قال: انّ المؤمن أعزّ من الجبل إنّ الجبل يستقلّ منه بالمعاول و المؤمن لا يستقلّ من دينه شيء.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام: إنّ الله عزّوجلّ فوّض إلى المؤمن اموره كلها و لم يفوض إليه أن يذلّ نفسه ألم تسمع لقول الله عزّوجلّ: ﴿ولله العزّة و لرسوله و للمؤمنين﴾ فالمؤمن ينبغی ان يكون عزيزاً و لا يكون ذليلاً، يعزّه بالايمان و الاسلام[2]

* قال الحسين عليه السلام: موت في عزّ خير من حياة في ذلّ.[3]

* عن علی بن الحسين عليه السلام: ما احبّ أنّ لي بذلّ نفسی حمر النعم ...[4]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: في كتابه لابنه الحسن عليه السلام: ... و اكرم نفسك عن كلّ دنيّة و ان ساقتك إلى الرّغائب فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا و لا تكن عبد غيرك و

---

١ ـ الكافی، ج ٥، ص ٦٣، باب كراهة التعرض لما لايطيق، ح ١

٢ ـ الكافی، ج ٥، ص ٦٣، باب كراهة التعرض لما لايطيق، ح ٢

٣ ـ بحارالانوار، ج ٤٤، باب ٢٦، ذيل ح ٤

٤ ـ الكافی، ج ٢، ص ١٠٩، باب كظم الغيظ، ح ١

قد جعلك الله حرّاً و ما خيرٌ خير لاينال الا بشرٍ و يسر لا ينال الا بعسر.[١]

* عن اميرالمؤمنين عليه‌السلام :

من كرمت عليه نفسه لم يهنها بالمعصية[٢]

عود نفسك فعل المكارم و تحمل أعباء المغارم تشرف نفسك و تعمر آخرتك و يكثر حامدوك [٣]

من قلّ ذلّ[٤]

الا انه ليس لانفسكم ثمن إلّا الجنه و لا تبيعوها إلّا بها[٥]

انّ من باع نفسه بغير الجنّة فقد عظمت عليه المحنة[٦]

ليس (لبأس) المتجر ان ترى الدنيا لنفسك ثمناً و ممّا لك عندالله عوضاً[٧]

من باع نفسه بغير نعيم الجنّة فقد ظلمها[٨]

افضل الحكمة معرفة الإنسان نفسه و وقوفه عند قدره[٩]

نال الفوز الاكبر من ظفر بمعرفة النفس[١٠]

من اساء إلى نفسه لم يتوقع منه جميل[١١]

من عرف قدر نفسه لم يهنها بالفانيات[١٢]

من عرف شرف معناه صانه عن دناءة شهوته و زور مناه[١٣]

كفى بالمرء جهلاً ان يجهل نفسه[١٤]

١ـ نهج البلاغة صبحى الصالح كتاب ٣١ | ٢ـ غررالحكم ح / ٤٦١٠

٣ـ ح / ٤٦١٨ | ٤ـ ح / ٤٦١٩ | ٥ـ ح / ٤٦٢٣

٦ـ ح / ٤٦٢٤ | ٧ـ ح / ٤٦٢٥ | ٨ـ ح / ٤٦٢٨

٩ـ ح / ٤٦٣٢ | ١٠ـ ح / ٤٦٤١ | ١١ـ ح / ٤٦٥٢

١٢ـ ح / ٤٦٥٣ | ١٣ـ ح / ٤٦٥٥ | ١٤ـ ح / ٤٦٦١

من لم يعرف نفسه بعد عن سبيل النجاة و خبط في الضلال و الجهالات[١]

لا تجهل نفسك فانّ الجاهل معرفة نفسه جاهل بكل شى[٢]

من جهل قدره جهل كلّ قدره[٣]

ما هلك من عرف قدره[٤]

لا تفعل ما يضع قدرك[٥]

١ـ ح / ٤٦٦٤ ٢ـ ح / ٤٦٦٥ ٣ـ ح / ٤٦٧٤

٤ـ ح / ٤٦٧٦ ٥ـ ح / ٤٦٧٩

الفصل الرابع عشر

الفضيلة الرابعة عشرة: الرّحمة و الرّأفة
الفضيلة الخامسة عشرة: شرح الصدر
الرّذيلة السادسة عشرة: القسوة

الفضيلة الرّابعةعشرة: الرّحمة و الرّأفة

و هي صفة تنشأ منها الخيرات و البركات كلها، و ما من خير و احسان الا و منشأه هو الرحمة، فمن رحمة الله تعالى نشأ الوجود و لذا اشتهر ان الله تعالى تجلى باسمه الرحيم فخلق وسائط الفيض و الحقائق المحمّدية و العلوية و الفاطميّة و أبناءهم الطاهرين عليهم السلام ثم تجلى باسمه الرحمن فخلق الخلق كله من الازل إلى الابد بواسطة تلك الوسائط و بما قلنا اشار بقوله تعالى:

﴿و ما امرنا إلّا واحدة كلمح بالبصر﴾.[1]

و بقوله تعالى : **﴿و كذلك جعلناكم امّة وَسطاً لتكونوا شهداء على النّاس و يكون الرّسول عليكم شهيداً﴾**.[2]

و قد ورد ان الرحمن اسم خاص لله تعالى و لكن معناه عام و الرحيم اسم عام و يمكن ان يطلق على غيره تعالى و لكن معناه خاص فيختص بعباده الصالحين.

و من مصاديق تلك الرواية ما قلنا من ان الله تعالى خلق محمّداً و آله الطاهرين «صلوات الله عليهم اجمعين» باسمه الرحيم و خلق ما سوى الله و سواهم باسمه الرحمن.

---

١ ـ القمر / ٥٠

٢ ـ البقرة / ١٤٣

و بما انّ اجود الصفات و اعلاها هي الرحمة فاجود اسماءه تعالى هو الرحمن و الرحيم فلذا وردا في الآية الشريفة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الّتي هي أُمّ آيات الكتاب الكريم و لذا ورد في مبتدأ جميع سور القرآن، و قد ورد انها اكرم الآيات[١] و خلاصة القرآن الشريف. هذا كلّه في الرحمة الحقة الحقيقية الذاتية.

و اما الرحمة في عبادالله تعالى و هي ظلّ رحمته تعالى، فهى من اعظم النعم، لانها نواة بل بلٌّ من بحر تلك الرحمة الحقة الحقيقية الذاتية الّتي هي بحر الرحمة و تتشابه تلك الرحمة كمال التشابه، فما من فضيلة في الإنسان الا انها صبغت بصبغ الرحمة و ما من فعل خير أو قول حسن الا وينشأ منها، فهى في الإنسان أيضاً معدن الفضائل و الخيرات و البركات.

و كلّ من كان أقرب إليه تعالى يكون اتصافه بتلك الصفة اشد لانها نور يقذفه الله في قلب عبادهالصالحين

قال الله تعالى ﴿ محمّد رسول الله و الذين معه اشدّاء على الكفّار رحماءُ بينهم ﴾[٢]

و قال الله تعالى : ﴿ لعلّك باخع نفسك إلّا يكونوا مؤمنين ﴾[٣]

و قد روى عن اميرالمؤمنين عليه السلام :الله رحيم بعباده و من رحمته انه خلق مائة رحمة جعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم، فبها يتراحم الناس و ترحم الوالدة ولدها و تحنن الامهات من الحيوانات على اولادهافاذا كان يوم القيامة اضاف هذه الرحمة الواحدة إلى تسع و تسعين رحمة، فيرحم بها امّة محمّد صلى الله عليه و آله و سلم ثم يشفعهم فيمن يحبون.. .. و لا يزال يشفع حتّى يشفع في جيرانه و خلطائه و معارفه، فان المؤمن اكرم على الله مما تظنون[٤]

و في روايات كثيرة ان اهل البيت هم بيت الرّحمة كما انهم معدن العلم[٥].

---

١ بحار الانوار، ج ٨٢، ص ٢٠، ح ١٠

٢ ـ الفتح / ٢٩

٣ ـ الشعراء / ٣

٤ ـ بحار الانوار، ج ٨، ص ٤٤، باب ٢١، ح ٤٤

٥ ـ الكافي، ج ١، ص٢٢١، باب ان الائمة معدن العلم و...

فهو نظير المطر الّذي هو الرحمة و لكن قد يتبعه مضارّ كتخريب مسكن نمل أو بيت عجوز.

فتحصل من جميع ما ذكرنا ان الرحمة من المقولات المشكّكة، كغيرها من الفضائل و لها مراتب بحسب الضعف و الشدة، فكل من هو أقرب من معدنها يكون نيله منها ازيد حتّى يصير عين الرحمة فتُطلق عليه، كما قد أطلقت الرحمة على أهل بيت الطهارة عليهم السلام، و قد روى العلامة المجلسي رحمه الله ازيد من عشر روايات في باب واحد مضافاً إلى ما رواه في أبواب مختلفة من انهم رحمة الله تعالى في القرآن،[1] فترى بعض الناس لا قسط له منها إلّا ما يناله بالنسبة إلى اولاده، أو نفسه، و قسط بعضهم في أقربانه فقط، و هكذا حتّى تجد من له قسط وافرٌ منها بحيث يشمل رحمتة أعداءه ايضاً، فلا همّ له و لا غمّ أعظم من أن يرى عدوّه في المحن و الضلالات.

قال الله تعالى : لقد جائكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم﴾.[2]

و ممّا يُحكى عن سيرته الشريفة ان قومه رموه بالاحجار حتّى سال الدم عن ساقيه، ففر إلى البراري و الجبال، فدعى لهم لا عليهم و قال: «اللهم اهد قومی فانهم لا يعلمون». هذا هو التخلق باخلاق الله تعالى.

فالقرآن الكريم تارةً يدلّ على انّ المحن و المشقّات ليست إلّا لتنبيه الناس و توجّهم نحو ما خُلقوا له:

قال الله تعالى : ﴿ظهر الفساد في البرّ و البحر بما كسبت ايدى النّاس ليذيقهم بعض الّذي عملوا لعلّهم يرجعون﴾.[3]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٣٥، ص ٤٢٣، باب ٢٢

٢ ـ التوبة / ١٢٨

٣ ـ الروم / ٤١

و نظيرها في القرآن كثير.

و أخرى يدلّ على انّ المحن ليست إلّا توطئةً للمصالح الضروريّة:

قال تعالى : ﴿و قاتلوهم حتّى لا تكون فتنة و يكون الدّين لله﴾.[1]

و نظيرها أيضاً كثير.

و ثالثة يدلّ على توقّف حيوة المجتمع و قوام الحرث و النسل و بقاء عبوديّته تعالى على تلك المحن:

قال تعالى : ﴿و لكم في القصاص حيوٰة يا اولى الالباب﴾.[2]

و قال تعالى : ﴿و لو لا دفع الله النّاس بعضهم ببعض لفسدت الارض و لكنّ الله ذو فضل على العالمين﴾.[3]

و قال تعالى : ﴿و لو لا دفع الله النّاس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع و بيع و صلوات و مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾.[4]

و نظير الآيات أيضاً كثير.

و من مطاوى ما ذكرنا ظهر ان الرحمة نور الهى، و نعمة عظمى يهديها من يشاء، و لا ينالها الا عباد الله الصالحين، فاهل التقوى هم اهل الرحمة فحسب، و ما يترائى من التراحم و التواصل بين بعض الظالمين و الاراذل و الفاسقين فهو ﴿كسراب بقيعة يحسبه الظّمان ماءً﴾[5] و ينشأ من الشهوات و الاغراض الفاسدة، لا من ملكة الرحمة، و اقوى الدليل على ذلك، انه إذا زالت تلك الشهوة، و ذلك الغرض الدنيوى، زال ذلك التراحم و التواصل، بل يتبدل بالغلظة و الشدة، فهو اشبه شيء بالعشق المجازى، الّذي يكون ظاهره من المحبة، بل الظاهر انه من مراتب الحبّ العليا، و لكن حقيقته ليست الا الشهوة الجنسية، و تلك

---

١ ـ البقرة / ١٩٣ ٢ ـ البقرة / ١٧٩ ٣ ـ البقرة / ٢٥١

٤ ـ الحج / ٤٠ ٥ ـ النور / ٣٩

الاعمال و الاقوال من العاشق لا تنشأ الا من تلك الشهوة، فربما يشتبه ذلك على العاشق فضلاً عن المعشوق و غيرهما، و يحسبون انّ العاشق يجول في فضاء الحبّ الواسع مع انه قد يكون مجنوناً في أعلى مراتبها جنوناً نشأ من الغريزة الجنسية، و الدليل على ذلك أنّه إذا فاز بما يرامه من الجنس، زال ذلك العشق، بل ربما تبدل بالنفرة الشديدة.

هذا قطرة من بحر ذلك المرض السوداوى، و ما يرتبط به و ارجو من الله ان يتيح لنا الفرصة كى نبحث عنه على ما يليق به من التفصيل، بمنّه و عونه.

و نتذكر هنا امراً هامّاً و ان كان محله في الاخلاقيات، و نرجو من الله ان يوفقنا لإفراد كتاب في ذلك.

و هو ان ملكة الرحمة توجب قضاء حوائج الناس، و اعانتهم، و رفع كرباتهم، و ادخال السرور عليهم، و اطعامهم، و الخدمة لهم، و اصلاح امورهم، و لااقل من نصحهم و ارشادهم و الدعاء لهم، و تلك الأمور من افضل العبادات، بل لا عبادة في الاسلام افضل منها، و قد رغب اهل البيت الناس اليها غاية الترغيب و قدوردت فيها عنهم آلاف روايات، و روى ثقة الاسلام الكليني ﵀ في الكافي شطراً منها يزيد على الف رواية فراجع الكافى، و لا تكن مراجعاً فحسب، بل استضىء من تلك الانوار و اعمل بها، فلك حينئذٍ خير الدنيا والآخرة.

و نحن نذكرهنا بعض تلك الروايات تذكراً و تنبهاً و ذخراً للقيامة.

الف : في روايات كثيرة ورد قوله ﵇ أو ما هو بمعناه: ما عبدالله بشيءٍ احب إلى الله من ادخال السرور على المؤمن، أو قوله ﵇ ان احب الاعمال إلى الله عزّوجلّ ادخال السرور على المؤمنين[١]

ب : في روايات كثيرة ورد قضاء حاجة المؤمن افضل من انفاق في سبيل الله أو عتق

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٨٨، باب ادخال السرور على المؤمنين، ح ٢ و ٤

رقبات اوطواف، بل حج بل عشرين حجة أو انه دليله يوم القيامة حتّى يدخله الجنة أو تجب به الجنة له.[١]

ج : في روايات كثيرة : من فرج كرب المؤمنين، فرج الله كربه في الدنيا و الاخرة.[٢]

د : في روايات كثيرة : انه من اخرج نفساً عن ضلال إلى الهدى فكانما احيى الناس جميعاً كما ان من اخرجها عن هدى إلى ضلال، فكانما قتل الناس جميعا، و فسّر في تلك الروايات قوله تعالى ﴿ من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الارض فكأنّما قتل النّاس جميعاً، و من احياها فكأنّما احيا النّاس جميعاً ﴾[٣] بذلك[٤].

ه : عن عبدالله بن جندب عن موسى بن جعفر عليه السلام في رواية:ان من دعا لأخيه بظهر الغيب نودى من العرش و لك مائة ألف ضعف.[٥]

و في الختام نشير إلى أنّ هذه الملكة و ان كانت مودعةً في جميع الناس بل و في الحيوانات و لكنها للسائرين و السالكين نحو جنابه الأقدس الأعلى ألزم من كلّ شيءٍ، فعليهم أن يجعلوا هممهم نحو احياءها في أنفسهم، و هذا ممّا يُستفاد من الوحى الكريم.

قال الله تعالى : ﴿ الله نزّل احسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم ثمّ تلين جلودهم و قلوبهم إلى ذكر الله، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء و من يضلل الله فما له من هاد ﴾[٦]

فيظهر من الآية الشريفة ان العناية الخاصّة الالهيّة للاهتداء إلى حقيقة القرآن و

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٩٢، باب قضاء حاجة المؤمن

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٩٩، باب تفريج كرب المؤمن

٣ ـ المائدة / ٣٢

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ٢١٠، باب في احياء المؤمن.

٥ ـ الكافى، ج ٢، ص ٥٠٨، باب الدعاء للاخوان بظهر الغيب، ح ٦

٦ ـ الزمر / ٢٣

التدرج إلى الدرجات الاعلى فالاعلى تحتاج إلى رحمة القلب و رقّته، نعم تحصيل تلك الرقة و الرحمة يتوقف على الخشية كما مر الكلام في ان هذه الملكة لا تحصل الا للمقربين.

و بالجملة ان الآية الشريفة تدل على ان من لا يرحم لا يرحم و ان من لا رحمة له لا يمكن ان يشمله العنايات الالهيّة و كذلك للقرآن الكريم دلالة واضحة على انّ هذه الملكة و ان كانت حسنةً لكلّ أحدٍ ولكنها لقائدى أمور الناس أحسن، فعليهم أن يتزيّنوا بها.

قال تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم و لو كنت فظّا غليظ القلب لا نفضّوا من حولك فاعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم في الامر، فاذا عزمت فتوكّل على الله، انّ الله يحبّ المتوكّلين ﴾[1]

فكانّ القرآن يترتب على ملكة الرحمة و الرأفة أموراً منها اللينة في الكلام و الرقة في القلب و العفو عن الذنوب و طلب الغفران للناس و حفظ حرمتهم و الاهتمام بآرائهم، و بعبارةٍ أخرى كما انه لابد من ان يكون رئيس القوم ذا شخصيةٍ و عزم و ارادة، فلا بدّ له أيضاً من الاهتمام بآراء القوم و حفظ حرماتهم.

و بالجملة انه يجب على رئيس القوم سيما رئيس البيت اللينة في الكلام و الرقة في القلب و العفو و الغفران في العمل و المشاورة في الرأى، و ترك الاستبداد في الامور، و كلّ ذلك من لوازم ملكة الرحمة و الرأفة.

تنبيهان:

الأوّل : ان كلمتى الرحمة و الرأفة و ان كانتا مترادفتين و يستعمل كلّ في مورد الآخر الا ان بينهما فرقاً ايضاً، و هو ان الرحمة تستعمل غالباً في اعطاء النعم، و الرأفة تستعمل غالباً في دفع النقم، فالله تعالى يوصف بالرحمانيّة و الرحيميّتة لان الخيرات كلها تنشأ منه، و الله تعالى رؤف لانه يدفع البلاء و الشرور و هو الحفيظ.

---

١ ـ آل عمران / ١٥٩

فمن هذه الجهة قد ورد ما يدلّ على ان من توسل إلى الله بهاتين الكلمتين و كررّهما ـ و في رواية مأة مرّة ـ يرفع الله عنه الشدّة.

و هذا الختم لرفع الشدائد، عند اهل القلوب مشهور، و لعلّ السر في ذلك ان رفع الهم و الغم من الإنسان نعمة ايضاً. فينبغى ان يقول العبد عند الشدائد يا رؤف يا رحيم مأة مرّة، و يستيقن الاجابة سيما للهموم و الغموم المعنوية.

الثانى : ان كلمة الرحمن و كلمة الرحيم و ان كانتا من اسماء العُلى و اشتقّتا من صفة الرحمة فهما مترادفتان، الا انهما افترقتا، سيما إذا اجتمعتا ـ كما اشرنا في اوّل البحث ـ

و يراد من الرحمن الرحمة العامة للناس كلهم من الكافر و المؤمن و الفاسق و الصالح بل للأشياء كلها من الجواهر و الاعراض بل لعالم الوجود كلها، فلذا اشتهر ان كلمة «كُن» الوجودية ـ ﴿إذا أراد الله شيئاً ان يقول له كن فيكون﴾ ـ هي كلمة الرحمن، و قد مر في صدر البحث تقريب ذلك.

و يراد من الرحيم الرحمة الخاصة لعباده الصالحين، و بعبارةٍ اوفى، يراد منه العناية الخاصة بهم و بهذا المعنى ورد قوله تعالى في نعت رسوله الاكرم الّذي كان مظهر الرحمن و الرحيم معاً:

﴿لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم﴾.[1]

فهو مظهر الرحمن لكل من المؤمن و الكافر و مظهر الرحيم للمؤمنين فقط.

و مما ذكرنا يظهر ان الله تعالى رحمن في الدنيا و الآخرة بالنسبة إلى المؤمن و الكافر و رحيم في الدنيا و الآخرة بالنسبة إلى المؤمن فقط، فما يترائى من بعض الكلمات من تفسير الرحمن، بان الله يرحم في الدنيا بالنسبة إلى المؤمن و الكافر و في تفسير الرحيم بان الله

---

١ ـ التوبة / ١٢٨

يرحم في الآخرة بالنسبة إلى المؤمن قطّ فليس بتام من جهات أشرنا إلى ما هو المهمّ منها.

روايات في الرّحمة و الرّأفة

* عن حنان بن سدير، عن أبيه قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّي لألق الرجل لم أره و لم يرني فيما مضى قبل يومه ذلك فاحبّه حبّاً شديداً فاذا كلّمته و جدته لي مثل ما أنا عليه له، و يخبرني أنّه يجد لي مثل الّذي أجدله، فقال: صدقت يا سدير إنّ ائتلاف قلوب الأبرار إذا التقوا و إن لم يظهروا التودّد بألسنتهم كسرعة اختلاط قطر السماء على مياه الأنهار، و إنّ بُعد ائتلاف قلوب الفجّار إذا التقوا و إن أظهروا التودّد بألسنتهم كبعد البهائم من التعاطف و إن طال اعتلافها على مذود واحد.(١)

* قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: خياركم أحسنكم أخلاقاً الّذين يألفون و يؤلفون.(٢)

* قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: أقربكم منّي غداً في الموقف أصدقكم للحديث، و اداكم للامانة، و أوفاكم بالعهد، و أحسنكم خلقاً، و أقربكم من الناس.(٣)

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: طوبى لمن يألف النّاس و يألفونه على طاعة الله.(٤)

* عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: المؤمن غرّ كريم، و الفاجر

---

١ ـ بحارالانوار، ج ٧١، ص ٢٨٨، باب ١٩، ح ١

٢ ـ بحارالانوار، ج ٧٤، ص ١٥٠، باب ٧، ح ١

٣ ـ بحارالانوار، ج ٧٤، ص ١٥١، باب ٧، ح ١

٤ ـ بحارالانوار، ج ٧٥، ص ٥٦، باب ١٦، ح ١١٢

خبّ لئيم و خير المؤمنين من كان مألفة للمومنين، و لا خير فيمن لا يؤلف و لا يألف. قال: و سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: شرار الناس من يبغض المؤمنين و تبغضه قلوبهم، المشّاؤن بالنميمة، و المفرّقون بين الأحبّة، الباغون للبراء العيب، اولئك لا ينظر الله إليهم يوم القيامة و لا يزكّيهم، ثمّ تلا صلى الله عليه و آله و سلم ﴿هو الّذي أيّدك بنصره و بالمؤمنين و ألّف بين قلوبهم﴾ (١)

* قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في خبر المعراج: ثم رأيت ملكاً من الملائكة جعل الله أمره عجيباً، نصف جسده النار و النصف الآخر ثلج، فلا النار تذيب الثلج و لا الثلج يطفئ النار، و هو ينادى بصوت رفيع و يقول: سبحان الّذي كفّ حرّ هذه النار فلا تذيب الثلج، و كفّ برد هذا الثلج فلا يطفئ حر هذه النار، اللّهمّ يا مؤلّف بين الثلج و النار ألّف بين قلوب عبادك المؤمنين. (٢)

* عن أبي جعفر عليه السلام في رواية: رحم الله امرءاً ألّف بين وليّين لنا، يا معشر المؤمنين تألّفوا و تعاطفوا. (٣)

* عن نصر بن قابوس قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: إذا احببت احداً من اخوانك فأعلمه ذلك فإنّ إبراهيم عليه السلام قال: ﴿ ربّ ارنى كيف تحيى الموتى قال: أو لم تؤمن ؟ قال: بلى و لكن ليطمئنّ قلبى﴾ (٤)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا احببت رجلاً فاخبره بذلك فانه اثبت للمودّة بينكما. (٥)

---

١ ـ بحارالانوار، ج٧٢، ص٢٦٥، باب ٦٧، ح٩

٢ ـ بحار الانوار، ج ٥٦، ص ١٧٢، باب ٢٣، ذيل ح ٢

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٤٥، باب الهجرة، ذيل ح ٦

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ٦٤٤، باب اخبار الرجل أخاه بحبه، ح ١

٥ ـ الكافى، ج ٢، ص ٦٤٤، باب اخبار الرجل اخاه بحبه، ح ٢

* عن شعيب العقرقوفي قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول لأصحابه: اتّقوا الله و كونوا اخوة بررة متحابّين في الله، متواصلين، متراحمين، تزاوروا و تلاقوا و تذاكروا امرنا و احيوه.[١]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: تواصلوا و تبارّوا و تراحموا وكونوا اخوة بررة كما امركم الله عزّ وجلّ.[٢]

* قال أبوعبدالله عليه السلام: تواصلوا و تبارّوا و تراحموا و تعاطفوا.[٣]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يحقّ على المسلمين الاجتهاد في التّواصل، و التّعاون على التّعاطف، و المواساة لأهل الحاجة، و تعاطف بعضهم على بعض حتّى تكونوا كما امركم الله عزّوجلّ: ﴿رحماء بينهم﴾ متراحمين، مغتمّين لما غاب عنكم من امرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم.[٤]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من زار اخاه لله لا لغيره، التماس موعد الله و تنجّز ما عندالله، وكّل الله به سبعين الف ملك ينادونه الا طبت و طابت لك الجنّة.[٥]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من زار اخاه في الله قال الله عزّوجلّ: ﴿إيّاى زرت و ثوابك عليّ، و لست ارضى لك ثواباً دون الجنّة﴾.[٦]

* عن خيثمة قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام اودّعه فقال: يا خيثمة ابلغ من ترى من موالينا السّلام و اوصهم بتقوى الله العظيم و ان يعود غنيّهم على فقيرهم و قوّيهم على

---

١ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٧٥، باب التراحم و التعاطف، ح ١
٢ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٧٥، باب التراحم و التعاطف، ح ٢
٣ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٧٥، باب التراحم و التعاطف، ح ٣
٤ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٧٥، باب التراحم و التعاطف، ح ٤
٥ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٧٥، باب زيارة الاخوان، ح ١
٦ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٧٥، باب زيارة الاخوان، ح ٤

ضعيفهم و ان يشهد حيّهم جنازة ميتهم و ان يتلاقوا في بيوتهم، فانّ لقيا بعضهم بعضاً حياة لأمرنا، رحم الله عبداً احيا امرنا. يا خيثمة ابلغ موالينا انّا لا نغنى عنهم من الله شيئاً إلّا بعمل و انّهم لن ينالوا ولايتنا إلّا بالورع و انّ اشدّ النّاس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره.[۱]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: انّ لله عزّوجلّ جنّة لايدخلها إلّا ثلاثة: رجل حكم على نفسه بالحقّ، و رجل زار اخاه المؤمن في الله، و رجل آثر اخاه المؤمن في الله.[۲]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: رحمة الضّعفاء تستنزل الرّحمة.[۳]

* عن اميرالمؤمنين عليه السلام في غرر الحكم:

عجبت لمن يرجو رحمة من فوقه كيف لا يرحم من دونه.[٤]

من لم يرحم لم يرحم.[٥]

من لم يرحم النّاس منعه الله رحمته.[٦]

من الكرام تكون الرّحمة.[۷]

اولى النّاس بالرّحمة المحتاج إليها.[۸]

۱ـ الكافى، ج ۲، ص ۱۷۵، باب زيارة الاخوان، ح ۲

۲ـ الكافى، ج ۲، ص ۱۷۸، باب زيارة الاخوان، ح ۱۱

۳ـ تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى قم المقدّسة، ص ٤٤۹، ح ۱۰۳۳۳

٤ـ نصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى قم المقدّسة، ص ٤٤۹، الفصل الثانى عشر، ح ۱۰۳۳٤

٥ـ تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى قم المقدّسة، ص ٤٤۹، الفصل الثانى عشر، ح ۱۰۳۳٥

٦ـ تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى قم المقدّسة، ص ٤٤۹، ح ۱۰۳۳٦

۷ـ تتصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى قم المقدّسة، ص ٤٤۹، الفصل الثانى عشر، ح ۱۰۳٤۰

۸ـ تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامى قم المقدّسة، ص ٤٤۹، الفصل الثانى عشر، ح ۱۰۳٤۲

أبلغ ما تستدرُّ بهِ الرّحمة أن تضمر لجميع النّاس الرّحمة.[(١)]

❊ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامة، ارحم من في الارض يرحمك من في السّماء.[(٢)]

❊ قال اميرالمؤمنين عليه السلام في الغرر : ارحم من دونك، يرحمك من فوقك و قس سهوه بسهوك و معصيته لك بمعصيتك لرّبك و فقره إلى رحمتك بفقرك إلى رحمة ربّك.[(٣)]

---

١ ـ تصنيف غرر الحكم، طبع مكتب الاعلام الاسلامی قم المقدّسة، ص ٤٤٩، الفصل الثانی عشر، ح ١٠٣٤٤

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٤، ص ١٦٩، باب ٧، ح ٤

٣ ـ ميزان الحكمة، المجلد الرابع، ص ٦٨، نقلاً عن غرر

الفضيلة الخامسة عشرة: شرح الصَّدر

و هي ملكة يقتدر بها على تحمل عظام الامور، كالنبوة للانبياء و الولاية للاوصياء اللّتيا هما أعظما ما يُتحمّل و التبليغ للعلماء و الرياسة للرؤساء

و يقتدر بها على تحمل المشاكل بعد عدم امكان حلّها و الخلاص منها، و بعبارةٍ أخرى يقتدر بها على حلّ المشاكل، فلو كانت راسخة غير قابلةٍ للانحلال، فيقتدر بها على تحمّلها.

و هي ملكة يصير بها صاحبها عظيم الهمّة قوى الإرادة كثير النشاط فكانه في الحيواة لا يمسّ معنى الهم و الغم و الاضطراب فلا ييأس على مافاته و لا يفرح بما آتاه و ان شئت قلت انها ملكة تفيد صاحبها صدراًكالبحر لا يتلاطم بما يصيبه. فكما ان البحر يقتدر على هضم كلّ ما يقع فيه و لا يلوّن بلونه و لا يتلوث به، بل يلون كلّ شيء بلون نفسه و يطهر كلّ ملوّث، بل يستحيله فيه، فكذلك من شرح الله صدره، يقتدر بهمّته العليا على تسخير قلل الجبال الشاهقات لينال المقصود من غير أن يغلب عليه التوانى أو يمنعه مانع أو لومة لائم، فلذلك ان سيّدنا موسى بن عمران عليه السلام إذا اُمِر بالرسالة و الذهاب إلى فرعون ما سأل من الله تعالى عِدّة و لا عُدّة بل ﴿قال ربّ اشرح لي صدري * و يسّر لي امري * و احلل

عقدة من لساني يفقهوا قولي ﴾[١].

و الآية الشريفة يستفاد منها بوضوحٍ تامٍّ أنّ شرح الصدر يوجب يسر الأمور و حل المشاكل و تحملها و قوة الإرادة، و السلطة على النفس، فيقتدر على التكلم أى المواجهة مع غيره و مخاطبتها من غير عقدة و لكنة، و على تفهيم المراد من غير اضطراب.

كما يفهم من الآية الشريفة أنّه ليس شيء اعلى و ألزم لمن بيده الحكم من شرح الصدر، فلذا نقل عن اميرالمؤمنين عليه‌السلام انه قال: الة الرياسة سعة الصدر[٢]، لان الله تعالى في تلك السورة تسلياً على رسوله و ان شئت قلت منة عليه قال **﴿ الم نشرح لك صدرك ﴾**[٣] مع أنّه تعالى أنعم عليه بنعم جسام، فذكر هذه النعمة يدلّ على فضله عليها كلّها كما ان قوله **﴿و وضعنا عنك وزرك * الذي نقض ظهرك * و رفعنا لك ذكرك * فانّ مع العسر يسراً * انّ مع العسر يسراً ﴾**[٤] يفيد ما يحصل منه، كرفع المشاكل و الاقتدار على حلّها أو تحمّلها، كما أنّه يوجب النيل بالمقصود، و يُسرّ كلّ عسيرٍ، فيمكن لصاحبها أن يتدرّج خطوةً خطوةً نحو المقصود، و هذا مراد قوله تعالى **﴿ فاذا فرغت فانصب ﴾**[٥]

كما ان الاشتغال بالتنحّى نحو المقصود، لا يشغله عن ذكر الله تعالى، بل به الّذي مصداقه الاكمل هو الصلوة **﴿ و استعينوا بالصّبرو الصّلوة ﴾**[٦] يستعين في السير نحو الغاية، و لعل هذا مراد قوله تعالى **﴿ و إلى ربّك فارغب ﴾**[٧]

وبالجملة ان المشاكل و الغايات العظام و طلب الوصول اليها والنيل بها لاتمنعه عن النيل بما هو اعلى منها و هو الرغبة إلى اللّه و الوصول إلى رضوانه تعالى.

و يجب علينا الآن أن ننبّه على نكتةٍ هامّةٍ توضح شرف هذه الفضيلة و علوّها و هو

---

١ ـ طه / ٢٨ ـ ٢٥ ٢ نهج البلاغة /قصار الحكم ١٧٦
٣ ـ الانشراح / ١ ٤ ـ الانشراح / ٦ ـ ٢ ٥ ـ الانشراح / ٧
٦ ـ البقرة / ٤٥ ٧ ـ الانشراح / ٨

كون هذه الفضيلة أمّ الفضائل بالنسبة إلى كثير من الفضائل الأخر، كالعفو و الصفح و الصبر و الحلم و السخاء و الشجاعة و التواضع و الرحمة و نحوها الّتي هي تتوقّف على سعة الصدر، فتلك الفضائل هي البناء و شرح الصدر هو المبنى، و تلك الفضائل هي الزرع و شرح الصدر هو الحرث، فكما لا يمكن البناء بلا مبنى، و الزرع بلاحرث فكذلك لا يمكن تحصيل الفضائل بلا شرح الصدر، فبالرياضات الدينيّة و الدعاء و التوسل بالأنوار المطهّرة يُزيّن بتلك الزينة، ثم بالرياضات الدينيّة و الدعاء و التوسل تزين بتلك الفضائل، فهو الاصل و تلك الفضائل هي الفرع، هذا يكفي لبيان شرف هذه الفضيلة و قيمتها. و يزيدها شرفاً و كرامةً ما يظهر من مصدر الوحى و أهل العصمة من أنّ شرح الصدر نور من انوار الله تعالى يؤتيه من يشاء من عباده، فصاحبه ينظر بنور الله و يمشى بنور الله و يتكلم بنور الله، و بعبارةٍ أخرى فهو يركب على نور الله و يهدى بهداية الله فيعرج إلى الله تعالى.

قال تعالى : ﴿ افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نورٍ من ربّه ﴾.[١]

و قال تعالى ﴿ فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ﴾.[٢]

و عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تفسير الأولى من هاتين الآيتين انه قال : ان النور إذا وقع في القلب انفسح له و انشرح قالوا : يا رسول الله فهل لذلك علامة يعرف بها ؟ قال : التجافي عن دار الغرور و الانابة إلى دار الخلود و الاستعداد للموت قبل نزوله.[٣]

فهذه شرافة و كرامة لهذه الملكة، نعمت ما هى.

و يظهر من نصّ الوحى و أقوال اهل العصمة، انّ لهذه الفضيلة كرامةً أخرى أعلى بمراتب ممّا أشرنا اليه، و هي أنّ المتّصف بها، يمكن له أن يقبل الحقّ من غير أن يعتريه شبهةٌ فيه، فهو يقبل الاسلام كله من الاصول و الفروع و يقول: كلّ من عندالله، فبالعقل يدرك

---

١ ـ الزمر / ٢٢ ٢ ـ الانعام / ١٢٥

٣ ـ تفسير الصافي في ذيل آية افمن شرح الله

الاصول و بالقلب يجدها و بالوجدان يسلم بما يلزم ان يتعبد به، ولا يجد في نفسه حرجا ممّا أمر به أو نهى عنه، ولا حرجاً بما اصابته من النوائب و المصائب.

فهو يتبع ابراهيم عليه السلام و ملّته[١]. فكما انه إذا قيل له اسلم، قال اسلمت لرب العالمين[٢] تشريعاً و تكويناً فكذلك انه إذا ورد عليه نائبة يقول:

﴿انّا لله و انّا إليه راجعون﴾.[٣]

و إذا رأى محكماً أو متشابهاً يقول كلّ من عند ربنا، من غير ان يتردّد فيها، لمكان معارضة ظاهرية يمكن أن تُرى بينهما في بادىء النظر، فترى أن ابراهيم عليه السلام اسكن من ذريته بواد غير ذى زرع[٤] لامر الله تعالى به، و صبر على المصائب الّتي نالها من نمرود و قومه صبرا جميلاً بل يمكن أن يصل المتّصف بها إلى المقام الّذي لا يرى النائبة نائبة، بل يرى انّها من الالطاف الخفيّة، كالمحكيّ عن زينب الكبرى عليها السلام في مجلس ابن زياد حيث تقول: ما رأيت الا جميلاً[٥]، و لا يرى الاوامر التعبّدية تعبّدية، بل يرى انها مذكية و آيات شرح الصدر و رواياته لو لم تدلّ على نكتةٍ فلا اقلّ من دلالتها على هذه اللطيفة.

قال الله تعالى : ﴿افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربّه، فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾.[٦]

و قال الله تعالى : ﴿ فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام و من يرد ان يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً كانّما يصّعّد في السّماء كذلك يجعل الله الرّجس على الّذين لا يؤمنون ﴾[٧]

و بالجملة ان شرح الصدر نور و من لم يجعل الله له نوراً فماله من نور بل هو في ظلمات

---

١ النساء/٤ — ٢ البقرة/١٣١ — ٣ـ البقرة / ١٥٦

٤ ابراهيم /٣٧ — ٥ بحار الانوار، ج ٤٥، ص ١١٦

٦ ـ الزمر / ٢٢ — ٧ ـ الانعام / ١٢٥

لا يقدر الخروج منها.

قال الله تعالى: ﴿ او من كان ميتاً فاحييناه و جعلنا له نوراً يمشى به في النّاس كمن مثله في الظّلمات ليس بخارج منها ﴾[1]

فهو في دهشة و وحشة و ظلمة بعد ظلمة، طيلة حياته، فليست هي إلّا موتاً تدريجياً فهو نسي نفسه فبعد ذلك لا يكون له الا رجساً من الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿ أو كظلمات في بحر لجّى يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا اخرج يده لم يكديريها و من لم يجعل الله له نوراً فماله من نور ﴾[2]

و قال الله تعالى: ﴿ و لا تكونوا كالّذين نسوا الله فانسيهم انفسهم ﴾[3]

و قال الله تعالى: ﴿ كذلك يجعل الله الرّجس على الّذين لا يؤمنون ﴾[4]

و لكن الّذي يكون اشد بلاءً و مصيبة له، هو عدم امكان اهتدائه، فهو يعيش من غير ان يخطو خطوةً نحو الاهتداء، لان الهداية يتوقف على ذلك النور.

قال الله تعالى: ﴿ يهدى الله لنوره من يشاء ﴾[5]

و قال الله تعالى: ﴿ و من لم يجعل الله له نوراً فماله من نور ﴾[6]

و قال الله تعالى: ﴿ افانت تسمع الصّمّ و لو كانوا لايعقلون ﴾[7]

و قال الله تعالى: ﴿ افأنت تسمع الصّم أو تهدى العمى و من كان في ضلال مبين ﴾[8]

و في الخاتمة نوصيك ثم نوصيك بالتخلق بهذه الفضيلة و لا يمكن لك

---

١ ـ الانعام / ١٢٢ ٢ ـ النور / ٤٠ ٣ ـ الحشر / ١٩

٤ ـ الانعام / ١٢٥ ٥ ـ النور / ٣٥ ٦ ـ النور / ٤٠

٧ ـ يونس / ٤٢ ٨ الزخرف ٤٠

التخلق بها الا بالرياضات الدينيّة، فعليك بالاهتمام بالواجبات، سيما الصلوات في اول اوقاتها، و النوافل منها سيما صلوة الليل و الاجتناب عن المحرمات سيما حق النّاس، و عليك بالتوبة و الانابة و الدعاء و التوسل، سيما في آخر الليل، و عليك بخدمة خلق الله تعالى و قضاء حوائجهم بالميسور، و المواسات بين نفسك و بينهم بل الايثار لهم سيما للاقارب، فارجو ان يرحمك الله و يعطيك من ذلك النور العظيم ما يصلح لك.

روايات في شرح الصّدر

❊ عن حفص بن غياث عن الصّادق عليه السلام قال: بينا موسى بن عمران يعظ اصحابه اذقام رجل فشقّ قميصه، فاوحى الله عزّوجلّ إليه: يا موسى قل له: لا تشقّ قميصك و لكن اشرح لي عن قلبك [1]

❊ روى انّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قرأ: افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربّه. فقال: انّ النور إذا وقع في القلب انفسح له و انشرح، قالوا: يا رسول الله فهل لذلك علامة يعرف بها؟ قال: التّجافي عن دار الغرور و الانابة إلى دار الخلود و الاستعداد للموت قبل نزول الموت. [2]

❊ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله عزّوجلّ إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور فأضاءلها سمعه و قلبه حتّى يكون أحرص على ما في أيديكم منكم و إذا أراد بعبد سوءاً نكت في قلبه نكتة سوداء، فأظلم لها سمعه و قلبه، ثم تلا هذه الآية ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام و من يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً كأنّما يصّعّد في السماء ﴾ [3][4]

❊ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله عزّوجلّ إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة

١ ـبحارالانوار، ج ١٣، ص ٣٥٢، باب ١١، ح ٤٥

٢ ـبحارالانوار، ج٧٠، ص ١٢٢، باب ١٢٢، ح١١٠

٣ ـ الانعام / ١٢٥

٤ ـالكافي، ج٢، ص ٢١٤، ح٦

بيضاء و فتح مسامع قلبه و وكّل به ملكا يسدده، و إذا أراد بعبد سوءاً نكت في قلبه نكتة سوداء و سدّ مسامع قلبه و وكّل به شيطاناً يضلّه.[١]

---

١ ـ الكافي، ج ٢، ص ٢١٤، ح ٧

الرذيلة السادسةعشرة: القسوة

و هي لغة الصلب و الغلظ، و اصطلاحاً تطلق على قلب غير رؤفٍ رحيم، و تطلق على ذلك القلب الفظّ و الغليظ.

قال الله تعالى: **﴿و لو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك﴾**[1].

و تطلق على صاحب ذلك القلب غليظ القلب و بالفارسية « تندخو » و « سنگ دل» و كذلك في الاصطلاح تطلق على قلب لايقبل الهداية و لا يخضع للحق، و لو قبله حيناً مّا لايكون إلّا بعسرٍ و حرجٍ شديد و يثقل عليه الخشوع و الخضوع له، فيقال لذلك القلب ضيّق الصدر. فكانّه ظرف لا يسع للهداية الالهيّة، و ما ينزل له من الحق بل كانّه سُدَّ بابه و لا ينفذ فيه شيء و يقال لصاحب ذلك القلب بالفارسية « تنگ نظر » و « سر سخت »

قال تعالى: **﴿ و من يرد ان يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً كانّما يصّعّد في السماء كذلك يجعل الله الرّجس على الّذين لا يؤمنون ﴾**[2]

فظهر ان القساوة ضد الرحمة و ضد شرح الصدر، فهى ملكة باعتبارها تفيد صلابة القلب و قساوته من غير أن تفيد ما يُنتفع به يقال لها القسوة و غلظة القلب، و لصاحبها

---

١ ـ آل عمران / ١٥٩ ٢ ـ الانعام / ١٢٥

قسى القلب و غليظ القلب و القاسي. و باعتبار ابائها عن قبول الحق و الخضوع له يقال لها ضيق الصدر و حرج الصدر و يطلق على صاحب تلك الملكة ضيق الصدر و حرج الصدر. فلو لم ترد مذمّة في هذه الملكة الا قوله تعالى: ﴿ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ﴾[١]

و قوله تعالى: ﴿و من يرد ان يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً كانّما يصّعّد في السّماء كذلك يجعل الله الرّجس على الّذين لا يؤمنون ﴾[٢]

ليفى بياناً لكونها من أقبح الرذايل و أرذل الملكات حيث انّ كلمة الويل في الذكر الحكيم لتدلّ على عذابٍ اليم، فانظر كيف أردفه الله تعالى بقوله:

﴿ كذلك يجعل الله الرّجس على الّذين لا يؤمنون ﴾[٣]

ليدلّ على غاية قبحها!. فحينئذٍ يظهر لك أن لا خير في المتّصف بهذه الرذيلة، بل بطن الأرض خيرٌ له من ظهرها، لأنّ الحياة لا تزيد له إلّا رجساً على رجسٍ و اثماً على اثمٍ و طغياناً على طغيانٍ.

قال الله تعالى: ﴿ ثمّ قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو اشدّ قسوة، و انّ من الحجارة لما يتفجّر منه الانهار، و انّ منها لما يشّقّق فيخرج منه الماء و انّ منها لما يهبط من خشية الله ﴾[٤]

و هذه الملكة الخبيثة مراتب:

فالمرتبة الاولى منها: ان تهوّن لصاحبها ترك الواجبات و اتيان المحرمات و تشتد شيئاً فشيئاً حتّى تصل إلى الانكار و الاستكبار

قال تعالى: ﴿ثمّ كان عاقبة الّذين اساؤا السّواى ان كذّبوا بايات الله ﴾[٥]

و قال تعالى: ﴿و اذ قالوا اللّهمّ ان كان هذا هو الحقّ من عندك فامطر علينا حجارة

---

١ ـ الزمر / ٢٢ ٢ ـ الانعام / ١٢٥ ٣ ـ الانعام / ١٢٥

٤ ـ البقرة / ٧٤ ٥ ـ الروم / ١٠

من السّماء أو ائتنا بعذاب اليم ﴾[١]

فالإنذار و عدمه حينئذٍ له سيّان.

قال تعالى : ﴿ انّ الّذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون * ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على ابصارهم غشاوة و لهم عذاب عظيم ﴾[٢]

فقد يطلق على ذلك القلب القساوة و أخرى الختم و ثالثة الطبع و رابعة الزيغ و خامسة الرين، فتلك العبارات شتّى و المراد منها واحدٌ.

و المرتبة الثانية منها : غلظ القلب و عدم رقته فلايؤثّر موعظةً فيه و لا يقوم بانفاقاته الواجبة و لا يؤلم و لا يتأثّر عن آلام غيره و لا يهتمّ بامور المسلمين. و المستفاد عن جملة آياتٍ و أحاديث كثيرة كون الغلظ هذا بلاءً عظيم يسلب عن صاحبه الايمان و يخرجه عن ربقة الاسلام داخلاً ايّاه في الكفر.

قال تعالى : ﴿ و ويل للمشركين *الّذين لا يؤتون الزّكوة و هم بالاخرة هم كافرون ﴾[٣]

و قال تعالى : ﴿ ارايت الّذي يكذّب بالدّين * فذلك الّذي يدعّ اليتيم * و لا يحضّ على طعام المسكين*...و يمنعون الماعون ﴾[٤]

قال رسول الله ﷺ : من اصبح لا يهتمّ بامور المسلمين فليس منهم و من سمع رجلا ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم.[٥]

و قال أبو عبدالله عليه السلام : إنّما المؤمنون إخوة بنوأب و امّ و إذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون.[٦]

---

١ ـ الانفال / ٣٢ ٢ ـ البقره / ٧ ـ ٦ ٣ ـ فصّلت / ٧ ـ ٦

٤ ـ الماعون / ٧ ـ ١ ٥ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٦٤، باب الاهتمام بامور المسلمين، ح ٥

٦ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٦٥، باب اخوة المؤمنين بعضهم لبعض، ح ١

و قال أبو عبدالله عليه السلام في رواية : سبع حقوق واجبات.... ان ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله و طاعته و لم يكن لله فيه من نصيب.... أيسر حقّ منها ان تحب له ما تحب لنفسك و تكره له ما تكره لنفسك. [١]

و المرتبة الثالثة منها: انه يلتذّ ممّا يهين بغيره، كوهنه، و ضربه و شتمه و قتله كما تلتذّ الهرّة من ان يعبث و يلعب بالفارة ،

قال تعالى : ﴿ قتل اصحاب الاخدود * النّار ذات الوقود * اذهم عليها قعود * و هم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * و ما نقموا منهم إلّا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾ [٢]

هذا شهادة القرآن بأنّ اصحاب الاخدود كانوا يفرحون و يلتذّون بما زيّن لهم هذه الملكة الخبيثة، و هو احراقهم المؤمنين بما لا يؤمنوا به.

كما يشهد بأنّ فرعون و آله كانوا يذبّحون أبناء بنى اسرائيل و يستحيون نساءهم، فلو كان المراد من ذبح الابناء هو قتلهم و من استحياء النساء هو ترقيقهنّ كما هو ظاهر الآيات و عليه عموم المفسرين فمعناه ان قساوة فرعون و جنوده بلغت إلى ما كانوا يفعلون بالمستضعفين و المظلومين ما لا يقتدر الإنسان ان يسمعه فضلاً من ان يقوم به أو يراه.

و ان كان المراد منهما انهم كانوا يرفعون الغيرة و الحميّة من الرجال و الحياء و العفّة من النساء كما هو ديدن المستثمرين الآن، و هذا المعنى قريب جداً فيقول المؤمن الرؤوف ما قال الله تعالى : **﴿ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ﴾** [٣]

بل القرآن يشهد بأن قسى القلب لا يكفي بذلك بل يهلك الحرث و النسل

قال تعالى : ﴿ و من النّاس من يعجبك قوله في الحيوة الدّنيا و يشهد الله على ما في قلبه و هو الدّ الخصام * و إذا تولّى سعى في الارض ليفسد فيها و يهلك الحرث و النّسل

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٦٩، باب حق المؤمن على أخيه و أداء حقه، ح ٢

٢ ـ البروج / ٨ ـ ٤   ٣ ـ الزمر / ٢٢

و الله لا يحبّ الفساد ﴾ و إذا قيل له اتّق الله اخذته العزّة بالاثم فحسبه جهنّم و لبئس المهاد﴾[١]

و قد أشرنا إلى المشهور من مذهب المفسّرين في تلك الكريمات من أنّ المراد منها أنّ قسيّ القلب العادم الرحمة إذا غلب على الأرض لا يأمر أهلها إلّا بخرابها و لا يريد إلّا اهلاك الحرث و النسل، كما هو مذكورٌ في الحروب الصليبيّة و تواريخها و كما هو مشاهدٌ اليوم في اغتيالهم على أراضى المسلمين في هرزغوين حيث يقتلون رجالهم و يذبّحون أطفالهم و العياذ بالله ممّا يفعلون بنسائهم، هذا مع أمر الدول العظمى بسكوت المجامع العالميّة المدافعة عن حقوق الناس، فليست هذه المجامع إلّا ملعبةً في أيدى المسلّطين على العالم جوراً و عدواناً، فهم مصداق قوله تعالى:

﴿و من النّاس من يعجبك قوله في الحيوة الدّنيا و يشهد الله على ما في قلبه و هو الدّ الحضام﴾[٢].

يكفيك هذه الكريمة حذراً عن هذه الرذيلة و تهديداً بعواقبها و ما يترتّب عليها.

و امّا على المختار في تفسير الآية ـ و قد أشرنا إليه آنفاً ـ، فهذا أقبح من مختار المشهور في رؤية القرآن الكريم و رأيها، و هو أيضاً ممّا يترتّب على قسوة القلب و صلبها، نعوذ بالله منها.

ما يوجب القسوة و زوالها

و في الختام نشير إلى علل حدوث هذه الرذيلة في النّفس، و ما يوجب ارتفاعها، مستضيئين من القرآن الشريف.

اما الّذي يوجب القساوة

الف : ان وقوع الذنب على ذنبٍ يوجب القساوة.

---

١ ـ البقره / ٢٠٦ ـ ٢٠٤ ٢ ـ البقرة / ٢٠٤

قال الله تعالى : ﴿ ثمّ قست قلوبكم من بعد ذلك ﴾ (١)

أي: بعد ذنبٍ حدث على ذنب آخر.

فالتوغّل في الآثام يوجب القساوة، و هي توجب مفاسد عظمى حتّى الكفر و قتل الانبياء.

قال تعالى : ﴿ و ضربت عليهم الذّلّة و المسكنة و باؤ بغضب من الله ذلك بانّهم كانوا يكفرون بايات الله و يقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون ﴾ (٢)

فهذه الايات تدلّ على انّهم كانوا يعتدون و يعصون فبذلك قست قلوبهم فأدّى أمرهم إلى هذين الموبقين الكبيرين.

ب : ان الغفلة عن ذكر الله تعالى، سيما الصلوة الّتي سمّاها الله الذكر الكثير توجب القسوة و عماء القلب في الدارين.

قال تعالى : ﴿ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ﴾ (٣)

و قال تعالى : ﴿ و من اعرض عن ذكرى فانّ له معيشة ضنكاً و نحشره يوم القيمة اعمى ﴾ (٤)

و معلوم ان عماء القيامة ليست إلّا ناشئةً من عماء الدنيا، و عماء الدنيا هي قسوة القلب فيها.

قال تعالى : ﴿ و من كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى و اضلّ سبيلاً ﴾ (٥)

ج : ان التوغّل في المشتهيات الدنياوية و طول الأمل فيها و تمنّي زخرفها و زبرجها يوجب قسوة القلب، فيترتّب عليها مفاسد أُخرى، كالغفلة عن الآخرة، و هي أشدّ ما يترتّب عليها و أعظمها.

---

١ ـ البقرة / ٧٤ ٢ ـ البقرة / ٦١ ٣ ـ الزمر / ٢٢
٤ ـ الزمر/٢٢ ٥ ـ الاسراء/٧٢

قال تعالى: ﴿ فطال عليهم الامد فقست قلوبهم و كثير منهم فاسقون ﴾[١]

و قال تعالى: ﴿ انّ الّذين لا يرجون لقاءنا و رضوا بالحيوة الدّنيا و اطمانّوا بها و الّذين هم عن اياتنا غافلون* اولئك ماويهم النّار بما كانوا يكسبون ﴾[٢]

و قال تعالى: ﴿ و جئ يومئذ بجهنّم يومئذ يتذكّر الإنسان و انّى له الذّكرى يقول يا ليتنى قدّمت لحياتى ﴾[٣].

هذا هو المستفاد من الوحى المبين في ما يوجب القسوة.

اما الّذي يوجب رفع هذه الرذيلة فهو:

الف: التوبة من الذنب و هي توجب رفع القساوة و لو وصل ذنوبه إلى النهاية

قال الله تعالى: ﴿إلّا من تاب و امن و عمل عملاً صالحاً فاولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسنات ﴾[٤].

فان المراد بالتبديل امحاء السيئات و ايجاد الحسنات الحاصلة من التوبة قلبها، كما هو ظاهر الآية الشريفة، و اللافت للنّظر أنّ هذا الامحاء و الايجاد لايمكن إلّا بعد رفع القسوة عن القلب و تنويرها بنور الرحمة و الرأفة، لان تلك السيّئات تنشأ من تلك القسوة كما ان تلك الحسنات تنشأ من ذلك النور.

و اما ان كان المراد بالتبديل هو تبديل قسوة القلب بالرحمة و اللين و تنويره بنور التوبة فالآية الشريفة بلاتكلف تدلّ على المقصود، إذ اشدّ سيّئات القلب و أعظمها هو قسوته وأفضل حسناته هو رحمته ورأفته.

و عن ابى عبدالله عليه السلام: إذا أذنب الرّجل خرج في قلبه نكتة سوداء فان تاب انمحت و

---

١ ـ الحديد / ١٦ ٢ ـ يونس / ٨ ـ ٧ ٣ ـ الفجر / ٢٣

٤ ـ الفرقان / ٧٠

إن زاد زادت حتّى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبداً.[١]

ب : الذكر بمراتبه من اللفظى و القلبى و العملى و قد يقال له اليقظة، و هي التنبّه و التوجّه إلى الله، و إلى كون العوالم بأسرها بمحضره تعالى و بانه في مسيرٍ آلا و منتهاه هو الله تعالى و ان له منزلاً لو نزل فيه فله مقام كريم كما أنّ له منزلاً في الجحيم لو نزل فيها لا يشمله إلّا غضب الله و عقابه ـ نعوذ به منه! ـ

قال الله تعالى : ﴿ يا ايّها الّذين امنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً * و سبّحوه بكرة و أصيلاً ﴾[٢]

و عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من أشدّ ما فرض الله على خلقه ذكر الله كثيراً، ثم قال : لا اعنى سبحان الله و الحمدلله و لا إله إلّا الله و الله اكبر و إن كان منه و لكن ذكر الله عند ما أحلّ و حرّم، فان كان طاعة عمل بها و إن كان معصية تركها.[٣]

و بالجملة ان الذكر بمراتبه من اللفظى و القلبى و العملى جلاء القلب و لهذا جُعِل للسّائرين كدُستورٍ يعملون به، و أمر الله رسوله في سورة المزّمّل الّتي هي بمنزلة برنامج له في اول البعثة بقوله تعالى :

﴿ و اذكر اسم ربّك و تبتّل إليه تبتيلاً ﴾[٤]

ج : العبادات كلها من القلبية كالخلوص و الخضوع و التقرب، و البدنيّة كالصلوة و الصوم، و الماليّة كالانفاقات توجب جلاء القلب و الخروج من الظّلمات إلى النّور

قال تعالى : ﴿ قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين يهدى به الله من اتّبع رضوانه سبل السّلام و يخرجهم من الظّلمات إلى النّور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم ﴾[٥].

---

١ ـ الكافي، ج ٢، ص ٢٧١، باب الذنوب، ح ١٣
٢ ـ الاحزاب / ٤٢ ـ ٤١
٣ ـ الكافي، ج ٢، ص ٨٠، باب اجتناب المحارم، ح ٤
٤ ـ المزمل / ٨
٥ ـ المائدة / ١٦ ـ ١٥

و في الختام نذكر بعض الروايات الواردة من اهل البيت عليهم السلام في هذا البحث استضاء من نور مشكوة الولاية و استهداءً به.

روايات في القسوة

* عن على بن عيسى رفعه، قال: فيما ناجى الله عزّوجلّ به موسى عليه السلام يا موسى لاتطول في الدنيا املك فيقسو قلبك و القاسى القلب منى بعيد.(۱)

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام لمّتان: لمّة من الشيطان و لمّة من الملك، فلمّة الملك الرّقة و الفهم، و لمّة الشيطان السّهو و القسوة.(۲)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا خلق الله العبد في اصل الخلقة كافراً لم يمت حتّى يحبّب الله إليه الشر فيقرب منه فابتلاه بالكبر و الجبريّة فقسا قلبه و ساء خلقه و غلظ وجهه و ظهر فحشه و قلّ حياؤه و كشف الله ستره و ركب المحارم فلم ينزع عنها، ثمّ ركب معاصى الله و ابغض طاعته و وثب على النّاس لا يشبع من الخصومات، فاسألوا الله العافية و اطلبوها منه(۳).

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان المسيح عليه السلام يقول: لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله فانّ الذين يكثرون الكلام قاسية قلوبهم و لكن لا يعلمون.(٤)

* عن عبيد بن زرارة قال: مات لبعض اصحاب أبي عبدالله عليه السلام ولد فحضر أبو

---

۱ ـ الكافى، ج ۲، ص ۳۲۹، باب القسوة، ح ۱

۲ ـ الكافى، ج ۲، ص ۳۳۰، باب القسوة، ح ۳

۳ ـ الكافى، ج ۲، ص ۳۳۰، باب القسوة، ح ۲

٤ ـ بحارالانوار، ج ١٤، ص ۳۳۱، باب ۲۱، ح ۷۳

عبدالله عليه السلام جنازته فلمّا الحد تقدّم أبوه ليطرح عليه التراب، فأخذ أبو عبدالله عليه السلام بكفّيه و قال: لاتطرح عليه التراب، و من كان منه ذا رحم فلايطرح عليه التراب فقلنا : يا ابن رسول الله اتنهى عن هذا وحده ؟ فقال : انهاكم ان تطرحوا التّراب على ذوى الارحام، فانّ ذلك يورث القسوة، و من قسا قلبه بعد من ربّه عزّوجلّ.[١]

* في وصيّة امام الباقر عليه السلام لجابر ... و تعرض لرقة القلب بكثرة الذكر في الخلوات ... و اياك و الغفلة ففيها تكون قساوة القلب.[٢]

* في وصيّة النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى على عليه السلام: يا على اربع خصال من الشقاء، جمود العين و قساوة القلب و بعد الامل و حبّ البقاء.[٣]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام : ما جفت الدموع إلّا لقسوة القلوب و ما قست القلوب الا لكثرة الذبوب.[٤]

* انّ بعض انبياء بنى اسرائيل شكا إلى الله عزّوجلّ قسوة القلب و قلّة الدمعة فاوحى الله إليه أن كُل العدس فاكل العدس فرقّ قلبه و كثرت دمعته.[٥]

عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : من احبّ ان يرقّ قلبه فليدمن أكل البلس، يعنى التين.[٦]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٩، ص ٣٥، باب ١٢، ح ٢٤

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ١٦٤، باب ٢٢،ح ١

٣ ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٥٢، باب ٤٤، ح ١٢

٤ ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٥٥، باب ٤٤، ح ٢٤

٥ ـ بحارالانوار، ج ١٤، ص ٤٦٠، باب ٣١، ح ١٩

٦ ـ بحارالانوار، ج ٦٣، ص ١٨٧، باب ١٠، ح ٧

الفصل الخامس عشر

الفضيلة السادسة عشرة: العفّة

الرّذيلة السابعة عشرة: الشرة

الرّذيلة الثامنة عشرة: الخمود

الفضيلة السّادسةعشر ة: العفَّة

و هي ملكة يُقتدَر بها على الغلبة على الشهوات، و كثيراً ما تطلق على الكفّ عن الشهوات بقهر كان أو بسهولة، يعنى كان الكفّ عن ملكةٍ أو لا عن ملكةٍ، بل بقهر النّفس من غير سهولةٍ، فلذا فسّرها القاموس بالكفّ عمّا لايحلّ و لايجمل، و لكن العفّة في هذا العلم لا يطلق إلّا إذا كان عن ملكةٍ راسخةٍ في نفس صاحبها، و التعفّف هو الكفّ و استعمال كلّ للآخر ضرب من المجاز.

و هذه الملكة كملكة الغيرة و ان كانت لها معنىً عريضٌ بحيث تشتمل الغلبة على ایّ شهوة ممّا لاتحلّ و لاتجمل، الا ان استعمالها في عفّة البطن و الفرج اكثر.

قال الله تعالى ﴿ يحسبهم الجاهل اغنياء من التّعفّف ﴾[1]

و قال تعالى: ﴿ و ليستعفف الّذين لا يجدون نكاحاً حتّى يغنيهم الله من فضله ﴾[2]

و في روايات كثيرة عن اهل البيت عليهم‌السلام: ان افضل العبادات عفّة البطن و الفرج.[3]

---

١ ـ البقرة / ٢٧٣   ٢ ـ النور / ٣٣

٣ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٢٦٩، باب ٧٧

كما ان اطلاقها في علمنا هذا على عفّة الفرج سيّما في جانب النساء اكثر من اطلاقها على غيرها في غيرهنّ، بل يمكن ادّعاء ان لفظ الغيرة عند عامّة الناس تختصّ بالرجال و لفظ العفّة بالنساء و المراد منها ما يدلّ على تعفّف الناس فيما يرجع إلى الجنس و شهوته، و الامر سهل بعد وضوح المعنى.

و البحث هنا اوّلاً في عفّة الفرج ثمّ نذيّله بالبحث عن عفّة البطن انشاءالله، و اما البحث عن غيرهما من انواع العفاف، فيسأتى في البحث عن الحرص ، [illegible]مع و الرغبة عن الدنيا و غير ذلك انشاءالله تعالى.

و هذه الملكة بعد تمكّنها في النّفس تسرى إلى الجوارح، فتؤدّى بصاحبها إلى عفّة العين، فلا يرى ما لا يحلّ و لا يجمل، و إلى عفّة الأذن فلا يسمع ما لا يحلّ و لا يجمل، فلا يلفظ بقولٍ ركيك مستهجن، كما لا يسمع من أحدٍ كلاماً ركيكاً، و لا يرى أحدٌ قبائح اعضائه و جوارحه، كما لا يرى هو قبيح أعضاء غيره.

فالعفّة كالستر تستر المرء و المرأة و هي كالجلباب لهما، فالعفيف و العفيفة مستوران عن الناس حتّى عن المحارم إلّا ما يرتبط بالزوج و الزوجة، كما هو مقتضى الفطرة.

و بعبارةٍ أخرى ان هذه الملكة تحدّد التمايلات و الشهوات تحديداً تامّاً، سيما الشهوة الجنسيّة و من حصّل على ذلك فهو اعبد الناس و له خير الدنيا و الآخرة.

قال تعالى : ﴿ قد افلح المؤمنون * الّذين هم في صلاتهم خاشعون * و الّذين هم عن اللّغو معرضون * و الّذين هم للزّكوة فاعلون* والّذين هم لفروجهم حافظون * إلّا على ازواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين* فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون ﴾[1]

و عن ابي‌جعفر عليه‌السلام : ما عبدالله بشيءٍ افضل من عفّة بطن و فرج »[2]

---

١ ـ المؤمنون / ٧ ـ ١

٢ ـ الكافي، ج ٢، ص ٧٩، باب العفّة، ح ١

هذا اول مرتبة من مراتب هذه الملكة، حيث لها مراتب شدّةً و ضعفاً و أفضل مراتبها و أعظمها هي تسلّط هذه الملكة على القلب الّذي هو حرم الله، فلا يدخل فيه الا الله تبارك و تعالى، فاذاً يريه الله تعالى ملكوت السموات و الارض يعنى يجد و يأنس بقيّوميّة الحق كمن يجد ثلج فؤاده من شرب شرابٍ طهورٍ. و يجد سرابيّة عالم الوجود و انه فقر محض و يجد معنى قوله تعالى **﴿الله لا اله إلّا هو الحىّ القيّوم﴾**[1] و قوله تعالى: **﴿كسراب بقيعة يحسبه الظّمان ماء﴾**[2]

و بعبارةٍ اولى يجد معنى قوله تعالى: **﴿ هو الأوّل و الاخر و الظّاهر و الباطن﴾**[3]

فحينئذ يبارك الله له فيما يدرك و يرى، كما قال لموسى بن عمران و عائلته اذ وجدوا ذلك المقام،

قال تعالى: ﴿فلمّا جاءها نودى ان بورك من في النّار و من حولها و سبحان الله ربّ العالمين﴾[4]

فوجد موسى بن عمران قيّوميّة الحقّ حق اليقين و هو قوله تعالى **﴿ من في النار﴾**، و وجدتها عائلته عين اليقين و هو قوله تعالى **﴿ و من حولها﴾** فطوبى لهم و حسن ماب.

ثم لا يخفى ان هذه الفضيلة للانسان سيما للنساء واجبةٌ لابدّ منها، كما أنّ الملح في الغذاء لازمٌ لا يصلح الطعام إلّا به فمن لا عفّة له جلف مزوّقٌ تضرّ مصاحبته و انه كمن يظهر عورته، فكما ان كشف العورة عار و شنار فكذلك من لا عفّة له سيرته عارٌ و شنار.

و عن أبي جعفر عليه‌السلام في تفسير قول الله تعالى : **﴿يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباساً يوارى سواتكم وريشاً و لباس التقوى ذلك خير﴾**[5] فأمّا اللّباس فالثّياب الّتي يلبسون و امّا الرّياش فالمتاع و المال و امّا لباس التقوى فالعفاف، إنّ العفيف لاتبدو له عورة و ان كان

---

١ ـ البقرة / ٢٥٥   ٢ ـ النور / ٣٩   ٣ ـ الحديد / ٣

٤ ـ النمل / ٨   ٥ ـ الاعراف / ٢٦

عارياً من الثّياب و الفاجر بادي العورة و ان كان كاسياً من الثياب يقول الله ﴿و لباس التّقوى ذلك خير﴾ يقول العفاف خير.[١]

و من تامّل في قصة يوسف و المرأة الهائمة به رأى صدق كلام الباقر عليه السلام، لان يوسف لم يكن له شيء من الدنيا و زخارفها فلم يكن له مال و لا مرتبة و لا قدرة و لا شوكة و لا اقرباء حتّى ان اخوته جنوا به ما أرادوا و لم يكن له رادعٌ عنهم حتّى أنّه لم يكن يملك نفسه بل كان عبداً لتلك المرأة المشار اليها و لكن كان عفيفاً في الجلوة و الخلوة حتّى حين قالت له هيت لك، بل أمرتْه به، و لم يكن حينئذٍ مانعٌ إلّا عفّته، و قد أخبر الله تعالى عن عظم خطر خلوتها به حيث قال: بعظمة خطر تلك الخلوة بقوله تعالى: ﴿و لقد همّت به و همّ بها لو لا ان را برهان ربّه﴾[٢]

فتلك العفّة أوجبت ان يقول: ﴿ربّ السّجن أحبّ إلي ممّا يدعونني إليه﴾[٣] حين حاصرتها الفتيات المتجمّلات داعيات له إلى نفسهنّ، فعفّته أنجته عن السقوط في ورطة الشهوات و مهالك الرذائل، و تلك العفّة منحته مرتبةً لو اجتمعت الجن و الانس على أن ترفعوه فوقها لم يكن لهم طريقٌ اليه!.

و امّا المرأة الهائمة بها، فكانت امرأة العزيز، و لها ما تتمنّاه امرأةٌ ذات شوكةٍ جميلةٍ، ولكن لم يكن لها الجمال الحقيق أي: العفّة، فسقطت ما لا يمكن أرذل منه و القرآن الكريم يشير إلى رفعة يوسف بقوله: ﴿من يتّق و يصبر فانّ الله لا يضيع اجر المحسنين﴾[٤] بعد بيان رتبته في الحكم كما يشير إلى انحطاط المرأة بقوله: ﴿قالت امرات العزيز الئن حصحص الحقّ انا راودته عن نفسه﴾[٥] بعد بيان سقوطها في غياهب الشهوات.

هذا مع انه لو لم يلزم العفّة شيء غير كون المجتمع و صلاحه مرهونٌ بها، و فساده أيضاً

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٢٧١، باب ٧٧، ح ١٥

٢ ـ يوسف / ٢٤

٣ ـ يوسف / ٣٣.

٤ ـ يوسف / ٩٠

٥ ـ يوسف / ٥١

كذلك، ليكفيك ان تذعن انّها خير الصفات بالنسبة إلى الفرد و المجتمع، كما قد أشرنا إلى أنّ مثيري الفساد في المجامع الانسانيّة طمعاً للوصول إلى أمياهم، ليسعون في بثّ الفساد الاخلاقى فيها و فسّرنا قوله تعالى: ﴿ليهلك الحرث و النّسل﴾ و قوله تعالى ﴿ يذبّح ابنائهم و يستحيى نسائهم﴾ بان المفسدين مثل فرعون كانوا يهلكون الرجال و النساء باخذ الغيرة منهم و اخذ العفة منهن.

و القرآن لاهتمامه البالغ بهذه كرّر ان مريم عليها السلام استحقت ان تكون آية للعالمين و ان ينفخ فيها من روح الله لكونها متصفةً بأعلى مدارج هذه الفضيلة.

قال تعالى : ﴿و الاتي ّحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا و جعلناها و ابنها آية للعالمين﴾.[1]

كما نرى أنّ الله تعالى يذكر في القرآن الكريم العفّة كصفةٍ من صفات حور العين، و تكرارها يقيد كونها من أحسن صفاتها، أو أحسنها على الاطلاق، و هذا يدلّ على كونها أعلى صفات المرئة بل الرجل و أحسنها.

قال تعالى : ﴿ و عندهم قاصرات الطّرف عين * كانّهنّ بيض مكنون ﴾[2]

و قال تعالى : ﴿ فيهنّ قاصرات الطّرف لم يطمثهنّ انس قبلهم و لا جانّ﴾[3]

و قال تعالى : ﴿حور مقصورات في الخيام ﴾[4]

و قال تعالى : ﴿ و حور عين * كامثال اللّؤلؤ المكنون ﴾[5]

فترى في تلك الآيات: أوّلاً:انّهن قاصرات الطرف أي: لا ينظرن إلّا إلى أزواجهنّ، و ثانياً: انّهن كاللؤلؤ المكنونة أي: لا ينظر اليهنّ إلّا ازواجهنّ و ثالثاً: تباعدهنّ عن المرئى و المنظر، فهنّ في بيوتهنّ لا يطمثهنّ حتّى نظر الاجنبىّ.

---

١ ـ الانبياء / ٩١ ٢ ـ الصفات / ٤٩ ـ ٤٨ ٣ ـ الرحمن / ٥٦

٤ ـ الرحمن / ٧٢ ٥ ـ الواقعه / ٢٣ ـ ٢٢

ثمّ انّ هذه الملكة و ان كانت فطرية و لا سيّما بالنسبة إلى النساء، و لكنّها كالقواريـر المذهّبات الغاليات، يمكن أن تُكسر إذا أصابها ما يضادّها، و هذا سرّ اهتمام القرآن الكريم بحفظها عمّا يضادّها، فنهى أوّلاً عن نظر كلّ من الاجنبي و الاجنبيّة إلى الآخر، لئلّا يؤدّى بهما إلى ما لا يجوز.

قال تعالى: ﴿ قل للمؤمنين يغضّوا من ابصارهم و يحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم انّ الله خبير بما يصنعون* و قل للمومنات يغضضن من ابصارهنّ و يحفظن فروجهنّ ﴾ [١]

ثم نهى ثانياً عن القول بما يخالف العفّة، صورةً و معنىً، لئلّا يؤدّى إلى طعنها.

قال الله تعالى: ﴿ فلا تخضعن بالقول فيطمع الّذي في قلبه مرض ﴾ [٢]

ثمّ نهى ثالثاً عن التبرّج، و هو من سيرة الفواحش في الجـاهلية، و هـذا أضرّ شيءٍ بالنسبة إلى العفّة.

قال تعالى: ﴿ و لا تبرّجن تبرّج الجاهليّة الاولى ﴾ [٣]

ثمّ حذّر رابعاً عن مخالطة الجنسين و لو في القول، و علّل الحذر هذا بأنّه يوجب رفع العفّة عن المجتمع، بينما أنّ انفصالهما أبق و أدوم لهذه الفضيلة.

قال تعالى: ﴿ و إذا سالتموهنّ متاعاً فسئلوهنّ من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم و قلوبهنّ ﴾ [٤]

و قال تعالى: ﴿ محصنات غير مسافحات و لا متّخذات اخدان ﴾ [٥]

و قال تعالى: ﴿ محصنين غير مسافحين و لا متّخذى اخدان ﴾ [٦]

(و الخدن هو اخذ المصاحب من غير جنسه كاخذ المرء مرئة مصاحبة، أو اخذ المرئة مرءً مصاحبا)

---

١ ـ النور / ٣١ ـ ٣٠   ٢ ـ الاحزاب / ٣٢   ٣ ـ الاحزاب / ٣٣

٤ ـ الاحزاب / ٥٣   ٥ ـ النساء / ٢٥   ٦ ـ المائدة / ٥

ثمّ امرها خامساً بسترها نفسها من الرأس حتّى القدم، لأنّ سترها يدلّ على عفّتها.

قال تعالى : ﴿ يا ايّها النّبيّ قل لازواجك و بناتك و نساء المؤمنين يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ ذلك ادنى ان يعرفن ﴾ (١)

ثمّ هدّد سادساً السفلة من الناس بالنّفي و التغريب لو قاموا بما يخالف العفّة كمخالطة النّاس و مزاحمتهنّ، ثمّ هدّدهم بالقتل ليكون هذا التهديد أمكن في نفوسهم، و ذلك كلّه حفاظاً على العفّة.

قال تعالى : ﴿ لئن لم ينته المنافقون و الّذين في قلوبهم مرض و المرجفون في المدينة لنغرينّك بهم ثمّ لايجاورونك فيها إلّا قليلاً * ملعونين اين ما ثقفوا اخذوا و قتّلوا تقتيلاً ﴾ (٢)

ثمّ عطف البيان سابعاً نحو البيت، و أمر باستيذان الأطفال للدخول إلى الأبوين حين أن خليا بأنفسهما لئلّا يرى الطفل ما يشين عفّته، و ذلك لكون البيت و الأسرة العفيفة اللبنة الأولى لبناء المجتمع العفيف.

قال تعالى : ﴿ ليستأذنكم الّذين ملكت ايمانكم و الّذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرّات من قبل صلوة الفجر و حين تضعون ثيابكم من الظّهيرة و من بعد صلوة العشاء ثلث عورات لكم ﴾ (٣)

ثمّ أمر ثامناً بوجوب الاستيذان على الطفل إذا بلغ الحلم للدخول إلى أبويه، و ذلك لما أشرنا إليه آنفاً من الاحتفاظ على عفّته.

قال تعالى : ﴿ و إذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الّذين من قبلهم ﴾ (٤).

---

١ ـ الاحزاب / ٥٩ ٢ ـ الاحزاب / ٦١ ـ ٦٠ ٣ ـ النور / ٥٨

٤ ـ النور / ٥٩

ثمّ أمر تاسعاً الأمّة الاسلاميّة بالحفاظ على زواج الشّباب و المسارعة فيه، من غير خوفٍ عن العيلة و العُدم، و هذا كما يجب على الدولة و الحُكم، يجب على آحاد المسلمين لو لم تقم به الدولة،

قال تعالى : ﴿ و انكحوا الايامى منكم و الصّالحين من عبادكم و امائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ﴾. [۱]

و ليس هذا إلّا لكون الزواج أحكم للعفّة و أدوم لها، قال تعالى :

﴿ احلّ لكم ماوراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين ﴾. [۲]

يعني ان من الحِكَم لِوضع النكاح هو العفة و الاجتناب عن السفاح و ما يخالف العفّة.

و قال رسول الله صلّی الله علیه و آله و سلّم : «من تزوّج احرز نصف دينه» و في حديث آخر: «فليتّق الله في النصف الآخر أو الباقي». [۳]

هذا من ناحيةٍ، و من ناحيةٍ أخرى أمر الله تعالى بالتيسير و المساهلة فيما يرجع إلى مشاكل الزواج المادّية، أضف إلى ذلك تشريع الاسلام الزواج غير الدائم، لئلّا يكون حرجٌ على من لا يتمكّن من الزواج الدائم، ثمّ رغّب فيها حفاظاً على عفّة المجتمع و صلاحها. و بعد ذلك كان يقول اميرالمؤمنين عليه السلام : «لا يزني بعد ذلك الا شقيّ».

ثمّ قام عاشراً بأمر من لا يجد إلى النكاح سبيلاً بالعفاف و ذلك بقلّة الأكل و بكثرة الرياضات الشرعيّة كالصوم و الصلاة، و بالاجتناب عن مخالطة غير جنسه أو جنسها، و بالاجتناب عمّا يثير الشهوة الجنسيّة و يهيّجها، و ما إلى ذلك. فانظر هل ترى أطروحةً أحسن من أطروحة الاسلام للحفاظ على العفّة الفردية و الجماعيّة؟، و هل يمكن أن يخطّط لها أحسن من هذا التّخطيط؟. قال تعالى :

---

۱ ـ النور / ۳۲ ۲ ـ النساء / ۲٤

۳ ـ الكافي، ج ٥، ص ۳۲۸، باب كراهة العزوبه، ح ۲

﴿و ليستعفف الّذين لا يجدون نكاحاً حتّى يغنيهم الله من فضله﴾.[١]

تتمّةٌ في عفّة البطن

قد استكثر في الروايات ذكر عفّة البطن و المراد منها الاجتناب عمّا لا يحل و لا يجمل اكله و شربه شريطة ان يكون عن ملكةٍ، فعفيف البطن له ملكة يقتدر بها على الاجتناب عن المحرمات من المأكولات و المشروبات، بل عن المشتبهات و المكروهات منها، بل عن كثرة الاكل و الشرب، بل يجتنب عمّا لا يجب أكله، كالتنقّلات.

فبناء على ذلك لها مراتب، و المرتبة الضعيفة منها ان لايأكل و لايشرب إلّا الحلال الباتّ و ذلك من افضل العبادات:

عن أبي بصير قال: قال رجل لابى جعفر عليه السلام: انّى ضعيف العمل، قليل الصيام، و لكنّى ارجو ان لاآكل إلّا حلالاً، قال: فقال له: «ايّ الاجتهاد افضل من عفّة بطن و فرج؟»[٢]

و تشتدّ تلك الملكة بالمداومة عليها، فيرتقى إلى مرتبةٍ لا يأكل و لايشرب المشتبهات و المكروهات و ذلك افضل من المرتبة الاولى و قد فسر الائمة عليهم السلام قوله تعالى: ﴿فاتّقوا الله ما استطعتم﴾[٣] و قوله تعالى: ﴿اتّقوا الله حقّ تقاته﴾[٤] بهذه المرتبة، و في روايات كثيرة جعلت هذه المرتبة، من الرياضات المشروعة الّتي تنجّى من الهلكات، و ان عدم مراعات المشتبهات و الوقوع فيها، يوجب الوقوع في الهلكات من حيث لا يشعر:

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «حلال بيّن و حرام بيّن و شبهات تتردّد بين ذلك فمن ترك الشّبهات نجى من المحرّمات و من اخذ بالشّبهات ارتكب المحرّمات و هلك من حيث

---

١ ـ النور / ٣٣

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ٧٩، باب العفّة، ح ٤

٣ ـ التغابن / ١٦

٤ ـ آل عمران / ١٠٢

لا يعلم».[١]

و افضل من هذه المرتبة ان لا يأكل و لا يشرب من الحلال الباتّ إلّا بما يجب، حيث لم يكن بدٌّ منه؛

و في الرواية المعراجية : «يا احمد، انّ في الجنة قصراً من لؤلؤة فوق لؤلؤة، و درّة فوق درّة، ليس فيها قصم و لا وصل فيها الخواصّ. انظر إليهم كلّ يوم سبعين مرّة، فاكلّمهم كلّما نظرت إليهم و ازيد في ملكهم سبعين ضعفا، و إذا تلذّذ اهل الجنّة بالطّعام و الشّراب، تلذّذوا اولئك بذكرى و كلامى و حديثى، قال : يا ربّ، ما علامة اولئك ؟ قال مسجونون قد سجنوا السنتهم من فضول الكلام و بطونهم من فضول الطعام».[٢]

و قد حُدّد هذه المرتبه في الروايات و بُيّنت، استجلاباً للناس اليها، و من تلك الروايات ما ورد عن ابى عبدالله عليه‌السلام : «ليس لابن آدم بدّ من اكلة يقيم بها صلبه فاذا أكل احدكم طعاماً فليجعل ثلث بطنه للطعام و ثلث بطنه للشّراب و ثلث بطنه للنّفس و لا تسمنوا تسمن الخنازير للذّبح».[٣]

و قال اميرالمؤمنين للحسن ابنه عليه‌السلام: «الا اعلّمك اربع خصال تستغنى بها عن الطّبّ ؟ قال بلى، قال : لاتجلس على الطّعام إلّا و انت جائع، و لاتقم عن الطّعام إلّا و انت تشتهيه، و جوّد المضغ، و إذا نمت فاعرض نفسك على الخلاء، فاذا استعملت هذا استغنيت عن الطّبّ».[٤]

و هذا الحدّ هو الاذي ّكّد عليه علم الأبدان المسمّى بالطّب قديماً و حديثاً، و عن كبراء

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٢، ص ٢٢١، باب ٢٩، ح ١ و ج ١٠١، ص ٢٦٢، باب ١، ح ١

٢ ـ آخر جزء الأوّل من ارشاد الديلمى و بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٢٣، باب ٢، ح ٦

٣ ـ الكافى، ج ٦، ص ٢٦٩، ح ٩

٤ ـ بحار الانوار، ج ٦٣، ص ٤١٥، باب ١٧، ح ١٥

الأطبّاء: ليس شيءٌ في هذا العلم يُوصى به احتفاظاً على الصّحة أسدّ ممّا أوصى به الشريعة الغرّاء، من الأكل بعد تمام الجوع، و اتمام الأكل قبل تمام الشبع.

و هذا هو الّذي تصدقه التجربة و الاختبار، لان الاكول يجمع الفضولات و هي تبرز على صورة السمن، و هي تجلب الالام و الاسقام لتمام البدن، و ذلك لعدم جذب البدن فوق ما يحتاج من الأغذية، فهو لا يتحلّل، بل يجتمع في البدن فيسمنه، فيزيده داءً على داءٍ.

ثم ان الغزالي عدّ فوائد عشرة لعفّة البطن، و لخّصها الامام اوّل النراقيّين في كتابه القيّم جامع السعادات، و نحن نذكرها نقلاً منه لحسن صنيعته في التلخيص، قال رحمه الله:

ثم للجوع فوائد و هي صفاء القلب و رقّته، و انقاد الذهن و حدته، و الالتذاذ بالمناجات و الطاعة، و الابتهاج بالذكر و العبادة، و الترحّم لارباب الفقر و الفاقة، و التذكّر لجوع يوم القيامة، و الانكسار المانع عن الطغيان والغفلة، و تيسّر المواظبة على الطاعة و العبادة، و كسر شهوات المعاصى المستولية بالشبع، و دفع النوم الّذي يضيع العمر و يكل الطبع و يفوت القيام و التهجد، و التمكّن من الايثار و التصدّق بزائد المال و خفّة المؤنة للاهتام بالتحصيل و الاعداد و صحة البدن و دفع الامراض. انتهى كلامه رفع مقامه.

هذا مع انه اشتهر بين اصحاب القلوب و ارباب المعرفة ان القلب لو صلح صلح كلّ الاعضاء؛

قال الله تعالى: ﴿ قل كلّ يعمل على شاكلته ﴾ [1]

و بصلوحه يقتدر النظر إلى ملكوت السموات و الارض.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: فلولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السموات و الارض. [2]

و يسهل للسّالك طيّ الطّريق باخراج الأغيار عنه و الّتمنى من صاحبه للنزول فيه.

---

١ ـ الاسراء / ٨٤

٢ ـ بحار الانوار، ج ٥٦، ص ١٦٣، باب ٢٣

في الحديث القدسي : « لم يسعني سمائي و لا ارضي و وسعني قلب عبدي المؤمن»[١]

و هو لا يصلح إلّا بالجوع و السّهر و العزلة و الصمت، أي: قلة الاكل و الشرب و قلة النوم سيما بقيام أواخر الليل ساعةً، و حين طلوع الفجر، و العزلة عمن لايفيد مصاحبته و قلّة الكلام و الاجتناب عمّا لايعني و لايفيد.

و بعد هذه الاربعة تضبط و تصلح الجوارح سيما السمع و البصر، لان القلب بمنزلة البحر و الاعضاء كلها بمنزلة الانهار و الجداول الّتي تصب الماء فيه، فيشتغل القلب بما يصبّ فيه فلابد من ضبط الحواس كلها، حتّى يكون اشتغال القلب بما يصلحه و يصحّ له، حتّى ينغمر في عالم الوحدة و ينصرف عن عالم الكثرة، فيتجلى بنور الله.

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٥٥، ص ٣٩، باب ٤، ح ٦١

روایاتٌ في العفّة

* عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: ما عبدالله بشيءٍ افضل من عفّة بطن و فرج.[1]

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: كان اميرالمؤمنين صلوات الله عليه يقول: افضل العبادة العفاف.[2]

* عن أبي بصير قال: قال رجل لابى جعفر عليه‌السلام: انّى ضعيف العمل قليل الصّيام و لكنّى ارجو ان لاآكل إلّا حلالا، قال: فقال له: ایّ الاجتهاد افضل من عفّة بطن و فرج.[3]

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: اكثر ما تلج به امّتى النّار الاجوفان، البطن و الفرج.[4]

* قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: ثلاث اخافهنّ على امّتى من بعدى: الضّلالة بعد المعرفة و مضلّات الفتن و شهوة البطن و الفرج.[5]

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: لمّا اقام العالم الجدار اوحى الله تبارك و تعالى إلى موسى عليه‌السلام انّى مجازى الأبناء بسعى الاباء إن خيراً فخير و إن شرّا فشرّ، لا تزنوا فتزنى نساؤكم و من وطئ فراش امرء مسلم وطئ فراشه كما تدين تدان.[6]

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: اما يخشى الّذين ينظرون في ادبار النساء ان يبتلوا بذلك

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ٧٩، ح ١

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ٧٩، ح ٣

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ٧٩ ح ٤

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ٧٩، ح ٥

٥ ـ الكافى، ج ٢، ص ٧٩، ح ٦

٦ ـ الكافى، ج ٥، ص ٥٥٣، ح ١

في نسائهم[1] ؟!

* عن مفضّل الجعفي قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: ما اقبح بالرّجل من ان يرى بالمكان المعور فيدخل ذلك علينا و على صالحي اصحابنا، يا مفضّل اتدرى لم قيل: من يزن يوما يزن به ؟ قلت: لا، جعلت فداك قال: انّها كانت بغيّ في بني اسرائيل و كان في بني اسرائيل رجل يكثر الاختلاف إليها فلمّا كان في آخر ما أتاها اجرى الله على لسانها أما إنّك سترجع إلى أهلك فتجد معها رجلا قال: فخرج و هو خبيث النّفس فدخل منزله غير الحال الّتي يدخل بها قبل ذلك اليوم و كان يدخل بإذن فدخل يومئذ بغير اذن فوجد على فراشه رجلا فارتفعا إلى موسى عليه السلام فنزل جبرئيل عليه السلام على موسى عليه السلام فقال: يا موسى من يزن يوما يزن به، فنظر إليهما فقال: عفّوا تعفّ نساؤكم.[2]

* عن عبيد ابن زرارة قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: برّوا آبائكم يبرّكم ابناؤكم و عفّوا عن نساء النّاس تعفّ نساؤكم.[3]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عليكم بالعفاف و ترك الفجور[4]

* عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انّ الله يحبّ الحييّ المتعفّف، و يبغض البذيّ السّائل الملحف.[5]

* عن القدّاح، عن جعفر، عن ابيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: استحيوا من الله حقّ الحيا، قالوا و ما نفعل يا رسول الله؟ قال: فان كنتم فاعلين فلايبيتنّ احدكم إلّا و اجله بين عينيه، و ليحفظ الرأس و ما وعا، و البطن و ما حوى، و ليذكر القبر و البلى، و من أراد

---

١ ـ الكافي، ج ٥، ص ٥٥٣، ح ٢
٢ ـ الكافي، ج ٥، ص ٥٥٣، ح ٣
٣ ـ الكافي، ج ٥، ص ٥٥٤، ح ٥
٤ ـ الكافي، ج ٥، ص ٥٥٤، ح ٦
٥ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، باب ٧٧، ص ٢٧٠، ح ٨

الاخرة فليدع زينة الحياة الدنيا.[١]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من سلم من امّتى اربع خصال فله الجنّة: من الدّخول في الدّنيا، و اتّباع الهوى، و شهوة البطن، و شهوة الفرج.[٢]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: في قوله تعالى ﴿يا بنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم و ريشا﴾[٣] فامّا اللّباس فالثياب الّتي يلبسون، و امّا الرّياش فالمتاع و المال، و امّا لباس التّقوى فالعفاف، إنّ العفيف لاتبدو له عورة و ان كان عاريا من الثّياب، و الفاجر بادى العورة و ان كان كاسيا من الثّياب، يقول الله ﴿و لباس التّقوى ذلك خير﴾ يقول العفاف خير ﴿ذلك من آيات الله لعلّهم يذّكّرون﴾[٤]

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اوّل من يدخل الجنّة شهيد و عبد مملوك احسن عبادة ربّه و نصح لسيّده و رجل عفيف متعفّف ذو عبادة.[٥]

* عن انس قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على اصحابه فقال: من ضمن لي اثنين ضمنت له الجنّة فقال أبو هريرة: فداك أبي و امّى يا رسول الله انا اضمنهما لك، ما هما؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من ضمن لي ما بين لحييه و ما بين رجليه، ضمنت له الجنّة.[٦]

* سئل الحسن عليه السلام عن المروّة فقال: العفاف في الدّين، و حسن التقدير في المعيشة، و الصبر على النّائبة.[٧]

* عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال له رجل: إنّى ضعيف العمل، قليل

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، باب ٧٧، ص ٢٧١، ح ١١
٢ ـ بحار الانوار، ج ٧١، باب ٧٧، ص ٢٧١، ح ١٤
٣ ـ الاعراف / ٢٦
٤ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، باب ٧٧، ص ٢٧١، ح ١٥
٥ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، باب ٧٧، ص ٢٧٢، ح ١٧
٦ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، باب ٧٧، ص ٢٧٢، ح ١٨
٧ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، باب ٧٧، ص ٢٧٣، ح ١٧

الصّلوة، قليل الصّوم، و لكن ارجو ان لاآكل إلّا حلالاً، و لاانكح إلّا حلالاً، فقال : و ایّ جهاد افضل من عفّة بطن و فرج. [١]

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : قال رسول الله صلی‌الله‌علیه‌وآله‌وسلم : اللّهمّ ارزق محمّد و آل محمّد و من احبّ محمّدا و آل محمّد العفاف و الكفاف و ارزق من ابغض محمّدا و آل محمّد المال و الولد. [٢]

* قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام : الحرفة مع العفّة خير من الغنى مع الفجور. [٣]

* قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام: العفاف زينة الفقر و الشّكر زينة الغنى. [٤]

* قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام : الا و أنّكم لاتقدرون على ذلك، و لكن اعينونى بورع و اجتهاد و عفّة و سداد. [٥]

* قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام : قدر الرّجل على قدر همّته، و صدقه على قدر مروءته، و شجاعته على قدر انفته، و عفّته على قدر غيرته. [٦]

* قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام : و كان اهل ذلك الزّمان ذئابا.... و العفاف عجبا. [٧]

* قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام : فرض الله الايمان تطهيرا من الشّرك.... و مجانبة السّرقة ايجابا للعفّة. [٨]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، باب ٧٧، ص ٢٧٣، ح ١٨

٢ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٤٠، باب الكفاف، ح ٣

٣ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الكتاب ٣١ ـ ٩١

٤ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم، ٦٨ ـ ٣٤٠

٥ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الكتاب ٥٤ ـ ٥

٦ ـ نهج البلاغة، صبحى الصّالح، قصار الحكم ٤٧

٧ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبة ١٠٨ ـ ١٧

٨ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصارالحكم ٢٥٢

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام : ما المجاهد الشّهيد في سبيل الله باعظم اجراً ممن قدر فعفّ، لكاد العفيف ان يكون ملكا من الملائكة.[1]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام في الغرر:

العفّة رأس كلّ خير،

العفّة شيمة الأكياس، الشرة سجيّة الارجاس،

العفاف افضل شيمة،

العفّة اصل (افضل ـ خ ل) الفتوة،

العفاف زهادة،

العفاف يصون النّفس و ينزهما عن الدّنايا (الدّنيا)،

عليك بالعفاف فانّه افضل شيم الأشراف،

اهل العفاف أشرف الاشراف،

زكاة الجمال العفاف،

عليك بالعفاف فانّها نعم القرين،

سبب القناعة العفاف،

الرّضا بالكفاف يؤدّى إلى العفاف،

من عقل عفّ،

دليل غيرة الرّجل عفّته،

الصبر عن الشهوة عفّة و عن الغضب نجدة،

العفّة تضعف الشهوة،

ثمرة العفّة القناعة،

---

١ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٤٧٤

ثمرة العفة الصيانة،

من عفّ خفّ وزره و عظم عندالله قدره،

من عفّت اطرافه حسنت اوصافه،

لم يتحلّ بالعفّة من اشتهى ما لايجد،

النّزاهة آية العفّة،

بالعفاف تزكوا الاعمال،

من اتحف العفّة و القناعة حالفه العزّ،

القناعة افضل العفّتين،

ألا و إنّ القناعة و غلبة الشهوة من اكبر العفاف،

على قدر العفّة تكون القناعة،

ينبغى لمن عرف نفسه ان يلزم القناعة و العفّة.(۱)

* قال اميرالمؤمنين على عليه السلام :... ان أصل العقل العفاف و ثمرته البرائة من الاثام و اصل العفاف القناعة و ثمرتها قلّة الاحزان.(۲)

* قال اميرالمؤمنين على عليه السلام: الفضائل أربعة أجناس : أحدها الحكمة و قوامها في الفكرة و الثانى العفّة و قوامها في الشّهوة، و الثالث القوّة و قوامها في الغضب و الرّابع العدل و قوامه في اعتدال قوى النّفس. (۳)

* « من وصايا اميرالمؤمنين عليه السلام لمحمّد بن أبي بكر لما ولّاه مصر » يا محمد بن أبي بكر اعلم أنّ افضل العفّة الورع في دين الله و العمل بطاعته.(٤)

---

۱ ـ ميزان الحكمة، ج ٦، ص ۳٥۹ ـ ۳٦٤، نقلاً من غرر الحكم

۲ ـ بحارالانوار، ج ۷٥، ص ۷، باب ۱٥، ح ٥۹

۳ ـ بحارالانوار، ج ۷٥، ص ۸۱، باب ۱٦، ح ٦۸

٤ ـ بحارالانوار، ج ۷٤، ص ۳۹۲

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :.... و اما العفاف : فيتشعب منه الرّضا و الاستكانة و الحظّ و الرّاحة و التفقّد و الخشوع و التذكر و التفكر و الجود و السخاء، فهذا ما يتشعب للعاقل بعفافه رضى بالله و بقسمه.(١)

* كانت امرأة على عهد داود عليه السلام يأتيها رجل يستكرهها على نفسها فالقى الله عزّوجلّ في قلبها فقالت له : إنك لاتأتيني مرة إلّا و عند اهلك من يأتيهم قال : فذهب إلى اهله فوجد عند اهله فاتى به داود عليه السلام فقال : يا نبي الله اتى إليّ ما لم يؤت إلى احد قال : و ما ذاك ؟ قال: وجدت هذا الرجل عند اهلي فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قل له كما تدين تدان.(٢)

* عن الحسن بن الجهم قال دخلت على أبي الحسن عليه السلام و قد اختتضب بالسواد فقلت : اراك قد اختضبت بالسواد فقال : إنّ في الخضاب اجراً و الخضاب و التهيئة مما يزيد الله عزّوجلّ في عفّة النساء و لقد ترك النساء العفّة بترك ازواجهنّ التهيئة، الحديث.(٣)

* عن أبي حمزة قال سمعت جابر بن عبدالله يقول : كنّا عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إنّ خير نسائكم الولود الودود العفيفة.... الحديث.(٤)

* عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال : من ملك نفسه إذا رغب و إذا رهب و إذا اشتهى و إذا غضب و إذا رضي، حرّم الله جسده على النّار.(٥)

---

١ ـ تحف العقول ص ٢٠
٢ ـ من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ١٤، ح ١٠
٣ ـ الكافي ج ٦، ص ٤٨٠، ح ١
٤ ـ الكافى، ج ٥، ص ٣٢٤، ح ١
٥ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٣٥٨، باب ٨٨، ح ١

الرذيلة السابعةعشرة: الشّره

الشّرّه بكسر الشين و تشديد الراء، لغةً جاء بمعانٍ منها الرغبة الشديدة في شيءٍ، و اصطلاحاً ملكة ترغب إلى الشهوات سيما شهوتى الفرج و البطن و يمكن القول بأنّها تختص في علم الاخلاق، و عند عموم استعمالها في شهوة الفرج.

و هي ضد العفّة، لان العفّة تمنع صاحبها عن الميل إلى المشتهيات غير المحلّلة و الشرّة ترغّب صاحبها إلى الشهوات و تدعوه اليها.

و نحن هيهنا نبحث اولاً عن شرّة الفرج ثمّ نذيّله بما يتعلّق بشرّة البطن و اما سائر الشرتات فسياتى كلّ في محله انشاءالله كما نهجنا هذا المنهج في البحث عن العفّة.

فنقول ان شرّة الفرج و الحرص على تلك الشهوة خطرها عظيم، و ان قلت ان هذا الخطر لا مثيل له في الرذائل و انّ كلّ أمرٍ محذورٍ منه ينشأ من هذا و انّ كلّ ما وقع و يقع من الهلكات جنايةً كان أو خيانةً ينشأ من الميل الجنسى و العطف إلى النساء و الميل اليهنّ ما سلكتَ سبيل الجزاف!.

و السيرة الحاكمة على كثيرٍ من الناس في عصرنا هذا الّذي هو عصر الجاهلية الثانية من وجهة نظر القرآن، و لا سيّما سيرتهم في البلاد الأروبيّة و الأميركيّة، تدلّ على سقوطهم

في ورطةٍ عسرةٍ لا يمكن الخروج عنها لتمكّن هذه الرذيلة فيهم، فحبّهم النّساء و التلذّذ منهنّ بأىّ طريقٍ أمكن، غرقهم في هذا البحر اللجّى الّذي لا ساحل له إلّا ظهور الحجّة روحى لتراب مقدمه الفداء، كما لم يكن طريقٌ إلى الخلاص عن الجاهلية الأولى إلّا بظهور سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وآله.

و من الغريب أنّ الأمم المسلمة مع علمهم بسقوط الاروبيّين و الاميركيّين و أضرابهم في هذه الورطة الّتي لا نهاية لها إلّا هلاك الحرث و النسل، تتبعهم و تشايعهم في كثيرٍ من جداول هذا البحر، و هذا من أغرب ما يُشاهد في هذا العصر.

گوش باز و چشم باز و اين عمى   وه عجب از چشم بندى خدا

و للقرآن الكريم بيانٌ هامٌّ في سورة يوسف أحذر به الناس عن اتّباع الشهوات، و حذّرهم عمّا يسمّى بالعشق، و ليس الا فرط هيجان الشهوة، و الشره المتجلّى في زىٍّ يغوى به الشيطان كثيراً من الناس. و عجبٌ من قوم عدّوه كطريقٍ إليه سبحانه، و عجبٌ من قوم لا حظّ لهم من العلم، فتمسّكوا بنظم الكلام ليتّبعهم الغاوون فسمّوا أنفسهم شعراء، و لا شعور لهم حيث عدّوا العشق أحسن نِعَم الله و أجودها، مع ان التابع و المتبوع في واد يهيمون و في الخيال يتيهون، و هم الاخسرون اعمالاً ﴿الّذين ضلّ سعيهم في الحيوة الدّنيا و هم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً﴾[١]

و لذا إذا سئل عن بعض السّادة الائمّة عليهم السلام عن العشق فقالوا انه مرض سوداوى إذا خلى القلب عن ذكر الله تعالى استولى عليه. سئل أبو عبدالله عليه السلام عن العشق قال: قلوب خَلَتْ عن ذكر الله فاذاقها الله حبّ غيره[٢] و قد اقر الحكماء في الطب بذلك و كذلك علماء معرفة النّفس بل من الشعراء من اعترف بذلك مع ولعهم بنظم معانيه. و لما كان هذا من مصائد الشيطان و مكائده في هذا العصر، فلابأس بنا لو ذكرنا شيئاً يرتبط به، خارجين عن

---

١ ـ الكهف / ١٠٤   ٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٥٨، باب ١٢٦، ح ١

سبيل الايجاز.

العشق

هذا مرتبة من مراتب الهوى و المحبّة، فلهذا قيل انه افراط فيها، لان الهوى و المحبّة من المقولات التشكيكية لها مراتب ضعفاً و قوة و تسمّى كلّ مرتبة باسم.

١ ـ المحبّة : و هي المرتبة الضعيفة، و اوّل مرتبة من مراتبها و هي حالة و مرتبة من مراتب النّفس و حالاتها كسائر الحالات و الملكات فتكون النّفس معروضتها و هي عارضةٌ عليها.

٢ ـ المودّة : و هي حالة تشتهى النّفس بها إلى المحبوب و تمنّيه فوق ما تمنّيه في المحبّة كالجائع و العطشان.

٣ ـ العلاقة : و هي حالة تعلّق النّفس بالمحبوب، فيحصل نحو ارتباط بينهما كارتباط الحديد بالمغناطيس، فكما انّ الحديد يُجذب بالمغناطيس، فانّ الحبيب يُجذب بما يحسّ من محبوبه.

٤ ـ الهوى : و هي حالة اشتغال النّفس بمحبوبها، بحيث كلما تنصرف عنه طارت إليه من غير تراخٍ.

٥ ـ الحيرة و الوله: و هي حالة تظهر من النّفس في الأعضاء اثر مّا يؤثّر في النّفس، فتكون الجوارح كمرآةٍ للنّفس، فيذكر الحيرانُ محبوبه مصحوباً لبروز الحمرة في الوجه و الارتعاش في البدن. و لا يمكن له أن ينصرف عن محبوبه و لو للحظةٍ ما.

٦ ـ العشق : و هي حالة تلفّ المحبّة و الهوى على النّفس كلّها، و سمّيت هذه المرتبة من مراتب المحبّة بالعشق، لان العشق نبات يلفّ على الاشجار فتكون محفوفةً به، و حيث ان المحبّة إذا وصلت بهذه المرتبة تلفّ على النّفس و تصير النّفس محفوفة بها، يقال لها العشق، و هذا من باب تشبيه المعقول بالمحسوس.

٧ ـ الشعف : و هي حالة حرق النّفس بها، فهى دائماً في حال الاحراق ممّا يجد من ودّه لمحبوبه، نعم احتراقها لا يخلو عن لذة نظير الحديد المحماة للجمل الجرّابة، حيث يُحرق الجمل بالحديد و هو يلتذّ منه.

٨ ـ الشغب : و هي حالة تحيط على النّفس فينطوى النّفس فيها كاحاطة جلد السيف على السيف فلا يكون لها ارادة قبالها.

٩ ـ اللّوعة : و هي حالة نفوذ الودّ في النّفس كنفوذ النار في الحطب حتّى تصيّره ناراً فالحطب حطب و النار نارٌ و هما مجتمعان فيه.

١٠ ـ الوله : و هي حالة تصير النّفس حيران سكران و هذا فوق ما ذكرناه في القسم الخامس.

١١ ـ الهيوم : و هي حالة جنون النّفس و عدم استيلائها على ما يصدر منها كجنون الجمل في فوران شهوته.

١٢ ـ الفناء : و هي حالة استيلاء حكم المحبوب على نفس الحبيب بحيث لا يكون شي فيها الا هو.

١٣ ـ المحو : و هي تصبيغ النّفس بآثار المحبوب و لوازمه و احكامه، و هو الّذي يقال له محو المحب في المحبوب بحسب الاثر.

١٤ ـ السّحق: و هي حالة محو ذات المحبّ في المحبوب كمحو قطرة المطر في البحر بحيث لا يُعدّ القطرة منحازاً عن البحر، و يطلق على ذلك محو النّفس في المحبوب ذاتاً.

و من تفحص اشعار الشعراء و الادباء بين القدماء منهم و المعاصرين و بين العرب و الفُرس يجد في دواوينهم و زبرهم ما يشير إلى هذه المراتب، لا سيّما المتوغّلين منهم في المحبّة المسمّاة بالعرفان، الّذين ذاقوا من سكره حتّى سكروا فذكروا في ما نظموا ما يشير إلى تلك الحالات قوّةً و ضعفاً.

في أقسام المحبّة

ان للحب اقساماً بحسب الهوية:

القسم الأوّل : محبّة الشهوة:

و هو الحبّ الجسمانی الحيوانی الشهوانی، الّذي هو محلّ الكلام هذا، و الّذي قسّمناه بالاقسام الاربعة عشر، و هذا هو الّذي يذم الافراط فيه الّذي سمّی بالعشق المجازی عرفاً و في غير واحد من الروايات، و يقبّحه الشرع و عرف أهله و لذلك لم يطلق على الله تعالی و على اوليائه الكرام في آية و لارواية، فالله تعالی و ان كان اشد حبا للعباد و أرأف عليهم من سبعين أباً و امّاً كما ورد في جملةٍ من الروايات بعبائر مختلفه و لكنه لم يطلق عليه لفظة «العاشق». و انّ رسول الله و الائمة عليهم السلام و ان كانوا محبّين للامّة بل لجميع الخلائق بحيث لا يمكن لنا تصوّره متوجّهين إلی مصدر الجلال و الجمال بحيث قد عدّوا التوجّه إلی الكثرات و عالمها ذنباً لا ذنب أقبح منه، و لكنّهم لم يطلق عليهم هذه اللفظة و لا مرّة واحدة في الوحی أو فيما صدر عنهم عليهم السلام و من هذا اطلاق لقب الخليل على ابراهيم و لقب الحبيب على نبيّنا عليه السلام و القاب كثيرة أُطلقت على ائمّتنا المعصومين بينما ان لفظ العاشق لم يطلق على احدٍ منهم و لا مرّة واحدة.

و هيهنا نكتة أُخری يجب لفت الفظ اليها و هي انّ الادعية المعصوميّة مع توغّلها في معرفة الله و اتيانها بأعلی مضامين العرفان، لم يُر فيها قطّ لفظه العشق، أو العاشق أو ما يشتقّ منها، و هذا ان دلّ على شيءٍ فيدلّ على اختصاص هذه اللفظة بالبطّالين و اهل المجون الطالبين للشهوة الجسمانيّة نعم للرجل أن يحبّ زوجته و للزوجة أن تحبّ زوجها بما لا يزيد على مراتب الحب الأولی، امّا بالنسبة إلی غيرهما فليس العشق إلّا موبقةً و ذنباً كبيراً كما انّ مراتبه العليا لا تجوز بالنسبة إلی الزوج و الزوجة ايضاً، بل هي مختصّةٌ بالله تعالی.

لا يقال ان لفظة الشغف استعملت في القرآن قال الله تعالى: ﴿قد شغفها حبّاً﴾[1] و هي مرتبة اعلى من العشق كما أنّ و لفظة العشق استعملت في الروايات منها:

في الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «افضل الناس من عشق العبادة فعانقها و احبّها بقلبه و باشرها بجسده و تفرّغ لها، فهو لا يبالى على ما اصبح من الدنيا، على عسر ام على يسر»[2]

قلت نعم و لكن الله تعالى حكاها عن النسوة الفسقة اللاتى قطّعن ايديهنّ لما رأين من جمال يوسف ما يحرّك شهوتهنّ، فاستعاذ يوسف منهنّ و كان السجن احبّ إليه منهنّ و من اقوالهنّ.

قال الله تعالى: ﴿ربّ السّجن أحبّ إليّ ممّا يدعوننى إليه﴾[3].

و مع ذلك كلّه فان الله تعالى لم يأت بلفظة العشق مع كونها ادلّ على المطلوب، لشدّة قبحها، فهى اشدّ قبحاً من الشغف و أمثالها. نعم وردت لفظة الحب كثيراً ما في الذكر الحكيم، و لا قبح فيها،

قال تعالى: ﴿اشدّ حبّاً لله﴾[4]

و قال تعالى: ﴿انّه لحبّ الخير لشديد﴾[5].

و اما الروايات فيكفيها ندرتها، كما أن هذه اللفظة لم ترد في الكافي الشريف مع كثرة ما ورد فيها من الروايات هذه الكثرة الهائلة، إلّا في هذا المورد و يختلج بالبال انّ الصحيح من الحديث هو «عسق» بالسين المهملة، لا بالشين المعجمة، و ذلك بقرينة قوله صلى الله عليه و آله: «أحبّها بقلبه» و العسق جاء بمعنى الولع.

و امّا في غير الكافي الشريف، فلم نجد هذه اللفظة إلّا في غاية الندرة في ثلّةٍ من

---

١ ـ يوسف / ٣٠ ‏ ‏ ٢ ـ الكافي، ج ٢، ص ٨٣، باب العبادة، ح ٣

٣ ـ يوسف / ٣٣ ‏ ‏ ٤ ـ البقرة / ١٦٥ ‏ ‏ ٥ ـ العاديات / ٨

روایاتٍ ضعاف، و الظاهر أنّ اسناد هذه الالفاظ إلى الراوى اقرب من اسنادها إلى المروىّ عنه، فلا حرج في استعمال اللفظة في تلك الروايات.

نعم جيء بهذه اللفظة في جملةٍ من الروايات ذامّاً لها:

ففي نهج البلاغة: من عشق شيئاً أعشىٰ بصره و امرض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة و يسمع بأذن غير سميعة، قد خرقت الشهوات عقله، و اماتت الدنيا قلبه، و ولهت عليها نفسه، فهو عبد لها و لمن في يده شيء منها حيثما زالت زال إليها، و حيثما اقبلت اقبل عليها، لا ينزجر من الله بزاجر، و لا يتّعظ منه بواعظ. [۱]

و في البحار عن المفضّل قال: «سألت ابا عبدالله عليه السلام عن العشق قال: قلوب خلت عن ذكر الله فاذاقها الله حبّ غيره» [۲].

و عن التميمى عن الرّضا عليه السلام عن ابائه عليهم السلام قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: تعوّذوا بالله من حبّ الحزن. [۳]

و عن الراوندى باسناده عن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: انّ اخوف ما اخاف على امّتى من بعدى هذه المكاسب المحرّمة و الشهوة الخفية و الرّبا. [٤]

و المراد بالشهوة الخفية و ان كان عاماً إلّا ان مصداقه الكامل ـ كما فهمه العلامة المجلسى قدس سره ـ هو العشق.

القسم الثاني: محبّة الرّحمة:

---

۱ ـ نهج البلاغة حطبه ۱۰۹

۲ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۱۵۸، باب ۱۲٦، ح ۱

۳ ـ بحار الانوار ج ۷۰، ص ۱۵۸، باب ۱۲٦، ح ۲

٤ ـ بحار الانوار، ج ۱۰۰، ص ٥٤، باب ٤، ح ۲٦

و هي المحبّة العاطفة بين الاخوان و الارحام بحيث تجمع بينهم و يعطف بعضهم على بعضٍ. و هذا القسم يُعدّ من أعلى المشاعر الانسانيّة و ألطفها، فلذلك لا يرتبط بالجسم، بل هي تختصّ بالنّفس و الروح، و هذا هو سرّ اختصاصه بالانسان دون الحيوان، نعم يوجد فيها بالنسبة إلى أولادها على سبيل الغرائز فقط، امّا في بنى آدم، فالاختيار حاكمٌ فيه، و لذلك قد جُعِل علامة الايمان:

قال الله تعالى: ﴿ محمّد رسول الله و الّذين معه اشدّاء على الكفّار رحماء بينهم ﴾.[١]

و روى ثقة الاسلام في الكافي روايات في ذلك تدلّ على شموخ مرتبته، منها:

عن ابي بصير، عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: سمعته يقول: «إنّ المتحابّين في الله يوم القيامة على منابر من نور قد اضاء نور وجوههم و نور اجسادهم و نور منابرهم كلّ شى حتّى يعرفوا به، فيقال: هؤلاء المتحابّون في الله».[٢]

و منها: عن فضيل بن يسار قال: «سألت ابا عبدالله عليه‌السلام عن الحبّ و البغض، أَ من الايمان هو ؟ فقال: و هل الايمان إلّا الحبّ و البغض».[٣]

و منها: عن عمرو بن مدرك الطائى، عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: «قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم لأصحابه: ايّ عرى الايمان أوثق؟ فقالوا: الله و رسوله أعلم، و قال بعضهم: الصلاة و قال بعضهم: الزّكاة و قال بعضهم: الصّيام و قال بعضهم: الحج و العمرة و قال بعضهم: الجهاد، فقال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: لكلّ ما قلتم فضل و ليس به، و لكن أوثق عرى الايمان الحبّ في الله و البغض في الله و توالى أولياء الله و التبرىّ من اعداء الله.[٤]

و منها: عن أبي جعفر عليه‌السلام في روايات مستفيضة: «بنى الاسلام على خمس، الصلوة و

---

١ ـ الفتح / ٢٩

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٥، باب الحبّ في الله و البغض في الله، ح ٤

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٥، باب الحبّ في الله و البغض في الله، ح ٥

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٥، باب الحبّ في الله و البغض في الله، ح ٦

الزكوة و الصوم و الحج و الولاية و ما نودى بشيءٍ بمثل ما نودى بالولاية».[١]

المراد من الولاية فيها هو الحبّ في الله كما قال به سيدنا الاستاذ الخمينى قدّس سرّه نقلاً عن استاذه العلامة الشاهآبادى قدّس سرّه و التولى و التبرى المذكوران في فروع الدّين ليس المراد منهما الا الحبّ في الله و البغض في الله، لانّ الولاية لو كانت بمعنى الامامة و التولى و التبرى لو كانتا بمعنى مودة اهل البيت و بغض اعدائهم فهى عند الشيعة من اصول الدّين و لايلائم ان توضع تلو فروع الدّين و في عدادها.

و هذا القسم من المحبّة من مهامّ مباحث علم الاخلاق، و ارجو من الله تعالى ان يوفّقنا لنضع له فصلاً مفصلاً في الأخلاقيّات بمنّه و كرمه.

القسم الثالث: محبّة العظمة

و هي أيضاً حبٌّ روحانى يختص بالانسان، و هي محبّة ذوى النّعم، كحبّ الرّجل المنعم الحقيق جلّ و علا، و حب النبى و حبّ اهل البيت عليهم السلام و اولياء الدّين و من له يد تربيةٍ على الإنسان و نحو ذلك، بل الابوين لان لهما مضافاً إلى محبّة العطوفة محبّة العظمة أيضاً و القرآن ينبّه بذلك في آيات، و الروايات الكثيرة رغّبت إلى حبّهما، و كثرتها تدلّ على بلوغها حدّ الاستفاضة و البحث عن ذلك يأتى في الأخلاقيّات انشاءالله.

و القرآن الكريم عيّن حبّ الرجل أهلَ بيت العصمة أجراً لما قاساه النّبى في ابلاغ الرسالة، قال: ﴿ قل لا اسئلكم عليه اجراً إلّا المودّة في القربى ﴾[٢]

و ينبّه الذكر الحكيم على انّ هذا الأجر لا فائدة فيه إلّا ما يرجع إلى المحبّ نفسه، لا إلى المحبوب، حيث انّ الحبّ يوجب المتابعة، و متابعة اهل البيت توجب سعادة الدارين، كما انّ المحبّة توجب مشاكلة الحبيب و المحبوب فيقرّب الحبيب إلى محبوبه، فبه يتمّ شفاعتهم عليهم السلام لمحبّيهم من الأمّة المرحومة.

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٨، باب دعائم الاسلام

٢ ـ الشورى / ٢٣

قال تعالى ﴿ ما سئلتكم من اجر فهو لكم ﴾[١]

و اما غير اهل البيت عليهم السلام من ذوى النعم فضافاً إلى انّ الادب يقتضى تواضع الإنسان عند الكبراء و مضافاً إلى ان اداء الحق واجب يستقل به العقل فيجب حبّهم و المحبّة إليهم انّ ترغيب الله و العترة الطاهرة إلى حبّهم و تبجيلهم يدلّ على هذا الأمر العظيم، و نشير على سبيل المثال إلى الآيات الاولى من سورة الحجرات فقط.

قال تعالى : ﴿ يا ايّها الّذين امنوا لا تقدّموا بين يدى الله و رسوله و اتّقوا الله، انّ الله سميع عليم * يا ايّها الّذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النّبى و لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم و انتم لاتشعرون * انّ الّذين يغضّون اصواتهم عند رسول الله اولئك الّذين امتحن الله قلوبهم للتّقوى، لهم مغفرة و اجر عظيم * انّ الّذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون * و لو انّهم صبروا حتّى يخرج إليهم لكان خيراً لهم، و الله غفور رحيم ﴾[٢]

هذه الآيات نزلت لتأديب الناس، فتدلّ اولاً على وجوب المتابعة في الكلام و المشى و العمل و التسليم للكبراء نبيّاً كان أو ولياً، اباً كان أو معلّماً، عالماً أو رئيساً شرعياً أو عرفياً، حتّى مشايخ العسرات.

و ثانياً تدلّ على عدم الترفع صوتاً و فعلاً و قولاً على الكبراء، فيجب التواضع عندهم

و ثالثاً تدلّ على وجوب احترامهم، و ما اشتهر من قول العامّة « تسقط الاداب عند الاحباب » غلط في حق الكبراء و انه يختص بالأحباب بعضهم لبعض.

و رابعاً تدلّ على ان ذلك التواضع يجب رعايته في المشهد و المغيب عند الاحباب و الاغيار.

و خامساً تدلّ على أنّ حمل الكبراء على ما لا يوافقونه في الخروج و الدخول، و في

---

١ ـ السبأ / ٤٧   ٢ ـ الحجرات / ٥ ـ ١

المشی و الجلوس، و في الاكل و الشرب و في النوم و غير ذلك خطأٌ لا يجوز في حقّهم، بل لابد من متابعة ارادتهم في كلّ شئ،نعم كلّ ذلك لاينافي التنبيه و التذكر مع مراعات الادب بتمامه و مع مراعات المتابعة و التواضع لهم.

و هذه الآيات من المعجزات الباهرات حيث اشتمل على كثيرٍ من مهامّ المباحث الاخلاقية وفّقنا الله و ايّاكم للعمل بها.

و يعجبنى أن أذكر هيهنا كلاماً للمحقق المدقّق مؤسّس الأصول الحديثة المولى الوحيد وحيد البهبهانى في فوائده الحائرية، فانّه قال ما معناه:

« عليك ثم عليك بمراعات الادب للفقهاء و علماء الدّين و بالتوسل إليهم حيّهم و ميّتهم، لاستجابة الدعوات و الوصول إلى الكمالات و السعادات الدنيوية و الاخروية، و اياك ثم اياك و التوهين و عدم مراعات الادب لحيّهم و ميّتهم في حضورهم و غيابهم لان ذلك يوجب الذلة و المسكنة و الخذلان، و الخبرة دلّت على ان من اهان العلماء في مشهدهم أو مغيبهم يتيه في وادى الخذلان و لا يبارك الله له في عمره و علمه و لا يجعل عاقبته خيراً» ولله دره مع بركة علمه و عمره و درايته.

و ثبتت عندى أيضاً بالخبرة جميع ما افاده ﷺ و انصح اخوانى مؤكداً بنصحه الكريم، ارجو من الله ان يكون نصحه اسوة لي و لكم انّه ولىّ التوفيق.

القسم الرابع: محبة اللّذّة

و هي حبّ الفضايل و الظرائف و اللطائف، كحبّ العلم و العدالة و التقوى و نحو ذلك، و كمحبّة المناظر و المشاهد الطبيعيّة و الجمال و الجلال و نحو ذلك، و كحبّ الفنون المستظرفة، و هذه أيضاً تختص بالانسان و لا حظّ منها للحيوانات، نعم يترائى انّ لبعض الحيوانات ميلاً إلى جملةٍ منها، كحبّ البلبل الورد، و الكلب الوفاء، و لكنّه من الغرائز المودع فيها، فلا اختيار لها قباله.

و هي من اعظم نعم الله تعالى و من اعظم الأغذية الروحانيّة و الذّها، ألا ترى ان الروح كيف يفرح من المشاهد الطبيعيّة الجميلة كما يفرح من المباحث العلميّة و ادراكها؟

ولله درّ من قال :

ثلاثة يذهبن عن قلب الحزن　　　الماء و الخضراء و الوجه الحسن

و ذهاب الحزن عن القلب ليس إلّا لنشاطه و فرحه بما يسرّه، كهذه الثلاثة و أشباحها. و يكفيك في المقام كون القرآن الكريم مفتّناً للقلوب مستجذباً لها يُعدّ من اعجازه و هكذا فصاحته و بلاغته، و لا ريب أنّ ما زُيّن به الذكر الحكيم ليس إلّا من أعظم نعم الله النازل من عرشه الكريم، كما انّ ادراك جمال القرآن و جلاله أيضاً نعمةٌ أخرى يعطيها الله تعالى لمن يشاء منه عباده.

القسم الخامس: محبّة العبوديّة

و هي محبّة العبد الله تعالى، و ليس في هذا العلم فضيلة افضل منها و ليس في العوالم كلّها نعمة اشرف و اعلى و اعظم منها فمن ذاق قطرة من هذا البحر شمله العناية الخاصّة الالهيّة، فأعطاه تعالى ما هو أفضل من العالَمين و خيرٌ فيهما. و سنخصّص بهذا المبحث فصلاً خاصّاً بتوفيقه و عونه تعالى.

و يجب الاشارة هنا إلى ان لهذه المحبّة مراتب ضعفاً و شدة، فاول مرتبة من تلك المراتب هو المتابعة،

قال الله تعالى: ﴿ قل ان كنتم تحبّون الله فاتّبعونى يحببكم الله ﴾ (١)

و لهذه المرتبة مراتب ايضاً.

و اوسط المراتب الّتي هي ذات مراتب أيضاً هي انه لايشغل صاحبها شيء من الدنيا، بل شيءٌ من نعيم الآخرة أو عقابها.

---

١ ـ آل عمران / ٣١

قال تعالى: ﴿في بيوت اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ و الاصال * رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله﴾ (١)

و قال تعالى: ﴿ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنّة و نجّنى من فرعون و عمله و نجّنى من القوم الظّالمين﴾ (٢).

فترى ان رجال الاخرة لا يشغلهم الدنيا عن الله و ان رجال الله كأمرأة فرعون الّتي كانت منهم، لا يشغلهم الاخرة عنه تعالى، فهم مخاطبون بخطاب: ﴿يا ايّتها النّفس المطمئنّة * ارجعي إلى ربّك﴾ (٣)

و لله درّ من أحسن و أجاد فقال:

نيست بر لوح دلم جز الف قامت دوست

چه كنم حرف دگر ياد نداد استادم

ولله درّ من زاد في حسنه و جودته فأنشد:

دولت آن نيست كه گيرم دو جهان زير نگين

دولت آنست كه من مهر تو را يافتهام

و اعلى المراتب الّتي لانهاية لها هي مرتبة الشوق و أطلق عليها في لسان الوحي و الاخبار: الصعق.

قال الله تعالى: ﴿و خرّ موسى صعقاً﴾ (٤)

و قال في مناجاته الشعبانيّة: الهى هب لي كمال الانقطاع إليك و انر ابصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتّى تخرق ابصار القلوب حجب النّور، فتصل إلى معدن العظمة و تصير ارواحنا معلّقة بعزّ قدسك، الهى و اجعلنى ممّن ناديته فاجابك و لاحظته فصعق لجلالك

١ـ النور / ٣٦ـ٣٧   ٢ـ التحريم / ١١   ٣ـ الفجر / ٢٧ـ٢٨

٤ـ الاعراف / ١٤٣

فناجيته سرّا و عمل لك جهرا.[١]

و قال مولانا سيّدشهدا الأوّلين و الآخرين في دعاء عرفة : الهى تردّدى في الاثار يوجب بعد المزار فاجمعنى عليك بخدمة توصلنى إليك كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك ايكون لغيرك من الظّهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك متى غبتَ حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك و متى بعدت حتّى تكون الاثار هي الّتي توصل اليك، عميت عين لاتراك عليها رقيباً و خسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبّك نصيباً... انت الاذي ّشرقت الانوار في قلوب اوليائك حتّى عرفوك و وحّدوك، و انت الاذيّ زلت الاغيار عن قلوب احبّائك حتّى لم يحبّوا سواك و لم يلجئوا إلى غيرك انت المونس لهم حيث اوحشتهم العوالم و انت الّذي هديتهم حيث استبانت لهم المعالم ماذا وجد من فقدك و ما الّذي فقد من وجدك، لقد خاب من رضى دونك بدلاً و لقد خسر من بغى عنك متحوّلاً [٢].

و نظيرهما في الادعية كثير و لايجوز لنا الآن السير في هذا الوادى اكثر من هذا لأنّنا لانكون اهله و اسئل الله لنا و لكم الاهليّة.

و لقد خرجنا عن طور البحث إلى التطويل ولكن لا بأس بنا في ذلك، حيث لم يكن بدٌّ منه لا سيا في عصرنا الّذي شاع فيه اطلاق العشق و جملةٍ من مشتقّاته على الله و على انبيائه و على اهل بيت العصمة و الطهارة، فطوّلنا الكلام لانارة العقول و الافهام، و ارشادها إلى قبح العشق لكونه من مقولة الشرة و حسن محبّة الله لكونها من مقولة العبودية و الصدق مع الله تعالى. و لاجامع بينهما غير اشتراكهما في الرغبة إلى الشىء، و لكن بونٌ بعيدٌ في الرغبة إلى الشهوانيات، و الرغبة إلى القدسيات و عوالم اللاهوت، فما هٰؤلاء القوم كيف يحكمون؟ و إلى اين يذهبون؟.

هذا كله في شرّة الفرج.

---

١ ـ مفاتيح الجنان دعاء شعبانية

٢ ـ مفاتيح الجنان، دعاء عرفة

و اما شرّة البطن ، فهي الحرص على الاكل و الشرب و الرغبة إلى المأكولات كيفاً و كماً و هي رذيلة تنشأ منها كثيرٌ من الرذائل، حتّى رذيلة شرّة الفرج تنشأ من شرّة البطن في غالب الأحيان و هي من الاسراف و التبذير و الاتراف.

قال تعالى: ﴿ كلوا و اشربوا و لا تسرفوا انّه لا يحبّ المسرفين ﴾.[١]

و قال تعالى: ﴿ و الّذين إذا انفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا و كان بين ذلك قواماً ﴾.[٢]

و قال تعالى: ﴿ انّ المبذّرين كانوا اخوان الشّياطين ﴾.[٣]

و قال تعالى: ﴿ و اصحاب الشمال ما اصحاب الشمال * في سموم و حميم * و ظلّ من يحموم * لا بارد و لا كريم * انّهم كانوا قبل ذلك مترفين * و كانوا يصرّون على الحنث العظيم ﴾.[٤]

و قال تعالى: ﴿ و إذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميراً ﴾.[٥]

و الفرق بين الاسراف و التبذير و الاتراف، ان الاسراف هو طلب الزيادة غير اللازمة في الاكل و الشرب و المسكن و الملبس و ما اليها، و التبذير هو الضياع في ذلك، و الاتراف هو الاستزادة المصحوبة لذنبٍ من الذنوب، و لمّا كان كلٌّ منهما يلازم الآخر في غالب الاحيان، ترى ان القرآن الكريم استبدل كلّاً منهما بالآخر في موارد استعمالها.

و بالجملة ان الاسراف يؤدّى إلى التبذير و التبذير يؤدّى إلى الاتراف، و الاتراف ليس فيه غير الفسق و الفجور.

و ورد مذمّة كثرة الأكل في كثيرٍ من الروايات، و قد أحسن الامام العلّامة ثاني المجلسيّين حيث جمع قسطاً وافراً منها،

---

١ ـ الاعراف / ٣١ ٢ ـ الفرقان / ٦٧ ٣ ـ الأسراء / ٢٧

٤ ـ الواقعة / ٤١ ـ ٤٦ ٥ ـ الاسراء / ١٦

فمنها قولهم مستفيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : المؤمن يأكل في معاء واحد و الكافر ياكل في سبعة امعاء».[١]

و اختلف في معنى هذه الرواية:

فعن الرضى رحمه الله: ان المؤمن يقنع في المطعم بمقدار الاحتياج و لكن الكافر عبد للّذّة و مطيع للشهوات.

و قيل: انّ المراد انّ المؤمن يأكل بمقدار الحاجة و لكن الكافر يأكل بالحواس الخمسة و بالشهوة و بالاحتياج و هي المراد بالسبعة، و هذا المعنى اوفى.

و منها قولهم عليهم السلام مستفيضاً : «حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه، فان كان و لابد فليكن الثلث للطعام و الثلث للشراب و الثلث الاخر للنفس».[٢]

و منها قولهم مستفيضاً : «ان الله تبارك و تعالى يبغض كثرة الاكل».[٣]

و منها مستفيضاً: «ان كثرة الاكل يوجب القسوة و هيجان الشهوة».[٤]

و منها: «الحميّة رأس كلّ دواء و المعدة بيت الادواء».[٥]

و منها: «لو اقتصد الناس في المطعم لاستقامت ابدانهم».[٦]

و منها: «ايّاكم و البطنة فانها مفسدة للبدن و مورثة للسقم و مكسلة عن العبادة».[٧]

و منها: قال اميرالمؤمنين عليه السلام لابنه الحسن: يا بنى الا اعلّمك اربع كلمات تستغنى بها عن

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦٣، ص ٣٢٥، باب ٥، ح ١

٢ ـ بحارالانوار، ج ٦٣، ص ٣٢٩، باب ٥، ح ٣

٣ ـ بحار الانوار، ج ٦٣، ص ٣٣٥، باب ٥، ح ٢١

٤ ـ بحارالانوار، ج ٦٣، ص ٣٣٧، باب ٥، ح ٣٣

٥ ـ بحار الانوار ج ٥٩، ص ٢٦٠، باب ٨٨، ح ١

٦ ـ بحار الانوار ج ٥٩، ص ٢٦٦، باب ٨٨، ح ٣٦

٧ ـ بحار الانوار ج ٥٩، ص ٢٦٦، باب ٨٨، ح ٤١

الطبّ ؟ فقال بلى، قال: لاتجلس على الطعام الا و انت جائع، و لاتقم عن الطعام الا و انت تشتهيه، وجوّد المضغ، و إذا نمت فاعرض نفسك على الخلاء، فاذا استعملت هذا استغنيت عن الطبّ و قال ان في القرآن لآية تجمع الطبّ كلّه ﴿كلوا و اشربوا و لا تسرفوا﴾.[١]

و بالجملة ان الاكول الحريص على الاكل و الشرب يصيب بأقسام الأسقام و الآلام الجسميّة و النفسيّة، و هذا قد ثبت في الطّب الحديث، و كما انّ في الروايات ذُكر جملة من الأمراض المعقبة لكثرة الأكل[٢]، ككدورة القلب و قسوته و الغفلة و اثارة الشهوات و كثرة النوم و الكسالة و لولا قبح في الحرص على الأكل و تبعة للأكول إلّا رفع ماء وجهه بين الناس حيث يلحّ عليهم و يسألهم بالكفّ ليشبع بطنه اكثر ممّا يحتاج اليه، لكان كافياً لقبح هذه الرذيلة و قبح هذا الفعل الصادر عن الأكول، فكيف إذا اصبح و كان اكثر همّه البطن، نعوذ بالله من شر القبقب.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : «من وقى شر ثلاث فقد وقى الشرّ كلّه، لقلقه و قبقبه و ذبذبه، فلقلقه لسانه و قبقبه بطنه و ذبذبه فرجه»[٣].

و قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : «ويل للناس من القبقبين، قيل يا رسول الله و ما هما ؟ قال : الحلق و الفرج».[٤]

و قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «اكثر ما يلج به امتى النار الاجوفان البطن و الفرج».[٥]

و قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ثلاث اخافهن على امتى من بعدى، الضلالة بعد المعرفة و مضلّات الفتن و

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٥٩، ص ٢٦٧، باب ٨٨، ح ٤٢

٢ بحار الانوار، ج ٦٣، ص ٣٢٥، باب ٥

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٤، ص ١٧١، باب ٧، ح ٧

٤ ـ بحار الانوار، ج ٦٣، ص ٣٣٧، باب ٥، ذيل ح ٣٣

٥ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٢٦٩، باب ٧٧، ح ٥

شهوة البطن و الفرج». [١]

و الغزالي بعد أن ذكر مذمّة الشرة و مدح اخماد الشهوتين الفرج و البطن، أطال الكلام في نقل جملةٍ من أقوال القوم في مدح الجوع، ثم ذكر روايات عن طرق العامّة في ذلك، فراجعه ان شئت.

و لكن الحقّ الّذي لا ريب فيه كما ثبت بالاقوال و الاختبار، انّه لم يصل احدٌ إلى مدرجٍ من مدارج الكمال و لم يتخطىء احدٌ خطوةً نحو جناب الله تعالى إلّا بتقليل الطّعام و اعراض النّفس عن شرة البطن، حيث انّها لا تجمع مع العفّة، الّتي هي رأس الفضائل كلّها. و قد اشتهر عن الشيخ الرئيس في المقام كلماتٌ يعجبنى أن أذكرها هينها، لا شتمالها على كثيرٍ ممّا ذكرناه، و هي قوله و لله درّه:

اسمع جميع وصيّتى و اعمل بها ... فالطبّ مجموع بنظم كلامي

اقلل جماعك ما استطعت فانّه ... ماء الحيٰوة تُراق في الارحام

و اجعل غذائك كلّ يوم مرّة ... و احذر طعاماً قبل هضم طعامٍ

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٢٧٢، باب ٧٧، ح ١٦

روايات في الشّرة

* روى عن النّبي صلى الله عليه و آله و سلم: ... و ايّاكم و استشعار الطّمع، فانّه يشوب القلب بشدّة الحرص، و يختم على القلب بطابع حبّ الدّنيا، و هو مفتاح كلّ معصية و رأس كلّ خطيئة، و سبب احباط كلّ حسنة.[1]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: ألا إنّ لكل عبادة شرّة ثمّ تصير إلى فترة فمن صارت شرّة عبادته إلى سنّتى فقد اهتدى و من خالف سنّتى فقد ضلّ و كان عمله في تباب، أما إنّى اصلّى و انام و اصوم و افطر و اضحك و ابكى فمن رغب عن منهاجى و سنّتى فليس منّى. و قال: كفى بالموت موعظة و كفى باليقين غنى و كفى بالعبادة شغلا.[2]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: لكلّ احد شرّة و لكلّ شرّة فترة، فطوبى لمن كانت فترته إلى خير.[3]

* عن أبي جعفر عليه السلام: ما من احد إلّا و له شرّة و فترة فمن كانت فترته إلى سنّة فقد اهتدى و من كانت فترته إلى بدعة فقد غوى.[4]

* قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: ثلاث أخافهنّ على امّتى من بعدى، الضّلالة بعد المعرفة و مضلّات الفتن و شهوة البطن و الفرج.[5]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦٩، باب ١٠٥، ص ١٩٩، ح ٢٩

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ٨٥، ح ١

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ٨٥، ح ٢

٤ ـ الكافى، ج ١، ص ٧٠، ح ١٠

٥ ـ الكافى، ج ٢، ص ٧٩، باب العفّة، ح ٦

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أكثر ما تلج به امّتى النّار الأجوفان، البطن و الفرج.[١]

* عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنّ اوّل ما يدخل النّار من امّتى الأجوفان، قالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و ما الأجوفان؟ قال:الفرج و الفم، و اكثر ما يدخل به الجنّة تقوى الله و حسن الخلق.[٢]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ابعد ما يكون العبد من الله عزّوجلّ إذا لم يهمّه إلّا بطنه و فرجه.[٣]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من سلم من امّتى من اربع خصال فله الجنّة، من الدخول في الدنيا و اتباع الهوى، و شهوة البطن و شهوة الفرج. ...[٤]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اوّل ما عصى الله تبارك و تعالى بستّ خصال: حبّ الدنيا و حبّ الرياسة و حبّ النساء و حبّ الطعام و حبّ النوم و حبّ الرّاحة.[٥]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: الفتن ثلاث: حبّ النساء و هو سيف الشيطان، و شرب الخمر و هو فخّ الشيطان، و حبّ الدينار و الدرهم و هو سهم الشيطان، فمن احبّ النساء لم ينتفع بعيشه، و من احبّ الأشربة حرمت عليه الجنّة، و من احبّ الدينار و الدرهم فهو عبدالدنيا.[٦]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٢٦٩، باب ٧٧، ح ٥ ،

٢ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٢٧١، باب ٧٧، ح ١٣

٣ ـ الكافى، ج ٢، باب حبّ الدّنيا و الحرص عليها، ص ٣١٩،ح ١٤

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٩٣، باب ١٢٢، ح ٧١

٥ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٩٤، باب ١٢٢، ح ٧٤

٦ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٣٩، باب ١٢٣، ح ١٢

* عن الحارث الاعور قال: كان فيما سأل عنه اميرالمؤمنين ابنه الحسن عليه السلام انّه قال له: ما الفقر ؟ قال: «الحرص و الشرّه».[١]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «غير منتفع بالحكمة عقل مغلول بالغضب و الشّهوة».[٢]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «غير منتفع بالعظات قلب متعلّق بالشّهوات».[٣]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «غلبة الشّهوة اعظم هلك و ملكها اشرف ملك».[٤]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «غلبة الشّهوة تبطل العصمة و تورد الهلك».[٥]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «غالب الشّهوة قبل قوّة ضراوتها فانّها ان قويت ملّكتك و استقادتك و لم تقدر على مقاومتها».[٦]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «طاعة الشّهوة تفسد الدّين».[٧]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «طهّروا انفسكم من دنس الشّهوات تدركوا رفيع الدّرجات».[٨]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «طاعة الشّهوة هلك و معصيتها ملك».[٩]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٣٩، باب ١٦٢، ح ١٥

٢ تصنيف غرر الحكم، ص ٦٥، ح ٨٦٣.

٣ تصنيف غرر الحكم، ص ٦٥، ح ٨٤١.

٤ تصنيف غرر الحكم، ص ٣٠٥، ح ٦٩٩٢.

٥ تصنيف غرر الحكم، ص ٣٠٥، ح ٦٩٨٣.

٦ تصنيف غرر الحكم، ص ٢٤١، ح ٤٨٨٤.

٧ تصنيف غرر الحكم، ص ٣٠٤، ح ٦٩٥٧.

٨ تصنيف غرر الحكم، ص ٢٤٠، ح ٤٨٥١.

٩ تصنيف غرر الحكم، ص ٣٠٤، ح ٦٩٥٨.

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام : «الشّرة سجيّة الأرجاس».[1]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام : «الشّرة من مساوى الأخلاق».[2]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام : «الشّرة يشين النّفس و يفسد الدّين و يزرى بالفتوّة».[3]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام : «بالشّرة تشان الأخلاق».[4]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام : «احذر الشّرة، فكم من أكلة منعت أكلات».[5]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام : «احذروا الشّرة، فانّه خلق مردى».[6]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام : «إيّاك و الشّرة، فانّه يفسد الورع و يدخل النّار».[7]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام : «كفى بالشّرة هلكا».[8]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام : «الشّرة اسّ كلّ شرّ».[9]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام : «ايّاك و الشّرة فانّه رأس كلّ دنيّة و اسّ كلّ رذيلة».[10]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام : «لكلّ شيءٍ بذر و بذر الشّرّ، الشّرة».[11]

---

١ تصنيف غرر الحكم، ص ٢٩٦، ح ٦٦٥٥.

٢ تصنيف غرر الحكم، ص ٢٩٦، ح ٦٦٥٨.

٣ تصنيف غرر الحكم، ص ٢٩٦، ح ٦٦٧٢.

٤ تصنيف غرر الحكم، ص ٢٩٦، ح ٦٦٦٢.

٥ تصنيف غرر الحكم، ص ٢٩٦، ح ٦٦٦٠

٦ تصنيف غرر الحكم، ص ٢٩٦، ح ٦٦٥٩

٧ تصنيف غرر الحكم، ص ٢٩٦، ح ٦٦٧٣

٨ تصنيف غرر الحكم، ص ٢٩٦، ح ٦٦٦٥

٩ تصنيف غرر الحكم، ص ٢٩٦، ح ٦٦٥٧

١٠ تصنيف غرر الحكم، ص ٢٩٦، ح ٦٦٦١

١١ تصنيف غرر الحكم، ص ٢٩٦، ح ٦٦٦٦

❊ قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام : «الشّرة جامع لمساوى العيوب».[1]

❊ قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام : «رأس المعايب الشّرة».[2]

❊ قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام : «إيّاكم و دناءة الشّرة و الطمع، فانّه رأس كلّ شرّ، و مزرعة الذّل، و مهين النّفس، و متعب الجسد».[3]

❊ قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام : «الشّرة داعية الشّرّ».[4]

❊ قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام : «يستدلّ على شرّ الرّجل بكثرة شرهه و شدّة طمعه».[5]

❊ قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام : «ثمرة الشّرة التّهجّم على العيوب».[6]

❊ قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام : «الشّرة لا يرضى».[7]

❊ قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام : «لن يلق الشّرة راضيا».[8]

❊ قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام : «الشّرة يثير الغضب».[9]

❊ قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام : «من شرهت نفسه ذلّ موسراً».[10]

❊ قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام : «الحرص و الشّرة يكسبان الشّقاء و الذّلّة».[11]

---

۱ تصنيف غرر الحكم، ص ۲۹٦، ح ٦٦٥٦

۲ تصنيف غرر الحكم، ص ۲۹٦، ح ٦٦٦٤

۳ تصنيف غرر الحكم، ص ۲۹٦، ح ٦٦٧٤

٤ تصنيف غرر الحكم، ص ۲۹٦، ح ٦٦٥۳

٥ تصنيف غرر الحكم، ص ۲۹٦، ح ٦٦٦۸

٦ تصنيف غرر الحكم، ص ۲۹٦، ح ٦٦٧٦

۷ تصنيف غرر الحكم، ص ۲۹٦، ح ٦٦٧۱

۸ تصنيف غرر الحكم، ص ۲۹٦، ح ٦٦٧٧

۹ تصنيف غرر الحكم، ص ۲۹٦، ح ٦٦٧۰

۱۰ تصنيف غرر الحكم، ص ۲۹٦، ح ٦٦٧۹

۱۱ تصنيف غرر الحكم، ص ۲۹٤، ح ٦٦۱۱

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام : «اصل الشّرة الطّمع، و ثمرته الملامة».[۱]

* عن أبي عبدالله عليه السلام: «.... و ايّاكم ان تشره انفسكم إلى شيء ممّا حرم الله عليكم فإنّ من انتهك ما حرّم الله عليه ههنا في الدّنيا حال الله بينه و بين الجنّة و نعيمها و لذّتها...».[۲]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال : «المؤمن له قوّة في دين.... و انتهاء في شهوة.... و لا يفضحه بطنه و لا يغلبه فرجه».[۳]

* عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال لي : «يا ابا محمّد إنّ البطن ليطغى من اكله و اقرب ما يكون العبد من الله إذا خفّ بطنه، و ابغض ما يكون العبد من الله إذا امتلأ بطنه».[٤]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : «بئس العون على الدّين قلب نخيب (قلّة نخيب ـ خ ل) و بطن رغيب و نعظ شديد».[٥]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال : «انّ الله يبغض كثرة الأكل»، و قال أبو عبدالله عليه السلام : «ليس بدّ لابن آدم من أكلة يقيم بها صلبه فاذا أكل احدكم طعاماً فيجعل ثلث بطنه للطعام و ثلث بطنه للشراب و ثلث بطنه للنّفس و لاتسمنوا تسمن الخنازير للذبح».[٦]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : «المؤمن يأكل في معاء واحدة و

---

۱ تصنيف غرر الحكم، ص ۲۹٦، ح ٦٦٧٥

۲ ـ بحار الانوار، ج ۷٥، ص ۲۱۲، باب ۲۳، ح ۹۳

۳ ـ الكافي، ج ۲، باب المؤمن و علاماته، ص ۲۳۱، ح ٤

٤ ـ وسائل الشيعة، ج ١٦، أبواب آداب المائده، باب ۱، ص ٤٠٥، ح ۱

٥ ـ وسائل الشيعة، ج ١٦، أبواب آداب المائده، باب ۱، ص ٤٠٦، ح ٤

٦ ـ وسائل الشيعة، ج ١٦، أبواب آداب المائده، باب ۱، ص ٤٠٦، ح ٥

المنافق يأكل في سبعة امعاء».[١]

❊ عن عمرو بن ابراهيم قال: سمعت ابا الحسن عليه‌السلام يقول: «لو انّ النّاس قصدوا في الطّعم لاعتدلت ابدانهم».[٢]

❊ عن حفص بن غياث عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: «ظهر ابليس ليحيى بن زكريا عليه‌السلام و إذا عليه معاليق من كلّ شيء فقال له يحيى: ما هذه المعاليق؟ فقال: هذه الشّهوات الاتي ّصيب بها ابن آدم، فقال: هل لي منها شيءٌ؟ فقال: ربما شبعت فشغلناك عن الصّلوة و الذّكر، قال: لله عليّ ان لا املأ بطني من طعام ابداً، و قال إبليس: لله عليّ ان لا انصح مسلماً ابداً»، ثمّ قال أبوعبدالله عليه‌السلام: «يا حفص لله على جعفر و آل جعفر ألّا يملأوا بطونهم من طعام ابداً ولله على جعفر و آل جعفر أن لايعملوا للدّنيا ابداً».[٣]

❊ عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: «يا ابا محمّد إنّ البدن (البطن ـ خ ل) ليطغى من أكله و اقرب ما يكون العبد من الله إذا جاع بطنه و ابغض ما يكون العبد إلى الله إذا امتلأ بطنه».[٤]

---

١ ـ وسائل الشيعة، ج ١٦، أبواب آداب المائده، باب ١، ص ٤٠٦، ح ٦

٢ ـ وسائل الشيعة، ج ١٦، أبواب آداب المائده، باب ١، ص ٤٠٦، ح ٧

٣ ـ وسائل الشيعة، ج ١٦، أبواب آداب المائده، باب ١، ص ٤٠٧، ح ٨

٤ ـ وسائل الشيعة، ج ١٦، أبواب آداب المائده، باب ١، ص ٤٠٧، ح ١٣

الرذيلة الثامنة عشرة : الخمود

و هي أيضاً ضد العفّة و ضد الشرّه ايضاً، لان الخمود تفريط و الشرّه افراط، و كلّ واحد منهما من الرذائل .

و هي ملكة و حالة تنشأ منها الرغبة غير المحمود عن الشهوات و الميول و كأنّ صاحبها غفل عن كونه ذا بعدين، و له تمايلات نفسانيّة، يجب عليه أن يقوم بها فحرّم على نفسه تلك التمايلات و هي رذيلة خبيثة بل في كثير من الناس هي رذيلة أشدّ قبحاً من الشرّه،

و هي مثل الشرّه اكثر استعمالها في خمود الشهوة الجنسيّة و عدم الالتفاب بها، و الاسلام ذمّها مبالغاً في ذلك

قال الله تعالى : ﴿ يا ايّها الّذين امنوا لاتحرّموا طيّبات ما احلّ الله لكم و لاتعتدوا، انّ الله لا يحبّ المعتدين ﴾ (١)

و قال تعالى : ﴿ يا بنى آدم خذوازينتكم عند كلّ مسجد و كلوا و اشربوا و لا تسرفوا انّه لا يحبّ المسرفين، قل من حرّم زينة الله الاتي ّخرج لعباده و الطّيّبات من الرّزق قل

---

١ ـ المائدة / ٨٧

هي للّذين امنوا في الحيوة الدّنيا خالصة يوم القيمة ﴾[1]

و قال تعالى: ﴿ فبظلم من الّذين هادوا حرّمنا عليهم طيّبات احلّت لهم ﴾[2]

فترى ان الله تعالى يلوم اليهود و يذمّهم على تحريمهم الطيّبات على أنفسهم، فظلموها، كما ان غير واحد من الآيات جعل الطيّبات مثوبة للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿ يا ايّها الّذين امنوا كلوا من طيّبات مارزقناكم و اشكروا لله ﴾[3]

و قال تعالى: ﴿ يا ايّها الرّسل كلوا من الطّيّبات و اعملوا صالحاً ﴾[4]

و لتكريمه تعالى بنى آدم صور شتّى ذكر بعضها في القرآن الكريم، فتارةً يكرّمه و يهديه اكليل الكرامة، و تارةً أخرى يكرّمه بأن يهب له الطّيّبات ما أراد،

قال تعالى: و لقد كرّمنا بنى آدم و حملناهم في البرّ و البحر و رزقناهم من الطّيبات و فضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً ﴾[5]

فمن حرّم طيّبات الدنيا على نفسه و رغب عنها، قد ترك كرامةً وهبها الله تعالى له، فهو مذمومٌ و سيرته غير محمودةٍ عند الله، أضف إلى ذلك عدّه في الذكر الحكيم في عداد المفسدين في الأرض و هذا ينبيء عن بُعده عن ساحته تعالى.

قال تعالى: ﴿ وابتغ فيما اتيك الله الدّار الاخرة و لا تنس نصيبك من الدّنيا و احسن كما احسن الله إليك و لا تبغ الفساد في الارض، انّ الله لا يحبّ المفسدين ﴾[6]

و قال تعالى: ﴿ يا ايّها الّذين امنوا لاتحرّموا طيّبات ما احلّ الله لكم و لا تعتدوا، انّ الله لا يحبّ المعتدين ﴾[7]

و هو الّذي يصدق عليه أنّه تقدّم على الله و على رسوله صلى الله عليه وآله، و ان يرفع صوته فوق

---

١ ـ الاعراف / ٣٢ ـ ٣١ ٢ ـ النساء / ١٦٠ ٣ ـ البقرة / ١٧٢

٤ ـ المؤمنون / ٥١ ٥ ـ الاسراء / ٧٠ ٦ ـ القصص / ٧٧

٧ ـ المائدة / ٨٧

صوت النّبى لأنّه نهج منهجاً ما خطّه الله و رسوله له، فتجاوز سبيلها، ولا سبيل له إلّا حبط أعماله.

قال تعالى : ﴿ يا ايّها الّذين امنوا لاتقدّموا بين يدى الله و رسوله و اتّقوا الله، انّ الله سميع عليم * يا ايّها الّذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النّبىّ و لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم ﴾[١]

بل في كثير من الروايات سُلِب عنه الايمان، مشيراً إلى أنّ المؤمنين لا خمود فيهم، فمن خمد عن مشتهياته الطيّبة لا يُطلق عليه المؤمن،

عن اميرالمؤمنين على عليه السلام قال : ان جماعة من الصحابة كانوا حرّموا على انـفسهم النساء و الافطار بالنّهار و النّوم بالليل فاخبرت امّ سلمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فـخرج إلى اصحابه فقال : اترغبون عن النساء، انّى آتى النساء و آكل بالنّهار، و انام بالليل، فمن رغب عن سنتى فليس منّى، و انزل الله : ﴿ لا تحرّموا طيّبات ما احلّ الله لكم و لا تعتدوا انّه لا يحبّ المعتدين * و كلوا ممّا رزقكم الله حلالاً طيّباً و اتقوا الله الاذي ّنتم به مؤمنون ﴾[٢] فقالوا : يا رسول الله انّا قد حلفنا على ذلك فانزل الله : ﴿ لا يـؤاخـذكم الله بـاللّغو فـي ايمانكم ﴾[٣] إلى قوله : ﴿ ذلك كفّارة ايمانكم إذا حلفتم و احفظوا ايمانكم ﴾[٤]

و قال عليه السلام : ليس منا من ترك دنياه لاخرته و لا آخرته لدنيا.[٥]

و ما روى عنهم في ترغيب الناس إلى الزواج و ترغيبهم ايّاهم إلى طلب الحلال من الدنيا، يحيّر العقول و نحن نروى هيهنا روايتين منها:

عن أبي عبدالله عليه السلام قال : جاء رجل إلى أبي عليه السلام فقال له : هل لك من زوجة ؟ قال :

---

١ ـ الحجرات / ٢ ـ ١ ٢ - المائدة / ٨٨ ـ ٨٧ ٣ ـ المائدة / ٨٩

٤ ـ وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٨، باب ٢ أبواب مقدمات النكاح، ح ٩

٥ ـ وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٤٩، باب ٢٨ أبواب مقدمات التجارة، ح ١

لا، فقال أبي : ما احبّ انّ لي الدنيا و ما فيها و انّي بتّ ليلة و ليست لي زوجة، ثمّ قال : الركعتان يصلّيهما رجل متزوّج افضل من رجل اعزب يقوم ليله و يصوم نهاره. ثم اعطاه أبي سبعة دنانير ثم قال : تزوّج بهذه، ثمّ قال أبي : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : اتّخذوا الأهل فإنه ارزق لكم.[١]

و عن الراوى قال : رأيت ابا الحسن عليه السلام يعمل في ارض له قد استنقعت قدماه في العرق، فقلت : جعلت فداك اين الرجال ؟ فقال : يا على قد عمل باليد من هو خير منّي و من أبي في ارضه، فقلت : و من هو ؟ فقال : رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و اميرالمؤمنين عليه السلام و آبائى كلّهم، كانوا قد عملوا بايديهم، و هو من عمل النبيّين والمرسلين و الاوصياء و الصّالحين.[٢]

و نحوهما في هذا الباب كثير فراجع ان شئت.

و في الخاتمة يكفيك التنبّه بقوله تعالى : ﴿و منهم من يقول ربّنا اتنا في الدّنيا حسنة و في الاخرة حسنة وقنا عذاب النّار﴾[٣]

فالحسنة في الدنيا هي أشياء بها يتمّ أمر الحياة، كالزوجة الصالحة و الكفاف من المال الحلال و السلامة في الجسم و نحو ذلك، كما ان الحسنة في الاخرة هي رضوان الله و الجنّة و نعيمها، نعم! الحسنة في الدنيا و الاخرة حسنة إذا كانت مع الله تعالى و رضاه.

قال تعالى : ﴿ ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنّة و نجّنى من فرعون و عمله و نجّنى من القوم الظّالمين ﴾[٤]

---

١ ـ وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٧، باب ٢ أبواب مقدمات النكاح، ح ٤

٢ ـ وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٣، باب ٩ أبواب مقدمات التجارة، ح ٦

٣ ـ البقرة / ٢٠١

٤ ـ

التحريم / ١١

فامرئة فرعون حين اغتالها آل فرعون و أرادت أن تقتلها سألت من ربّها الجنّة و لكن عندالله تعالى، لان النعم في الدنيا كلها بلاصاحبها الّذي هو خالقها و بارؤها وزر و عذاب، و عند اهل الله تعالى النعم الاخروية و الدنيويّة في ذلك سيّان، فالجنّة و نعيمها نعم و لذائذ إذا كانت ردفاً لقول الله تعالى: ﴿ سلام قولاً من ربّ رحيم ﴾[1]

لا يقال ان القرآن مدح يحيى عليه‌السلام بكونه حصوراً، و الحصور هو من منع نفسه عن النساء و الزواج،

قال الله تعالى: ﴿ انّ الله يبشرك بيحيى مصدّقاً بكلمة من الله و سيّداً و حصوراً و نبيّاً من الصّالحين ﴾[2]

و ان عيسى و امّه مريم عليه‌السلام أيضاً كانا حصورين، فهذا و امثاله يدل على جواز الاعراض عن النساء، بل على كونه حسناً، فيجوز التباعد عن الدنيا و لذّاتها.

لانه يقال ان الحصور في القرآن جاء بمعنى العفّة لا بمعنى العزوبة، فمدح الله تعالى يحيى بكونه عفيفاً ذا ورعٍ فيما يرجع إلى الجنس كما مدح مريم بذلك.

و اما عدم زواج مريم و ابنها، بل يحيى، فغير معلومٍ، وقوعاً و لمّيّةً و لو سلم بذلك، فهو مسئلة خارجية، غير معلومة لنا، و لعل الظروف الخاصّة بهم تمنعهم عن الزواج، كما يظهر من التاريخ، فربما يوجب الزمان أو المكان أو غيرهما من المقتضيات و الموانع رفع اليدعن كثير من المندوبات، كما يمنع في بعض الأحيان عن الاتيان بالواجبات.

و بالجملة ان مجرد فعل ظهر عن نبيّ أو وليّ لا يوجب رفع اليد عن حكم الفطرة و الوحى و سيرة العترة الطاهرة، بعد عدم معلوميّة ذلك الفعل لميّةً و لعلّهم كانوا مزدوجين و التأريخ لم يرو لنا سيرتهم في ذلك، و هذا لا استبعاد فيه نظراً إلى البُعد الواقع بين زمانين، زمانهم و زماننا هذا، و لو سلّم كونهم مجردين، فعلة ذلك ليست بمعلومة لنا فليس سيرتهم

---

١ ـ يس / ٥٨ ٢ ـ آل عمران / ٣٩

حجّةٌ علينا.

و لو سلّم ما اشتهر من سيرتهم من الإعراض عن الدنيا و طيّباتها، فسيرتهم نُسخت بشريعتنا الغرّاء، لتوافقها الفطرة. و قد دلّت على ما قلنا مضافاً إلى السيرة المعصوميّة، كثرة ما وردت من الآيات و الروايات في الحثّ على النكاح، و التّمتع بطيّبات الدنيا.

روايات في ذمّ الخمود

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: نزلت هذه الآية: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا لا تحرّموا طيّبات ما احلّ الله لكم﴾[1] في اميرالمؤمنين عليه السلام و بلال و عثمان بن مظعون فامّا اميرالمؤمنين عليه السلام فحلف ان لا ينام في اللّيل ابداً، و امّا بلال فإنّه حلف ان لا يفطر بالنّهار ابداً، و امّا عثمان بن مظعون فإنّه حلف ان لا ينكح ابداً، فدخلت امرأة عثمان على عائشة و كانت امراة جميلة فقالت عائشة: مالى اراك متعطّلة؟ فقالت: و لمن اتزيّن؟ فوالله ما قربنى زوجى منذ كذا و كذا، فانّه قد ترهّب و لبس المسوح و زهد في الدّنيا، فلمّا دخل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم اخبرته عائشة بذلك فخرج فنادى: الصّلاة جامعة، فاجتمع النّاس فصعد المنبر فحمدالله و اثنى عليه ثمّ قال: ما بال اقوام يحرّمون على انفسهم الطيّبات؟ الا إنّى انام بالليل و انكح و افطر بالنّهار فمن رغب عن سنتى فليس منّى، فقام هؤلاء فقالوا: يا رسول الله فد حلفنا على ذلك، فانزل الله: ﴿لا يؤاخذكم الله باللّغو في ايمانكم و لكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفّارته إطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايّام ذلك كفّارة ايمانكم إذا حلفتم﴾ الآية.[2]-[3]

* عن ابراهيم بن عبدالحميد قال : حججت و سكّين النخعى فتعبّد و ترك النساء و الطّيب و الثّياب و الطّعام الطّيّب، و كان لا يرفع راسه داخل المسجد إلى السّماء، فلمّا قدم

---

١ ـ المائدة / ٨٧ ٢ ـ المائدة / ٨٩.

٣ ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١١٦، باب ٥١، ح ٤

المدينة دنا عن أبي اسحاق فصلّى إلى جانبه فقال : جعلت فداك إنّي اريد ان اسألك من مسائل، قال : اذهب فاكتبها و أرسل بها إليّ فكتب جعلت فداك رجل دخله الخوف من الله عزّوجلّ حتّى ترك النساء و الطّعام الطّيب و لا يقدر ان يرفع رأسه إلى السّماء، و امّا الثّياب فشكّ فيها فكتب امّا قولك في ترك النّساء فقد علمت ما كان لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من النّساء، و امّا قولك في ترك الطّعام الطّيّب فقد كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يأكل اللّحم و العسل و امّا قولك إنّه دخله الخوف حتّى لا يستطيع ان يرفع رأسه إلى السماء فأكثر من تلاوة هذه الايات ﴿الصّابرين و الصّادقين و القانتين و المنفقين و المستغفرين بالأسحار﴾ [1][2]

* قال له (يعني الرّضا عليه السلام) الصّوفيّة : انّ المأمون قد ردّ هذا الامر إليك و أنت أحقّ النّاس به إلّا انّه تحتاج ان يتقدم منك تقدّمك إلى لبس الصّوف و ما يحسن لبسه، فقال : و يحكم، انّما يراد من الامام قسطه و عدله إذا قال صدق، و إذا حكم عدل، و إذا وعد انجز ﴿ قل من حرّم زينة الله الاتي ّخرج لعباده و الطّيّبات من الرّزق ﴾ [3] انّ يوسف عليه السلام لبس الدّيباج المنسوج بالذهب، و جلس على متّكآت آل فرعون. [4]

* من كلام له عليه السلام بالبصرة و قد دخل على العلاء بن زياد الحارثى يعوده و هو من اصحابه فلّما رأى سعة داره قال ما كنت تصنع بسعة هذه الدّار في الدّنيا ؟ و انت اليها في الاخرة كنت احوج، و بلى ان شئت بلغت بها الآخرة تقرى فيها الضّيف، و تصل فيها الرّحم و تطلع منها الحقوق مطالعها، فاذا انت قد بلغت بها الاخرة.

فقال له العلاء : يا اميرالمؤمنين اشكو إليك اخى عاصم بن زياد، قال : و ما له؟ قال: لبس العباء و تخلّى من الدّنيا، قال: عليّ به، فلّما جاء قال يا عديّ نفسه لقد استهام بك الخبيث، اما رحمت اهلك و ولدك، اترى الله احلّ لك الطيّبات و هو يكره ان تأخذها؟ انت

---

١ ـ آل عمران ١٧

٢ ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١١٧، باب ٥١، ح ٦

٣ ـ الاعراف / ٣٢

٤ ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١١٨، باب ٥١، ح ٧

اهون على الله من ذلك، قال: يا اميرالمؤمنين هذا انت في خشونة ملبسك و جشوبة ماكلك، قال: و يحك انّى لست كانت انّ الله تعالى فرض على ائمة الحقّ ان يقدّروا انفسهم بضعفة النّاس كيلا يتبيّغ بالفقير فقره.[١]

* عن أبي عبدالله عليه السلام: نعم العون الدنيا على الاخرة.[٢]

* عن أبي عبدالله عليه السلام: ليس منا من ترك دنياه لآخرته و لا اخرته لدنياه.[٣]

* عن العالم عليه السلام: إعمل لدنياك كأنّك تعيش ابداً و اعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً[٤].

* قيل انّ سلمان رضي الله عنه جاء زائراً لأبى الدّرداء فوجد امّ الدّرداء مبتذلة، فقال: ماشأنك ؟ قالت: انّ أخاك ليست له حاجة في شيء من أمر الدّنيا، قال: فلمّا جاء أبو الدّرداء رحّب لسلمان و قرّب إليه طعاماً فقال لسلمان: اطعم، فقال: انّى صائم، قال: اقسمت عليك إلّا ما طعمت، فقال: ما انا بآكل حتّى تأكل، قال: و بات عنده، فلمّا جاء اللّيل قام أبو الدّرداء فحبسه سلمان قال: يا ابا الدّرداء انّ لربّك عليك حقّا و انّ لجسدك عليك حقّاً و لأهلك عليك حقّاً، فصم و افطر و صلّ ونم و اعط كلّ ذى حق حقّه، فاتى أبو الدّرداء النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره بما قال سلمان، فقال له مثل قول سلمان.[٥]

* عن جعفر بن محمّد عن ابائه عليهم السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتى اهل الصّفة و ... فقام سعد بن أشجّ فقال: يا رسول الله ما يفعل بنا بعد الموت ؟ قال: الحساب و القبر، ثمّ

---

١ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبة، ٢٠٩

٢ ـ من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٩٤،باب ٥٨، ح ٢

٣ ـ من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٩٤، باب ٥٨، ح ٣

٤ ـ من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٩٤، باب ٥٨، ح ٤

٥ ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١٢٨، باب ٥١، ح ١٤

ضيقه بعد ذلك أو سعته، فقال : يا رسول الله هل تخاف انت ذلك؟ فقال : لا و لكن استحيى من النّعم المتظاهرة الّتي لا اجازيها و لا جزءاً من سبعة، فقال سعد بن أشجّ : انّى اشهدالله و أشهد رسوله و من حضرنى انّ نوم اللّيل علىّ حرام (و الاكل بالنّهار على حرام، و لباس اللّيل علىّ حرام، و مخالطة النّاس علىّ حرام، و إتيان النساء علىّ حرام) فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم : يا سعد لم تصنع شيئاً كيف تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر إذا لم تخالط النّاس، و سكون البرية بعد الحضر كفر للنعمة نم بالليل، و كلّ بالنّهار و البس ما لم يكن ذهباً أو حريراً أو معصفراً و آت النّساء[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام : لا خير فيمن لايحبّ جمع المال من حلال فيكفّ به وجهه و يقضى به دينه و يصل به رحمه.[2]

* عن الفضل بن يسار قال قلت لأبى عبدالله عليه السلام : انى قد تركت التجارة، فقال : فلا تفعل إفتح بابك و ابسط بساطك و استرزق الله ربك.[3]

* دخل سفيان الثورى على أبي عبدالله عليه السلام فرأى عليه ثياب بياض كأنّها غرقئ البيض فقال له : إنّ هذا (اللباس) ليس من لباسك، فقال له : اسمع منّى و ع ما اقول لك، فانّه خير لك عاجلاً و آجلاً، ان كنت أنت متّ على السنّة و الحقّ، و لم تمت على بدعة. أُخبرك أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كان في زمان مقفر جشب فاذا أقبلت الدّنيا فأحقّ اهلها بها ابرارها لا فجّارها، و مؤمنها لا منافقوها، و مسلموها لا كفّارها فما أنكرت يا ثورى؟ فوالله إنّى لمع ما ترى ما أتى علىّ مذ عقلت صباح و لا مساء و لله في مالى حقّ أمرنى ان اضعه موضعاً إلّا وضعته. فقال : ثمّ أتاه قومه ممّن يظهر التزهّد، و يدعون الناس أن يكونوا معهم مثل الّذي

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١٢٨، باب ٥١، ح ١٥

٢ ـ من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ١٠٢، باب ٥٨، ح ٥٠

٣ ـ من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ١٠٠، باب ٥٨، ح ٤١

هم عليه من التقشّف فقالوا : إنّ صاحبنا حصر عن كلامك، و لم تحضره حجّة، فقال لهم : هاتوا حججكم، فقالوا : إنّ حججنا من كتاب الله قال لهم: فادلوا بها فانّها احقّ ما اتّبع و عمل به. فقالوا : يقول الله تبارك و تعالى يخبر عن قوم من اصحاب النبيّ صلّی الله علیه و آله و سلّم : و يؤثرون على انفسهم و لو كان بهم خصاصة و من يوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون[۱] فمدح فعلم، و قال في موضع آخر : و يطعمون الطعام على حبّه مسكيناً و يتيماً و أسيراً[۲] فنحن نكتفى بهذا، فقال رجل من الجلساء : انّا ما رأيناكم تزهدون في الأطعمة الطيّبة و مع ذلك تأمرون الناس بالخروج من اموالهم حتّى تتمتّعوا انتم منها ؟ فقال (له) أبوعبدالله علیه السلام: دعوا عنكم ما لاينتفع به، اخبرونى ايّها النفر ألكم علم بناسخ القرآن من منسوخه و محكمه من متشابههالّذي في مثله ضلّ من ضلّ، و هلك من هلك من هذه الامّة ؟ فقالوا له : أو بعضه فأمّا كلّه فلا. فقال لهم : من ههنا اتيتم و كذلك احاديث رسول الله صلّی الله علیه و آله. فأمّا ما ذكرتم من إخبار الله إيّانا في كتابه عن القوم الّذين اخبر عنهم بحسن فعالهم، فقد كان مباحاً جائزاً، و لم يكونوا نهوا عنه، و ثوابهم منه على الله، و ذلك انّ الله جلّ و تقدّس أمر بخلاف ما عملوا به، فصار امره ناسخاً لفعلهم، و كان نهى الله تبارك و تعالى رحمة للمؤمنين، و نظراً لكى لا يضرّوا بانفسهم و عيالاتهم منهم الضعفة الصّغار، و الولدان، و الشيخ الفان، و العجوز الكبيرة، الّذين لا يصبرون على الجوع، فان تصدّقت برغيفى و لا رغيف لي غيره، ضاعوا و هلكوا جوعاً. فمن ثمّ قال رسول الله صلّی الله علیه و آله و سلّم : خمس تمرات أو خمس قرص أو دنانير أو دراهم يملكها الإنسان و هو يريد ان يمضيها فافضلها ما انفقه الإنسان على والديه، ثمّ الثانية على نفسه و عياله، ثمّ الثالثة القرابة و اخوانه المؤمنين، ثمّ الرابعة على جيرانه الفقراء، ثمّ الخامسة في سبيل الله و هو اخسّها اجراً. و قال النبيّ صلّی الله علیه و آله و سلّم للأنصارى حيث اعتق عند موته خمسة أو ستّة من الرقيق، و لم يكن يملك غيرهم، و له اولاد صغار : لو اعلمتمونى امره

---

۱ ـ الحشر / ۹ ۲ ـ الانسان / ۸

ما تركتكم تدفنونه مع المسلمين، ترك صبية صغاراً يتكفّفون الناس ثمّ قال: حدّثني أبي انّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: ابدأ بمن تعول الأدنى فالأدنى. ثمّ هذا ما نطق به الكتاب ردّاً لقولكم و نهياً عنه، مفروض من الله العزيز الحكيم، قال: ﴿ لّذين إذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا و كان بين ذلك قواماً ﴾[1] افلا ترون انّ الله تبارك و تعالى قال غير ما أراكم تدعون (الناس إليه من الأثرة على انفسهم، و سمّى من فعل ما تدعون) إليه مسرفاً؟ و في غير آية من كتاب الله يقول: ﴿ إنّه لا يحبّ المسرفين ﴾[2] فنهاهم عن الاسراف، و نهاهم عن التقتير لكن أمر بين امرين، لايعطى جميع ما عنده ثمّ يدعو الله أن يرزقه فلا يستجيب له للحديث الّذي جاء عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ أصنافاً من امّتي لا يستجاب لهم دعاؤهم: رجل يدعو على والديه و رجل يدعو على غريم ذهب له بمال و لم يشهد عليه، و رجل يدعو على امرأته و قد جعل الله تخلية سبيلها بيده، و رجل يقعد في البيت يقول يا ربّ ارزقني و لايخرج يطلب الرزق فيقول الله جلّ و عزّ: عبدى! أولم أجعل لك السّبيل إلى الطلب و الضرب في الأرض بجوارح صحيحة؟ فتكون قد أعذرت فيما بيني و بينك في الطلب لاتّباع امرى، و لكيلا تكون كلّاً على اهلك فان شئت رزقتك، و إن شئت قترت عليك، و أنت معذور عندى، و رجل رزقه الله مالاً كثيراً فأنفقه ثمّ أقبل يدعو يا ربّ ارزقني فيقول الله: ألم أرزقك رزقاً واسعاً؟ أفلا اقتصدت فيه كما أمرتك، و لم تسرف كما نهيتك، و رجل يدعو في قطيعة رحم. ثمّ علّم الله نبيّه كيف ينفق، و ذلك انّه كان عنده اوقية من ذهب، فكره ان تبيت عنده فصدّق و اصبح ليس عنده شئ، و جاءه من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه، فلامه السايل و اغتمّ هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه، و كان رحيماً رفيقاً فأدّب الله نبيّه بامره إيّاه فقال: ﴿ و لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك و لا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً

---

١ ـ الفرقان / ٦٧ ٢ ـ الانعام / ١٤١، الاعراف / ٣١

محسوراً﴾[١] يقول : إنّ الناس قد يسألونك و لا يعذرونك فاذا أعطيت جميع ما عندك كنت قد حسرت من المال. فهذه أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يصدّقها الكتاب و الكتاب يصدق اهله من المؤمنين، و قال أبوبكر عند موته : اوصى بالخمس و الخمس كثير فانّ الله قد رضى بالخمس فأوصى بالخمس، و قد جعل الله له الثلث عند موته، و لو علم انّ الثلث خير (اً) له أوصى به. ثمّ من قد علمتم بعده في فضله و زهده سلمان و أبوذرّ، فأمّا سلمان فكان إذا أخذ عطاءه رفع منه قوته لسنته حتّى يحضره عطاؤه من قابل، فقيل له : يا ابا عبدالله انت في زهدك تصنع هذا ؟ و إنّك لا تدرى لعلّك تموت اليوم أو غداً، و كان جوابه أن قال : ما لكم لاترجون لي البقاء كما خفتم عليّ الفناء أو ما علمتم يا جهلة أنّ النّفس قد تلتاث على صاحبها أذا لم يكن لها من العيش ما يعتمد عليه فاذا هي أحرزت معيشتها اطمأنّت. فأمّا أبوذرّ فكانت له نويقات و شويهات يحلبها و يذبح منها إذا اشتهى اهله اللحم اونزل به ضيف أو رآى باهل الماء الّذين هم معه خصاصة نحر لهم الجزور أو من الشاة على قدر ما يذهب عنهم قرم اللّحم، فيقسمه بينهم، و يأخذ كنصيب احدهم لايفضل عليهم، و من ازهد من هؤلاء؟ و قد قال فيهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ما قال، و لم يبلغ من امرهما ان صارا لايملكان شيئاً البتّة، كما تأمرون الناس بالقاء امتعتهم و شيئهم و يؤثرون به على أنفسهم و عيالاتهم. و اعلموا أيّها النفر انّى سمعت أبى يروى عن آبائه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال يوماً: ما عجبت من شيء كعجبى من المؤمن، إنّه إن قرّض جسده في دار الدّنيا بالمقاريض، كان خيراً له، و إن ملك ما بين مشارق الأرض و مغاربها كان خيراً له فكلّ ما يصنع الله به فهو خير له، فليت شعرى هل يحيق فيكم اليوم ما قد شرحت لكم أم أزيد كم ؟ أو ما علمتم انّ الله جلّ اسمه فرض على المؤمنين في اوّل الأمر ان يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين ليس له ان يولّى وجهه عنهم، و من ولّاهم يومئذ دبره فقد تبوّء مقعده من النار، ثمّ حوّلهم

---

١ ـ الاسراء / ٢٩

من حالهم رحمة منه لهم فصار الرجل منهم عليه ان يقاتل الرجلين من المشركين تخفيفاً من الله عن المؤمنين فنسخ الرجلان العشرة. و اخبرونی أیضاً عن القضاة اجور منهم حيث يفرضون على الرجل منكم نفقة امراته إذا قال: انا زاهد و انّه لا شيء لى، فان قلتم جور ظلمتم اهل الاسلام و ان قلتم بل عدل خصمتم انفسكم، و حيث يردّون صدقة من تصدّق على المساكين عند الموت باكثر من الثلث. اخبرونى لو كان الناس كلّهم كما تريدون زهّاداً لا حاجة لهم في متاع غيرهم فعلى من كان يتصدّق بكفّارات الأيمان و النذور، و الصدقات من فرض الزكاة من الابل و الغنم و البقر، و غير ذلك من الذّهب و الفضّة و النخل و الزبيب و سائر ما قد وجبت فيه الزكاة، إذا كان الأمر على ما تقولون لاينبغى لأحد ان يحبس شيئاً من عرض الدّنيا إلّا قدّمه، و ان كان به خصاصة، فبئس ما ذهبتم اليه، و حمّلتم الناس عليه من الجهل بكتاب الله و سنّة نبيّه و احاديثه الّتي يصدّقها الكتاب المنزل، و ردّكم ايّاها بجهالتكم و ترككم النظر في غرائب القرآن من التفسير بالناسخ من المنسوخ، و المحكم و المتشابه و الأمر و النهى. و اخبرونى انتم عن سليمان بن داود عليه السلام حيث سأل الله ملكاً لاينبغى لأحد من بعده، فأعطاه الله ذلك، و كان يقول الحقّ و يعمل به، ثمّ لم نجد الله عاب ذلك عليه، و لا احداً من المؤمنين، و داود قبله في ملكه و شدّة سلطانه. ثمّ يوسف النبيّ حيث قال لملك مصر ﴿ اجعلنى على خزائن الأرض إنّى حفيظ عليم﴾[1] فكان من أمره الّذي كان (ان) اختار مملكة الملك، و ما حولها إلى اليمن، فكانوا يمتازون الطعام من عنده لمجاعة اصابتهم، و كان يقول الحقّ و يعمل به، فلم نجد احداً عاب ذلك عليه. ثمّ ذوالقرنين عبد احبّ الله فأحبّه، طوى له الأسباب و ملّكه مشارق الأرض و مغاربها و كان يقول بالحق و يعمل به ثمّ لم نجد احداً عاب ذلك عليه. فتأدّبوا ايّها النّفر بآداب الله للمؤمنين، و اقتصروا على أمر الله و نهيه، و دعوا عنكم ما اشتبه عليكم ممّا لاعلم لكم به، و ردّوا العلم

---

١ ـ يوسف / ٥٦

إلى اهله تؤجروا، و تعذروا عندالله، و كونوا في طلب علم النّاسخ من القرآن من منسوخه، و محكمه من متشابهه، و ما احلّ الله فيه ممّا حرّم فانّه اقرب لكم من الله و ابعد لكم من الجهل، و دعوا الجهالة لأهلها، فانّ اهل الجهل كثير، و اهل العلم قليل و قد قال الله ﴿ فوق كلّ ذى علم عليم ﴾[١]

١ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١٢٢، باب ٥١، ح ١٣

الفصل السادس عشر

الفضيلة السابعة عشرة: الـزهـد

الرّذيلة التاسعة عشرة: حبّ الدّنيا

الفضيلة السّابعةعشرة: الزّهد

و هي ملكة يقتدر صاحبها على الانقطاع عن التّعلّقات و المهن و الاشتغالات الدنيويّة، و ان لايشغله شيء من حطامها حرامها و حلالها، كثيرها و قليلها، و بهذا المعنى اشار غير واحد من الائمة إذا سئلوا عن معنى الزهد، فقالوا انه بين كلمتين في القرآن ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لاتفرحوا بما آتاكم ﴾[1]

و بهذا اشار الحافظ في شعره بالفارسية:

غلام همّت آنم كه زير چرخ كبود ز هر چه رنگ تعلّق پذيرد آزاد است

و لها مراتب و إلى كلّ واحدٍ منها أشير في الروايات و في كلمات علماء الأخلاق و يسمّى كلّ مرتبة من هذه المراتب باسم خاص و نحن نذكرها اجمالاً.

١ ـ زهد الفرض: و هو رفع التعلق عن المحرمات الدنياويّة، مالها و رئاستها و شهوتها. و هذا القسم يرجع إلى ملكة العدالة و تحصلها لانها ملكة يقتدر بها على الاجتناب

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣٠٩، باب ٥٨، ح ٥، ٨، ١٠، ٢٣، ٣٥

عن المحرمات كلّها، وعدّ صاحب هذا القسم في الروايات «ازهد الناس».

عن أبي عبدالله عليه السلام :اورع النّاس من وقف عند الشبهة، اعبد النّاس من اقام الفرائض، ازهد النّاس من ترك الحرام، اشد النّاس اجتهاداً من ترك الذنوب[١].

و صيغة افعل التفضيل في هذه الجملات كلها جيئت بها للتأكيد، و معناها ان الورع و العبادة و الزهد و الاجتهاد بهذا المقدار في الاسلام واجب مؤكّد، لابدّ منه لكلّ مسلم.

٢ ـ زهد السلامة : و هو القدرة على ترك المكروهات و المشتبهات بحيث تكونا عنده مرغوب عنهما كالمحرّمات.

و هذا الزهد لازمٌ لابدّ منه لكل من أراد السير و السلوك و التهذيب و التخلّق باخلاق الله، بل لايمكن ذلك الا به، لانه لو لم يترك الشبهات لايقدر على أخذ ناصية النفس، و قد اشار اهل العصمة عليهم السلام مستفيضةً بذلك، و منها

قول النبي صلى الله عليه وآله: حلال بيّن و حرام بيّن و شبهات بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجى من المحرمات و من اخذ بالشبهات ارتكب المحرمات و هلك من حيث لا يعلم.[٢]

و قول اميرالمؤمنين عليه السلام : المعاصى حمى الله، فمن يرتع حولها يوشك ان يدخلها.[٣]

و قول النبي صلى الله عليه وآله: فان الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة[٤]

٣ ـ زهد الكفاف : و هو القدرة على ان يترك كلّ ما هو زائد عمّا يكفيه في معاشه و حياته، بحيث يكون راغباً عنه فارّاً منه، و ورد مدحه و الترغيب فيه في روايات كثيرة، منها:

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣٠٥، باب ٥٧، ح ٢٥

٢ ـ الكافى، ج ١، ص ٦٨، رواية ١٠

٣ ـ وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ١٢٩، ح ٦١

٤ ـ وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ١٩٣، باب ١٥٧، ح ٢

عن أبي جعفر عليه السلام يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله عزّوجلّ : ان من اغبط اوليائى عندى رجلاً خفيف الحال، ذا حظٍّ من صلاة، احسن عبادة ربه بالغيب، و كان غامضاً في الناس، جعل رزقه كفافاً، فصبر عليه، عجّلت منيّته، فقلّ تراثه و قلت بواكيه.[1]

و نظيرها في الروايات كثير، فانظر على سبيل المثال ما ورد في باب الكفاف من الكافى، ج ٢، ص ١٤٠

٤ ـ زهد الحلال : و هو القدرة على ان يترك المشتهيات الا ممّا لا بدّ منه، امّا الزائد على الضرورة فيكرهه و يرغب عنه.

و بهذا القسم أيضاً اشار الائمة عليهم السلام في جملةٍ من الروايات و منها:

عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : « جعل الخير كلّه في بيت و جعل مفتاحه الزهد في الدنيا، ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يجد الرجل حلاوة الايمان في قلبه حتّى لايبالى من أكل الدنيا، ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام : حرام على قلوبكم ان تعرف حلاوة الايمان حتّى تزهد في الدنيا »[2]

٥ ـ زهد النّفس : و هو ان لا يرى نفسه و و هواه، بل يكون هواه فانياً في مشيئة الله تعالى، فلم يكن له ارادةٌ غير ما أراده الله، كالميّت بين يدى الغسّال و هو ما سمّى عند اهل العرفان بالفناء، و هو حكم الله تعالى حكماً مطلقاً على قلبه، فحبّه ذاته الّذي هو من لوازم ذاته، فضلاً عن حبّه الدنيا يفنى في حبّ الله تعالى، فليس في قلبه شى، حتّى ما يشير إلى نفسه.

و بهذا المقام اشير في روايات، منها:

عن أبي جعفر عليه السلام قال : انّ الله عزّوجلّ يقول : و عزتى و جلالى و عظمتى و علوى و

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٤٠، باب الكفاف، ح ١

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٨، باب ذم الدنيا و الزهد فيها، ح ٢

ارتفاع مكانى لايؤثر عبد هواى على هوى نفسه إلّا كففت عليه ضيعته و ضمّنت السماوات و الأرض رزقه و كنت له من وراء تجارة كلّ تاجر.[۱]

و عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله عزّوجلّ: و عزّتى و جلالى و عظمتى و بهائى و علو ارتفاعى، لايؤثر عبد مؤمن هواى على هواه في شيء من أمر الدنيا إلّا جعلت غناه في نفسه و همّته في آخرته و ضمّنت السّماوات و الأرض رزقه و كنت له من وراء تجارة كلّ تاجر.[۲]

ثمّ ان علماء علم الأخلاق عدّوا من مراتب الزهد زهد الآخرة، و قد أشاروا اليها مبتهجين بها، و هو التوجه التام إلى الله تعالى، بحيث يكون غافلاً عن لذّات الاخرة، فضلاً عن حطام الدنيا، و أن لا يشغل قلبه شيء إلّا الله تبارك و تعالى، فله أن يحكى قول اميرالمؤمنين عليه السلام: ما عبدتك خوفا من نارك و لا طمعاً في جنّتك، لكن وجدتك اهلاً للعبادة، فعبدتك.[۳]

و معلوم ان لا جزاء لمن اتّصف بهذه المرتبة من الزهد إلّا الله تعالى.

و في الرواية المعراجية: يا احمد ان في الجنّة قصراً من لؤلؤة فوق لؤلؤة، و درّة فوق درّة، ليس فيها قصم و لا وصل فيها الخواص، انظر إليهم كلّ يوم سبعين مرّة، فاكلّمهم كلّما نظرت إليهم و ازيد في ملكهم سبعين ضعفا، و إذا تلذّذ اهل الجنّة بالطعام و الشراب تلذّذوا بكلامى و بذكرى و حديثى، قال ربّ ما علامة اولئك؟ قال: هم في الدنيا مسجونون قد سجنوا السنتهم من فضول الكلام و بطونهم من فضول الطعام.[٤]

و أشير في جملةٍ من آيات الذكر الحكيم إلى هذا المقام منها:

---

۱ ـ الكافى، ج ۲، ص ۱۳۷، ح ۱

۲ ـ الكافى، ج ۲، ص ۱۳۷، ح ۲

۳ ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ۱۸٦، باب ۵۳، ح ۱

٤ ـ ارشاد الديلمى آخر الجزء الأوّل و بحار الانوار، ج ۷٤، ص ۲۳، باب ۲، ح ٦

قوله تعالى : ﴿ يا ايّتها النّفس المطمئنّة ارجعي إلى ربّك راضية مرضيّة، فادخلي في عبادي و ادخلي جنّتي ﴾ (١)

و منها قوله تعالى : ﴿ ان المتّقين في جنات و نهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ (٢)

و لكن هذا المقام رفيع لا يناله الا الاوحدى من الانام، و هو من درجات المحبّة لله تعالى، و سياتى ذكره مفصلاً انشاءالله تعالى في فضيلة المحبّة، و لا يرتبط بالزهد، و لذلك لانفصّل الكلام عنه هيهنا، لان الزهد في اصطلاح علماء الاخلاق، و في عرف المتشرعة، بل عرف العقلاء، و في السنة العترة الطاهرة عليهم السلام ايضاً، هو الرغبة عن الدنيا و زينتها و زبرجها و له تلك المراتب الخمس الّتي ذكرناها.

ثمّ ان الزهد كما عرّفناه و ايّدناه بالروايات المستفيضة، ملكةُ ان يستوى عند صاحبها وجود الدنيا و فقدانها، فان وجدها لم يفرح بها، و ان فقدها لم يتاذّ بفقدانها، و هذا هو قولهم: الزهد كلمة بين كلمتين من القرآن ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لاتفرحوا بما اتاكم ﴾. (٣)

و قد احسن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم معنى الزهد بقوله :

«لا يبالى من أكل الدنيا». (٤)

و قد احسن من اقتبس من العترة الطاهرة عليهم السلام فقال:

«ان الدنيا و ما فيها بمنزلة الأرض و ما فيها من الدودات و الحشرات».

فمن فسّر الزهد بان صاحبه يكره و يبغض الدنيا بمعناه العام، و جعل هذا المعنى من

---

١ ـ الفجر / ٣٠ ـ ٢٧ ٢ ـ القمر / ٥٥ ـ ٥٤

٣ ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣١٩، باب ٥٨، ذيل ح ٣٥

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٨، باب ذمّ الدنيا و الزهد فيها، ح ٢

مراتبه العليا، ما أصاب الحقّ، لان الكراهة نفسها أيضاً اشتغال بالدنيا، و الزاهد هو الّذي لايشغله شيء عن الله حتّى الكراهة من الدنيا، نعم انه يكره الجيفة من الدنيا الّتي هي الحرام منها و يفرّ عنه، كما يفرّ من الجيفة و لعلّ قوله عليه السلام: «الدنيا جيفة و طالبها كلاب»،[1] يكون بهذا المعنى، و إلّا فمن يطلب حلال الدنيا لكفاية عيشه و معاشه، فليس غير زاهدٍ، بل هو كالمجاهد في سبيل الله:

عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الشاخص في طلب الرزق الحلال كالمجاهد في سبيل الله».[2]

فليس طلب الحلال بمذمومٍ، بل التعلّق بالدنيا و ما فيها حلالها و حرامها بمقدار الضرورة أو الكفاية أو الزائد عليهما هو الحجاب، و هو المذموم و يكون ضد الزهد، فرب متموّل و قائد قوم يكون زاهداً كما ان رب فقير و خاملٍ يكون ملتهياً بالدنيا، و رب زاهد كاره للدنيا أيضاً يكون مشغولاً ببغضه للدنيا و كراهته منها.

ولله دَرّ الغزإلى في هذا المقام، حيث قال: ان الكاره للدنيا مشغول بالدنيا، كما ان الراغب فيها مشغول بها، و الشغل بما سوى الله حجاب عن الله تعالى، و لا حجاب بينك و بين الله الا شغلك بغيره و انت لا تزال مشغولاً بنفسك و شهواتها، فلا تزال محجوباً عنه حتّى ان شغلك ببغض نفسك و شهواتها، شغل عن الله، كحبك نفسك و شهواتها من غير فرق، لان الشغل، شغل، و مثاله مثال الرقيب في المجلس، فان التفت العاشق بالرقيب منصرفاً عن المعشوق فهو شرك، و ان التفت ببغض الرقيب و انصرف عن المعشوق بذلك البغض فهو أيضاً شرك في العشق، الا ان هذا اخف من ذلك.

انتهى بتقريرٍ منا.[3]

فالكلام جيّد و ان نهج غير سبيل الحق و غلط في معنى الزهد فجعل هذا المعنى الّذي

---

۱ ـ بحارالانوار، ج ۸٤، ص ۲۸۹، باب ۱۲، ذيل ح ۸۳

۲ بحار الانوار، ج ۱۰۰، ص ۱۷، ح ۷۸

۳ ـ احياء علوم الدين.

أشرنا اليها خارجاً عن الزهد، و فسّره بالكاره للدنيا ثمّ أطال الكلام في ذمّ الزهد و مدح مقام الابرار بهذا المثال و قال ان الزهد حسنة و لكنه سيئة للمقربين، و تمثّل بذلك المثال، مع ان المثال للزاهدين و المقرّبين الذين لايشغلهم الاخرة عن الله فضلاً عن الدنيا، فمن هذه الجهة، الزهد درجة رفيعة، و حسنة كريمة، و لكنه مع تلك الرتبة و الرفعة سيئة للمقربين، و لكن قدمّر ان الزهد بهذا المعنى خارج عن علم الاخلاق، بل عن المستفاد عن الروايات بل هو معنى ذوقى عرفانى يتذوّقه اهل القلوب و هو من درجات المحبّة و سياتى البحث عنها انشاءالله.

و الحاصل ان الزهد هو التحرّى عن جميع التعلقات الدنيوية و هو درجة و فضيلة مدحه الله تعالى في القرآن بما يفوق المدح:

قال تعالى: **﴿في بيوت اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ و الاصال * رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله﴾**.[١]

و ذكر التجارة و البيع من باب المثال، و المعنى انهم لا يلهيهم شى من الدنيا بمعناه العام، عن ذكر الله تعالى، فلذلك أعرض عن ذكر البيع و التجارة في آيةٍ أخرى و عوّض عنها بالمال و الاولاد:

قال تعالى: **﴿لاتلهكم اموالكم و لااولادكم عن ذكر الله﴾**.[٢]

و بدل كلّ ذلك جاء في سوره التكاثر بالتكاثر:

قال تعالى: **﴿الهيكم التّكاثر حتّى زرتم المقابر﴾**.[٣]

خلاصة هذا المقال، ان الزهد هو التحرير و الطلاقة عن التعلقات و ليس هو الفرار عن الدنيا، بمعناه العام، فمن يقدر على التحفّظ من الدنيا لنفسه أو لغيره و لاتشغله عن الاخرة و عن ذكر الله تعالى، فيجوز له أن يستفيد منه، بل واجب لبعض الناس على شريطة ما ذكرنا،

---

١ ـ النور / ٣٧ ـ ٣٦ ٢ ـ المنافقون / ٩ ٣ ـ التكاثر / ٢ ـ ١

لان الدنيا بمعناه العام لاتكون حسنة و لا سيّئة، بل انها ليس إلّا كالقلم للكاتب العـالم، فالعالم الوقيّ بمبانى الانسانيّة العليا و مبادئها به يكتب ما يثمر الخيرات، كما أنّ الجاهل الغبى غير الملتزم بها به يكتب ما يثمر السيئات.

نعم الدنيا تغرّ و تضرّ و تلهى و تشغل الا للاوحدى من الناس و هو الزاهد الّـذي أفاضه الله تحرير النّفس بعد مجاهدات مشروعةٍ طويلة، و بعد أن فاز بالتحلية بعد التخلية، أعنى بعد أن أخرج حب الدنيا الدنيّة عن قلبه و غرس شجرة الزهد فيه فحصّل ثمراتها.

و قد كرر ذلك في القرآن مرّات عديدة و لعلّها تزيد على عشرين مورداً.

قال تعالى: ﴿يا ايّها النّاس انّ وعد الله حقّ فلا تغرّنكم الحيوٰة الدّنيا و لايغرّنكم بالله الغرور﴾ (١)

و فرار اهل القلوب عنها كما يفرّ الغنم عن الذئب، ليس الا لهذا التهديد و التحذير.

و لقد صنّفنا في سالف الزمان كتاباً سمّيناه التوازن بين الدنيا و الاخرة، و جمعنا فـيه الآيات و الروايات الواردة في ذمّ الدنيا و مدحها و جمعنا بين تلك الآيات و الروايـات المنافر بعضها لبعضٍ بحسب الظاهر و ألّفنا بينهما، و كان وجه الجمع انّ الدنيا حسنة لـمن يشرى بها الاخرة و سيئة لمن يشرى بها غضب الرحمن.

و لكن ان قلنا ان هذا الكتاب المشار إليه و امثاله، قـد جـمع في كـلمةٍ مـن كـلمات اميرالمؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة لم نسلك سبيل الاغراق، فنحن نختم هذا الفصل المخصّص بهذه الفضيلة بفضيلة ذكر هذا الكلام.

قال عبدالله بن عباس دخلت على اميرالمؤمنين عليه السلام بذى قار و هو يخصف نعله فقال لى ما قيمة هذا النعل ؟ فقلت لا قيمة لها فقال عليه السلام :والله لهى احبّ الىّ من امرتكم إلّا ان اقيم حقاً أو ادفع باطلاً. (٢)

---

١ ـ فاطر / ٥

٢ ـ نهج البلاغة خطبة ٣٣

رواياتٌ في ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من زهد في الدّنيا اثبت الله الحكمة في قلبه و انطق بها لسانه و بصّره عيوب الدّنيا داءها و دواءها و اخرجه من الدّنيا سالماً إلى دارالسّلام.[1]

* عن حفص بن غياث، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: جعل الخير كلّه في بيت و جعل مفتاحه الزّهد في الدّنيا، ثمّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: لا يجد الرّجل حلاوة الايمان في قلبه حتّى لا يبالى من أكل الدّنيا، ثمّ قال أبوعبدالله عليه السلام: حرام على قلوبكم ان تعرف حلاوة الايمان حتّى تزهد في الدّنيا.[2]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال اميرالمؤمنين عليه السلام: إنّ من أعون الأخلاق على الدّين الزّهد في الدّنيا.[3]

* انّ رجلاً سأل على بن الحسين عليه السلام عن الزّهد، فقال: عشرة أشياء فاعلى درجة الزّهد ادنى درجة الورع و اعلى درجة الورع ادنى درجة اليقين و اعلى درجة اليقين ادنى درجة الرّضا، ألا و إنّ الزّهد في آية من كتاب الله عزّوجلّ: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم﴾[4]

---

۱ ـ الكافى، ج ۲، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ۱۲۸، ح ۱

۲ ـ الكافى، ج ۲، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ۱۲۸، ح ۲

۳ ـ الكافى، ج ۲، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ۱۲۸، ح ۳

٤ ـ الكافى، ج ۲، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ۱۲۸، ح ٤

* عن سفيان بن عيينة قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام و هو يقول: كلّ قلب فيه شكّ أو شرك فهو ساقط و انّما ارادوا بالزّهد في الدّنيا لتفرغ قلوبهم للاخرة.(۱)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال اميرالمؤمنين عليه السلام: إنّ علامة الرّاغب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الدّنيا، اما إنّ زهد الزّاهد في هذه الدّنيا لاينقصه ممّا قسم الله عزّوجلّ له فيها و إن زهد، و إنّ حرص الحريص على عاجل زهرة (الحياة) الدّنيا لا يزيده فيها و إن حرص، فالمغبون من حرم حظّه من الآخرة.(۲)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خرج النبيّ صلّى الله عليه و آله وسلّم و هو محزون فأتاه ملك و معه مفاتيح خزائن الارض، فقال يا محمّد هذه مفاتيح خزائن الارض يقول لك ربّك: إفتح و خذ منها ماشئت من غير أن تنقص شيئاً عندى، فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم: الدّنيا دار من لا دار له و لها يجمع من لا عقل له، فقال الملك: و الّذي بعثك بالحقّ نبيّاً لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله في السّماء الرابعة، حين أُعطيت المفاتيح.(۳)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مرّ رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم بجدى أسكّ ملق على مزبلة ميتاً، فقال لأصحابه: كم يساوى هذا؟ فقالوا لعلّه لو كان حيّاً لم يساو درهماً، فقال النبيّ صلّى الله عليه و آله وسلّم: و الّذي نفسى بيده للدّنيا اهون على الله من هذا الجدى على أهله.(٤)

* عن عبدالله بن القاسم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا أراد الله بعبد خيراً زهّده في الدّنيا و فقّهه في الدّين و بصّره عيوبها و من اوتيهنّ فقد اوتى خير الدّنيا و الآخرة، و قال: لم يطلب احد الحقّ بباب افضل من الزّهد في الدّنيا و هو ضدّ لما طلب اعداء الحقّ، قلت:

---

۱ ـ الكافى، ج ۲، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ۱۲۹، ح ٥

۲ ـ الكافى، ج ۲، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ۱۲۹، ح ٦

۳ ـ الكافى، ج ۲، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ۱۲۹، ح ۸

٤ ـ الكافى، ج ۲، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ۱۲۹، ح ۹

جعلت فداك ممّاذا ؟ قال : من الرّغبة فيها، و قال : الا من صبّار كريم ، فانّما هي ايّام قلائل، الا إنّه حرام عليكم ان تجدوا طعم الايمان حتّى تـزهدوا في الدّنـيا. قـال : و سمـعت ابـا عبدالله عليه السلام يقول : إذا تخلّى المؤمن من الدّنيا سما، و وجد حلاوة حبّ الله و كان عند اهل الدّنيا كأنّه قد خولط و إنّما خالط القوم حلاوة حبّ الله، فلم يشتغلوا بغيره. قال : و سمعته يقول : إنّ القلب إذا صفا ضاقت به الأرض حتّى يسمو.(١)

* سئل عليّ بن الحسين عليه السلام أيّ الاعمال افضل عندالله عزّوجلّ ؟ فقال : ما من عمل بعد معرفة الله جلّ و عزّ و معرفة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم افضل من بغض الدّنيا، و إنّ لذلك لشعباً كثيرة و للمعاصى شعباً فاوّل ما عصى الله به الكبر و هي معصية إبليس حين أبي و استكبر و كان من الكافرين، و الحرص و هي معصية آدم و حوّا حين قال الله عزّ و جلّ لهما: ﴿كلا من حيث شئتما و لا تقر با هذه الشجرة فتكونا من الظّالمين﴾ فاخذا ما لا حاجة بهما إليه فدخل ذلك على ذرّيتهما إلى يوم القيامة و ذلك انّ اكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه، ثمّ الحسد و هي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حبّ النّساء و حبّ الدّنيا و حبّ الرّئاسة و حبّ الرّاحة و حبّ الكلام و حبّ العلوّ و الثّروة، فصرن سبع خصال، فاجتمعن كلهنّ في حبّ الدّنيا، فقال الأنبياء و العلماء بعد معرفة ذلك : حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة، و الدّنيا دنياآن : دنيا بلاغ و دنيا ملعونة.(٢)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ في طـلب الدّنـيا إضراراً بالآخرة و في طلب الآخرة إضراراً بالدّنيا، فاضرّوا بالدّنيا فإنّها أولى بالإضرار.(٣)

* عن أبي عبيدة الحذّاء قال : قلت لأبى جعفر عليه السلام : حدّثنى بما انتفع به فقال: يا ابا

---

١ ـ الكافى، ج ٢، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ١٣٠، ح ١٠

٢ ـ الكافى، ج ٢، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ١٣٠، ح ١١

٣ ـ الكافى، ج ٢، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ١٣١، ح ١٢

عبيدة اكثر ذكر الموت، فإنّه لم يكثر انسان ذكر الموت إلّا زهد في الدّنيا.[١]

* قال أبو جعفر عليه السلام : ملك ينادى كلّ يوم : ابن آدم لد للموت و اجمع للفناء و ابن للخراب.[٢]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال على بن الحسين صلوات الله عليهما : إنّ الدّنيا قد ارتحلت مدبرة، و انّ الآخرة قد ارتحلت مقبلة، و لكلّ واحدة منهما بنون، فكونوا من ابناء الآخرة، و لا تكونوا من أبناء الدّنيا، (ألا) و كونوا من الزّاهدين في الدّنـيا الرّاغـبين في الآخرة. ألا إنّ الزاهدين في الدّنيا اتّخذوا الأرض بساطاً، و التّراب فراشاً، و الماء طيباً، و قرّضوا من الدّنيا تقريضاً. الا و من اشتاق إلى الجنّة سلا عن الشّهوات، و من اشفق من النّار رجع عن المحرّمات و من زهد في الدّنيا هانت عليه المصائب. الا إنّ لله عباداً كمن رأى أهل الجنّة في الجنّة مخلّدين و كمن رأى اهل النّار في النّار معذّبين، شرورهم مأمونة، و قلوبهم محزونة، انفسهم عفيفة، و حوائجهم خفيفة صبروا ايّاماً قليلة، فصاروا بعقبى راحة طويلة، امّا اللّيل فصافّون اقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم و هم يجارون إلى ربّهم، يسعون في فكاك رقابهم، و امّا النّهار فحلماء علماء بررة اتقياء، كانّهم القداح قد براهم الخوف من العبادة، ينظر إليهم النّاظر فيقول : مرضى ـ و ما بالقوم من مرض ـ ام خولطوا فقد خالط القوم أمر عظيم، من ذكر النّار و ما فيها.[٣]

* عن جابر قال : دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقال : يا جابر و الله إنّي لمحزون و إنّي لمشغول القلب، قلت : جعلت فداك و ما شغلك ؟ و ما حزن قلبك ؟ فقال : يا جابر إنّه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عمّا سواه، يا جابر ما الدّنيا و ما عسى ان تكون

---

١ ـ الكافى، ج ٢، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ١٣١، ح ١٣

٢ ـ الكافى، ج ٢، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ١٣١، ح ١٤

٣ ـ الكافى، ج ٢، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ١٣١، ح ١٥

الدّنيا هل هي إلّا طعام أكلته أو ثوب لبسته أو امرأة اصبتها ؟!

يا جابر إنّ المؤمنين لم يطمئنّوا إلى الدّنيا ببقائهم فيها و لم يأمنوا قدومهم الآخرة، يا جابر الآخرة دار قرار، و الدّنيا دار فناء و زوال و لكن اهل الدّنيا اهل غفلة و كأنّ المؤمنين هم الفقهاء اهل فكرة و عبرة، لم يصمّهم عن ذكر الله جلّ اسمه ما سمعوا بآذانهم، و لم يعمهم عن ذكر الله ما رأوا من الزّينة باعينهم ففازوا بثواب الآخرة، كما فازوا بذلك العلم... [١]

* عن أبي ابراهيم عليه السلام قال: قال أبوذرّ ـ رحمه‌الله ـ جزى الله الدّنيا عنّي مذمّة بعد رغيفين من الشّعير اتغذّى باحدهما و اتعشّى بالآخر و بعد شملتي الصّوت اتزر باحداهما و اتردّى بالاخرى. [٢]

* سئل اميرالمؤمنين عليه السلام ایّ النّاس خير عندالله عزّ وجلّ ؟ قال: اخوفهم لله، و اعملهم بالتقوى، و ازهدهم في الدّنيا. [٣]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قيل لاميرالمؤمنين عليه السلام: ما الزهد في الدنيا ؟ قال: تنكب حرامها. [٤]

* عن أبي الطفيل قال: سمعت اميرالمؤمنين عليه السلام يقول: الزهد في الدّنيا قصر الأمل و شكر كلّ نعمة الورع عمّا حرّم الله عليك. [٥]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: ليس الزهد في الدّنيا باضاعة المال، و لا بتحريم الحلال بل الزهد في الدّنيا ان لاتكون بما في يدك اوثق منك بما في يدالله عزّ و جلّ. [٦]

---

١ ـ الكافي، ج ٢، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ١٣٢، ح ١٦

٢ ـ الكافي، ج ٢، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ١٣٤، ح ١٧

٣ ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣٠٩، باب ٥٨، ح ١

٤ ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣١٠، باب ٥٨، ح ٢

٥ ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣١٠، باب ٥٨، ح ٣

٦ ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣١٠، باب ٥٨، ح ٤

* سئل الصادق عليه السلام عن الزاهد في الدّنيا، قال: الّذي يترك حلالها مخافة حسابه، و يترك حرامها مخافة عذابه.[۱]

* عن حفص قال: قلت لأبی عبدالله عليه السلام: جعلت فداك ما حدّ الزهد في الدّنيا؟ فقال: فقد حدّه الله في كتابه فقال عزّوجلّ: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم﴾ إنّ اعلم الناس بالله اخوفهم بالله، و اخوفهم له اعلمهم به، و اعلمهم به ازهدهم فيها.[۲]

* قال رجل لعليّ بن الحسين عليه السلام: ما الزهد؟ قال: الزهد عشرة اجزاء فاعلى درجات الزهد ادنى درجات الرضا، الا و انّ الزهد في آية من كتاب الله ﴿لكيلا تاسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم﴾[۳]

* محمّد بن سنان رفعه إلى اميرالمؤمنين عليه السلام قال: كونوا على قبول العمل اشدّ عناية منكم على العمل، الزهد في الدنيا قصر الأمل، و شكر كلّ نعمة الورع عمّا حرّم الله عزّ و جلّ، من اسخط بدنه ارضى ربّه، و من لم يسخط بدنه عصى ربّه.[٤]

* سأل النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم جبرئيل عليه السلام عن تفسر الزهد قال: الزاهد يحبّ من يحبّ خالقه، و يبغض من يبغض خالقه و يتحرّج من حلال الدّنيا، و لا يلتفت إلى حرامها فانّ حلالها حساب و حرامها عقاب، و يرحم جميع المسلمين كما يرحم نفسه و يتحرّج من الكلام كما يتحرّج من الميتة الّتي قد اشتدّ نتنها، و يتحرّج عن حطام الدّنيا و زينتها كما

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣١٠، باب ٥٨، ح ٦

٢ ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣١١، باب ٥٨، ح ٨

٣ ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣١١، باب ٥٨، ح ١٠

٤ ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣١٢، باب ٥٨، ح ١١

يتجنّب النار ان يغشاها، و ان يقصر امله و كان بين عينيه اجله. [١]

* قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم : من اصبح معافى في جسده، آمناً في سربه، عنده قوت يومه فكأنّما خيرت له الدّنيا، يا ابن خثعم يكفيك منها ما سدّ جوعك و وارى عورتك، فان يكن بيت يكنّك فذاك، و ان تكن دابّة تركبها فبخ بخ، و إلّا فالخبز و ماء الجرّ، و ما بعد ذلك حساب عليك أو عذاب. [٢]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان فيما ناجى الله به موسى عليه السلام على الطور ان يا موسى ابلغ قومك انّه ما يتقرّب إليّ المتقرّبون بمثل البكاء من خشيتي، و ما تعبّد لي المتعبّدون بمثل الورع عن محارمي، و لا تزيّن لي المتزيّنون بمثال الزهد في الدّنيا عمّا بهم الغنا عنه.... [٣]

* قال الصادق عليه السلام : الزهد مفتاح باب الاخرة، و البرائة من النار و هو تركك كلّ شيء يشغلك عن الله، من غير تأسف على فوتها، و لا اعجاب في تركها، و لا انتظار فرج منها، و لا طلب محمدة عليها، و لاعوض منها، بل ترى فوتها راحة، و كونها آفة، و تكون ابداً هارباً من الافة، معتصما بالراحة و الزاهد الّذي يختار الاخرة على الدّنيا ، و الذلّ على العزّ، و الجهد على الراحة و الجوع على الشبع، و عاقبة الاجل على محبّة العاجل، و الذكر على الغفلة و يكون نفسه في الدّنيا و قلبه في الاخرة ... [٤].

١ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣١٢، باب ٥٨، ح ١٤

٢ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣١٣، باب ٥٨، ح ١٥

٣ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣١٣، باب ٥٨، ح ١٧

٤ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٣١٥، باب ٥٨، ح ٢٠

الرّذيلة التّاسعةعشرة: حبّ الدّنيا

و هذه الرذيلة هو «رأس كلّ خطيئة»[1]، و المراد منها هو تعلق القلب بالدّنيا بمعناه العام، شريطة أن يكون على نحو الملكة.

و بعبارةٍ أخرى هو تعلق النّفس بالشهوات على نحو الملكة، و على حدّ تعبير القرآن هو التلهّي بواحد من المشتهيات النفسيّة. و قد نهى الله تعالى عنه مؤكداً:

قال تعالى: ﴿بسم الله الرّحمن الرّحيم * الهيكم التّكاثر * حتّى زرتم المقابر * كلّا سوف تعلمون * ثمّ كلّا سوف تعلمون * كلّا لو تعلمون علم اليقين * لترونّ الجهيم * ثمّ لترونّها عين اليقين * ثمّ لتسئلنّ يومئذ عن النعيم﴾.[2]

و قال الله تعالى: ﴿لا تلهكم اموالكم و لا اولادكم عن ذكر الله﴾.[3]

و القرآن الكريم اطلق على هذه الرذيلة لفظة «الهوى»، و ذكر المتّصف بها في عداد اهل النار ثمّ أكّد على ذلك ليكون الناس على حذرٍ منها:

قال تعالى: ﴿فامّا من طغى و اثر الحيوة الدنيا فانّ الجحيم هي الماوى و امّا من

---

١ بحار الانوار، ج ٥١، ص ٢٥٨، باب ١٤، ح ٥

٢ ـ التكاثر / ٨ ـ ١

٣ ـ المنافقون / ٩

خاف مقام ربّه و نهى النّفس عن الهوى فانّ الجنّة هي الماوى ﴾.[١]

بل جعل الهوى من الاصنام و اخبر ان صاحبها ضالٌّ عالمٌ بضلالته:

قال تعالى: ﴿ افرايت من اتّخذ الهه هويه و اضلّه الله على علم ﴾[٢]

و قد تطابق لسان الوحى و العصمة على مذمّة تلك الرذيلة و تحذير الناس عنها و ذلك في كثيرٍ من الآيات و مرويّات اهل العصمة، حتّى أن لو قلنا انّ هذا التحذير و المذمّة يزيد على عشرها، لسنا مجازفاً في القول!.

و من جعل غايته و غاية حياته الدنيا بمعناه العام، فهو من وجهة نظر القرآن ليس إلّا حيواناً يشبه الانسان!

قال تعالى: ﴿ ياكلون كما تاكل الانعام ﴾[٣]

و قال تعالى: ﴿ ذرهم ياكلوا و يتمتّعوا و يلههم الامل فسوف يعلمون ﴾[٤]

بل هو اضلّ منها!

قال تعالى: ﴿ و لقد ذرأنا لجهنّم كثيراً من الجنّ و الانس لهم قلوب لايفقهون بها و لهم اعين لايبصرون بها و لهم اذان لايسمعون بها، اولئك كالانعام بل هم اضلّ اولئك هم الغافلون ﴾[٥]

و قد اخبر الله تعالى عن اتّصافه برذائل يكفي لهلاكه واحد منها فقط! و نحن نذكر بعضاً منها:

١ ـ ضعف ارادته

قال تعالى: ﴿ و خلق الإنسان ضعيفاً ﴾[٦]

٢ ـ الانغمار في المشتهيات المادّية، يوجب نسيان الفطرة، فيغفل هذا المنغمر عن بُعده

---

١ ـ النازعات / ٤١ ـ ٣٧ ٢ ـ الجاثية / ٢٣ ٣ ـ محمّد / ١٢

٤ ـ الحجر / ٣ ٥ ـ الاعراف / ١٧٩ ٦ ـ النساء / ٢٨

العلوى، و عن ربّه، فلا نصيب له إلّا الجحيم.

قال تعالى: ﴿و لقد ذرانا لجهنّم كثيراً من الجنّ و الانس. ... اولئك هم الغافلون﴾ [۱].

و قال تعالى: ﴿فاذا ركبوا في الفلك دعوالله مخلصين له الدّين فلمّا نجّيهم إلى البرّ إذا هم يشركون﴾ [۲].

۳ ـ انه يصير سلبيّاً، بمعنى انه ينسى النعم و يتذكر دائما النقم و السلبيّ يقال له بالفارسية: منفى باف.

قال تعالى : ﴿و لئن اذقنا الإنسان منّا رحمة ثمّ نزعناها منه انّه ليئوس كفور﴾ [۳].

٤ ـ انه فخور فَرِحٌ بما عنده من النعم، فهو في النعم فخور فرح و في النقم يئوس كفور

قال تعالى: ﴿و لئن اذ قناه نعماء بعد ضرّاء مسّته ليقو لنّ ذهب السّيئات عنّى انّه لفرح فخور﴾ [٤].

٥ ـ انه ظلوم جهول بمعنى انه ظلوم لنفسه حيث يبيع آخرته بدنياه، و النور بالظلمات، و انه جهول بنفسه، حيث لايعرف قدره و منزلته، و انه ينادى من العرش بل من فوقه فيجعل نفسه رهين سجن المادّة الخسيسة و لله درّ من قال:

تو را ز کنگره عرش مى‌زنند صفير ندانمت که در اين دامگه چه افتاد است

قال الله تعالى : ﴿ انّه كان ظلوماً جهولاً ﴾ [٥]

٦ ـ و قد كرّر في القرآن انه كفور و انه كفّارٌ و معناه ما يقال بالفارسية ـ نمك نشناس ـ بى‌وفا ـ و هذه الرذيلة مبغوضة عندالله تعالى و هذا يظهر ممّا دعا الله على صاحبها.

قال تعالى : ﴿ قتل الإنسان ما اكفره ﴾ [٦]

٧ ـ انه خصمٌ لكلّ من يسدّ طريقه إلى مشتهياته، و يمنعه عنها، أو لايعطيها، و لو كان

---

١ ـ الاعراف / ١٧٩ ٢ ـ العنكبوت / ٦٥ ٣ ـ هود / ٩

٤ ـ هود / ١٠ ٥ ـ الاحزاب / ٧٢ ٦ ـ عبس / ١٧

المانع و الممسك هو الله تعالى و لذلك أكدّ الله تعالى على كون هذا الرذل خصماً له تعالى.

قال: ﴿ أو لم ير الإنسان انّا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ﴾[1]

٨ ـ انه جاهل جهلاً مركّباً، فن جهله يجعل الشرّ همّه في دعائه الرّب متخيّلاً أنّه الخير، فيدعوه كي يستجيبه له.

قال تعالى: ﴿ و يدع الإنسان بالشّرّ دعاءه بالخير و كان الإنسان عجولاً ﴾[2]

٩ ـ انه عجول فيتمنّى الشر في أغلب الأحيان.

قال تعالى: ﴿ و كان الإنسان عجولاً ﴾[3]

١٠ ـ انه يحبّ المال و الشهوات، فيمنعه الحبّ هذا عن صرف المال في ما يليق به من المصارف، فيبخل به فيه، فلهذه الرذيلة قد يغلب عليه الشيطان، فيكون مترفاً، و هو الّذي يصرف ما أنعم الله عليه في عصيانه تعالى، فينفقه في غير محلّه و لا ينفقه في محلّه.

قال تعالى: ﴿و اصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم و حميم و ظلّ من يحموم لا بارد و لا كريم انّهم كانوا قبل ذلك مترفين و كانوا يصرّون على الحنث العظيم﴾.[4]

١١ ـ انه كثير الجدال، فلايقبل الحق، و هذا ممّا أخبر الله تعالى به و أفصح عنه

قال تعالى: ﴿ و كان الإنسان اكثر شيء جدلاً ﴾[5]

هذا أوّلاً، ثمّ ترتّب تعالى على تلك الحالة عذابا اليما، و هو استنكافه عن الحقّ.

قال تعالى: ﴿ و اذ قالوا اللّهمّ ان كان هذا هو الحقّ من عندك فامطر علينا حجارة من السّماء أو ائتنا بعذاب اليم ﴾[6]

١٢ ـ كان هلوعا، فهو كالزبد يذهب جفاءً و هو كتبن يذهب به الريح حيث يشاء، فلا

---

١ ـ يس / ٧٧ — ٢ ـ الاسراء / ١١ — ٣ ـ الاسراء / ١١

٤ الواقعة / ٤١ ـ ٤٦. — ٥ ـ الكهف / ٥٤ — ٦ ـ الانفال / ٣٢

تعقّل له، فلا استقامة له، فلا ارادة له، سواء في حالتى النّعم و النقم، فكلتى الحالتين تعذّبه فكأنّه و هو في الحياة الدنيا لا يكون إلّا في السّقر.

قال تعالى : ﴿ انّ الإنسان خلق هلوعاً إذا مسّه الشّـرّ جزوعاً و إذا مسّـه الخـير منوعاً ﴾(١)

١٣ ـ انه يحبّ ان يفجر امامه، حتّى يقوم بما يشاء من غير أن يُقيّد بقيدٍ و لو شُرع من عند الله، فيعصى الشرع، و يعترض على الشارع، و لا يقبل ما يدلّ عليه العقل فينكر الجميع.

قال تعالى : ﴿ بل يريد الإنسان ليفجر امامه ﴾(٢)

١٤ ـ ان يكون طاغيا، و هذا من أقبح لوازم هذه الرذيلة، فيطغى حتّى على الله تعالى، فيتجلّى نفسيّته الفرعونيّة أو فقل فرعونيّته عند استغنائه.

قال الله تعالى : ﴿ انّ الإنسان ليطغى ان راه استغنى ﴾(٣)

١٥ ـ انه في كبد و الم، لا لحفظ المال أو جمعه، و لا لجلب الشرف أو حفظه، و بالجملة لا في جلب المشتهيات و حفظها فقط، بل لان طبيعة الشهوات و الدّنيا بمعناه العام أن تكون اوائلها لذّة و اواسطها عادة و اواخرها محنة و همّ و غمّ و كبد، و هذا يؤدّى به على حدّ تعبير القرآن الكريم أن يعيش في هذه الحياة المادّية في جهنم من غير التذاذٍ له ممّا حصّله.

قال تعالى : ﴿ و انّ جهنّم لمحيطة بالكافرين ﴾(٤)

و لا تختصّ الآية الشريفة بالآخرة و الاخبار عنها، بل المتصف بهذه الرذيلة كأنّه في دار الدنيا يكون كذلك، فظاهرها الرحمة و باطنها العذاب ظاهرها ماء و باطنها سراب.

قال تعالى : ﴿ و الّذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظّمان ماءً ﴾(٥)

---

١ ـ المعارج / ٢١ ـ ١٩ ٢ ـ القيامة / ٥ ٣ ـ العلق / ٧ ـ ٦

٤ ـ التوبة / ٤٩ ٥ ـ النور / ٣٩

فالمائل إلى المشتهيات المادّية يعيش في كبد و محنة و الم من جهات شتّى، فالكبد و المحنة محيطة به كاحاطة الماء بالغريق.

قال تعالى : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في كبد ﴾ (١)

١٦ ـ انه قليل الخير، فلحبه الشديد المال يأبى ان ينفقه في سبيل الله، بل ان ينفق في حوائج نفسه و عياله و لاتنحصر تلك الرذيلة بالمال، بل تسرى إلى جميع ذات يده، من الشرف و الرئاسة و غيرهما، فلا انفاق له منها في الواجب، فضلاً عن الايثار عنها، فكأنّه يُخيّل إليه أنّ ما سوى الله خُلق له، فلا واجب له عليه، و كأنّه لم يسمع قوله تعالى:

﴿ لينفق ذو سعة من سعته و من قدر عليه رزقه فلينفق ممّا اتيه الله ﴾ (٢)

نعم ان الارض الخبيثة لايخرج منها إلّا نكداً و الإنسان المحب للدنيا لايخرج منه الا كنداً و عداوة و حقداً

قال تعالى : انّ الإنسان لربّه لكنود و انّه على ذلك لشهيد و انّه لحبّ الخير لشديد﴾ (٣).

فهو لحبه المال لاينفق في سبيل الله بل انه لكنود حتّى على الّذي أعطاه كلّ شيء و من الغريب كونه عالماً بهذا شهيداً عليه، و لكنّه يبخل بالنسبة إلى مالكه و معطيه أيضاً:

قال تعالى : ﴿ ثمّ قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو اشدّ قسوة و انّ من الحجارة لما يتفجّر منه الانهار و انّ منها لما يشّقّق فيخرج منه الماء و انّ منها لما يهبط من خشية الله ﴾ (٤).

١٧ ـ ان المتّصف بهذه الرذيلة لفى خسر، فهو كغريقٍ لا مستمسك له يلعب به الخسران، فهو في أيدى الدهر يقلّبه حيث يشاء حتّى يموت و يخرج من الدنيا متحسّراً عليه.

---

١ ـ البد / ٤ ٢ ـ الطلاق / ٧ ٣ ـ العاديات / ٨ ـ ٦

٤ ـ البقرة / ٧٤

قال تعالى : ﴿ و العصر انّ الإنسان لفى خسر ﴾[١].

و قال تعالى : ﴿ أو كظلمات في بحر لجى يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذ اخرج يده لميكد يريها و من لميجعل الله له نوراً فماله من نور ﴾[٢].

١٨ ـ ان محب الدنيا لا يمكن له أن يجمع بين النشأتين الأولى و الأخرى، لأنّهما ضرّتان لايجتمعان.

قال تعالى : ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾[٣]

فمن غلب في قلبه محبّة الدّنيا و تعلّق بها فكيف يمكنه ان يحبّ الاخرة و يعلّق قلبه بها، فيبيع اخرته بدنياه، فلو لم تكن ثمرة لهذه الرذيلة إلّا هذه الثمرة الخبيثة، ليكفيها أن تُعدّ من أقبح الرذائل و شرّها، و إلى هذا يشير قول على بن الحسين عليه السلام: حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة.[٤]

قال تعالى : ﴿ اولئك الّذين اشتروا الحيوة الدّنيا بالاخرة فلايخفّف عنهم العذاب و لا هم ينصرون ﴾[٥]

و قال تعالى : ﴿ و قالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في اصحاب السعير ﴾[٦]

١٩ ـ انّ المتّصف بهذه الرذيلة، يصير كجهنّم جائئاً لا شبع له، فلو حصّل ملأ الأرض ذهباً لَينادى هل من مزيد؟!.

قال الله تعالى : ﴿ يوم نقول لجهنّم هل امتلات و تقول هل من مزيد ﴾[٧]

فما أشبهه، حيث توافق الظرف و المظروف فهو يشبه الظرف و الظرف يشبهه، و قد

---

١ ـ العصر / ٢ ـ ١　　٢ ـ النور / ٤٠　　٣ ـ الاحزاب / ٤

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣١٧، باب حبّ الدّنيا و الحرص عليها، ذيل ح ٨

٥ ـ البقرة / ٨٦　　٦ ـ الملك / ١٠　　٧ ـ ق / ٣٠

اختار الله تعالى له في الذكر الحكيم حكايةً تحكى عنه و عن نفسيّته.

قال تعالى : ﴿ انّ هذا اخى له تسع و تسعون نعجة ولى نعجة واحدة. فقال اكفلنيها و عزّنى في الخطاب ﴾ [1]

فترى ان الله تعالى ذمّ هذا المحبّ للدنيا لحرصه على نعجة من له نعجةٌ واحدة، أو على رَكَم عجوزٍ لا مأوى لها غيره.

٢٠ ـ ان كلمة الملأ جيء به في الذكر الحكيم ثلاثين مرّة، و المراد منها من علّق قلبه بالدنيا بمعناه العام، من المال و الشرف و الرتبة و نحوها، و سبر موارد استعمالها في القرآن ينبؤ عن نكتة و هي أن لا عدوّ للأنبياء إلّا ايّاهم و لا يقتلهم و لا يخرجهم عن بلادهم و لا يسدّ طريقهم و لا يمنع الناس عن متابعتهم إلّا هذه الفئة الخبيثة الّتي هي أسوء حالاً من الشياطين الجنّيّة.

قال تعالى : ﴿ قال الملأ من قومه انّا لنريك في ضلال مبين ﴾ [2]

و قال تعالى : ﴿ قال الملا الّذين كفروا من قومه انّا لنريك في سفاهة ﴾ [3]

و قال تعالى : ﴿ فقال الملأ الّذين كفروا من قومه ما نريك إلّا بشراً مثلنا ﴾ [4]

فراجع إلى القرآن و انظر إلى سخافة كلماتهم الّتي غرّوا بها غيرهم من النّاس التابعين لهم و هم لا يشعرون و لا يعقلون و لا يتفكّرون.

و هذه الرذيلة رذيلةٌ ما أقبحها، و ما أخبث منها، و يكفيها كونها رأس كلّ الخطايا، فتبّاً لها و للمتّصف بها.

هذا عشرون خُلُق خبيث يلازم هذه الرذيلة و لكنك لو تفحّصت في الآيات و الروايات لتمكّن من ان تجمع مأة أو ازيد منها، و لكن يكفي هذا المقدار لمن كان له قلب.

---

١ ـ ص ٢٣   ٢ ـ الاعراف / ٦٠   ٣ ـ ص / ٢٣

٤ ـ هود / ٢٧

قال تعالى : ﴿ انّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السّمع و هو شهيد﴾ [١]

و علينا الآن أن ننبّه على نكتةٍ أخرى يستفيد منها ذوالقلب و الشهيد و هي كون الإنسان وديعة الهيّة في العوالم.

قال تعالى : ﴿ انّا عرضنا الامانة على السّموات و الارض و الجبال، فابين ان يحملنها و اشفقن منها و حملها الإنسان انّه كان ظلوماً جهولاً ﴾ [٢]

فما أعلى قيمته، و هي أعزّ من الجنّة.

قال تعالى : ﴿ يا ايّتها النّفس المطمئنّة ارجعى إلى ربّك راضية مرضيّة فادخلى في عبادى و ادخلى جنّتى ﴾ [٣]

فترى ان الله تعالى جعل منزلته مقام القرب الّذي هو قرب المكانة في الجنّة و قيمته اغلى و اعلى منها.

و قال تعالى : ﴿ انّ المتّقين في جنّات و نهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ [٤]

فجعل الإنسان بأمانته تلك خليفته في الأرض

قال تعالى : ﴿ و اذ قال ربّك للملائكة انّى جاعل في الارض خليفة ﴾ [٥]

و قال تعالى : ﴿ و هو الّذي جعلكم خلائف الارض ﴾ [٦]

فسلّطه تعالى على الارض، بل على ما سوى الله و سخّر له ما في العوالم أجمعين.

قال تعالى : ﴿ الم تروا انّ الله سخّر لكم ما في السّموات و ما في الارض ﴾ [٧]

و بتلك الامانة صار مظهر الصفات و الاسماء كلها، لا تظهر إلّا فيها و هذه أعلى فضيلةٍ يتصّف بها أشرف أنواع الخلق و أقسامه.

---

١ ـ ق / ٣٧ ٢ ـ الاحزاب / ٧٢ ٣ ـ الفجر / ٣٠ ـ ٢٧

٤ ـ القمر / ٥٥ ـ ٥٤ ٥ ـ البقرة / ٣٠ ٦ ـ الانعام / ١٦٥

٧ ـ لقمان / ٢٠

قال تعالى: ﴿و علّم ادم الاسماء كلّها﴾.[۱]

فبها صار اشرف المخلوقات كلها:

قال تعالى: ﴿فاذا سوّيته و نفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين، فسجد الملئكة كلّهم اجمعون إلّا ابليس﴾.[۲]

و قال تعالى: ﴿لقد كرّمنا بنى آدم و حملناهم في البرّ و البحر و رزقناهم من الطّيبات و فضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً﴾.[۳]

و لا يخفى ان الآية فضّل الإنسان على ما سوى الله بأجمعهم، لا على كثير منهم، كما توهّمه كثير من المفسرين، لان كلمة «من» بيانيّة لا تبعيضيّة، جيء بها لنكتة ظريفة و هي ان غير الإنسان و ان كانت كثيرة بالنسبة إلى الإنسان كثرة البحر على القطرة، و لكن تلك القطرة افضل من ذلك البحر كله.

فيا لهفاً على الإنسان حين يعلّق هذه الوديعة العليا الالهيّة على المادّة الخسيسة، فيصيّرها حطب جهنم:

قال تعالى: ﴿انّكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنّم﴾.[٤]

ولهذا الهبوط أطلق عليه ما لايليق بشرفه و رتبته،

قال تعالى: ﴿اولئك كالانعام بل هم اضلّ﴾.[٥]

و يالهفاً عليه من هبوطه، حتّى لا ثمن له عند اهل القلوب، كما لا ثمن لمطلوبه عندهم، و هو دنياه الدنيّة.

أمّا الدنيا، فقال اميرالمؤمنين عليه السلام: «دنياكم هذه ازهد عندى من عفطة عنز»[٦] و

---

١ ـ البقرة / ٣١ ٢ ـ الحجر / ٢٩ ـ ٣١ ٣ ـ الاسراء / ٧٠

٤ ـ الانبياء / ٩٨ ٥ ـ الاعراف / ١٧٩ ٦ ـ نهج البلاغة خطبة ٣

قال عليه‌السلام في كلام آخر: «و ان دنيا كم عندى لاهون من ورقة في فم جرادة»[١] و قال عليه‌السلام أيضاً: «و الله لدنيا كم هذه اهون في عينى من عراق خنزير في يد مجذوم».[٢]

و اما الإنسان الّذي علّق قلبه على هذه الدنيا، فقال اميرالمؤمنين عليه‌السلام فيه: من كانت همّته ما يدخل بطنه كانت قيمته ما يخرج منه.[٣]

فكلام الامير امير الكلام و كلام يعسوب الدين يعسوب الكلام فيه فصل الخطاب و لبّ اللباب.

تتمة:

قد ظهر ممّا أسلفنا في مبحث الزهد و مبحثنا هذا، أن لا حكم يجرى على الدنيا بمعناه العام بحيث يقتضى ذاته، فليس الدنيا و ماله كالنساء و البنين و الأموال بحسنةٍ محبوبة، و لا بقبيحةٍ مذمومةٍ بل كونه محبوباً أو مبغوضاً ليس إلّا باعتبار متعلّقه لا باعتبار ذاتـه فـهو حسنٌ إذا كان من فضل الله، و مصروفاً فيما أراد الله، و لم يسدّ القلب عن التعلّق بالله، و هو قبيحٌ سيّءٌ إذا اصطيد من غير الله، و يُنفق في غير مراد الله، و كان ردماً عن تعلّق القلب بالله تعالى.

فبهذا يجمع بين الآيات و الروايات الدّالة على مدحه و المشيرة إلى ذمّه، و كذلك يجمع بين كلمات اهل القلوب و كلمات علماء علم الاخلاق.

توضيح ذلك ان الله تعالى مدح في جملةٍ من آى الذكر الحكيم الدنيا بمعناه العام، ثمّ حذّر الناس في جملةٍ اُخرى منها عنه مشيراً إلى قبحه، و ليس هذا إلّا لأنّ حفظ نظام الحياة و استمرار بقاء النوع على الأرض مع كونه مطلوباً له تعالى لا يتيسّر إلّا باستجلاب قلوب الناس إلى الدنيا و سعيهم فيها و تشجيعهم اليها. هذا من ناحيةٍ و من ناحيةٍ أخرى فـانّ

---

١ ـ نهج البلاغة خطبة ٢٢٤

٢ ـ نهج البلاغة، كلمات القصار

٣ ـ غرر الحكم، طبع موسسة الاعلمى، ج ٢، ص ٢١٧، ح ١١٧٦

الدنيا لا بقاء له و لا قيمة، فمن المستقبح جدّاً تكالب الناس عليه، بل عليهم أن يوجّهوا إلى ما يدوم و ليس هو إلّا الدار الآخرة.

و تلخيص القول في هذا المضمار أنّ للقرآن الكريم دلالةً واضحةً على كون الدنـيا و مشتهياتها خيراً لو نُظر اليها نظراً آلياً كمجلبٍ للآخرة، و كذريعةٍ للوصل اليها، لا كمقصدٍ يصل إليه السائر بانفاق لطيفته الروحانيّة و حياته الثمينة.

قال الله تعالى: ﴿زيّن للنّاس حبّ الشهوات من النّساء و البنين و القناطير المقنطرة من الذّهب و الفضّة و الخيل المسوّمة و الانعام و الحرث، ذلك متاع الحيواة الدّنيا و الله عنده حسن الماب قل اؤنبّئكم بخير من ذلكم للّذين اتّقوا عند ربّهم جنّات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها و ازواج مطهّرة و رضوان من الله و الله بصير بالعباد﴾ (١)

و قال تعالى: ﴿قل من حرّم زينة الله الاتي ّخرج لعباده و الطّيبات من الرزق قل هي للّذين امنوا في الحيواة الدّنيا خالصة يوم القيمة﴾ (٢)

و قال تعالى: ﴿و منهم من يقول ربّنا اتنا في الدّنيا حسنة و في الاخرة حسنة و قنا عذاب النّار﴾ (٣)

و على هذا يُفسّر ما ورد من القدح بالنسبة إلى الدنيا، فهو قبيحٌ سيّءٌ لو كان متكالَباً للناس يشغلهم لهواً و لعباً و زينةً و تكاثراً عن أخراهم،

قال تعالى: ﴿اعلموا انّما الحيوة الدّنيا لعب و لهو و زينة و تفاخر بينكم و تكاثر في الاموال و الاولاد، كمثل غيث اعجب الكفّار نباته، ثمّ يهيج فتريه مصفرّاً ثمّ يكون حطاماً و في الاخرة عذاب شديد و مغفرة من الله و رضوان و ما الحيواة الدّنيا إلّا متاع الغرور﴾ (٤).

---

١ ـ آل عمران / ١٥ ـ ١٤ ٢ ـ الاعراف / ٣٢ ٣ ـ البقرة / ٢٠١

٤ ـ الحديد / ٢٠

فترى ان الله تعالى ينبّه على انه لو كانت الدّنيا بمعناه العام لهواً كما تكون كذلك للاطفال في سنين الطفولية و لعبا كما تكون كذلك للشباب في اوائل شبابهم و زينة كما تكون كذلك للشباب في أواسطهم و اواخرها و تفاخراً كما تكون كذلك للشيوخ في أوائلها و تكاثراً كما تكون كذلك في الشيخوخيّة و كلما يشيب يشبّ فيه ذلك التكاثر، كما قال رسول‌الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يشيب ابن آدم و يشبّ فيه خصلتان الحرص و طول الامل.[1] فهى ليست إلّا عذاباً، إذا هي غرورٌ مذمومٌ لا يفلح من علّق بها.

و قال تعالى: ﴿ لا تلهكم اموالكم و لا اولادكم عن ذكر الله ﴾[2]

و قال تعالى: ﴿ الهيكم التّكاثر حتّى زرتم المقابر ﴾[3]

و قال تعالى: ﴿ فلا تعجبك اموالهم و لا اولادهم انّما يريد الله ليعذّبهم بها في الحيواة الدّنيا و تزهق انفسهم و هم كافرون ﴾[4]

و في الخاتمة نتذكر امراً مهماً و هو ان حبّ الدّنيا و تعلّق القلب بها و ان كان مذموماً، الا انه لما كان هذا الحبّ مقولاً بالتشكيك فقبحه أيضاً مقول بالتشكيك.

فقد يكون الحبّ في مراتبه الضعيفة، فهو مذموم حيث إنّه أيضاً حجاب و الحجاب يسدل بين العبد و ربّه يمنعه عن الخيرات و البركات و لانه تعلق للقلب و التعلق مذموم و ان كان ضعيفاً لأنّ الحجاب يُستحن لو يمنع عن الأغيار، لا عن صاحب الدار، و ما للقلب مالكٌ إلّا الملك الجبّار تعالى ذكره.

و قد يكون الحبّ في مراتبه الشّديدة حتّى يصل إلى مرتبة العشق و الوانه و مافوقه فهو الّذي به يصير القلب وادٍ من أودية من جهنّم طالباً ما يزيد على ما حصّله، كالمصاب بالاستسقاء كلّما يروى لا يزيده إلّا عطشاً.

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٢٢، باب ١٢٢، ذيل حديث ١١.
٢ ـ المنافقون / ٩
٣ ـ التكاثر / ٢ ـ ١
٤ ـ التوبة / ٥٥

هذا كله بحسب حبّ الدنيا بما هو حبّ الدّنيا.

و اما بحسب المتعلق فله مراتب و اقسام ايضاً.

١ ـ حبّ الدّنيا بمعناه العام لصرفه في سبيل الله

فان كان الدنيا عند صاحبه كالقلم بالنسبة إلى الكاتب فليس هذا من الدّنيا في شيءٍ بل ليس هذا إلّا مجلباً للآخرة، و هو الّذي قال فيه اميرالمؤمنين عليه السلام : و الله لهى ـ النعل ـ احبّ اليّ من امرتكم إلّا ان اقيم حقاً أو ادفع باطلاً.[١]

و اما ان تعلّق القلب به فهو مما يترتب عليه مفاسد و يكون من مصاديق حبّ الدّنيا المذموم.

٢ ـ حبّ النفس، و قد مرّ الكلام فيه في باب الزهد، من أنّه ينافيه، و عند اهله حجاب بينه و بين الله، ولله درّ من نظم بالفارسيّة:

حجاب چهره جان مى‌شود غبار تنم

خوش آنزمان كه از اين چهره پرده برفكنم

و هو من مصاديق حبّ الدّنيا المذموم، إلّا ان تخلية النّفس عن هذه الرذيلة صعبٌ لا تتيسّر إلّا لمن سبقة الحسنى و شملته الهداية الالهيّة.

٣ ـ حبّ ما يكفيه من الدنيا في معاشه و معاده، بحيث يكون مستغنياً غير محتاجٍ إلى أحدٍ من النّاس. و الكلام فيه كالكلام في سابقه.

٤ ـ حبّ الحلال من الدّنيا، مع بعضه حرامها و مشتبهاتها. فهو أيضاً لو كان من التعلّقات فلا كلام في قبحه كما سبق ذكره إلّا أن ينظر إلى الدنيا كذريعةٍ للخلاص عن موبقات الآخرة، فهذا مستحسنٌ لا قبح فيه، و هذا لا يتيسّر إلّا لمن حصّل على ملكة السخاء و هي نذيرةٌ بين الناس. و هذا هو سرّ فرار العارفين عن الدنيا و لو كان محلّلاً، كما

---

١ ـ نهج البلاغة خطبة / ٣٣

تفرّ الغنم عن الذنب.

٥ ـ حبّ المشتبهات و المكروهات:

فهي و لو كانت آلةً لا غاية، تكون أيضاً مانعة رادعة عن سلوك الإنسان سبيل الكمال، ونسب إلى الشيخ البهائی "ره" أشعاراً بالفارسية في ذلك:

لقمهٔ نانی که باشد شبههناک	در حریم کعبه ابراهیم پاک
گر به دست خود نشاند تخم آن	ور به گاو چرخ سازد شخم آن
ور به ماه نو حصادش داس کرد	ور به سنگ کعبهاش دستاس کرد
ور به آب زمزمش سازد عجین	مریم آسا پیکری از حور عین
ور بخوانی بر خمیرش بی عدد	فاتحه یا قل هو الله احد
ور تو بر خوانی هزاران بسمله	بر سر آن لقمه پر ولوله
عاقبت خاصیّتش ظاهر شود	نفس از آن لقمه ترا قاهر شود
در ره طاعت ترا بی جان کند	خانهٔ دین تو را ویران کند

و قد أشرنا في باب الزهد، ان الائمة عليهم السلام كانوا يقولون: ان النّفس تجرء بالمشتبهات و توقعك في المحرمات، و الشيطان يجيء من قبل المشتبهات، بل المحللات، فيوقعه في المحرّمات.

هذا كله إذا احبّ المشتبهات آلةً، لا غايةً.

و امّا لو احبّ المشتبهات و المكروهات كغايته في حياته و تعلّق قلبه بها فلا حجاب و لا ستر أضخم و أسدل بين العبد و ربّه من هذا الحجاب و لا يمكن خرقه بعد تمكّنه في النفس.

هذا فلو أردت سلوك سبيل الكمال و الانسلاك في سلك السائرين فعليك بكفّ جوارحك و جوانحك عن المشتبه فضلاً عن الحرام ـ أعاذنا الله منه ـ، فلايجوز أن تخطر بقلبك خاطرة سوءٍ، أو يفوّه لسانك بما يشتبه عليك حقّه من باطله، و من المؤسّف عليه جداً أنّ استجلاب الحلال الخالی عن المشتبه و تحصيله في عصرنا هذا يعدّ من المحال، إلّا أن

يُتعرّب، فيهاجر إلى القُرى و الريفات، فيُترك الناس و يؤكل و يُشرب ممّا فيها، و هذا ممّا نهى عنه الشرع و بالغ فيه، كما قال الرسول ﷺ للمعرض عن الدّنيا و طيّباتها: « فمن رغب عن سنتي فليس مني »[١].

نعم ان الاكل و الشرب و التكلم و نحو ذلك بمقدار الضرورة و الاضطرار، حلالٌ كما أنّ أكل الميتة في الاضطرار لا بأس به و لكن لا مجال للترديد في تأثيره في النّفس و تأثّرها عنه، لأنّ الدنيا ليست إلّا جيفةً محلّلة، و لذلك ترى انّ القرآن الكريم حينما يشير إلى جواز الاغتياب في موارد خاصّة ينصّ على كون الغيبة سوءً، قال الله تعالى: ﴿ لا يحبّ الله الجهر بالسّوء من القول إلّا من ظلم ﴾[٢]

و لهذا قيل انّ الوصول إلى الغاية المطلوبة عن السير في مدارج الكمال صعبٌ لا يتمشّى إلّا للأوحدى عن السالكين و هو الاذي ّستعان بخير معينٍ اَلا و هو الثقلين، فيستنير عن كتاب الله المنير و يستمدد عن مظاهر الاسم المعين سلام الّه عليهم اجمعين، بعد أن تحلّى بسعة الصدر و الاستقامة في الطريق.

و بعبارةٍ اخرى، ان سلوك هذا الطريق يحتاج اولاً إلى الهادى و هو اهل البيت عليهم السلام و ثانياً إلى نورٍ يمشى به و هو القرآن و ثالثاً إلى الزاد و هو التقوى و رابعاً إلى البراق و هو الجسم الّذي لجامه بيد الروح، و خامساً التهيأ و هو يتركب من العلم بكيفيّة الطريق و انه صعب مستصعب و من الصبر و سعة الصدر و من الاجتناب عن المشتهيات بما هو الميسور، فمن لا يقدر على الاجتناب عن المشتبهات في الاكل و الشرب كما هو الغالب في عصرنا فيجتنب عن المشتبهات في الكلام و يستعين حين الاكل و الشرب بكلمة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ دفعاً لما في المشتبه من الآثار و يستعين بالاجتناب عن المحرّمات.

---

١ ـ الكافي، ج ٥، ص ٤٩٦، باب كراهية الرهبانية، ذيل ح ٥ ٢ ـ النساء / ١٤٨

قال الله تعالى : ﴿ يا ايّها الّذين امنوا اتّقوا الله و ابتغوا إليه الوسيلة ﴾[١]

٦ ـ حبّ المحرّمات، فهو قبيحٌ كحبّ الخمر و الجيفة الّتي لا يحبّها و لا يشتهيها سليم الفطرة و قد عدّ اميرالمؤمنين عليه‌السلام حبّ الحرام اشدّ قذراً من حب الجيفة المنتنّة،

قال عليه‌السلام: و الله لدنياكم هذه اهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم.[٢]

فهو ان كان غايةً للمرء بحيث يعلّق قلبه بها كتعلّق القلب بامرئة محصنة، أو برياسة باطلة كاعانة الطواغيت أو بمال حرام كالربا و اموال اليتامى و نحو ذلك، فهو في حد الكفر و المسير إليه هو المسير إلى النار.

قال تعالى : ﴿ انّ الّذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انّما ياكلون في بطونهم ناراً و سيصلون سعيراً ﴾[٣]

و ذوالقلب البصير بحقائق الأمور يبصر انه يأكل النار كما يرى يوم القيامة بعينه الظاهرة أنّه يصلى سعيرا.

و اما ان كان آلةً، بمعنى انه لايتعلّق قلبه به، بل يمكن ان يكرهه أيضاً و لكنه يحبّ الحرام لان يصرفه في الخيرات، فهو سفهٌ، و صاحبه سفيهٌ.

و هؤلاء المحتجبون بهذا الحجاب كثيرون بين الناس، (نعوذ بالله من شرور انفسنا).

كتب اميرالمؤمنين عليه‌السلام إلى معاوية: انى سمعت انك بنيت مسجداً، مثلك مثل امرئة في الجاهلية انها زنت، و ما اخذت من زناها، تصدّقت، فقيل لها: ويل لك لا تزن و لا تتصدق.

و مثل هذه المرئة في الناس كثير جداً، منهم من يأكل أموال الناس بالربى و الغش في المعاملات و الخيانة فيها، ثمّ ينفقها في اقامة مأتم الحسين عليه‌السلام و زيارة المشاهد المقدسة و منهم من لم يزكّ أمواله ممّا يجب عليه من الحقوق الشرعيّة، ولكنّه يصرفها في سبيل

---

١ ـ المائدة / ٣٥

٢ ـ نهج البلاغة، كلمات القصار ٢٣٦.

٣ ـ النساء / ١٠

الخيرات و الصدقات المندوبة اَلا ترى من لم يصلّ و لكنّه يحجّ و يزور المشاهد؟ و اَلا ترى من يظلم الناس في السوق ثمّ يقدّم في الجماعة إلى الصفوف الأولى طلباً لفضلها و ثوابها؟ اَلا ترى من ينفق أمواله في المندوب و أسرته تعيشون في غاية العسرة؟ و هذا و أمثاله كثيرٌ في الناس و ليس هو إلّا كيدٌ من مكائد الشيطان به يغر السفهاء فيخرجهم من سبيل الله إلى السّقر و العذاب.

قال تعالى : ﴿ فبما اغويتنى لاقعدنّ لهم صراطك المستقيم ثمّ لاتينّهم من بين ايديهم و من خلفهم و عن ايمانهم و عن شمائلهم و لا تجد اكثرهم شاكرين ﴾[۱]

قال الباقر عليه‌السلام : من بين ايديهم يهوّن عليهم أمر آخرتهم و من خلفهم يزيّن لهم الدّنيا و متاعها و عن ايمانهم من ناحية الدين يضلّون و عن شمالهم من ناحية المعاصى ينحرفون.[۲]

نعوذ بالله من شرّه و كيده

و في الخاتمة نروى عن اهل البيت عليهم‌السلام روايات تناسب المقام لكونها مسكاً للختام.

---

۱ ـ الاعراف / ۱۷ ـ ۱٦

۲ ـ تفسير الصافى، ذيل الآية الشريفة ۱۷ الاعراف، نقلاً بالمعنى

روايات في حبّ الدّنيا

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: رأس كلّ خطيئة حبّ الدّنيا.[1]

* عن حمّاد بن بشير قال سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: ما ذئبان ضاريان في غنم قد فارقها رعاؤها احدهما في اوّلها و الاخر في آخرها بأفسد فيها من حبّ المال و الشّرف في دين المسلم.[2]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الشيطان يدير ابن آدم في كلّ شيء فإذا أعياه جثم له عند المال فأخذ برقبته.[3]

* عن اميرالمؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: إنّ الدّينار و الدّرهم اهلكا من كان قبلكم و هما مهلكاكم.[4]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: في مناجاة موسى عليه السلام: يا موسى إنّ الدّنيا دار عقوبة، عاقبت فيها آدم عند خطيئته و جعلتها ملعونة، ملعون ما فيها إلّا ما كان فيها لی، يا موسى إنّ عبادی الصّالحين زهدوا في الدّنيا بقدر علمهم و سائر الخلق رغبوا فيها بقدر جهلهم و ما

---

١ ـ الكافی، ج ٢، باب حبّ الدّنيا و الحرص عليها، ص ٣١٥، ح ١

٢ ـ الكافی، ج ٢، باب حبّ الدّنيا و الحرص عليها، ص ٣١٥، ح ٢

٣ ـ الكافی، ج ٢، باب حبّ الدّنيا و الحرص عليها، ص ٣١٥، ح ٤

٤ ـ الكافی، ج ٢، باب حبّ الدّنيا و الحرص عليها، ص ٣١٦، ح ٦

من احد عظّمها فقرّت عيناه فيها و لم يحقّرها احد إلّا انتفع بها.[1]

❊ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مرّ عيسى بن مريم عليه السلام على قرية قد مات أهلها و طيرها و دوابّها فقال: اما إنّهم لم يموتوا إلّا بسخطة ولو ماتوا متفرّقين لتدافنوا، فقال الحواريّون: يا روح الله و كلمته! ادع الله ان يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت اعمالهم فنجتنبها، فدعا عيسى عليه السلام ربّه فنودى من الجوّ: ان نادهم، فقام عيسى عليه السلام باللّيل على شرف من الأرض فقال: يا اهل هذه القرية فأجابه منهم مجيب: لبّيك يا روح الله و كلمته، فقال: ويحكم ما كانت اعمالكم؟ قال: عبادة الطّاغوت و حبّ الدّنيا مع خوف قليل و امل بعيد و غفلة في لهو و لعب، فقال: كيف كان حبّكم للدّنيا؟ قال: كحبّ الصّبيّ لامّه، إذا أقبلت علينا فرحنا و سررنا و إذا ادبرت عنّا بكينا و حزنّا، قال: كيف كانت عبادتكم للطّاغوت؟ قال: الطّاعة لاهل المعاصى، قال: كيف كان عاقبة امركم؟ قال: بتنا ليلة في عافية و اصبحنا في الهاوية، فقال: و ما الهاوية؟ قال: سجّين، قال: و ما سجّين؟ قال: جبال من جمر توقد علينا إلى يوم القيامة، قال: فما قلتم و ما قيل لكم؟ قال: قلنا ردّنا إلى الدّنيا فنزهد فيها، قيل لنا: كذبتم، قال: ويحك كيف لم يكلّمنى غيرك من بينهم؟ قال: يا روح الله إنّهم ملجمون بلجام من نار بايدى ملائكة غلاظ شداد و إنّى كنت فيهم و لم اكن منهم، فلمّا نزل العذاب عمّنى معهم فأنا معلّق بشعرة على شفير جهنّم لاادرى اكبكب فيها أم أنجو منها، فالتفت عيسى عليه السلام إلى الحواريين فقال: يا اولياء الله أكل الخبز اليابس بالملح الجريش و النوم على المزابل خير كثير مع عافية الدّنيا و الآخرة.[2]

❊ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من اصبح و امسى و الدّنيا اكبر همّه جعل الله تعالى الفقر بين عينيه و شتّت امره و لم ينل من الدّنيا إلّا ما قسّم الله له، و من اصبح و امسى و الآخرة

---

١ ـ الكافي، ج ٢، باب حبّ الدّنيا و الحرص عليها، ص ٣١٧، ح ٩

٢ ـ الكافي، ج ٢، باب حبّ الدّنيا و الحرص عليها، ص ٣١٨، ح ١١

اكبر همّه جعل الله الغنى في قلبه و جمع له امره.[١]

❊ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من كثر اشتباكه بالدّنيا كان أشدّ لحسرته عند فراقها.[٢]

❊ عن ابن أبي يعفور قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: من تعلّق قلبه بالدّنيا تعلّق قلبه بثلاث خصال: همّ لايفنى و امل لايدرك و رجاء لاينال.[٣]

❊ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: ما لي و للدّنيا انّما مثلى و مثلها كمثل الرّاكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقال تحتها، ثمّ راح و تركها.[٤]

❊ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: مثل الحريص على الدّنيا كمثل دودة القزّ، كلّما ازدادت على نفسها لفّاً كان ابعد لها من الخروج حتّى تموت غمّاً، قال: و قال أبو عبدالله عليه السلام: كان فيما وعظ به لقمان ابنه: يا بنيّ إنّ النّاس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا و لم يبق من جمعوا له، و إنّما انت عبد مستأجر قد امرت بعمل و وعدت عليه اجراً فأوف عملك و استوف اجرك و لا تكن في هذه الدّنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع اخضر فأكلت حتّى سمن فكان حتفها عند سمنها و لكن اجعل الدّنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزت عليها و تركتها و لم ترجع إليها آخر الدّهر، اخربها و لا تعمرها فانّك لم تؤمر بعمارتها. و اعلم أنّك ستسأل غداً إذا وقفت بين الله عزّ و جلّ عن اربع: شبابك فيما ابليته، و عمرك فيما افنيته، و مالك ممّا اكتسبته و فيما انفقته، فتأهّب لذلك و اعدّ له جواباً، و لاتأس على ما فاتك من الدّنيا، فإنّ قليل الدّنيا لايدوم بقاؤه، و كثيرها لايؤمن بلاؤه، فخذ حذرك، وجدّ في امرك، و اكشف الغطاء عن وجهك و تعرّض لمعروف ربّك و جدّد التّوبة في قلبك و اكمش

---

١ ـ الكافى، ج ٢، باب حبّ الدّنيا و الحرص عليها، ص ٣١٩، ح ١٥

٢ ـ الكافى، ج ٢، باب حبّ الدّنيا و الحرص عليها، ص ٣٢٠، ح ١٦

٣ ـ الكافى، ج ٢، باب حبّ الدّنيا و الحرص عليها، ص ٣٢٠، ح ١٧

٤ ـ الكافى، ج ٢، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ١٣٤، ح ١٩

في فراغك قبل ان يقصد قصدك يقضى قضاؤك و يحال بينك و بين ما تريد.[١]

* عن ابن أبي يعفور قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: فيما ناجى الله عزّ و جلّ به موسى عليه السلام: يا موسى لاتركن إلى الدّنيا ركون الظّالمين و ركون من اتّخذها اباً و امّاً. يا موسى لو وكّلتك إلى نفسك لتنظر لها اذاً لغلب عليك حبّ الدّنيا و زهرتها. يا موسى نافس في الخير اهله و استبقهم إليه، فإنّ الخير كاسمه و اترك من الدّنيا ما بك الغنى عنه و لا تنظّر عينك إلى كلّ مفتون بها و موكّل إلى نفسه، و اعلم انّ كلّ فتنة بدؤها حبّ الدّنيا.[٢]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ في كتاب عليّ صلوات الله عليه: إنّما مثل الدّنيا كمثل الحيّة ما الين مسّها و في جوفها السّمّ النّاقع، يحذرها الرّجل العاقل، و يهوى اليها الصّبيّ الجاهل.[٣]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مثل الدّنيا كمثل ماء البحر كلّما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتّى يقتله.[٤]

* عن أبي جميلة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: كتب اميرالمؤمنين عليه السلام إلى بعض اصحابه يعظه: اوصيك و نفسي بتقوى من لاتحلّ معصيته و لايرجى غيره، و لا الغنى إلّا به، فانّ من اتّقى الله جلّ و عزّ و قوى و شبع وروى، و رفع عقله عن اهل الدّنيا، فبدنه مع اهل الدّنيا و قلبه و عقله معاين الآخرة. فأطفأ بضوء قلبه ما أبصرت عيناه من حبّ الدّنيا فقذّر حرامها و جانب شبهاتها و أضرّ والله بالحلال الصّافي إلّا ما لا بدّ له من كسرة (منه) يشدّ بها صلبه وثوب يوارى به عورته، من اغلظ ما يجد و اخشنه، و لم يكن له فيما لابدّ له

---

١ ـ الكافي، ج ٢، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ١٣٤، ح ٢٠

٢ ـ الكافي، ج ٢، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ١٣٥، ح ٢١

٣ ـ الكافي، ج ٢، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ١٣٦، ح ٢٢

٤ ـ الكافي، ج ٢، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ١٣٦، ح ٢٤

منه ثقة و لا رجاء ، فوقعت ثقته و رجاؤه على خالق الأشياء، فجدّ و اجتهد و اتعب بدنه حتّى بدت الأضلاع و غارت العينان فابدل الله له من ذلك قوّة في بدنه و شدّة في عقله و ما ذخر له في الآخرة اكثر، فارفض الدّنيا فإنّ حبّ الدّنيا يعمى و يصمّ و يبكم و يذلّ الرّقاب، فتدارك ما بقي من عمرك و لا تقل غداً (أ) و بعد غد، فأنّما هلك من كان قبلك بإقامتهم على الأماني و التسويف حتّى أتاهم أمر الله بغتة و هم غافلون، فنقلوا على أعوادهم إلى قبورهم المظلمة الضّيّقة و قد أسلمهم الأولاد و الأهلون، فانقطع إلى الله بقلب منيب، من رفض الدّنيا و عزم ليس فيه إنكسار و لا انخزال أعاننا الله و إيّاك على طاعته و وفّقنا الله و ايّاك لمرضاته.[١]

* عن الوشّاء قال: سمعت الرّضا عليه السلام يقول: قال عيسى بن مريم صلوات الله عليه للحواريّين: يا بني اسرائيل لاتأسوا على مافاتكم من الدّنيا كما لا يأسى اهل الدّنيا على مافاتهم من دينهم إذا اصابوا دنياهم.[٢]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿ **لا تمدّنّ عينيك إلى ما متّعنا به ازواجاً منهم و لاتحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين** ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: من لم يتعزّ بعزاء الله تقطّعت نفسه على الدّنيا حسرات، و من رمى ببصره إلى ما في يدى غيره كثر همّه و لم يشف غيظه، و من لم يعلم انّ لله عليه نعمة إلّا في مطعم أو ملبس فقد قصر عمله و دنا عذابه، و من اصبح على الدّنيا حزيناً اصبح على الله ساخطاً، و من شكى مصيبة نزلت به، فأنّما يشكو ربّه، و من دخل النّار من هذه الامّة ممّن قرأ القرآن فهو ممّن يتخذ آيات الله هزواً، و من اتى ذا ميسرة فتخشّع له طلب ما في يديه ذهب ثلثا دينه، ثمّ قال: و لاتعجل و ليس يكون الرجل ينال من الرجل المرفق فيبجّله و يوقّره فقد يجب ذلك له عليه، و لكن

---

١ ـ الكافي، ج ٢، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ١٣٦، ح ٢٣

٢ ـ الكافي، ج ٢، باب ذمّ الدّنيا و الزّهد فيها، ص ١٣٧، ح ٢٥

تراه انّه يريد بتخشّعه ما عندالله، و يريد ان يختله عمّا في يديه.[۱]

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انّ اخوف ما اخاف على امّتى الهوى و طول الامل، اما الهوى فانّه يصدّ عن الحق، و اما طول الامل فينسى الاخرة، و هذه الدّنيا قد ارتحلت مدبرة، و هذه الاخرة قد ارتحلت مقبلة، و لكلّ واحدة منهما بنون، فان استطعتم ان تكونوا من ابناء الاخرة و لا تكونوا من ابناء الدّنيا فافعلوا، فانّكم اليوم في دار عمل و لا حساب، و انتم غداً في دار حساب و لا عمل.[۲]

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الرغبة في الدّنيا تكثر الهمّ و الحزن، و الزهد في الدّنيا يريح القلب و البدن.[۳]

* عن ابن أبي يعفور قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: من تعلّق قلبه بالدّنيا تعلّق منها بثلاث خصال: همّ لا يفنى و امل لا يدرك و رجاء لا ينال.[٤]

* عن موسى بن جعفر، عن ابيه عليهما السلام قال: الدّنيا سجن المؤمن و القبر حصنه، و الجنّة مأواه، و الدّنيا جنة الكافر، و القبر سجنه و النار مأواه.[٥]

* قال الصادق عليه السلام : انّا لنحبّ الدّنيا و ان لا نؤتاها خير لنا من ان نؤتاها، و ما اوتى ابن آدم منها شيئاً إلّا نقص حظّه من الاخرة.[٦]

* عن محمّد بن قيس قال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إذا قدم من سفر بدأ بفاطمة عليها السلام فدخل عليها فأطال عندها المكث، فخرج مرّة في سفر فصنعت فاطمة مسكتين من ورق و قلادة و

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٨٩، باب ١٢٢، ح ٥٨

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٩٠، باب ١٢٢، ح ٦٣

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٩١، باب ١٢٢، ح ٦٥

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٩١، باب ١٢٢، ح ٦٦

٥ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٩١، باب ١٢٢، ح ٦٧

٦ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٨١، باب ١٢٢، ح ٤٤

قرطين و ستراً لباب البيت، لقدوم ابيها و زوجها عليه السلام، فلمّا قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليها فوقف اصحابه على الباب لايدرون يقفون أو ينصرفون لطول مكثه عندها. فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قد عرف الغضب في وجهه حتّى جلس عند المنبر. فظنّت فاطمة عليها السلام انّه انّما فعل ذلك رسول الله لما رأى من المسكتين و القلادة و القرطين و الستر، فنزعت قلادتها و قرطيها و مسكتيها و نزعت الستر، فبعثت به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قالت للرسول: قل له: تقرأ عليك ابنتك السّلام و تقول: اجعل هذا في سبيل الله، فلمّا اتاه قال: فعلت فداها أبوها، ثلاث مرّات ليست الدّنيا من محمد و لامن آل محمّد و لو كانت الدّنيا تعدل عندالله من الخير جناح بعوضة ما سقى فيها كافراً شربة ماء، ثمّ قام فدخل عليها.(۱)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انّ الله جل جلاله اوحى إلى الدّنيا ان اتعبي من خدمك، و اخدمى من رفضك ثم قال عليه السلام: عليكم بالورع و الاجتهاد و العبادة، و ازهدوا في هذه الدّنيا الزّاهدة فيكم، فانّها غرّارة، دار فناء و زوال، كم من مغترّ فيها قد اهلكته و كم من واثق بها قد خانته، و كم من معتمد عليها قد خدعته و اسلمته.(۲)

* و قال اميرالمؤمنين عليه السلام في بعض خطبه: ايّها النّاس انّ الدّنيا دار فناء و الاخرة دار بقاء فخذوا من ممرّكم لمقرّكم، و لاتهتكوا استاركم عند من لاتخفى عليه اسراركم، و اخرجوا من الدّنيا قلوبكم من قبل ان تخرج منها ابدانكم ففى الدّنيا حييتم، و للاخرة خلقتم، و انّما الدّنيا كالسم ياكله من لا يعرفه، انّ العبد إذا مات قالت الملائكة ما قدّم؟ و قال النّاس ما اخر؟ فقدموا فضلاً يكن لكم و لاتؤخّروا كلاً يكن عليكم، فان المحروم من حرم خير ماله، و المغبوط من ثقل بالصدقات و الخيرات موازينه، و احسن في الجنّة بها مهاده و

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۸۶، باب ۱۲۲، ح ۵۰

۲ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۸۷، باب ۱۲۲، ح ۵۱

طيب على الصراط بها مسلكه.[١]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: انّ الدّنيا و الآخرة عدوّان متفاوتان و سبيلان مختلفان، فمن احب الدّنيا و تولّاها ابغض الآخرة و عاداها و هما بمنزلة المشرق و المغرب و ماش بينهما كلّما قرب من واحد بعد من الاخر، و هما بعد ضرتان.[٢]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: لايترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم إلّا فتح الله عليهم ما هو اضرّ منه.[٣]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: مثل الدّنيا كمثل الحيّة، ليّن مسّها، و السمّ الناقع في جوفها، يهوى اليها الغرّ الجاهل، و يحذرها ذواللّب العاقل.[٤]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: الدّنيا دار ممرّ لا دار مقرّ و النّاس فيها رجلان: رجل باع فيها نفسه فاوبقها، و رجل ابتاع نفسه فأعتقها.[٥]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: و الله لدنياكم هذه اهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم.[٦]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: مرارة الدّنيا حلاوة الاخرة و حلاوة الدّنيا مرارة الاخرة.[٧]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: النّاس في الدّنيا عاملان: عامل عَمِلَ في الدّنيا للدّنيا، قَد

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٨٨، باب ١٢٢، ذيل ح ٥٦

٢ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ١٠٣

٣ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ١٠٦

٤ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ١١٩

٥ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ١٣٣

٦ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٢٣٦.

٧ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٢٥١

شَغَلَتْهُ دنياه عن اخرته، يخشى على من يَخْلُفُهُ الفقر و يأمنه على نفسه، فيفنى عمره في منفعة غيره، و عامل عمِل في الدّنيا لما بعدها، فجاءه الّذي له من الدّنيا بغير عمل فَاَحْرَزَ الْحظَّين معاً و ملك الدارين جميعا، فاصبح وجيهاً عندالله لا يسأل الله حاجة فَيَمْنَعُهُ[١].

❊ قال اميرالمؤمنين لابنه الحسن عليه السلام: لاتخلّفنّ وراءك شيئاً من الدّنيا، فانّك تخلّفه لأحد رجلين: امّا رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت به، و اما رجل عمل فيه بمعصية الله فتشق بما جمعت له، فكنت عوناً له على معصيتة و ليس احد هذين حقيقاً ان تؤثره على نفسك.[٢]

❊ قال اميرالمؤمنين عليه السلام: خذ من الدّنيا ما اتاك، و تولّ عمّا تولّى عنك فان انت لم تفعل فاجمل في الطلب.[٣]

---

١ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٢٦٩

٢ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٤١٦

٣ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٣٩٣

الفصل السابع عشر

الفضيلة الثامنة عشرة: القناعة

الرّذيلـة العشـرون: الحرص

الفضيلة الثّامنةعشر ة: القناعة

و هي ملكة يقتدر صاحبها على الاكتفاء في المشتهيات بقدر الحاجة.

توضيح ذلك: انّ كلّ انسانٍ له تمايلات، و لا محيص من تنحيتها عقلاً و شرعاً، فهو تارةً ينحيها بمقدار الحاجة، فيسمّى ذلك الإنسان قانعاً، و أخرى يَفرُط في ذلك، فهو الحريص و يقال لحالته الشره، و ثالثة يفرّط في ذلك فهو الخامد و يقال لحالته الخمود

فالقانع هو المعتدل في تنحية الغرائز و الشهوات، و هو السائر بين الافراط و التفريط، و الافراط هو الحرص، و التفريط هو الخمود، و ما بين الحالتين و هو الرضى بمقدار الحاجة هو القناعة، و هي صفة سامية تضمن سعادة صاحبها في الدارين، فهو المستريح الناعم البال فيهما، و يسلم عن كثير من الهلكات، فهی المنجية من الهلكات و الضامنة للسعادات بالتأكيد.

و القناعة و ان كانت عامّة المعنى، في كلّ المشتهيات كما فسرناها انفا، الا انها في علم الأخلاق تختصّ بالثروة، كما ان الحرص و ان كان عام المعنى، الا انه في هذا العلم يختصّ بالثروة ايضاً، فالقناعة و ضدها و هو الحرص يختصّان بمن يرضى من الثروة بمقدار الحاجة، و بمن لا يرضى من الثروة بذلك المقدار بل له نهبٌ بالثروة، فكان له مرض نظير مرض

الاستسقاء، فكلّما زاد في ثروته زاد في حرصه، كما ان المستسق يكون كذلك.

و بما ذكرنا من التفسير للقناعة و ضدها يظهر امران:

الاول: ان القناعة ليست الكفاية و الرضى بها، كما يترائى ذلك من كتب علم الاخلاق.

لانه ربّ قانع له ما فوق الكفاف بالوف، و ربّ من يرضى بالكفاف و ليس بقانع و يفرّط في الشهوات، فالكفاية و القناعة لم تكونا مترادفتين كما اشتهر، بل ربما تجتمعان و ربما تفترقان، فلايتوقّف إحداهما على الأخرى و لاتتلازمان كما لاتكونان مترادفتين.

نعم في المقام كلام آخر قد مرّ منّا مراراً، و هو ان الفضائل كلها بينها تلازمٌ ما كما ان الرذائل كذلك، فالقناعة و الزهد و الاستغناء عمّا في أيدى الناس و الكفاف و الرضا كثيراً ما تجتمع، كما ان الحرص و حبّ الدّنيا و الطمع و الولع في جمع الأعراض و نحوها كثيراً ما تجتمع.

و هذا غير ما اشتهر بين الاخلاقيّين، من ترادف بعضها بعضاً، أو نشوء بعضها من بعض.

الثانى: قد اشتهر بينهم، ان القناعة من شعب الزهد و من مصاديقه و الحرص من شعب حبّ الدّنيا و مصاديقه، و ليس الامر كما قالوا، و ان كان كثيراً ما تجتمع القناعة مع ملكة الزهد، و الحرص مع ملكة حبّ الدّنيا، لان الزهد كما مر هو كمال الانقطاع عن المشتهيات، و القناعة هي الرضى بمقدار الحاجة، و ليس بينهما ترادف و ليس احدهما سبباً للاخر و لا ملازماً عقليا له، و كثيراً ما يفترق احدهما عن الاخر و قد يجتمعان ايضاً، نعم الإنسان المتحلّى بالفضائل كثيراً ما يجمع بينهما و بين غيرهما من الفضائل.

و ان حبّ الدّنيا هو اشتغال القلب بالمشتهيات، و ان الحرص هو الافراط فيها، و ليس بينهما ترداف و لا سببّيه بينهما. و اما الإنسان المتصف بالرذائل كثيراً ما يجمع فيه كلاهما كغيرهما من الرذائل.

و قد خرجنا عن طور البحث الّذي كنا بصدده، فنرجع إليه و نقول ان القناعة صفة هي خير من الدنيا و ما فيها.

قال الصادق عليه السلام: لو حلف القانع بتملّكه على الدّارين لصدّقه الله عزّ وجلّ بذلك.[١]

و تترتب عليها آثار هامّة كلّ واحدٍ منها خير من الدّنيا و ما فيها أيضاً و نذكر نبذاً من تلك الآثار:

١ ـ ان القانع هو المقتصد، و الاقتصاد في الأمور من وجهة نظر القرآن من صفات المؤمنين

قال الله تعالى: ﴿و الّذين إذا انفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا و كان بين ذلك قواماً﴾[٢]

٢ ـ ان القانع بريءٌ عن الاتراف الّذي هو من وجهة نظر القرآن من صفات الفاسقين.

قال الله تعالى: ﴿و إذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول و دمّرناها تدميراً﴾[٣]

٣ ـ ان القانع بعيد عن الهوى و الامل اللّذين كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و اهل بيته عليهم السلام خائفين منهما على الأمّة قويّاً.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ان اخوف ما اخاف على امّتي الهوى و طول الامل، اما الهوى فانّه يصدّ عن الحق و اما طول الامل فينسي الاخرة.[٤]

و قال اميرالمؤمنين عليه السلام: انّما اخاف عليكم اثنتين: اتباع الهوى و طول الأمل، امّا اتّباع الهوى فإنّه يصدّ عن الحقّ و امّا طول الامل فينسي الآخرة.[٥]

٤ ـ ان القانع بريءٌ عن الخوف و الحزن، و تلك البراءة هي من صفات اولياء الله تعالى

---

١ ـ مصباح الشريعة، في باب القناعة، طبع بيروت، ص ٢٠٢
٢ ـ الفرقان / ٦٧
٣ ـ الاسراء / ١٦
٤ ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ٧٥، باب ٤٦، ح ٣.
٥ ـ الكافي، ج ٢، ص ٣٣٥، باب اتّباع الهوى، ح ٣

في القرآن الكريم.

قال الله تعالى: ﴿الا انّ اولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾ [١]

٥ ـ ان القانع يثق بوعد الله تعالى، و لا يخاف عن ايعاد الشيطان و هما أيضاً من صفات المؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿و ما من دابّة في الارض إلّا على الله رزقها﴾ [٢]

و قال الله تعالى: ﴿الشّيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء﴾ [٣]

٦ ـ ان القانع برىء من ذل السؤال، فيكون عزيزاً عند الناس، و العزّة صفة المؤمنين ايضاً

قال الله تعالى: ﴿ يحسبهم الاهل اغنياء من التّعفّف﴾ [٤]

و قال الله تعالى: ﴿و لله العزّة و لرسوله و للمؤمنين﴾ [٥]

٧ ـ ان القانع في العيش له عيشة انسانيّة كما ان الحريص له عيش حَيَوانيّ، فمن افرط في الشهوة فهو يشبه الخنزير والديك و نحوهما، و من افرط في الاكل فهو يشبه الثور و الحمار و نحوهما، و من افرط في جمع الثروة فهو يشبه النمل و الفأرة و نحوهما، و بالجملة من افرط في شيء من الغرائز لا بدّ و أن تكون نفسيّته مشابهةً لنفسيّة صنفٍ من اصناف الحيوان.

فمن هذه الجهة يمكن أو لابدّ من ان يقال ان الحريص بحسب النفسية حيوانٌ و القانع بحسبها انسان يشبه الاولياء.

و عندما تتجلّى تلك النفسيّات يرى ما لا يراه في هذه الدّنيا الّتي كلها حجاب و غطاء.

قال الله تعالى: ﴿فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد﴾ [٦]

٨ ـ القانع هو الغنيّ كما ورد بذلك روايات منها:

---

١ ـ يونس / ٦٢ — ٢ ـ هود / ٦ — ٣ ـ البقرة / ٢٦٨

٤ ـ البقرة / ٢٧٣ — ٥ ـ المنافقون / ٨ — ٦ ـ ق / ٢٢

* ما عن أبي جعفر عليه السلام: من قنع بما رزقه الله فهو من اغنى النّاس.[١]

و ما عن الكلينى قدس سره في الكافي و نحن نذكره فيما سيأتى انشاء الله.

٩ ـ ان القانع يسلم عن خطر الطغيان ذلك الّذي يكون في حد الكفر و يترتب عليه مفاسد عظيمة كالكبر و الملأ و ترك الواجبات و الاتيان بالمحرمات بل الطغيان على الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿انّ الإنسان ليطغى * ان راه استغنى﴾[٢]

و قال تعالى: ﴿فامّا من طغى * و اثر الحيوة الدّنيا * فانّ الجنة هي المأوى﴾[٣]

١٠ ـ و هو العمدة، ان القناعة هي ردمٌ راسخٌ وثيقٌ يحفظ الإنسان عن عطفه وزلله نحو الافراط أو التفريط، فهى قوة تحفظ الإنسان عن الانحراف.

توضيح ذلك، انه لا اشكال في احتياج الإنسان إلى قوة حافظة لغرائـزه و لولا ذلك ليصير الإنسان شر الدّوابّ.

قال الله تعالى: ﴿انّ شرّ الدّوابّ عندالله الصمّ البكم الّذين لا يعقلون﴾[٤]

فما يمكن ان يكون ردماً مانعاً من الانحراف امور:

١ ـ العقل و هو قوة قدسية و لا اشكال في كونه سداً الا ان عمله فيما لا يعمل فـيه حجاب الغفلة أو العصبيّة أو العلم أو الكبر أو نحو ذلك.

٢ ـ العلم و هو أيضاً قوة قدسيّة و كونه سدّاً مما لا اشكـال فـيه في الجـملة، الا ان الاشكال الّذي مرّ ذكره في العقل يأتى هنا ايضاً.

٣ ـ الوجدان و الضمير الاخلاقى، و الانصاف أنّه سد وثيقٌ قبال طغيان الغرائز، الا ان الاشكال السابق يأتى هنا ايضا.

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٣٩، ح ٩

٢ ـ العلق / ٧ ـ ٦

٣ ـ النازعات / ٣٩ ـ ٣٧

٤ ـ الانفال / ٢٢

و يؤيّد هذا الاشكال في تلك الصور الثلاث ما يُرى في العالَم حالياً، هذا العالَم الّذي يُسمّى في الاصطلاح عالمَ الغالب عليه هو العقل و العلم و الضمير الاخلاقي و هو في الحقيقة ليس إلّا عالم القساوة و السفاهة و الجهل جهلاً يشبه الجاهلية الاولى.

و ليس ذلك الا لأنّ حجاب حبّ المال و الكبر و الغرور و نحو ذلك يغطّي العقل و العلم و الوجدان فيستفيدون من العلم و العقل و الوجدان ـ كمنظّمة الأمم المتّحدة ـ ضدّ الضعفاء، بل ضدّ الانسانيّة.

٤ ـ القانون، و هو و ان كان مشهوراً من حين أن صار الإنسان مدنيّاً و لا مناص منه إلى أن تقوم القيامة و ان الاسلام امضاه،

كما قال الله تعالى: ﴿ **لقد ارسلنا رسلنا بالبيّنات و انزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم النّاس بالقسط و انزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للنّاس**﴾[1] و المراد بالكتاب هو الهيئة التشريعيّة، و بالميزان هو السُّلطة القضائية و بانزال الحديد هو السلطة التنفيذية، فدلّت الآية الشريفة على ان الانبياء كلّهم كانوا مقنّنين و حاكمين و قائمين بتلك القوانين و الاحكام و جاؤوا بتلك القوى لتهذيب النّفس بالنسبة إلى آحاد المجتمع و تأسيس المدينة الفاضلة، الا ان الاشكال في ان اجراء القوانين و القضاء و تبيين الاحكام لو كان بيد غير المعصوم، أو غير العادل، فكثيراً ما يفسّر القانون و يجريه على خلاف الواقع، و بالقانون يظلمون و ينشرون الفحشاء، ثمّ يُستعان بالقوانين ستراً على ذلك الظلم فالقانون حينئذ عدمه اولى من وجود.

و التجربة تدلّ على ذلك كما أنّ ما صدر عن منظّمة الأمم المتّحدة و غيرها من المنظّمات و المشروعات العالميّة، يدلّ على هذا المدّعى.

٥ ـ التربية، و هي و ان كانت مؤثرة، بل هي أشدّ تاثيراً من كلّ ما ذُكِر، الا أنّها لو كانت

---

١ ـ الحديد / ٢٥

بيد الصالحين، فيدور المجتمع حول الصلاح و السّداد و اما لو كانت بيد المفسدين، فيهلكون الحرث و النسل، فهى حينئذ أضرّ من كون المجتمع سُدىً.

الا ترى ان الممالك الاسلاميّة كيف ابتلت بالشُّبه و الحوجاءات الماديّين حتّى آل الامر إلى انكار الضروريات الأوليّة نظير الحجاب و الصلوة في المعاهد العلميّة سيما في المدارس العُليا.

٦ ـ الاشراف و المراقبة العامّة و هي باقسامها مما يرغب فيها الاسلام ترغيباً بالغاً حتّى قال الله تعالى: **﴿كنتم خير امّة اخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر﴾**[1]

و النظارة هذه تطلب بحثاً مستقلاً مفصّلاً و سيأتى البحث عنها انشاء الله، الا ان تلك النظارة لو لم تكن بيد المهذب عن الرذائل و عن الافراط و التفريط ليؤول الأمر إلى نتيجة قبيحة مضرّة، كما يترائى ذلك من الاشراف الّذي يقوم به الجاهلون.

٧ ـ الايمان و هو سدّ أوثق من كلّ ما ذكرنا، و القرآن جعله سداً بل في آيات كثيرة جعل المراتب السافلة منه كالظنّ به سداً فضلاً عن اليقين به:

قال الله تعالى: ﴿الا يظنّ اولئك انّهم مبعوثون * ليوم عظيم﴾.[2]

و قال الله تعالى: ﴿الّذين يظنّون انّهم ملاقوا ربّهم و انّهم إليه راجعون﴾.[3]

الا ان الايمان ان كان علميا عقيدًيا و هو ما يقبله العقل بالبرهان و الاستدلال و على حدّ تعبير القرآن الكريم تسليم العقل، فهو رادع مانع في الجملة، و اما إذا كان المؤمن مطيعاً لشهوات نفسه و غرائزها فلا يقدر على ان يقوم بواجبه، فهو سد إذا كانت الغرائز و شأنها، و لكن يحتاج الإنسان إلى معين عند ثورانها، و تلك الثورانات كثيرة جداً و الايمان العقلى لا يكفي في تلك الموارد.

---

١ ـ آل عمران / ١١٠   ٢ ـ المطففين / ٥ ـ ٤   ٣ ـ البقرة / ٤٦

و هذا الاشكال يرد في القوى الرادعة كلّها من العقل و الوجدان و العلم و القانون و التربية و الاشراف و الايمان، لان هذه القوى كلها رادعة في الجملة عند كون الإنسان في الحالة الطبيعية، و اما عند ثوران الغرائز لا تكون رادعة، و لو اجتمع بعضها لبعض ظهيرا، و الإنسان بحاجة ماسّة إلى رادعٍ يردعه في حالاته كلّها عمّا لا يليق به.

نعم ان كان الايمان قلبيّا ـ راسخاً فيه بالغاً مرتبة الوجدان فهو ردمٌ وثيقٌ لا يُغلَب بحالٍ من الحالات.

قال الصادق عليه السلام: «المؤمن كالجبل الراسخ لاتحرّكه العواصف».

و لهذا الايمان مراتب شدة و ضعفا، فاوّل مراتبه هو اعتقاد القلب، المسمّى بـ «علم اليقين» ثمّ مرتبة متوسطة و هي رؤية القلب، المسمّاة بـ «عين اليقين» ثمّ مرتبة شديدة و هي وجدان القلب، المسمّاة بـ «حق اليقين» و هو الشهود.

و هذه الاصطلاحات كلها مأخوذةٌ من القرآن

و ظاهرٌ ان هذا الايمان رادع للانسان و حتّى عند ثوران الغرائز، و القرآن يشهد بذلك حتّى لمن حصلت له المرتبة الاولى فقط.

قال الله تعالى: ﴿ الهيكم التّكاثر * حتّىزرتم المقابر * كلّا سوف تعلمون * ثمّ كلّا سوف تعلمون * كلّا لو تعلمون علم اليقين﴾(١)

و القرآن جعل من حصلت له المرتبتان العُليا مباركاً.

قال الله تعالى: ﴿فلمّا جائها نودى ان بورك من في النّار و من حولها و سبحان الله ربّ العالمين﴾(٢)

و لكن بعد اللّتيا و الّتي، لا بد ان نتذكر هنا كلاماً اخر، و هو ما أُنزل القرآن و الكتب السماوية كلها و أُرسل الرسل كلّهم له، و هذه المقدّمة المفصلة مُهّدت له، و هو انه لو حصل

---

١ ـ التكاثر / ٥ ـ ١　　　　٢ ـ النّمل / ٨

التهذيب و التخلية و التحلية للنفس، فليس فيها اعوجاج حتّى تحتاج إلى مانع و رادع.

توضيح ذلك: ان التخلية و التحلية، أعني تهذيب النّفس عن الرذائل و رسوخ الملكات الفاضلة فيها هي ما أرسل الوسل لها.

قال الله تعالى: ﴿هو الّذي بعث في الامّيّين رسولاً منهم يتلوا عليهم اياته و يزكّيهم﴾ (١)

و قال الله تعالى: ﴿ لقد ارسلنا رسلنا بالبيّنات و انزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم النّاس بالقسط ﴾ (٢)

و هي تُخرج الشيطان و اعوانه عن القلب و تعدّل الغرائز كلها، فليس في القلب رذيلة و ليس للنفس طغيان و ثوران حتّى تحتاج إلى التعديل و لا مخاصمة بين القوى حتّى نحتاج إلى المصالحة بينها، فالقلب منور بنور الله و النّفس و غرائزها تكون في حالة الاعتدال و لا مخاصمة و لا مغالبة. و هو يحصل بسلوك الطريق و الوصول إلى المطلوب و الترقى من منزل إلى آخر حتّى يصل إلى مقام اللقاء الّذي ليس له انتهاء، و هو الغاية العُليا من خَلق الانسان.

نعم يحتاج ذلك التهذيب و التخلية و التحلية إلى الايمان القلبى و لا يعقل الوصول إلى مقام التخلية و التحلية إلّا و قد قدّمه الايمان القلبى فلا يمكن الوصول إلّا به بل الشروع في التوبة و اليقظة أيضاً يحتاج إلى ذلك الايمان و لو بمرتبة ضعيفة منه.

قال الله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً و لا يشرك بعبادة ربّه احداً﴾ (٣)

و لكن الكلام كلّه في أنّ هذا الايمان، لا ينفع لرفع ثوران الرذائل و الغرائز لانه ليست رذيلة بعد التهذيب حتّى نحتاج إلى رفعها.

---

١ ـ الجمعة / ٢ — ٢ ـ الحديد / ٢٥ — ٣ ـ الكهف / ١١٠

فالايمان القلبي حينئذ يكون براقاً للعروج، و به ينظر إلى ملكوت السموات و الارض (ينظر إلى قيوميّة الحق تعالى)

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: لولا انّ الشّياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السّموات و الارض.(١)

و الشياطين المذكورة في الرواية الشريفة، ليست الا الرذائل المسلّطة على النّفس و وساوس الشياطين الجنيّة و الانسيّة.

و هذا المقام، مقام اللقاء، و هو الاذي ّعطاه الله تعالى ابراهيم عليه السلام بعد ما ابتلى به من الابتلاءات.

قال الله تعالى: ﴿و كذلك نرى ابراهيم ملكوت السّموات و الارض﴾(٢)

هذا ملخّص الكلام، و لاخذ النتيجة منه نحتاج إلى تفصيل فيه و نكتفي حالياً بامثلة و لعلّ الله يحدث بعد ذلك امرا.

ان الكبر رذيلة تترتب عليها مفاسد سيما إذا عصت و ثارت، فهو حين الثوران كالكلب إذا يلهث و كالذئب إذا يهاجم، و كالاسد إذا يجوع. فالقتل و هتك الاعراض و استيغار الاموال و اهلاك الحرث و النسل أمر عادى له، بل يلتذ به. فيحتاج إلى مانع و رادع، و اجود الأمور و احسنها لرفع طغيانه هو الايمان القلبي.

و اما لو وفّق الإنسان لقمعه و تهذيب النّفس عنه و وضَعَ التواضع موضعه فاذاً لا كبر حتّى تترتب عليه المفاسد، بل التواضع نور يخرجه من الظلمات و يذهب به إلى الخيرات.

ثمّ ان الغضب جنون و ان لم يحصل للغاضب الندامة عليه فهو جنون مستمر.

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: ايّاك و الغضب، فانّ اوّله جنون و اخره ندم.(٣)

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٥٦، ص ١٦٣، باب ٢٣

٢ ـ الانعام / ٧٥

٣ ـ قصنيف غرر الحكم، ص ٣٠٢، ح ٦٨٩٨

و قال اميرالمؤمنين عليه السلام: الحدّة ضرب من الجنون لأنّ صاحبها يندم فان لم يندم فجنونه مستحكم.[1]

و حينما يغلب على الإنسان تترتب عليه المفاسد حتّى الكفر و العصيان و شتم الله و اوليائه الكرام تعالوا عن ذلك علواً كبيراً.

فالايمان القلبي رادع و مانع عن ذلك الطغيان و تلك المفاسد

و اما لو قدر على قمع تلك الرذيلة و تحلّى بالحلم فليس في النّفس رذيلة حتّى تترتب عليها المفاسد، بل الحلم فضيلة يُقدِر الحليم على ان يعمل ما يعجز عنه الآخرون و طوبى له و حسن مآب.

فاذاً لا نزاع في النّفس حتّى تحتاج إلى رادع و مانع

فقس عليها كلّ الرذائل و الفضائل.

و الاحسن و الاوضح لاثبات المدّعى من بين تلك الفضائل هو القناعة، فلذا جعلنا هذه المقالة باحثةً عنها و ان كانت المقالة عامّة عائدة إلى الرذائل و الفضائل كلّها.

و ذلك لان القناعة كما فسرناها في صدر البحث هي ملكة يُقتدَرُ بها على تنحية المشتهيات من غير افراط و لا تفريط، فمن اكتسب هذه الملكة و هذّب نفسه عن الافراط أعنى الحرص و التفريط أعنى الخمود، فنفسه طائرةٌ من ضيق ظلمات الحرص و الخمود و ما يترتب عليهما من المفاسد العظيمة ـ نظيرمامرّ في بحث الشره و حبّ الدّنيا و ما سيأتى انشاءالله في بحث الحرص و الطمع ـ إلى نور سعة القناعة و ما يترتّب عليها من المصالح العظيمة الّتي مضى ذكر بعضها.

حُكى ان ابراهيم الادهم كان سلطاناً فبينما كان في قصره، رأى ان رجلاً معدماً استترب عند نهر على حدته فاكل خبزاً و شرب كفّة ماءٍ و وضع أحذئته تحت راسه فنام

---

١ ـ تصنيف غرر الحكم، ص ٣٠١، ح ٦٨٦١

نوماً تسبيخاً ملتذّا. فانتبه انه طوال سلطنته لم يلتذ من تلك الاغذية و الاشربة هذه اللّذّة، و لم ينم في قصره هذا النوم قطّ، فعرف ان لذّة القناعة ليست كاللذات المادّية.

رواياتٌ في القناعة

* قال أبو جعفر عليه السلام: ايّاك ان تطمح بصرك إلى من هو فوقك فكفى بما قال الله عزّوجلّ لنبيّه صلى الله عليه و آله و سلم: ﴿و لاتعجبك اموالهم و لا اولادهم﴾ و قال: ﴿و لاتمدّن عينيك إلى ما متعنا به ازواجاً منهم زهرة الحياة الدّنيا﴾ فان دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فانّما كان قوته الشعير و حلواه التمر و وقوده السعف إذا وجده.(١)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من رضى من الله باليسير من المعاش رضى الله منه باليسير من العمل.(٢)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مكتوب في التوراة: ابن آدم كن كيف شئت كما تدين تدان، من رضى من الله بالقليل من الرّزق قبل الله منه اليسير من العمل و من رضى باليسير من الحلال خفّت مؤنته و زكت مكسبته و خرج من حدّ الفجور.(٣)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان اميرالمؤمنين صلوات الله عليه يقول: ابن آدم ان كنت تريد من الدّنيا ما يكفيك فانّ ايسر ما فيها يكفيك و ان كنت انّما تريد ما لا يكفيك فانّ كلّ ما فيها لا يكفيك.(٤)

---

١ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٣٧، باب القناعة، ح ١

٢ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٣٧، باب القناعة، ح ٣

٣ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٣٧، باب القناعة، ح ٤

٤ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٣٨، باب القناعة، ح ٦.

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من أراد ان يكون اغنى النّاس فليكن بما في يدالله اوثق منه بما في يد غيره.[١]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قنع بما رزقه الله فهو من اغنى النّاس.[٢]

* عن أبي عبيدة الحذّاء قال: سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: قال الله عزّ وجلّ: انّ من اغبط اوليائى عندى رجلاً خفيف الحال، ذا حظّ من صلاة احسن عبادة ربّه بالغيب، و كان غامضاً في النّاس جعل رزقه كفافاً، فصبر عليه، عجلت منيّته فقلّ تراثه و قلّت بواكيه.[٣]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: طوبى لمن اسلم و كان عيشه كفافاً.[٤]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اللّهم ارزق محمّداً و آل محمّد و من احبّ محمّداً و آل محمّد العفاف و الكفاف و ارزق من ابغض محمّداً و آل محمّد المال و الولد.[٥]

* عن ابراهيم بن محمّد النوفلى، رفعه إلى على بن الحسين صلوات الله عليهما قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم براعى ابل فبعث يستسقيه، فقال: امّا ما في ضروعها فصبوح الحىّ و امّا ما في آنيتنا فغبوقهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اللّهم اكثر ما له و ولده، ثمّ مرّ براعى غنم فبعث إليه يستسقيه فحلب له ما في ضروعها و اكفأ ما في انائه في اناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٣٩، باب القناعة ح ٨

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٣٩، باب القناعة، ح ٩

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٤٠، باب الكفاف، ح ١

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٤٠، باب الكفاف، ح ٢

٥ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٤٠، باب الكفاف، ح ٣

بعث إليه بشاة و قال: هذا ما عندنا و ان احببت ان نزيدك زدناك؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم اللّهم ارزقه الكفاف فقال له بعض اصحابه: يا رسول الله دعوت للّذى ردّك بدعاء عامّتنا نحبّه و دعوت للذى اسعفك بحاجتك بدعاء كلّنا نكرهه؟فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: انّ ما قلّ و كفى خيرٌ مما كثر و الهى، اللّهم ارزق محمّداً و آل محمّد الكفاف.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «انّ الله عزّوجلّ يقول: يحزن عبدى المؤمن ان قترت عليه و ذلك اقرب له منّى، و يفرح عبدى المؤمن ان وسّعت عليه و ذلك ابعد له منّى».[2]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «كفى بالقناعة ملكاً و بحسن الخلق نعيماً» و سئل عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ فلنحيينّه حياة طيّبة ﴾ فقال: «هي القناعة».[3]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «في ذكر خباب بن الأرتّ: يرحم الله خباب بن الأرتّ فلقد اسلم راغباً، و هاجر طائعاً و قنع بالكفاف و رضى عن الله، و عاش مجاهداً».[4]

* و قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «طوبى لمن ذكر المعاد، و عمل للحساب و قنع بالكفاف و رضى عن الله».[5]

* و قال اميرالمؤمنين عليه السلام لرجل سأله ان يعظه: «لا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير العمل و يرجّى التّوبة بطول الامل، يقول في الدّنيا بقول الزاهدين، و يعمل فيها بعمل الرّاغبين، ان اعطى منها لم يشبع، و ان منع منها لم يقنع».[6]

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٤٠، باب الكفاف، ح ٤

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٤٠، باب الكفاف، ح ٥

٣ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٢٢٩

٤ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٤٣

٥ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٤٤

٦ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ١٥٠

* و قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «القناعة مالٌ لا يَنْفَدْ».[١]

* و قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «لا كنز اغنى من القناعة».[٢]

* و قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «و ايم الله ـ يميناً استثنى فيها بمشية الله ـ لاروضنّ نفسى رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوما و تقنع بالملح مأدوماً...».[٣]

* و قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «.... و لكن الله سبحانه جعل رسله أولى قوّة في عزائمهم، وضعيفة فيما ترى الأعين من حالاتهم، مع قناعة تملأ القلوب و العيون غنىً، و خصاصة تملأ الأبصار و الأسماع أذىً...».[٤]

* و قال اميرالمؤمنين عليه السلام: (لما بلغه ان شريح اشترى على عهده دارا بثمانين دينارا) «..... اشترى هذا المغترّ بالأمل، من هذا المزعج بالاجل هذه الدار بالخروج من عزّ القناعة و الدّخول في ذلّ الطلب و الضّراعة !...».[٥]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «الهم نفسك القنوع».[٦]

* قال على عليه السلام: «انتقم من حرصك بالقنوع كما تنتقم من عدوّك بالقصاص».[٧]

* قال على عليه السلام: «ما احسن بالإنسان ان يقنع بالقليل و يجود بالجزيل».[٨]

---

١ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٥٧

٢ ـ نهج البلاغة، صبحى الصلاح، قصار الحكم ٣٧١

٣ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، كتاب ٤٥

٤ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، خطبه ١٩٢

٥ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، كتاب ٣

٦ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٩، باب ١٥، ح ٦٤

٧ تصنيف غرر الحكم، ص ٣٩١، ح ٨٩٨١.

٨ تصنيف غرر الحكم، ص ٣٩١، ح ٩٠٠١.

❊ قال علی علیه‌السلام: «من قنعت نفسه اعانته علی النزاهة و العفاف».[١]

❊ قال علی علیه‌السلام: «من شرف الهمة لزوم القناعة».[٢]

❊ قال علی علیه‌السلام: «من عزّ النّفس لزوم القناعة».[٣]

❊ قال علی علیه‌السلام: «القناعة تغنی».[٤]

❊ قال علی علیه‌السلام: «القانع غنی و ان جاع و عری».[٥]

❊ قال علی علیه‌السلام: «القناعة رأس الغنی».[٦]

❊ قال علی علیه‌السلام: «علی قدر العفّة تکون القناعة».[٧]

❊ قال علی علیه‌السلام: «لن توجد القناعة حتّی یفقد الحرص».[٨]

❊ قال علی علیه‌السلام: «من عقل قنع».[٩]

❊ قال علی علیه‌السلام: «ینبغی لمن عرف نفسه ان یلزم القناعة و العفّة».[١٠]

❊ قال علی علیه‌السلام: «کیف یستطیع صلاح نفسه من لا یقنع بالقلیل».[١١]

---

١ تصنیف غرر الحکم، ص ٣٩٣، ح ٩٠٧٠.

٢ تصنیف غرر الحکم، ص ٣٩١، ح ٨٩٩٩.

٣ تصنیف غرر الحکم، ص ٣٩٢، ح ٩٠٢٦.

٤ تصنیف غرر الحکم، ص ٣٩٢، ح ٩٠٢٩

٥ تصنیف غرر الحکم، ص ٣٩٢، ح ٩٠٣٥

٦ تصنیف غرر الحکم، ص ٣٩٢، ح ٩٠٣٠

٧ تصنیف غرر الحکم، ص ٣٩٣، ح ٩٠٦٨

٨ تصنیف غرر الحکم، ص ٣٩٣، ح ٩٠٨٢

٩ تصنیف غرر الحکم، ص ٣٩١، ح ٨٩٩٧

١٠ تصنیف غرر الحکم، ص ٣٩١، ح ٩٠٠٦

١١ تصنیف غرر الحکم، ص ٢٣٨، ح ٤٨٠٦

❊ قال علي عليه السلام: «ثمرة القناعة الإجمال في المكتسب و العزوف عن الطّلب».[١]

❊ قال علي عليه السلام: «ثمرة القناعة العزّ».[٢]

❊ قال علي عليه السلام: «اعون شيء على صلاح النّفس القناعة».[٣]

❊ قال علي عليه السلام: «من قنع لم يغتمّ».[٤]

❊ قال علي عليه السلام: «بالقناعة يكون العزّ».[٥]

❊ قال علي عليه السلام: «اقنعوا بالقليل من دنياكم لسلامة دينكم، فانّ المؤمن البلغة اليسيرة من الدنيا تقنعه».[٦]

❊ قال علي عليه السلام: «من قنعت نفسه عزّ معسراً».[٧]

❊ قال علي عليه السلام: «أنعم النّاس عيشا، من منحه الله سبحانه القناعة، و اصلح له زوجه».[٨]

❊ قال علي عليه السلام: «القناعة أهنأ عيش».[٩]

❊ قال علي عليه السلام: «من كان بيسير الدّنيا لا يقنع، لم يغنه من كثيرها ما يجمع.[١٠]

---

١ تصنيف غرر الحكم، ص ٣٩٣، ح ٩٠٧٨

٢ تصنيف غرر الحكم، ص ٣٩٢، ح ٩٠١٥

٣ تصنيف غرر الحكم، ص ٣٩١، ح ٨٩٨٤

٤ تصنيف غرر الحكم، ص ٣٩٣، ح ٩٠٨٤

٥ تصنيف غرر الحكم، ص ٣٩٢، ح ٩٠١٤

٦ تصنيف غرر الحكم، ص ٣٩٣، ح ٩٠٧٥

٧ تصنيف غرر الحكم، ص ٣٩٢، ح ٩٠٢٠

٨ تصنيف غرر الحكم، ص ٣٩٣، ح ٩٠٧٦

٩ تصنيف غرر الحكم، ص ٣٩٣، ح ٩٠٧٣

١٠ تصنيف غرر الحكم، ص ٣٩٤، ح ٩٠٩٢

* سئل الرضا عليه السلام عن القناعة فقال: «القناعة تجتمع إلى صيانة النّفس و عزّ القدر و طرح مؤن (مؤونة ـ خ) الاستكثار، و التعبد لاهل الدّنيا، و لا يسلك طريق القناعة الا رجلان امّا متعلّل (متعبد ـ خ) يريد اجر الاخرة، أو كريم متنزّه عن لئام النّاس».(١)

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: «من لم يقنعه اليسير لم ينفعه الكثير».(٢)

* قال الحسين بن على عليه السلام: «القنوع راحة الأبدان».(٣)

* (من وصايا اميرالمؤمنين لابنه الحسن عليه السلام) «لا مال اذهب بالفاقة من الرضىٰ بالقوت، و من اقتصر على بلغة الكفاف تعجّل الرّاحة و تبوّا خفض الدّعة».(٤)

* عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لرجل و هو يوصيه:.... و اقنع بما اوتيته يخفّ عليك الحساب.(٥)

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: القناعة غنية و الاقتصاد بلغة.(٦)

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: اشكر النّاس اقنعهم، و اكفر للنعم اجشعهم.(٧)

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: طلبت الغنى فما وجدت الا بالقناعة، عليكم بالقناعة تستغنوا.(٨)

* اوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود انّى وضعت خمسة في خمسة و الناس

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٣٤٩، باب ٢٦، ح ٦

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٧١، باب ١٦، ح ٣٣

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ١٢٧، باب ٢٠، ح ١١

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٢٣٨، باب ٩، ح ١

٥ ـ بحار الانوار، ج ٧٤، ص ١٨٩، باب ٧، ح ١٠

٦ ـ بحار الانور، ج ٧٥، ص ١٠، باب ١٥، ح ٦٧

٧ ـ بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٤٢٣، باب ١٥، ذيل ح ٤٠.

٨ ـ بحار الانوار، ج ٦٦، ص ٣٩٩، باب ٣٨، ح ٩١

يطلبونها في خمسة غيرها فلايجدونها،... و وضعت الغنى في القناعة و هم يطلبونه في كثرة المال فلا يجدونه.[۱]

* قال الباقر عليه السلام في وصيته لجابر بن يزيد الجعفي:... و انزل ساحة القناعة بـاتّقاء الحرص و ادفع عظيم الحرص بايثار القناعة.[۲]

* عن هشام بن سالم قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول لحمران: يا حمران انظر إلى من هودونك، و لا تنظر إلى من هو فوقك في المقدرة فانّ ذلك اقنع لك بما قسّم لك.[۳]

* قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: ان فيما نزل به الوحى من السماء: لو ان لابن آدم واديين يسيلان ذهباً و فضّة لابتغى إليهما ثالثاً، يابن آدم أنّما بطنك بحر من البحور و واد من الاودية لا يملأه شيء الا التراب.[٤]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام..... و القناعة سيف لا ينبو.[٥]

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ۷۵، ص ٤٥۳، باب ۳۳، ح ۲۱

۲ ـ بحار الانوار، ج ۷۵، ص ۱٦۳، باب ۲۲، ح ۱

۳ ـ بحار الانوار، ج ۷۵، ص ۱۹۸، باب ۲۳، ح ۲۱

٤ ـ من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ۳۰۰، ح ۸۸

٥ ـ بحار الانوار، ج ٦۸، ص ۹٦، باب ٦۲، ذيل ح ٦۱

الرذيلة العشرون: الحرص

و هو ضد القناعة، و قد مرّ معنا الحرص في صدر البحث عن القناعة، حيث قلنا انه ملكة الافراط في المشتهيات، و بعبارةٍ أخرى هي جوعٌ روحيٌ، كمرض الاستسقاء فكما انه لو شرب المبتلى بهذا المرض حتّى مات لا يرتفع عطشه، فكذلك الحريص لو بالغ في تنحية غريزة واحدة طوال حياته لاينجح في تنحيتها.

و الحرص بمعناه يشمل جميع الغرائز إلّا انّ علماء الأخلاق خصّوها بصفةٍ واحدة هي حبّ المال و الجاه و قد يستعملونه في حبّ الدّنيا الدنيّة بمعناها العام و على كلّ تقدير انّها رذيلة، المتصف بها يشبه السقر، حيث لاتشبع و تنادى دائماً هل من مزيد، و كلما زاد في عمر الحريص زاد في حرصه:

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «و يهرم ابن آدم و تشبّ منه اثنتان الحرص و الأمل».[1]

حكى في معراج السعادة انّ شيخاً هرماً كان أدرك رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لم يقدر على الحركة لاجل هرمه جيء به إلى هارون الرشيد لعنة الله عليه، فسأل عنه رواية سمعها من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فروى له هذه الرواية، فامر له بماة الف درهم، فسرعان أن أمر بالعود بعد

---

١ ـ تحف العقول، طبع بيروت، ص ٤٥، باب مواعظ النّبي و حكمه صلى الله عليه و آله و سلم

أنّ خرج من عند الأمير، فظنوا انه تذكر رواية أخرى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فاذا دخل على هارون سأل عنه هذه العطيّة مستمرة في كلّ سنة أو تخص بهذه السنة فقط. فضحك هارون و قال صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ قال له مستمرة في كلّ سنة. فلما خرج ما مضى لحظات إلّا و قد مات و مضى سبيله. و نظير هذا كثير جدّاً.

و العجب أنّ الحريص قد لايكون محباً للدّنيا بمعناها العام و لكنّه حريص فيها. فلهذا ليس ما اشتهر من علماء علم الأخلاق من عدّ الحريص من مصاديق محبّ الدّنيا بسديد، لأنّه ربما نرى غير المهتمّ بالدنيا بمعناها العام أو غير القادر على الاهتمام بها يكون حريصاً فيها فالحريص حريص في جمع المال و لو لم يقدر على حفظه، و الحريص حريص في ملكه و رياسته و لو لم يقدر على حفظها، و قس على ذلك و التجربة اثبتت ذلك حيث يُرى أنّ الحريص يكون كالنملة، و الحرص واد من أودية جهنم:

قال الصادق عليه السلام: «لو انّ لابن آدم واديين يسيلان ذهباً و فضة لابتغى إليهما ثالثاً.... لايملأه شيء إلّا التّراب».[1]

رايت سائلاً بالكف، يسأل النّاس ملحّاً متذلّلاً، فحكى لي بعض من أثق به أنّ هذا السائل حينما حضره الموت كان يصرُّ على أنّ يُحضَر له برذعة حمار كان يركبه لمرض شللٍ أصاب رجليه فلما أُحضِرَ نظر إليه نظرة حاسر، فكرّر النّظر حتّى مات، فشقّوا البرذعة فوجدوها مملوءة من النقود، و نظيره كثير.

و تترتب على الحرص مفاسد عظيمة نذكر شطراً منها:

الاوّل: انّ الحريص محروم من الدّنيا و الآخرة ممنوعٌ عنهما و لو لم يكن الا كونه مطروداً غير معظّم عندالله ليكفى في شقاءه في الدّارين:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من اصبح و كان اكبر همّه الدّنيا فليس من الله في شيء و الزم

---

١ ـ من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٠٠، ح ٨٨

الله قلبه اربع خصال، همّاً لاينقطع عنه ابداً و شغلاً لايفرغ عنه ابداً و فقراً لاينال غناه ابداً و املاً لايبلغ منتهاه ابداً».

و قال العارف الكامل الحجّة الميرزا جواد الملكى في المراقبات: لو لم يكن لشقاوته الا قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم فليس من الله في شيءٍ، ليكفيه شقاوةً.

ولله درّه حيث إنّ القرآن لم يستعمل هذه الجملة الا في اتخاذ المؤمنين الكفّار أولياء، و بعبارةٍ أخرى جعلهم بطانة:

قال الله تعالى: ﴿لايتّخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين و من يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلّا ان تتّقوا منهم تقية و يحذّركم الله نفسه و إلى الله المصير﴾. (١)

و قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا لا تتّخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودّوا ما عنتّم قد بدت البغضاء من افواههم و ما تخفى صدورهم اكبر﴾. (٢)

و لمّا كان ذلك من اعظم الكبائر ـ حيث يؤدّى إلى وقوع الاسلام في المخاطرة و ضعف الدّول الاسلاميّة و بطلان استقلالهم ـ استعمل الله تعالى هذه الجملة «فليس من الله في شيءٍ» في مقام الاخبار عن تلك الكبيرة العظمى.

فيفهم ممّا قاله الرسول في الحريص، ان الحرص رذيلة موبقة موجبة لشقاء الدّارين.

الثانى: انّ الحريص لايزال مهموماً، مغموماً، مضطرباً، خائفاً، لانّه لن يصل إلى مطلوبه أبداً، فالغمّ و الحرمان يلازمانه كما اخبر رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم في ما رويناه آنفاً «همّاً لاينقطع عنه ابداً» و بعبارةٍ أخرى ليس له الأمن النفسى، و الحالة هذه اسوء الحالات و هي حالة اهل النار:

قال الله تعالى: ﴿كلّما ارادوا ان يخرجوا منها من غمّ اعيدوا فيها﴾. (٣)

---

١ ـ آل عمران / ٢٨ ٢ ـ آل عمران / ١١٨ ٣ ـ الحج / ٢٢

كما انّ الأمن النفسى حالة اهل الجنّة و هي من احسن النعم، بل لا نعمة احسن منها:

قال الله تعالى: ﴿و قالوا الحمد لله الاذي ّذهب عنّا الحزن انّ ربّنا لغفور شكور﴾. [١]

و هي صفة اولياء الله تعالى في هذه الدّنيا فضلاً عن الاخرة:

قال الله تعالى: ﴿الا انّ اولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾. [٢]

كما يشهد القرآن الكريم في آيات عديدة، بان الهمّ و الوحشة و عدم الأمن النفسى تلازم الكفّار و الفجّار:

قال الله تعالى: ﴿و لا يزال الّذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحلّ قريباً من دارهم﴾. [٣]

و كانّه من سنن الله تعالى ان يلازم الأمن النفسى المؤمن، و عدمه الكافر الفاجر:

قال الله تعالى: ﴿فاىّ الفريقين احقّ بالامن ان كنتم تعلمون * الّذين امنوا و لم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن و هم مهتدون﴾. [٤]

الثالث: الحريص قلبه مشغولٌ بهذه الدّنيا الدّنيّة دَوماً، فهو غافل عن آخرته و سعادته و بارئه فهو في نوم الغفلة حتّى ينتبه بالموت:

قال الله تعالى: ﴿الهيكم التّكاثر * حتّى زرتم المقابر﴾. [٥]

و قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: **«الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا».** [٦]

و إلى هذه الحالة، اشار رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم في الرواية الاخيرة أيضاً حيث قال: «و شغلاً لا يفرغ عنه ابداً» و هو صلّى الله عليه و آله و سلّم شبّهه في رواية أخرى بدودة القزّ و قد احسن الإمام أبوجعفر محمّد الباقر عليه السّلام في هذا التشبيه:

---

١ ـ فاطر / ٣٤ — ٢ ـ يونس / ٦٢ — ٣ ـ الرّعد / ٣١

٤ ـ الانعام / ٨٢ ـ ٨١ — ٥ ـ التكاثر / ٢ ـ ١

٦ ـ بحار الانوار، ج ٥٠، ص ١٣٤، باب ٣، ح ١٥.

قال: «مثل الحريص في الدّنيا مثل دودة القزّ كلمّا ازدادت من القزّ على نفسها لفّا كان ابعد لها من الخروج حتّى تموت غمّا».[۱]

الرّابع: أنّ الحرص فقرٌ، و الحريص فقير و لو كان ثريّاً غنياً و له مكنةٌ فوق ما للآخرين من المكنة

الخامس: الحريص طويل الأمل، و طول الأمل ممّا يخاف منه جداً. و لهذا قد ورد الانذار من هذه الرذيلة فيما رُوى عن الرسول و اهل بيته عليهم السلام حيث قالوا:

«انّ اخوف ما اخاف عليكم خلّتان: اتباع الهوى و طول الامل».[۲]

و ربما سمعنا و رأينا انّ طول الامل يُخيّل لصاحبه الشعرَ كأنّه جبلٌ!، و يخيّل له أنّه يمكنه أن يقعد على رأس هذا الجبل الخيالى تفاخراً! و كأنّ التفاخر و التخيّل و الوساوس الفكرية يلازم طول الامل. و سيأتى زيادة توضيح لذلك و بهذه النقمة أيضاً اشار رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في الرواية الشريفة حيث قال: «و املاً لا يبلغ منتهاه ابداً».

السادس: انّ الحريص يكون متشتّت الأمر ضيّق المعيشة و يظهر من بعض الروايات ان الله يشتّت أمره و باله، فكل أمر يريده يواجه الخذلان و عدم التّوفيق:

قال أبو عبدالله عليه السلام: «من اصبح و امسى و الدّنيا اكبر همّه جعل الله تعالى الفقر بين عينيه و شتّت امره».[۳]

و السر في ذلك ان الحريص معرض عن ذكر الله تعالى و من اعرض عن ذكر الله فهو كذلك:

---

۱ ـ الكافى، ج ۲، ص ۳۱٦، باب حبّ الدّنيا و الحرص عليها، ح ۷.

۲ ـ الكافى، ج ۸، ص ۵۸، ح ۲۱

۳ ـ الكافى، ج ۲، ص ۳۱۹، باب حبّ الدّنيا و الحرص عليها، ح ۱۵.

قال الله تعالى: ﴿و من اعرض عن ذكرى فانّ له معيشة ضنكاً﴾.[١]

و نحن ذكرنا في القناعة فضائل للقانع و اضداد تلك الفضائل كلّها ثابتةٌ للحريص، لان القناعة و الحرص ضدان، كما مضى في تعريفها فما ثبت لأحدهما، مسلوبٌ عن الآخر، فكلّ ما يكون للقناعة من الفضائل مسلوبٌ عن الحرص، بل أضدادها ثابتةٌ له.

توضيح ذلك:

١ ـ ان القانع مقتصد، فالحريص مفرط.

٢ ـ ان القانع ليس بمترف، فالحريص مترف.

٣ ـ ان القانع ليس له هوىً، فالحريص له الهوى.

٤ ـ ان القانع مطمئن القلب، فالحريص خائفٌ مضطرب البال.

٥ ـ ان القانع يثق بالله تعالى و بوعده، فالحريص واثقٌ بالشيطان و بوعده (الشّيطان يعدكم الفقر)[٢]

٦ ـ ان القانع لم يسأل احداً سؤال ذلّة، فالحريص يكون السؤال شعاره و الذلّ لباسه.

٧ ـ ان القانع سيرته سيرة الإنسان الكامل، فالحريص سيرته سيرة الحيوانات في تنحية غرائزه.

٨ ـ ان القانع هو الغنى إذ القناعة هي الغنى الحاضر، فالحريص هو الفقير، لان الحرص هو الفقر الحاضر.

٩ ـ ان القانع يسلم من خطر الطغيان فالحريص في ذلك المخاطرة دائماً.

١٠ ـ ان القانع تحفظه القناعة كأنّها سدّ وثيقٌ من الانحراف، فالحريص في خطر الانحرافات دائماً فهو في واد من السقر حتّى يصل إلى السقر الموعود.

فهذا عشرة افات و اثرات، فاذا ضمّت اليها تلك الستة تحصل ستّ عشرة آفةً، نعم

---

١ ـ طه. ١٢٤   ٢ ـ البقرة / ٢٦٨

بعض تلك الآفات قريب المخرج من بعض، بل بين بعضها مع بعضٍ نحوٌ من الاتّحاد فتامل.

و يظهر من رواية مصباح الشريعة افات و تبعات أُخر و لما كانت الرواية نوراً و هي من غرر الأحاديث فنذكرها بتمامها ثمّ نعدّ لك آفاتٍ و تبعاتٍ تُستفاد منها.

قال الصادق عليه السلام: لاتحرص على شيء لو تركته لوصل إليك و كنت عندالله مستريحاً محموداً بتركه و مذموماً باستعجالك في طلبه و ترك التوكل عليه و الرضا بالقسم، فان الدنيا خلقها الله تعالى بمنزلة الظل، ان طلبته اتعبك و لاتلحقه ابداً و ان تركته تبعك و انت مستريح. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :الحريص محروم و هو مع حرمانه مذموم في اى شيء كان و كيف لايكون محروماً و قد فرّ من وثاق الله عزّوجلّ و خالف قول الله تعالى حيث يقول ﴿الله الّذي خلقكم ثمّ رزقكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم﴾[1] و الحريص بين سبع آفات، فكر يضر بدينه و لاينفعه، و همّ لايتمّ له اقصاه و تعب لايستريح منه إلّا عند الموت، و يكون عند الراحة اشدّ تعبا، و خوف لايورثه إلّا الوقوع فيه و حزن قد كدر عليه عيشه بلا فائدة، و حساب لايخلصه من عذاب الله إلّا ان يعفو الله تعالى عنه، و عقاب لا مفرّ له منه و لا حيلة، و المتوكلّ على الله يمسى و يصبح في كنفه، و هو منه في عافية، و قد عجل الله له كفايته و هيّأ له من الدرجات ما الله تعالى به عليم. و الحرص ما يجرى في منافذ غضب الله تعالى و ما لم يحرم العبد اليقين لايكون حريصا و اليقين ارض الاسلام و سماء الايمان.[2]

تظهر من هذه الرواية الشريفة تبعات موبقة و اثرات هالكة.

۱ ـ كون الحريص مذموماً عندالله.

۲ ـ كون الحرص على خلاف التوكل.

۳ ـ كون الحرص منافياً للرضا.

٤ ـ كون الحريص عبيد الدّنيا و تابعاً لها كتبعيّة الظلّ الإنسان.

---

۱ ـ الروم / ٤٠

۲ ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۱٦٥، باب ۱۲۸، ح ۲٦

٥ ـ كون الحريص محروماً من فيض الربّ تعالى.

٦ ـ كون الحريص فارّاً من وثاق الله تعالى.

٧ ـ كون الحريص مخالفاً القرآن عملاً.

٨ ـ كون فكر الحريص مضرّاً بدينه.

٩ ـ كون الحريص مهموماً دائماً و لا نهاية لهمّه.

١٠ ـ كون الحريص دائماً في تعب و مشقة حتّى أنّ يموت.

١١ ـ كون الحريص خائفاً دائماً و هو يقع فيما يخاف منه.

١٢ ـ كون حرص الحريص موجبا لكدورة عيشه.

١٣ ـ كون حساب الحريص يوم القيامة عسراً، يترتب عليه العذاب، فهو من اهل السقر إلّا ان يعفو الله تعالى عنه.

١٤ ـ كون الحريص له عذاب لا محيص عنه، لان الحرص في الدّنيا لاينفك عن المحرّمات و الشبهات إلّا لمن يعينه الله تعالى.

١٥ ـ كون الحريص في غضب الله تعالى كالماء النافذ في المنافذ.

و لو لم يكن للحريص شيء إلّا هذه النبعة ليكفيه خسارةً و خذلاناً و شقاءً، نعوذ بالله من غضبه، فويل لمن غضب الله عليه و لو طرفة عينٍ، و كان من دعاء الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم سيما عند مظان الاستجابة: اللّهم لا تكلني إلى نفسى طرفة عين ابداً.

١٦ ـ كون الحريص غير مؤمن و لاموقن، و إلّا فايمانه و يقينه سدّ لحرصه. و هذا هو المهمّ، بل الاهمّ، و هو الّذي ذيّلنا به مبحث القناعة، و قلنا ان الايمان القلبى سدّ وثيقٌ من الانحرافات. فالصادق عليه السلام قال في مختتم الحديث: ان الايمان القلبى، و هو اليقين، يحفظ الإنسان من الفتن، و من تلك الفتن الحرص، و ما لم يحرم العبد من اليقين، لايكون حريصا و اليقين ارض الاسلام و سماء الايمان.

فاضمم هذه التبعات إلى ما مرّ، تصل إلى اثنين و ثلاثين، و ان كان لوتأمّلت بعضها يرجع إلى بعض، بل بعضها عين الآخر.

فتلخّص ممّا ذكرنا ان الحرص رذيلة موجبة للذلّة في الدّنيا و الاخرة، و ان الحريص مهانٌ عندالله و عند الناس، و هو يلطم و يلبخ على ذاتيّته و هويّته دائما ضربات شديدة، و ينقض شرفه و كرامته و عرضه عندالله و عند الناس و يوجب الوهن لا هله و عياله عاجلاً و آجلاً، و يسقط في الذنوب سقوط الاعمى في البئر و يقع في الهلكات من حيث لا يعلم.

و ما لا بدّ من ان يتذكر به الحريص، ان الحرص يلازم رذائل اخر، و انفكاكه عنها في غاية الصعوبة، و لو عزم على الانفكاك عنها سيقع فيها غفلةً، و من تلك الرذائل حبّ الدّنيا بمعناه العام، من الشهوة الجنسيّة و شهوة الرئاسة و المال و القدرة و نحو ذلك.

و من تلك الرذائل، الوقاحة، بمعنى رفع الحياء عنه، لان الحرص و الحياء ضرّتان، لايمكن أنّ يجتمعا عادة.

و من تلك الرذائل الجرئة على ارتكاب المعاصى حتّى بالنسبة إلى اموال الناس بل اعراضهم و انفسهم. فربما يُشاهد ما يرتكبه الحريص من الكبائر العظيمة حتّى نرى ان الكفر سهل عنده فضلاً عن الموبقات الأُخر.

و من تلك الرذائل، الطمع الّذي هو رذيلةٌ تترتب عليه رذائل أخرى و سياتى البحث عنه انشاءالله.

و من تلك الرذائل المكر و الحيلة و الخدعة و هي من عمل الشّيطان و يلزمه النفاق، فالحريص يلازم النفاق ايضاً.

و من تلك الرذائل، التهوّر و الجبن، لان الحريص متهوّر لتنحية الغرائز من جهة، و من جهة أخرى جبان خائفٌ ممّا يفوت ممّا يشتهيه.

و من تلك الرذائل دنائة الهمّة، فلا غيرة له و لا حمية، فالحريص دنى همة و طبعاً.

فربما نرى ان الحريص يفعل لتنحية غرائزه ما لايفعل أراذل الناس مع كـونه بحسب العلم في غاية العلو و الشرافة.

و من تلك الرذائل حرمانه من التوبة، لان الحريص لايقدر عليها إلّا ان يكفّ عـن حرصه لانه كلّما تاب عن ذنبه الاذي ّوقعه الحرص فيه، يقع في ذلك الذنب أو ذنب آخر، فهو دائماً في مخالفة الله تعالى و على قول الإمام الصادق عليه‌السلام انه دائماً في غضب الله.

و من تلك الرذائل سخط الله تعالى، فالكفران و عدم الرضا و التسليم يلازم الحرص و لايمكن ان يكون الحريص شاكراً راضيا تسليماً لله تعالى.

و من تلك الرذائل العجلة، لان الحرص و العجلة قرينان، كفران الخف مع قـرينه، و العجلة من عمل الشيطان و وساوسه، فالحريص أيضاً قرينٌ للشيطان. فهذه عشرة كاملة، و لكنّها نبذة ممّا يلازم الحرص، و انت تستطيع ان تضمّ اليها ملازمات اخرى. و لنـختم البحث بروايات حتّى يكون ختامه مسكاً.

رواياتٌ في الحرص

* عن الصادق عليه السلام: ان كان الرّزق مقسوماً فالحرص لماذا؟[1]

* عن الصادق عليه السلام قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أغنى النّاس من لم يكن للحرص أسيراً.[2]

* عن الصادق عليه السلام ناقلاً عن حكيم: الحريص الجشع أشدّ حرارة من النّار.[3]

* سئل اميرالمؤمنين عليه السلام أيّ ذلّ اذلّ؟ قال: الحرص على الدّنيا.[4]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: منهومان لا يشبعان: منهوم علم و منهوم مال.[5]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: حرم الحريص خصلتين و لزمته خصلتان، حرم القناعة فافتقد الرّاحة، و حرم الرّضا فافتقد اليقين.[6]

* عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: يهرم ابن آدم و يشبّ منه اثنان: الحرص على المال و الحرص على العمر.[7]

١ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٠، باب ١٢٨، ح ١

٢ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٠، باب ١٢٨، ح ٢

٣ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٠، باب ١٢٨، ح ٣

٤ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٠، باب ١٢٨، ح ٤

٥ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٠، باب ١٢٨، ح ٥

٦ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٠، باب ١٢٨، ح ٦

٧ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٠، باب ١٢٨، ح ٧

❊ عن انس انّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: قال: يهلك أو قال: يهرم ابن آدم و يبقى منه اثنتان: الحرص و الأمل.[١]

❊ عن أبي عبدالله عن ابيه عليه السلام قال: لايؤمن رجل فيه الشّحّ و الحسد و الجبن، و لايكون المؤمن جباناً و لا حريصاً و لا شحيحاً.[٢]

❊ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان فيما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام: يا علىّ أنهاك عن ثلاث خصال عظام: الحسد و الحرص و الكذب.[٣]

❊ عن الصّادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من علامات الشقاء جمود العين و قسوة القلب و شدة الحرص في طلب الرّزق و الاصرار على الذّنب.[٤]

❊ عن اميرالمؤمنين عليه السلام قال: إظهار الحرص يورث الفقر.[٥]

❊ عن اميرالمؤمنين عليه السلام قال: الحرص مفقرة.[٦]

❊ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إعلم يا على إنّ الجبن و البخل و الحرص غريزة واحدة يجمعها سوء الظنّ.[٧]

❊ فيما سأل عنه اميرالمؤمنين ابنه الحسن عليه السلام انه قال له: ما الفقر؟ قال: الحرص و الشّرّة.[٨]

---

١ ـ بحار الانور، ج ٧٠، ص ١٦٠، باب ١٢٨، ح ٨

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٠، باب ١٢٨، ح ٩

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٠، باب ١٢٨، ح ١٠

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٠، باب ١٢٨، ح ١١

٥ ـ بحار الانوار، ج ٠٣، ص ١٦٠، باب ١٢٨، ح ١٢

٦ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٠، باب ١٢٨، ح ١٣

٧ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٠، باب ١٢٨، ح ١٤.

٨ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٠، باب ١٢٨، ح ١٥

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا هبط نوح عليه السلام من السّفينة أتاه إبليس فقال له: ما في الأرض رجل اعظم منّة عليّ منك، دعوت الله على هؤلاء الفسّاق فأرحتني منهم الا أُعلّمك خصلتين؟ ايّاك و الحسد، فهو الّذي عمل بى ما عمل، و ايّاك و الحرص فهو الّذي عمل بآدم ما عمل.[١]

* قال الصادق عليه السلام: لاتحرص على شيء لو تركته لوصل إليك و كنت عندالله مستريحاً محموداً بتركه، و مذموماً باستعجالك في طلبه، و ترك التّوكّل عليه، و الرّضا بالقسم، فانّ الدّنيا خلقها الله تعالى بمنزلة ظلّك، ان طلبته اتعبك و لاتلحقه ابداً، و ان تركته تبعك، و انت مستريح. و قال النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم: الحريص محروم، و هو مع حرمانه مذموم، في ایّ شيء كان، و كيف لايكون محروماً و قد فرّ من وثاق الله، و خالف قول الله عزّوجلّ، حيث يقول الله: ﴿ الّذي خلقكم ثمّ رزقكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم ﴾[٢] و الحريص بين سبع آفات صعبة: فكر يضرّ بدينه و لاينفعه، و همّ لايتمّ له اقصاه، و تعب لايستريح منه إلّا عند الموت، و يكون عند الرّاحة اشدّ تعباً، و خوف لا يورثه إلّا الوقوع فيه، و حزن قد كدر عليه عيشه بلا فائدة، و حساب لا يخلّصه من عذاب الله إلّا ان يعفو الله عنه، و عقاب لا مفرّله منه و لا حيلة، و المتوكّل على الله يمسى و يصبح في كنفه، و هو منه في عافية، و قد عجّل له كفايته، و هيّأ له من الدّرجات ما الله به عليم. و الحرص ما يجرى في منافذ غضب الله، و ما لم يحرم العبد اليقين لايكون حريصاً، و اليقين ارض الاسلام و سماء الايمان.[٣]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: كم من اكلة تمنع اكلات.[٤]

* كنز الكراجكى: قال الله تعالى: يابن آدم في كلّ يوم تؤتى برزقك و انت تحزن، و

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٣، باب ١٢٨، ح ١٧.

٢ ـ الرّوم / ٤٠

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٥، باب ١٢٨، ح ٢٦

٤ ـ نهج البلاغة، الرقم ١٧١، من الحكم

ينقص من عمرك و انت لاتحزن، تطلب ما يطغيك و عندك ما يكفيك.... و روى انّه سئل اميرالمؤمنين عليه السلام عن الحرص ما هو؟ قال: هو طلب القليل باضاعة الكثير.[1]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٧، باب ١٢٨، ح ٣١

الفصل الثامن عشر

الفضيلة التاسعة عشرة: الاستغنــاء

الرّذيلة الحادية و العشرون: الطمع

الفضيلة التاسعة عشرة: الاستغناء عن الناس

و هي غنى النفس، و بهذا عرّفها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حيث قال: ليس الغنى من كثرة العرض انما الغنى غنى النفس.[1]

و هي عندالله عظيمة القدر حتّى أنّ المستغنى عمّا في أيدى الناس تستجاب دعوته، و قد ورد في روايات مستفيضة ان المستغنى عن الناس لايسئل الله الا اعطاه، و من تلك الروايات

* عن أبي عبدالله عليه السلام: إذا أراد احدكم ان لايسأل ربّه شيئاً إلّا اعطاه فلييأس من النّاس كلّهم و لايكون له رجاء إلّا عندالله، فاذا علم الله عزّ وجلّ ذلك من قلبه لم يسأل الله شيئاً إلّا اعطاه.[2]

و قد ورد ما يدلّ على ان الخير كله مخبوءٌ تحت هذه الصفة الكريمه.

* عن على بن الحسين صلوات الله عليهما قال: رايت الخير كلّه قد اجتمع في قطع الطّمع عما

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٤، ص ١٦٢، باب ٧، ح ١.

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٤٨، باب الاستغناء عن الناس، ح ٢

في ايدى النّاس.[١]

و روايات مستفيضة أخرى تدلّ على أن عزّ المؤمن في استغنائه عن الناس، منها:

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: شرف المؤمن قيام اللّيل و عزّه استغناؤه عن الناس.[٢]

و القرآن اهتمّ بذلك حيث عرّف الفقير المؤمن بانه لايسئل بالكفّ الحافاً فهو مستغنٍ عمّا في ايديهم، فيحسب الجاهل بحاله انه غنى ثمّ أوصى بالانفاق له.

قال الله تعالى: ﴿يحسبهم الجاهل اغنياء من التّعفّف تعرفهم بسيماهم لايسئلون النّاس الحافاً﴾[٣]

و الانصاف ان هذه الفضيلة فضيلة عالية، سيما للمعدم، و كمال لاكمال فوقه، بل انه كلّ الكمال.

و لها مراتب ضعفاً و شدة.

فالمرتبة الاولى منها هي الاستغناء عن شرار الناس من السفهاء و الحمقاء و الاراذل و نحوهم سيما عمّن يمنّ عليه، و على حدّ تعبير القرآن من يبطل عمله بالمنّ و الاذى.

و في الادعية المعصوميّة سؤال الله الايمان و العافية و الغنى عن شرار الناس، فيفهم منها ان الاستغناء عن الناس و الغناء عن شرارهم هامٌّ ذو مكانةٍ بحيث يتلو تلو الايمان و العافية، إليك هذه الدعاء: اللّهم انّى اسئلك الأمن و الايمان بك و التصديق بنبيّك و العافية من جميع البلاء و الشكر على العافية و الغنى عن شرار الناس.[٤]

و المرتبة المتوسطة منها هي الاستغناء عن عامّة الناس، فهذا كمال و نعمة من نعم الله.

و هذه المرتبة هي محطّ الكلام، إذ الإنسان سيّما المؤمن عزيز، و لايجوز له أنّ يبادل عزّه بما في

---

١ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٤٨، باب الاستغناء عن الناس، ح ٣

٢ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٤٨، باب الاستغناء عن الناس، ح ١

٣ ـ البقرة / ٢٧٣

٤ ـ الكافي، ج ٢، ص ٥٨٧، ذيل ح ٢٥.

ايدى الناس، بل على حدّ تعبير الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم: لايبالى من أكل الدّنيا.[١]

و من لايستغنى عمّا في ايدى الناس فهو اسيرهم، و للناس إمرةٌ عليه، سيّما عند الاحسان إليه.

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: تفضّل على من شئت فانت اميره و استغن عمّن شئت فانت نظيره، و افتقر إلى من شئت فانت اسيره.[٢]

و لابد ان نتذكر هنا، ان الإنسان مدنى بالطبع، فيحتاج بعض الناس إلى بعض.

قال الله تعالى: ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدّنيا و رفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً ﴾[٣]

فرفع الله بعض الناس في كمالٍ، و رفع بعضهم في كمال آخر، و ثالثاً في غيره و هكذا فكلّ مرفوعٌ من الله من جهة و موضوعٌ من جهة اخرى، ليتخذ بعضهم بعضا لرفع الحوائج سخريا، و هذا من سنة الله تعالى و نعمه الخفية. فكما ان الفقر في ذات الامكان ضروريٌ فكذلك الحاجة في العيش، فهذا أمر ضرورى لا شبهة فيه، و لكن هذا لاينافي الاستغناء عنهم بمعنى ان تكون نفس الإنسان و طبعه غنيّاً غير متوقّع و لا مائلٍ إلى نعمهم، و لايرضى ان يقضى حوائجه بدلاً عن عزّه و شرفه فكلّما يتوقّف رفع حوائجه على استبدال العزّ و الشرف فهو يفرّ من ذلك فرار الغنم من الذئب، و كلّما لم يكن كذلك، يسعى في رفع حوائجه، و الفرد الشايع من ذلك هو المعاملات المتداولة بين الناس، عوضاً، لا بالمجّان و اكرامـيّاً و بذلك كلّه اشار اميرالمؤمنين عليه السلام.

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان اميرالمؤمنين صلوات الله عليه يقول: ليجتمع في قـلبك الافتقار إلى الناس و الاستغناء عنهم، فيكون افتقارك إليهم في لين كلامك و حسن بشرك،

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٨، باب الذم الدّنيا و الزهد فيها، ح ٢

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٩، باب ١٢٩، ذيل ح ٦

٣ ـ الزخرف / ٣٢

و يكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك و بقاء عزّك.[1]

و المرتبة العليا من الاستغناء، هي الاستغناء عن ذوى الانساب و الاحساب و عن الاشراف، أو فقل عن ذوى النعم، و بهذه المرتبة اشار اميرالمؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

قال عليه السلام: ان استطعت ان لا يكون بينك و بين الله ذو نعمة فافعل.[2]

حُكى انه سئل الحاتم الطائى، هل رايت احداً اسخى منك؟ قال: نعم، رايت في البر من احتطب فقلت له لِمَ لم تذهب إلى الحاتم حتّى يستغنيك عن الاحتطاب؟ قال: تحمّل الاذى من الاحتطاب خير من ذلك. ولله درّ من أنشد بالفارسية

هر كه نان از عمل خويش خورد   منت حاتم طائى نبرد

روى ان جبرئيل لمّا رأى ابراهيم عليه السلام في النار قال له: يا ابراهيم هل لك الىّ من حاجة؟ فقال: اما إليك فلا، و اما إلى ربّ العالمين، فنعم.[3]

و التجربة فضلاً عن الروايات و السير، دلّت على أن من استغنى عن الناس فهو حاكم على قلوبهم حتّى قلوب الامراء و الشرفاء و العلماء و انه وجيه ذومكانة عندهم، فمن أراد عزّاً بلا عشيرة و هيبة بلا سلطنة و وجاهة بلا علم و شوكة بلا مال و قدرة بلا عدّة فليخرج من ذلّ الطمع إلى الاستغناء عن الناس، فمن اعطاه الله هذه الفضيلة فقد اعطاه خيراً جسيما فعليه الشكر كثيراً.

و هذه الفضيلة تلازم فضائل كثيرة، و يترتب عليها حسنات وافرة، كسائر الفضائل. و لكن ينبغى ان نذكر، ان التوكل، و هو الافتقار إلى الله تعالى و الرجاء منه دون الخلق، و الثّقة بالنفس و هو الاستقلال و عدم التدلى إلى الغير يُعدّان من اللوازم القريبة غير المنفكّة عن هذه الفضيلة، فمن استغنى عن الناس افتقر إلى الله و اعتمد في اموره على نفسه و هما

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٤٩، باب الاستغناء عن الناس، ح ٧.

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٢٢٨، باب ٨، ح ٢.

٣ ـ البرهان، ج ٤، ص ٦٢، ح ١٠

فضيلتان من معاليها، و لم يصل و لايصل انسان إلى مقاصده الدنياوية و الأخـروية الا بالثقة بالنفس و التوكل على الله تعالى، فكأنّهما جناحان بهما يطير الإنسان إلى مطلوبه، و لايمكن الوصول إليه بدونهما كما لايمكن للطّائر أنّ يطير بدون الجناحين. و يتوقف تحصيل الفضيلتين على الاستغناء عن الناس و يلازم كلّ الآخر.

فلذا أُمِرنا في القرآن كراراً بالاستغناء عن الناس، ثمّ التوكل و الثّقة بالنفس و العزم و الجزم و العمل، و من الايات الّتي أمرت بالاستغناء عن الناس، و نهت عن النظر إلى ما في ايدى الناس،قوله تعالى: ﴿و لاتمدّنّ عينيك إلى ما متّعنا به ازواجاً منهم زهـرة الحـيوة الدّنـيا لنفتنهم فيه و رزق ربّك خير و ابق﴾ (١)

و عن الصادق عليه السلام: لّما نزلت هذه الآية استوى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم جالساً ثمّ قال: من لم يتعزّ بعزاء الله تقطّعت نفسه على الدّنيا حسرات، و من اتبع بصره ما في ايدى الناس طال همّه و لم يشف غيظه، و من لم يعرف ان لله عليه نعمة إلّا في مطعم و مشرب قصر اجله و دنى عذابه. (٢)

و من الآيات الاتي ّمرت بالتوكّل ثمّ العزم و العمل، قوله تعالى: ﴿و شاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكّل على الله﴾ (٣)

و ليس التوكّل توكّلاً إلا إذا اقترن بالعزم و العمل و الثقة بالنفس، كما ان العزم و الثقة بلا توكّل يكون ابترا غير منتجٍّ.

روى انّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم رأى قوماً لايزرعون، قال ما انتم؟ قـالوا نحـن المـتوكّلون، قال صلى الله عليه و آله و سلم: لا، بل انتم المتّكلون. (٤)

---

١ ـ طه / ١٣١

٢ ـ تفسير الصافي ذيل الآية الشريفة ١٣١ ـ طه

٣ ـ آل عمران / ١٥٩

٤ ـ مستدرك الوسائل، ج ١١، ص ٢١٧، باب ١١، ح ١٢٧٨٩.

و قال صلى الله عليه وآله وسلم: كلّ أمر ذى بال لم يذكر ببسم الله فهو ابتر.[١]

و هذا بحث طويل الذيل نأتى به مفصلاً في باب التوكّل انشاءالله.

و ما لابد لنا من أنّ نتذكّر ههنا، ان الاستغناء و الاعتماد و التوكل، يلازم كلّ الآخر، و كلّ سعادة في الدنيا و الاخرة معلّقٌ على تلك الثلاثة و ملازم لها.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من احبّ ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله.[٢]

و للسيد الاستاذ في كتابه القيّم الميزان كلام جيّد يشهد لما ذكرنا.

قال: ان الظفر بالمراد يحتاج إلى اسباب طبيعيّة و اسباب روحية، و الإنسان إذا أراد الورود في أمر و هيّأ الاسباب الطبيعيّة فقد تختل الاسباب الروحيّة، كضعف الإرادة و الخوف و الشرة و السفه و سوء الظن و غير ذلك، فاذا توكّل على الله، قويت ارادته قوة لايـغلبها شيءٌ، فكان نيلاً و سعادة، هذا خلاصة كلامه بتحريرٍ منّا.[٣]

هذا من حيث تلازم الفضائل.

و اما من حيث ترتب التكليف، فالمؤمن عزيز و لايجوز له ان يذلّ نفسه.

قال الله تعالى: ﴿ **ولله العزّة و لرسوله و للمؤمنين و لكنّ المنافقين لا يعلمون** ﴾[٤]

* و عن الصادق عليه السلام :ان الله تبارك و تعالى فوّض إلى المؤمن اموره كلّها و لم يفوّض إليه ان يذلّ نفسه. الم تر قول الله تعالى هيهنا ﴿ **و لله العزّة و لرسوله و للمؤمنين** ﴾ و المؤمن ينبغى ان يكون عزيزاً و لايكون ذليلاً.[٥]

و ذُكر في القرآن و الروايات عقوبات عظيمة لمن يغفل عن هذه الفـضيلة العـظمى سـيما للخواص و خواصّهم، و بعبارةٍ أخرى كلّ من كان ارفع درجة فعند الغفلة عن هذه الفضيلة

---

١ ـ تفسير الصافى، ج ١، ذيل تفسير بسم الله الرحمن الرحيم

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ١٥١، باب ٦٣، ح ٥١.

٣ ـ الميزان، ج ٤، ص ٦٥

٤ ـ المنافقون / ٨

٥ ـ تفسير البرهان، ج ٤، ص ٣٣٩

يكون اعظم عقوبة.

فمن الايات قوله تعالى: ﴿و قال للّذى ظنّ انّه ناج منهما اذكرنى عند ربّك فانسيه الشّيطان ذكر ربّه فلبث في السّجن بضع سنين﴾ (١)

و روى الطبرسى في المجمع مذيّلاً على الآية الشريفة انه جاء جبرئيل، فقال له: يا يوسف من جعلك احسن الناس؟ قال: ربّى، قال: من حبّبك إلى ابيك دون اخوانك؟ قال ربّى، قال: فمن ساق إليك السيّارة؟ قال: ربّى، قال: فمن صرف عنك الحجارة؟ قال: ربّى، قال: فمن انقذك من الجب؟ قال: ربّى، قال: و من صرف عنك كيد النسوة؟ قال: ربّى، قال: فانّ ربّك يقول ما دعاك إلى ان تنزل حاجتك بمخلوق دونى، البث في السّجن بما قلت بضع سنين. (٢)

و من الروايات رواية حسين بن علوان، قال: كنّا في مجلس نطلب فيه العلم، قد نفدت نفقتى في بعض الاسفار، فقال لي بعض اصحابنا: من تؤمّل لما قد نزل بك؟ فقلت: فلاناً، فقال: اذاً و الله لاتسعف حاجتك و لايبلغك املك، و لاتنجح طلبتك، قلت: و ما علّمك رحمك الله؟ قال: انّ ابا عبدالله عليه السلام حدّثنى انه قرأ في بعض الكتب انّ الله تبارك و تعالى يقول: و عزّتى و جلالى و مجدى و ارتفاعى على عرشى لاقطعنّ امل كلّ مؤمّل غيرى باليأس و لاكسونّه ثوب المذلّة عند الناس و لانحّينّه من قربى و لأبعّدنّه من فضلى، ايؤمّل غيرى في الشدائد؟! و الشدائد بيدى، و يرجو غيرى و يقرع بالفكر باب غيرى؟! و بيدى مفاتيح الابواب.... فيا يؤساً للقانطين من رحمتى، و يا بؤساً لمن عصانى و لم يراقبنى. (٣)

و في الخاتمة نذكر روايات ممّا وردت في فضيلة الاستغناء عن الناس، حتّى يكون ختام البحث نوراً و مسكاً.

---

١ ـ يوسف / ٤٢
٢ ـ تفسير مجمع البيان، ج ٥، ص ٣٥٩
٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ٦٦، باب التفويض إلى الله و التوكل عليه، ح ٧

رواياتٌ في الاِستغناء

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من سألنا اعطيناه و من استغنى اغناه الله.(۱)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اشتدّت حال رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقالت له امراته، لو اتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألته، فجاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فلمّا رآه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: من سألنا اعطيناه و من استغنى اغناه الله، فقال الرّجل: ما يعنى غيرى، فرجع إلى امراته فاعلمها، فقالت: انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشر فأعلمه فأتاه فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من سألنا اعطيناه و من استغنى أغناه الله، حتّى فعل الرجل ذلك ثلاثاً ثمّ ذهب الرّجل فاستعار معولاً ثمّ اتى الجبل، فصعده فقطع حطباً، ثمّ جاء به فباعه بنصف مدّ من دقيق فرجع به فاكله، ثمّ ذهب من الغد فجاء باكثر من ذلك فباعه، فلم يزل يعمل و يجمع حتّى اشترى معولاً، ثمّ جمع حتّى اشترى بكرين و غلاماً ثمّ اثرى حتّى ايسر فجاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فاعلمه كيف جاء يسأله و كيف سمع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : قلت لك: من سألنا أعطيناه و من استغنى اغناه الله.(۲)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: شرف المؤمن قيام اللّيل و عزّه استغناؤه عن الناس.(۳)

---

۱ ـ الكافى، ج ۲، ص ۱۳۸، باب القناعة، ح ۲

۲ ـ الكافى، ج ۲، ص ۱۳۹، باب القناعة، ح ۷

۳ ـ الكافى، ج ۲، ص ۱٤۸، باب الاستغناء عن الناس، ح ۱

* قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا أراد احدكم ان لايسأل ربّه شيئاً إلّا اعطاه فلييأس من النّاس كلّهم و لايكون له رجاء إلّا عندالله، فاذا علم الله عزّوجلّ ذلك من قلبه لم يسأل الله شيئاً إلّا اعطاه. (١)

* عن على بن الحسين صلوات الله عليهما قال: رايت الخير كلّه قد اجتمع في قطع الطمع عمّا في ايدى الناس و من لم يرج الناس في شيء و ردّ امره إلى الله عزّوجلّ في جميع اموره استجاب الله عزّوجلّ له في كلّ شيءٍ. (٢)

* عن عبد الأعلى بن اعين قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام: يقول: طلب الحوائج إلى الناس استلاب للعزّ و مذهبة للحياء، و اليأس ممّا في ايدى الناس عزّ للمؤمن في دينه و الطمع هو الفقر الحاضر. (٣)

* عن احمد بن محمّد بن أبي نصر قال: قلت لابى الحسن الرضا عليه السلام: جعلت فداك اكتب لي إلى اسماعيل بن داود الكاتب لعلّى اصيب منه، قال: انا اظنّ بك ان تطلب مثل هذا و شبهه و لكن عوّل على مالى. (٤)

* عن أبي جعفر عليه السلام: قال: اليأس ممّا في ايدى الناس عزّ المؤمن في دينه أو ما سمعت قول حاتم:

إذا ما عزمت اليأس الفيته الغنى   إذا عرفته النفس، و الطمع الفقر (٥)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان اميرالمؤمنين صلوات الله عليه يقول: ليجتمع في قلبك

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٤٨، باب الاستغناء عن الناس، ح ٢

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٤٨، باب الاستغناء عن الناس، ح ٣

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٤٨، باب الاستغناء عن الناس، ح ٤

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٤٨، باب الاستغناء عن الناس، ح ٥

٥ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٤٩، باب الاستغناء عن الناس، ح ٦

الافتقار إلى الناس و الاستغناء عنهم، فيكون افتقارك إليهم في لين كلامك و حسن بشرك، و يكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك و بقاء عزّك.[١]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ان اردت ان تقرّ عينك و تنال خير الدّنيا و الآخرة، فاقطع الطّمع عمّا في ايدى النّاس ، وعدّ نفسك في الموتى، و لا تحدّثن نفسك انّك فوق احد من النّاس، و اخزن لسانك كما تخزن مالك.[٢]

*.... و قال اميرالمؤمنين على عليه السلام: تفضّل على من شئت فانت اميره، و استغن عمّن شئت فأنت نظيره، و افتقر إلى من شئت فانت اسيره.[٣]

* عن الرّضا، عن آبائه عليهم السلام قال: جاء أبو ايّوب خالد بن زيد إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال: يا رسول الله اوصنى و اقلل لعلّى ان احفظ، قال: اوصيك بخمس: باليأس عمّا في ايدى النّاس فانّه الغنى، و ايّاك و الطمع فانّه الفقر الحاضر، وصلّ صلاة مودّع، و ايّاك و ما يعتذرمنه، و احبّ لأخيك ما تحبّ لنفسك.[٤]

---

١ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٤٩، باب الاستغناء عن الناس، ح ٧

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٨، باب ١٢٩، ح ٣

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٩، باب ١٢٩، ح ٦.

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٨، باب ١٢٩، ح ٤

الرذيلة الواحدة و العشرون: الطّمع

و هو ضدّ الاستغناء عن الناس، و هو شوق النّفس إلى ما في ايدى الناس، من اموالهم و اعراضهم و مراتبهم الدنياوية و نحو ذلك، و لكن اكثر استعمالها في اشتياق النّفس إلى اموالهم، كما هو في ضدها و هو استغناء النّفس عما في ايدى الناس، فهو و ان كان عامة المعنى، الا ان اكثر استعماله في الاستغناء عمّا في ايدى الناس من اموالهم، و هي رذيلة قبيحة، قال أبو عبدالله عليه السلام: ما اقبح للمؤمن ان يكون له رغبة تذلّه.[1]

و القرآن نهى عنه نهياً بالغاً، و الروايات دلّت على أنّه تترتب عليها عقوبات في الدّنيا و الاخرة.

قال الله تعالى: ﴿و لاتمدّنّ عينيك إلى ما متّعنا به ازواجاً منهم زهرة الحيوة الدّنيا لنفتنهم فيه و رزق ربّك خيرو ابقى﴾[2]

و قال الله تعالى: ﴿لا تمدّنّ عينيك إلى ما متّعنا به ازواجاً منهم و لاتحزن عليهم و اخفض جناحك للمؤمنين﴾[3]

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٢٠، باب الطمع، ح ١

٢ ـ طه / ١٣١

٣ ـ الحجر / ٨٨

و المراد من مدّ العين إلى متاع الناس هو الطمع، و فسّر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الايتين بذلك و قال: و من اتبع بصره إلى ما في ايدى الناس طال همّه و لم يشف غيظه.[1]

و اما الروايات فنأتى بها بعد الفراغ عن صلب المبحث و نكتفى هنابواحدةٍ منها:

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اشتدّت حال رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فقالت امراته، لواتيت رسول الله فسألته. فجاء إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم فلمّا راه النبى قال: من سألنا اعطيناه و من استغنى اغناه الله ، فقال الرجل: ما يعنى غيرى، فرجع إلى امراته فاعلمها، فقالت: انّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بشر فاعلمه، فاتاه فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: من سألنا اعطيناه و من استغنى اغناه الله، حتّى فعل الرّجل ذلك ثلاثاً، ثمّ ذهب الرجل فاستعار معولاً ثمّ اتى الجبل، فصعده فقطع حطباً، ثمّ جاء به فباعه بنصف مد من دقيق فرجع به فاكله، ثمّ ذهب من الغد، فجاء باكثر من ذلك فباعه، فلم يزل يعمل و يجمع حتّى اشترى معولاً ثمّ جمع حتّى اشترى بكرين و غلاماً، ثمّ اثرى حتّى ايسر، فجاء إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم فاعلمه كيف جاء يسأله و كيف سمع النبى صلى الله عليه و آله و سلم فقال النبى صلى الله عليه و آله و سلم قلت لك: من سألنا اعطيناه و من استغنى اغناه الله.[2]

و هذه الرواية تعلّمنا رموزاً كثيرة و دروساً عالية منها ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان يقلع الطمع عن قلوب الاصحاب و لو كان واحدٌ منهم بحاجة إلى مُدّ طعام و لعلّ ما روى من عقيل و اميرالمؤمنين عليه السلام و الحديدة المحماة من هذا القبيل، فلو رأى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و عترته الطاهرة ان قلع صفة الطمع عن رجل يحتاج إلى اعمال الشّدة لقاموا به، كرفع الجرب عن الجمل بالحديدة المحماة، و انه و ان كان شديداً على ذلك الطامع، و لكن لاتُرفَع تلك الرذالة إلّا بتلك الشّدة.

---

۱ ـ تفسير الصافى، ذيل آية ۱۳۱ من سورة طه

۲ ـ الكافى، ج ۲، ص ۱۳۹، باب القناعة، ح ۷

و من تلك الدروس ان اليأس عمّا في ايدى الناس يوجب رفع الفقر، و هذا من آثاره الوضعية.

و منها، ان الغنى و السعادة رهين النشاط و الهمّة، و لو قام الإنسان بما أراد لوصل إليه و ان كان في غاية العسر، و لقد اجاد من قال بالفارسية: نمى‌شود، نمى‌توانم در قاموس انسان راه ندارد... .

ثمّ ان الطمع يلازم رذائل أخرى و تترتب عليه مفاسد خلقية و معاصى كبيرة كثيرة، و لو لم يلزمه إلّا حب الدّنيا فيكفيك ان تقول انه جار سوء و لازم سوء.

و لو لم يلزمه مفسدة خلقية إلّا التّلهى عن ذكر الله و التكالب على اموال الناس فيكفى ان يقال انه خلقٌ سوء يترتّب عليه أسواء اخرى، و هذا يخرج الإنسان عن انسانيّته و المؤمن عن ايمانه و يجعل الإنسان حيران كالسكران، لا مسلما و لا كافرا.

حُكى ان عجوزة حضرت عند فتاة محتضرة لتسدّ فمها و عينيها إذا مات، و كان البيت بيت عزاء، فاذاً سمعوا ان المحتضرة تتضرّع بالفارسية و تقول: بگذار بميرم و در آور، فرأوا ان العجوزة أرادت ان تخرج من يدها خاتمها الّذي كان هدية من بعلها.

فان تعجبت من هذه الحكاية و وجدتها غريبةً، فانظر إلى سيرة الدول المستكبرة الامبريالية فترى انّها تقوم بقتل الأنفس و احراق ما في الارض و ذبح الابناء و ذهاب الأعراض و هلاك الحرث و النسل طلباً للسلطة على العالم، و ما ذلك إلّا لرسوخ هذه الصفة الرذيلة في صميم نفسيّة قائديها و رؤسائها، فبؤساً ثمّ بؤساً للطمع و الطامع، و بالجملة ان الطمع سكر من الشيطان، و من يسكره الشيطان فيشترى الضلالة بالهدى و يخرج من رقبة الايمان من حيث لايشعر.

قال الصادق عليه السلام: الطمع خمر الشيطان، يسقى بيده لخواصه، فمن سكر منه لايصحو إلّا في عذاب الله بمجاورة ساقيه، و لو لم يكن في الطمع سخطة إلّا مشارات الدين بالدّنيا لكان

سخطاً عظيماً. قال الله تعالى ﴿اولئك الّذين اشتروا الضلالة بالهدى و العذاب بالمغفرة﴾[۱] و الطامع منزوع عنه الايمان و هو لايشعر.[۲]

و في روايه اخرى، قلت لابى عبدالله عليه‌السلام: ما الّذي يثبت الايمان في العبد؟ قال: الورع، و الّذي يخرجه عنه؟ قال : الطمع.[۳]

و من المؤسّف عليه أنّه يظهر من القرآن الكريم أنّ الناس بأجمعهم إلّا قليلاً منهم مبتلون بهذه الرذيلة الخُلقية.

قال الله تعالى: ﴿ انّ هذا اخى له تسع و تسعون نعجة و لي نعجة واحدة فقال اكفلنيها و عزّنى في الخطاب * قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه و انّ كثيراً من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلّا الّذين امنوا و عملوا الصّالحات و قليل ما هم﴾[٤]

فترى ان الله تعالى قد نصّ على ثبوت هذه الرذيلة في جميع الناس إلّا المؤمنين منهم الّذين هم في حصن الايمان المانع عنها ثمّ على أنّ الطمّاع يشتاق إلى ضمّ ما في ايدى الناس إلى أمواله، و لو كانوا معدمين، و لا يفرّق في ذلك بين الحلال و الحرام و الاجانب و الارحام و العوام و الخواص.

قال الله تعالى: ﴿انّ هذا اخى له تسع و تسعون نعجة و لي نعجة واحدة فقال اكفلنيها و عزّنى في الخطاب﴾[٥]

و قال الله تعالى: ﴿و من الّذين هادوا سماعون للكذب اكّالون للسّحت﴾[٦]

و قال الله تعالى: ﴿و تاكلون التراث اكلاً لمّا و تحبّون المال حبّاً جمّا﴾[۷]

---

۱ ـ البقرة / ۱۷۵
۲ ـ مصباح الشريعة باب الطمع
۳ ـ الكافى، ج ۲، ص ۳۲۰، باب الطمع، ح ٤
٤ ـ ص / ۲٤ ـ ۲۳
٥ ـ ص / ۲۳
٦ ـ مائدة / ٤۲ ـ ٤۱
۷ ـ الفجر / ۲۰ ـ ۱۹

و قال الله تعالى: ﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الّذي في قلبه مرض﴾ (١)

فترى ان القرآن يشير إلى ان الطمّاع، كما يطمع في الحلال، يطمع في الحرام و السحت فكما ياكل أموال الاجانب، ياكل ميراث الاقارب، و كما ينظر إلى الاجانب و يطمع فيهنّ ينظر إلى نساء النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم نظرَ طامعٍ غير حيي.

و يشير أيضاً إلى أنّ الطمّاع لايرضى بتصاحب اموال الناس فقط، بل يشتهي أن يتصاحب مذاهبهم و مللهم،

قال الله تعالى: ﴿و لن ترضى عنك اليهود و لا النّصارى حتّى تتّبع ملّتهم﴾ (٢)

بل يدلّ على ان ذلك الطامع السفيه يتخيّل ان الجنّة تختصّ به فكان يطمع فيها أيضاً.

قال الله تعالى: ﴿و قالوا لن يدخل الجنّة إلّا من كان هوداً أو نصارى تلك امانيهم﴾ (٣)

فسيرة الطمّاع سيرة الذئب و عمله عمله فيحشر على صورته و سيرته و لله درّ مَن قال:

ای دريـــده يـوستين يـوسفان گرگ برخيزی ازاين خواب گران

نعم قد ذكرنا في مبحث الاستغناء عن الناس انّ له مراتب ضعفاً و شدة فلهذه الرذيلة أيضاً مراتب.

فمن الناس من يطمع في الحلال و لايرضى بالحرام.

و من الناس من يرضى بذلك و يطمع في الحرام ايضاً.

و من الناس من له الطمع في الاجانب دون الارحام و الاقارب.

و من الناس من لا يفرّق بين الصغير و بين الكبير و بين الاجنبي و بين الرحم.

و من الناس من يتّق من الخواص و يطمع إلى ما في أيدى العوام.

و من الناس من لايرحم حتّى على الأقارب كالآباء و الأمّهات، كما لايرحم على اموال الخواص و اعراضهم، كاموال رسول الله و الائمة عليهم السلام ، فهو يأكل الخمس اكلاً لمّا من غير

---

١ ـ الاحزاب / ٣٢ ٢ ـ البقرة / ١٢٠ ٣ ـ البقرة / ١١١

أن يبالى بها.

فاليهود و من يحذو حذوهم، و هم كثير ون، يريدون ان ياكلوا الدّنيا و ما فيها فبطونهم وادٍ من اودية السقر، و مع هذا يتخيّلون انّ الجنّة لهم خاصة و الناس كلّهم هالكون مبعّدون عنها، فتبّاً للطمع و الطامع.

فراجع الشّره و حبّ الدّنيا و الحرص و بالجملة جميع الرذائل و ما يترتب عليها من المفاسد، ثمّ احمل تلك المفاسد كلها على الطمع و كُن على يقينٍ ممّا فعلتَ، فانّه امّ الرذائل بأجمعها، و نأتى بطائفةٍ من روايات الباب مذيلاً على هذا المبحث متيمّناً و متبرّكاً.

رواياتٌ في الطّمع

❋ عن الصادق عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: افقر الناس الطمع.(١)

❋ عن ابان بن سويد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت: ما الّذي يثبت الايمان في العبد؟ قال: الّذي يثبته فيه الورع و الّذي يخرجه منه الطمع.(٢)

❋ عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: ما اقبح بالمؤمن ان تكون له رغبة تذلّه.(٣)

❋ قال أبو جعفر عليه السلام: بئس العبد عبد له طمع يقوده و بئس العبد عبد له رغبة تذلّه.(٤)

❋ قال على بن الحسين عليه السلام: رايت الخير كلّه قد اجتمع في قطع الطمع عمّا في ايدى الناس.(٥)

❋ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من اتى ذا ميسرة فتخشّع له طلب ما في يديه، ذهب ثلثا دينه ثمّ قال: و لاتعجل و ليس يكون الرّجل ينال من الرّجل المرفق فيجلّه و يوقّره فقد يجب ذلك له عليه، و لكن تراه انّه يريد بتخشّعه ما عندالله، أو يريد ان يختله عمّا في يديه.(٦)

---

١ . بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٨، باب ١٢٩، ح ١

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٨، باب ١٢٩، ح ٢

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٢٠، باب الطمع، ح ١

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٢٠، باب الطمع، ح ٢

٥ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٢٠، باب الطمع، ح ٣

٦ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٩، باب ١٢٩، ح ٥

قال الصّادق عليه السلام: بلغنى انّه سئل كعب الاحبار ما الأصلح في الدّين؟ و ما الأفسد؟ فقال: الأصلح الورع، و الأفسد الطّمع، فقال له السّائل: صدقت يا كعب الأحبار، و الطّمع خمر الشّيطان يستق بيده لخواصّه، فمن سكر منه لايصحوا إلّا في (اليم) عذاب الله أو مجاورة ساقيه، و لو لم يكن في اطمع إلّا مشاراة الدّين بالدّنيا كان عظيماً قال الله عزّوجلّ: ﴿اولئك الّذين اشتروا الضّلالة بالهدى و العذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النّار﴾[1].... و الطّمع منزوع عنه الايمان و هو لايشعر لانّ الايمان يحجب بين العبد و بين الطّمع من الخلق، و يقول: يا صاحبى، خزائن الله مملوّة من الكرامات و هو لايضيع اجر من احسن عملاً، و ما في ايدى النّاس فانّه مشوب بالعلل، و يردّه إلى التّوكّل و القناعة، و قصر الأمل و لزوم الطّاعة، و اليأس من الخلق، فان فعل ذلك لزمه، و ان لم يفعل ذلك تركه مع شوم الطّمع و فارقه.[2]

* قال امير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة:

الف: ازرى بنفسه من استشعر الطّمع و رضى بالذّلّ من كشف عن ضرّه.[3]

ب: الطّمع رقّ مؤبّد.[4]

ج: اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع.[5]

د: الطّامع في وثاق الذّلّ.[6]

ه: من اتى غنيّاً فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه.[7]

---

١ ـ البقرة / ١٧٥ ٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٦٩، باب ١٢٩، ح ٦

٣ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الرّقم ٢ من الحكم.

٤ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الرّقم ١٨٠ من الحكم

٥ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الرّقم ٢١٩، من الحكم

٦ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الرّقم ٢٢٦ من الحكم

٧ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الرّقم ٢٢٨ من الحكم

و: انّ الطّمع مورد غير مصدر، و ضامن غير وفيّ، و ربّما شرق شارب الماء قبل ريّه، فكلّما عظم قدر الشّيء المتنافس فيه عظمت الرّزيّة لفقده، و الأمانيّ تعمى اعين البصائر، و الحظّ يأتي من لايأتيه.[1]

١ ـ نهج البلاغة صبحى الصالح، الرّقم ٢٧٥ من الحكم

الفصل التاسع عشر

الفضيلـــة العشـرون: السّخـــاء

الرّذيلة الثانية و العشرون: البخل

الفضيلة العشرون: السّخاء

و هي ملكة تحضّض صاحبها على بذل قسطٍ ممّا رزقه الله تعالى لمن احتاج إليه بلا رغبةٍ منه إلى عوض مادى أو معنوى، و القرآن الشريف عرّفها بقولٍ موجزٍ حيث قال: ﴿و ممّا رزقناهم ينفقون﴾[1].

و الانفاق هو البذل و الصرف فيما يُستحن و حذف متعلّق الانفاق في الكريمة يفيد العموم و هو سبيل الله تعالى، أي: ما يحبّه تعالى، من النفقات الواجبة و المستحبة، و من ترفيه العائلة، و من الضيافات اللائقة و نحو ذلك، نعم لو لم تكن النفقة نفقة لائقة كالضيافات غير المحتاج اليها و كالتجملات و نحو ذلك، فهو اسراف و تبذير و اتراف، في سبيل الطاغوت، لا في سبيله تعالى.

و عموم قوله ﴿و ممّارزقناهم﴾، يدلّ على انه لايختص بالمال، بل الانفاق يشمل بذل المال و الجاه و القدرة و ما إليها من المواهب المعنوية و المادّية في سبيله تعالى.

نعم لابد في الانفاق من ان يكون بلاعوض و ذلك أيضاً مستودع في حاق معناه و سياق الايات الّتي تدل على ذلك.

---

١ ـ البقرة / ٣

و القرآن الكريم ذكر اولاً الانفاق في عداد صفات المتقين كما في الآية الّتي مرّ ذكرها.
و ثانياً ذكره كوظيفة كلّ مؤمن بل كلّ انسان، بقوله تعالى: **﴿لينفق ذو سعة من سعته و من قدر عليه رزقه فلينفق ممّا اتاه الله﴾** (١)
و ثالثاً ذكره و رغّب فيه ترغيباً بليغاً، و هذا في ازيد من ستّين موردٍ.
قال الله تعالى: ﴿مثل الّذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبّة انبتت سبع سنابل في كلّ سنبلة مائة حبّة و الله يضاعف لمن يشاء و الله واسع عليم﴾ (٢)
و قال الله تعالى: ﴿ و مثل الّذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله و تثبيتاً من انفسهم كمثل جنّة بربوة اصابها وابل فاتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطلّ و الله بما تعملون بصير﴾ (٣)
و في هاتين الايتين الشريفتين نكات هامّة نذكر منها هيهنا ما يرتبط بالمبحث:
١ ـ ان الكريمة الاولى تدل على ان الانفاق يثمر بحسب المنفقين و نيّاتهم و أعمالهم و أحوالهم المختلفة، كما ان الجنة تكون كذلك.
٢ ـ ان الانفاق ينمو دائماً، و ثمراته عائدة إلى صاحبه في الدّنيا و الاخرة، كما ان ثمراتها تنمو دائماً و يستفيد صاحبها منها أيضاً. فهو كالشجرة الطيّبة المذكورة في القرآن من حيث الإنماء و يمكن ان يقال انه مصداقها،
قال الله تعالى: ﴿الم تركيف ضرب الله مثلاً كلمة طيّبة كشجرة طيّبة اصلها ثابت و فرعها في السّماء * تؤتى اكلها كلّ حين باذن ربّها﴾ (٤)
فالانفاق كاشجار الجنّة، بل هو هى، لان الدّنيا مزرعة الاخرة، فكما ان اشجار الجنّة تكون دائمة الانماء، فكذلك الانفاق و ثمراته.

---

١ ـ الطلاق / ٧ ٢ ـ البقرة / ٢٦١ ٣ ـ البقرة / ٢٦٥
٤ ـ ابراهيم / ٢٥ ـ ٢٤

قال الله تعالى: ﴿ مثل الجنّة الّتي وعد المتّقون تجرى من تحتهاالانهار اكلها دائم و ظلّها تلك عقبى الّذين اتّقوا و عقبى الكافرين النّار ﴾[١]

٣ ـ و الكريمة الثانية مضافاً إلى افادتها ما استفدنا من الآية الاولى تدلّ على ان الانـفاق يقوّى ملكة السخاوة، لان كلّ ملكة تحتاج إلى التقوية و التشديد و تشديد كلّ ملكة بما يناسبها من الاعمال و الافكار.

٤ ـ للغرض دخلٌ في الانفاق، فلو لم يكن فيه قصد القربة فلايتحقق اصلاً و لو أنفق ابتغاء وجه الله تعالى، فهو كالجنّة طريٌّ دائمة الاثمار.

و لو كان قصد القربة من قبيل الداعى على الداعى مثلاً، كمن ينفق لخوف مـن النّـار أو للدخول في الجنّة أو لتعود ثمرات انفاقه إليه أو إلى اولاده في الدّنيا و نحو ذلك فانفاقه يثمر و ينمو على قدر داعيه.

٥ ـ «ابتغاء مرضات الله » جملة ارشادية بيانية، لان مادة الانفاق كما مرّ في صدر البحث، تدلّ على وجوب كون الاعطاء بلاعوض، فلو أراد العوض و لوكان شكراً و حمداً فهو ليس بانفاق.

قال الله تعالى: ﴿و يطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً و يتيماً و اسيراً * انّما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء و لا شكوراً ﴾[٢]

٦ ـ كما أن قوله ﴿و تثبيتاً من انفسهم﴾ تكون كذلك، لانها ارشاد إلى قوله تعالى: **﴿ قل كلّ يعمل على شاكلته ﴾[٣]**

و العقل يستقل بذلك، فتبيين الشارع له ليس إلّا من باب الارشاد.

ثمّ ان القرآن اخبر بحبط الانفاق الّذي يصاحبه منٌّ أو أذىً، كما دلّ على بطلان الانفاق الّذي يرافقه رياءٌ، و من تلك الايات، قوله تعالى: **﴿ يا ايّها الّذين امنوا لاتبطلوا صـدقاتكم**

---

١ ـ الرعد / ٣٥ ٢ ـ الإنسان / ٩ ـ ٨ ٣ ـ الاسراء / ٨٤

بالمنّ و الاذى كالّذى ينفق ماله رئاء النّاس و لايؤمن بالله و اليوم الاخر﴾[1]
فهل البطلان و الفساد لاجل وقوع المانع، كما هو ظاهر التفاسير أو لاجل عدم الاقتضاء؟
الاقوى هو الثانى، لان الانفاق يتمّ إذا نشأ عن محبّة بلا ارادة عوض، كما مرّ تفسيره في اول البحث، و الرياء و المنّ و الاذى و نحو ذلك يكشف عن عدم وجود انفاق اصلاً، فهذا صورته صورة الانفاق و واقعه الاعطاء لغرض فاسد نظير الرياء و ارادة الشكر و اخذ العوض و نحو ذلك، فالبطلان في الآية الشريفة من قبيل القضيّة السالبة بانتفاء الموضوع، فلم يوجد اقتضاء الانفاق حتّى يمنع الرياء أو المنّ و الاذى عنه.
ثمّ ان الانفاق و السخاء مشكّكٌ كسائر الفضائل.
فالمرتبة الضعيفة منها هي الانفاقات الواجبة، كاعطاء الخمس و الزكوة و النفقات و نحو ذلك إذا كان على سبيل الملكة، لا لقهر قاهر نظير الخوف من مخالفة التكليف الالهى و إلّا فهو من مقولة الجبر و هذا المنفق يكون متسخّياً لا سخيّا، قام بما يؤدى تكليفه و ليس لهذا الانفاق اجر إلّا اجر المتقين الذين يطيعون الله خوفاً من ناره، أو طمعاً في جنّته.
و المرتبة المتوسطة منها هي الانفاقات المندوبة كاعانة الفقراء و المحتاجين بالمال و الجاه و القدرة، و على حدّ تعبير الكريمة: ﴿ و ممارزقناهم ينفقون ﴾.
و تلك الاعانة ان كانت في غير الضروريّات، فهى مندوبة يترتب عليها ثواب عظيم و ليس في الاسلام أجرٌ أعظم منها.
قال الصادق عليه السلام: من سعى في حاجة اخيه المسلم فاجتهد فيها، فاجرى الله على يديه قضاءها، كتب الله عزّوجلّ له حجّة و عمرة و اعتكاف شهرين في المسجد الحرام و صيامهما و ان اجتهد فيها و لم يجر الله قضاءها على يديه كتب الله عزّوجلّ له حجّة و عمرة.[2]
عن صفوان الجمال قال: كنت جالساً مع أبي عبدالله عليه السلام اذ دخل عليه رجل من اهل مكة

---

١ ـ البقرة / ٢٦٤
٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٩٨، باب السعى في حاجة المؤمن، ح ٧

يقال له: ميمون فشكا إليه تعذر الكراء عليه فقال لى: قم فاعن اخاك، فقمت معه فيسّر الله كراه فرجعت إلى مجلسى فقال أبو عبدالله عليه السلام: ما صنعت في حاجة اخيك؟ فقلت قضاها الله بابى انت و امّى فقال: اما انّك ان تعين اخاك المسلم احبّ الىّ من طواف اسبوع بالبيت مبتدئاً ثم قال: انّ رجلاً اتى الحسن بن على عليه السلام فقال: بابى انت و امّى اعنّى على قضاء حاجة، فانتعل و قام معه فمر على الحسين صلوات الله عليه و هو قائم يصلّى فقال له: اين كنت عن أبي عبدالله تستعينه على حاجتك، قال: قد فعلت بابى انت و امّى فذكر انّه معتكف، فقال له: اما انه لو اعانك كان خيراً له من اعتكافه شهراً.[1]

و نظير الروايتين كثير جداً و نحن نذكر شطراً منها في آخر هذا المبحث بعونه تعالى.

و اما لو كانت في الضروريات كاشباع الجائع و إرواء العطشان و تزويج المحتاج إليه و اكساء العريان و اسكان من لا سكنى له و نحو ذلك من الحوائج الضرورية الشخصيّة أو الجماعيّة، فهو من قبيل الانفاقات الواجبة و يجب على من يقدر على إملاءِ ذلك الخلأ ان يقوم به، كان ذلك الخلأ من الحوائج الشخصيّة كتلك الأمثلة، أو الحوائج الجماعية كالانفاق للجهاد ان احتاج إلى الاعانة.

و اوجب الله ذلك الانفاق مؤكّداً، و نهى عن تركه و البخل فيه و نحن و ان نفصّل الكلام عن البخل و نورد الايات و الروايات هناك مع ما يرتبط بالمقام من الاحاديث الا ان هيهنا نذكر بعض الايات و الروايات أيضاً لشدة ارتباطه بما نحن فيه:

قال الله تعالى: ﴿و الّذين يكنزون الذّهب و الفضّة و لاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم * يوم يحمى عليها في نار جهنّم فتكوى بها جباههم و جنوبهم و ظهورهم هذا ماكنزتم لانفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون﴾[2]

---

١ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٩٨، باب السعى في حاجة المؤمن، ح ٩

٢ ـ التوبة / ٣٥ ـ ٣٤

قد دلّت الآية الشريفة دلالة واضحة على انه لو كان المجتمع الاسلامى بحاجة إلى ما يُصلح أمره، يجب على القادر على هذا الانفاق القيام به، و لو لم يسدّ هذا الخلأ فله ما أوعد الله تعالى به من العذاب الاليم. و لا وجه لاختصاص الآية الشريفة بالزكوات الواجبة أو اهل الكتاب أو نحو ذلك.

و عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ايّما مؤمن منع مؤمناً شيئاً ممّا يحتاج إليه و هو يقدر عليه من عنده أو عند غيره اقامه الله يوم القيامة مسوداً وجهه مزرقة عيناه مغلولة يداه إلى عنقه، فيقال: هذا الخائن الّذي خان الله و رسوله ثم يؤمر به إلى النار.[1]

و اما المرتبة الشديدة منها فهو الايثار و هو انفاق ما يحتاج إليه المنفق، و القرآن رغّب فيه ترغيبا بليغاً حتّى أن ذكر جمعاً من المؤثرين طالباً منّا الاقتداء بهم.

قال الله تعالى: ﴿ و الّذين تبوؤ الدّار و الايمان من قبلهم يحبّون من هاجر إليهم و لا يجدون في صدورهم حاجة ممّا اوتوا و يؤثرون على انفسهم و لو كان بهم خصاصة و من يوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون﴾[2]

يظهر من الآية الشريفة انهم بذلوا بيوتهم فضلاً عن غذائهم و شرابهم و لباسهم محبّين ذلك البذل غير مختلجٍ في انفسهم حرج من ذلك الايثار.

روي ان انصاريا وهب داره لأحدٍ من المهاجرين و سكن معبراً. فراه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و استفسر عن ذلك، فقال لو سكن المهاجر المعبر و كنتُ أنا في الدار، لم يكن لي هناك راحة و لا نوم و لكن أرحتُ بذلك حيث جعلتُ المعبر مناماً لنفسى!.

و نظيره في الرجال الالهيّين في كلّ زمان كثير، نعم هذا العمل عند ابناء الدّنيا عمل الحمقاء، و ليس هذا إلّا لأنّ ديدن ابناء الدنيا ليس الا كديدن الأنعام قال تعالى: ﴿ و يأكلون كما

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٦٧، باب من منع مؤمنا شيئا، ح ١   ٢ ـ الحشر / ٩

تأكل الانعام ﴾[١] و قوله تعالى: ﴿ اولئك كالانعام بل هم اضلّ اولئك هم الغافلون ﴾[٢]
و قد اخبر الله تعالى في سورة الإنسان بما فعله اهل البيت عليهم‌السلام حتّى يكون فعلهم اسوة لنا.
قال تعالى: ﴿و يطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً و يتيماً و اسيراً * انّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء و لا شكوراً﴾[٣]
و ليس للمنغمر في المشتهيات المادّية لذّة اِلّا لذّة الاكل و الشرب و النكاح و تهيئة المال و الرئاسة و نحوها، و لايمكن له ان يدرك لذّة فوق تلك اللّذّات، و اما الالهيّون فليس لهم لذّة إلّا لذّة الايثار و الانفاق و قيام الليل و نحو ذلك و شتّان ما بين اللذّتين.
قال الله تعالى: ﴿تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً و طمعاً و ممّارزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة اعين جزاء بما كانوا يعملون﴾[٤]
تتمة: ان الفقر و العزوبة و مسئلة الهمّ و الغمّ و الخوف و الاضطراب تُعدّ من المسائل الجماعيّة و مشكلاتها في كلّ زمان و آن، لا سيّما في عصرنا هذا الّذي نعيش فيه، و من آمال الالهيّين و أمنياتهم رفع تلك المصائب الجماعيّة عن المجتمع الانسانى.
لا كما توهّمه افلاطون في مدينته الفاضلة، أو ماركس في مجتمعه الاشتراكى، و لا كما توهّمه المعاصرون من أهل أوروبا حيث هدموا بنيان المجتمع بترويج السفاح و الزواج الاختبارى و المساكنة، كلّ ذلك لرواج العُدم و تداول فساد الأخلاق بينهم.
امّا الاسلام فقد التفت إلى هذه المشكلة التفاتاً خاصّاً حيث ذكر الانفاق في مبتدأ الوحى المبين، فقد فكّ هذه العقدة حيث قال:
﴿هدى للمتّقين * الّذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلوة و ممّارزقناهم ينفقون﴾[٥]
توضيح ذلك، ان من آمن بالله و ثبت ذلك الايمان في قلبه يعلم بل يوقن ان الله تعالى عادل

---

١ ـ محمّد / ١٢ ٢ ـ الاعراف / ١٧٩ ٣ ـ الإنسان / ٩ ـ ٨
٤ ـ السجدة / ١٧ ـ ١٦ ٥ ـ البقرة / ٣ ـ ٢

حكيم جواد عالم قادر مقدّرٌ للمقدّرات بالحكمة و المصلحة التامّة.
و أنّه سبحانه و تعالى جعل في العلل و اسباب تلك المقدّرات اسباباً ظاهريةً كالفكر و التعقّل و النشاط و نحو ذلك و جعل فيها اسباباً معنويّة كالصلوة و الدعاء و الاعانة على الفقراء و نحو ذلك، فحينئذٍ لو قام بنشاطاته الجماعية و الاقتصادية من غير فوزٍ و فلاحٍ فيها، يجزم بأنّ مصلحته و مصلحة المجتمع كانت في ذلك، فالهموم و الغموم و الخوف و الاضطرابات لاتجد إليه سبيلاً بل تلك هي تكون سالبة بانتفاء الموضوع.
قال الله تعالى: ﴿ما اصاب من مصيبة في الارض و لا في انفسكم إلّا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير * لكيلا تاسوا على مافاتكم و لاتفرحوا بما آتاكم﴾ [١]
نعم لو اهمل و تقاصر عن تهيئة الاسباب و العلل فهذا أمرٌ آخر ولله درّ من قال:

تو گر اختر خويش را مى‌كنى بد　　　مدار از فلك چشم نيك اخترى را

فيما قلنا يظهر أن الاتّكال في الأمور بالبخت و الاتفاق و كثرة القول به «لعلّ» أو «ليت» لم‌ينشأ إلّا من الغفلة، و الجهل.
و هو القائل حقيقةً لا مجازاً:

به جهان خرّم از آنم كه جهان خـرّم از اوست
عاشقم بر همه عـالم كـه همـه عـالم از اوست
به حقيقت بخورم زهر كـه شـاهد سـاقى است
به حقيقت بكشم درد كه درمان هم از اوست

و هذا هو سرّ ما روي عن زينب اخت الحسين عليه‌السلام أنها قالت في مجلس ابن زياد لعنة الله عليه: «ما رأيت إلّا جميلاً» قولاً حاسماً.
و نظيرها في كلمات اهل القلوب لاتعدّ و لاتحصى، فهؤلاء هم الذين لا خوف عليهم من

---

١ ـ الحديد / ٢٣ ـ ٢٢

الغد و لا حزن لهم من الامس

قال الله تعالى: ﴿الا ان اولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾[١]

نعم لو هاجم عليهم الحزن فيتوسّلون بالصلوة و يستعينون بها

قال تعالى: ﴿و استعينوا بالصّبر و الصلوة و انها لكبيرة إلّا على الخاشعين﴾[٢]

و يتوسّلون بالدعاء لانه كلام صاعد و رابط بين العبد و بين الربّ

قال تعالى: ﴿الّذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم و يتفكّرون في خلق السموات و الارض ربّنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النّار﴾[٣]

فعندئذٍ يضمحلّ جميع الغُصص و الاضطرابات و ليس للانسان اليومَ سبيلٌ إلى النجاة إلّا الأخذ بقوله تعالى: ﴿أ لَا ان اولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾، حتّى تنجوا عن جميع هذه الاحزان و المهن الهالكة.

و امّا الفقر و العُدم الفردي و الاجماعى فلا عين له و لا اثر بعد قيام النّاس بما يعيّن لهم قوله تعالى: ﴿ممّا رزقناهم ينفقون﴾ كوظيفةٍ فرديةٍ و جماعيّة.

و قوله تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته و من قدر عليه رزقه فلينفق ممّا اتاه الله﴾[٤]

و قوله تعالى: ﴿و الذين يكنزون الذهب و الفضة و لاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم﴾[٥]

و قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: من اصبح لا يهتمّ بامور المسلمين فليس بمسلم.[٦]

و قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: ما امن بى من بات شبعاناً و جاره جائع.[٧]

---

١ ـ يونس / ٦٢ — ٢ ـ البقرة / ٤٥ — ٣ ـ آل عمران / ١٩١

٤ ـ الطلاق / ٧. — ٥ ـ التوبة / ٣٤

٦ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٦٣، باب الاهتمام بامور المسلمين، ح ١

٧ ـ وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٤٩٠، باب ٨٨، ح ١

و نظير ذلك في الآيات و المأثورات كثير جداً.

و بما ذكرنا يظهر انه لا معنى لكون بعض الشُّبّان عُزّاباً في المجتمع الاسلامى.

قال الله تعالى: ﴿و انكحوا الايامى منكم و الصالحين من عبادكم و امائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾[١]

هذا اطروحة الاسلام في رفع مشكلة العزوبة و لكن يجب في الزواج رعاية التوسّط و الاقتصاد لئلّا يؤدّى الأمر إلى الزواجات الزّخرفيّة فتكون مشكلة أخرى كغيرها من المشاكل.

قال الله تعالى: ﴿و إذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمّرناها تدميرا﴾[٢]

فهذا زواج الزهراء عليها السلام بأمير المؤمنين عليه السلام، و فيه أُسوة للمؤمنين و المؤمنات مهراً و جهازاً؛ و على هذه الاطروحة قال الله تعالى: **﴿و انكحوا الايامى منكم و الصالحين من عبادكم و امائكم﴾**[٣].

و اما مسئلة متانة الأسرة و استحكامها، فالاسلام اولاً ذكر ان البيت كمسكنٍ للقلب و مستشفى للآلام الروحية فلا بدّ لكلّ انسانٍ منه ليكون الزواج كردمٍ مانعٍ عن توافر العُقَد و المشاكل الشخصيّة.

قال تعالى: ﴿و من آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها و جعل بينكم مودّة و رحمة﴾[٤]

و ثانياً بيّن الأطروحة المقبولة المستحسنة في معيشة الناس

قال تعالى: ﴿و الّذين إذا انفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا و كان بين ذلك قواماً﴾[٥]

---

١ ـ النور / ٣٢ ٢ ـ الاسراء / ١٦ ٣ ـ النور / ٣٢

٤ ـ الروم / ٢١ ٥ ـ الفرقان / ٦٧

و ثالثاً وضع رئاسة الاسرة على عاتق المرء دون المرئة.

قال تعالى: ﴿الرّجال قوّامون على النّساء بما فضّل الله بعضهم على بعض و بما انفقوا﴾ (١)

و رابعاً امره بالمعاشرة بالطريقة المعروفة من غير الترفّع على اسرته،

قال تعالى: ﴿و عاشروهن بالمعروف ﴾ (٢)

و خامساً أوجب تمكين الزوجة عن زوجها كما أوجب عليها العفاف في الخلوة و الجلوة و جعل العفاف من علائم الصالحات

قال تعالى: ﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾ (٣)

و سادساً عند مخافة الشقاق و الخلافات العائليّة أمر اوّلاً بعظة الزوجين، ثمّ بالهجر زمناًمّا ثمّ بما يظهر الكراهة و البغضاء ـ كضربٍ خفيف ـ ثم بالمباينة و الطلاق.

قال تعالى: ﴿واللّاتى تخافون نشوزهن فعظوهن و اهجروهن في المضاجع و اضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان علياً كبيراً * و ان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من اهله و حكماً من اهلها ان يريدا اصلاحاً يوفّق الله بينهما ان الله كان عليماً خبيراً﴾ (٤)

تلك هي نواميس الاسلام و أصوله لمتانة الاسرة، فللعامل بها عيشٌ هنيءٌ لا يجد الشيطان إلى بيته سبيلاً و لا شقاق و لا خاف فيه.

هذا قليلٌ من كثيرٍ و قد خرجنا عن طور البحث لكونه من المباحث الهامّة. ثمّ نختم الكلام بذكر شريعةٍ أخرى من شرائع الاسلام اَلا و هو قانون المواساة، و ما هو إلّا لجعل المجتمع الاسلامى في سعة العيش و الراحة و حصم داء الفقر من بين المسلمين و ليس لسعادة المجتمع

---

١ ـ النساء / ٣٤ ٢ ـ النساء / ١٩ ٣ ـ النساء / ٣٤

٤ ـ النساء / ٣٥ ـ ٣٤

المادّية طريقٌ إلّا الخضوع أمام هذا الأصل، لا ما ذهب إليه غير المـنتحلين إلى الاسـلام كماركس و لا ما ذهب إليه الأثرياء من المنتحلين إلى الاسلام. و هيهنا نأتى بطائفة مـن روايات أئمة اهل البيت عليهم السلام ليكون ختام المبحث مسكاً، وفقّنا الله تعالى للاستضاءة من أنوار كلامهم و الاستبصار من بصائر مرويّاتهم.

رواياتٌ في السّخاء

* عن اميرالمؤمنين على عليه السلام قـال: سـادة النّـاس في الدّنـيا الأسـخياء و في الآخـرة الأتقياء.[1]

* عن الصادق عليه السلام قال: انّ الله تبارك و تعالى رضى لكم الاسلام ديناً فأحسنوا صحبته بالسّخاء و حسن الخلق.[2]

* عن جميل بن درّاج قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: خياركم سمحاؤكم و شراركم بخلاؤكم، و من صالح الأعمال البرّ بالإخوان و السّعى في حوائجهم و ذلك مرغمة للشيطان و تزحزح عن النّيران و دخول الجنان. يا جميل اخبر بهذا الحديث غرر اصحابك، قـال: فـقلت له: جعلت فداك من غرر اصحابى؟ قال: هم البارّون بالإخوان في العسر و اليسر، ثمّ قال: يا جميل اما انّ صاحب الكثير يهون عليه ذلك، و قد مدح الله عزّوجلّ صاحب القليل فقال: و يؤثرون على انفسهم و لو كان بهم خصاصة و من يوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون.[3]

* عن أبي جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قـال رسـول الله صلى الله عليه و آله و سلم: يـقول الله تـعالى: المعروف هدية منّى إلى عبدى المؤمن، فان قبلها منّى فبرحمة منّى، فان ردّها فبذنبه حرمها، و منه لا منّى، و أيّما عبد خلقته فهديته إلى الايمان و حسّنت خلقه و لم ابتله بالبخل فانّى اريد

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٣٥٠، باب ٨٧، ح ١

۲ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٣٥٠، باب ٨٧، ح ٢

۳ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٣٥٠، باب ٨٧، ح ٣

به خيراً.[١]

* سأل رجل ابا الحسن عليه السلام و هو في الطّواف فقال له: اخبرنى عن الجواد، فقال: انّ لكلامك وجهين فان كنت تسأل عن المخلوق، فانّ الجواد الّذي يودّى ما افترض الله تعالى عليه، و البخيل من بخل بما افترض الله تعالى عليه، و ان كنت تعنى الخالق فهو الجواد ان اعطى، و هو الجواد ان منع، لانه ان اعطى عبداً اعطاه ما ليس له و ان منع منع ما ليس له.[٢]

* قال الرّضا عليه السلام: في الدّيك الأبيض خمس خصال من خصال الأنبياء: معرفته باوقات الصّلوة، و الغيرة، و السّخاء، و الشّجاعة، و كثرة الطّروقة.[٣]

* عن الوشّاء قال: سمعت الرّضا عليه السلام يقول: السّخى قريب من الله، قريب من الجنّة، قريب من النّاس، و البخيل بعيد من الله، بعيد من الجنّة، بعيد من النّاس، و سمعته يقول: السّخاء شجرة في الجنّة، من تعلّق بغصن من اغصانها دخل الجنّة.[٤]

* عن الرّضا عليه السلام قال: السّخى يأكل من طعام النّاس ليأكلوا من طعامه، و البخيل لا يأكل من طعام النّاس لئلّا يأكلوا من طعامه.[٥]

* عن جعفر بن محمّد عن آبائه صلوات الله عليهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: انّ السّخاء شجرة من اشجار الجنّة لها اغصان متدلّية في الدّنيا فمن كان سخيّاً تعلّق بغصن من اغصانها فساقه ذلك الغصن إلى الجنّة و البخل شجرة من اشجار النّار لها اغصان متدلّية في الدّنيا فمن كان بخيلاً تعلّق من اغصانها فساقه ذلك الغصن إلى النّار. قال أبو المفضّل: قال لنا أبو عبدالله

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٣٥١، باب ٨٧، ح ٤

٢ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٣٥١، باب ٨٧، ح ٥

٣ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٣٥٢، باب ٨٧، ح ٦

٤ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٣٥٢، باب ٨٧، ح ٧

٥ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٣٥٢، باب ٨٧، ح ٨

الحسين: فحدّثني شيخ من اهلنا عن ابيه عن جعفر بن محمّد بحديثه هذا حديث السّخاء و البخل، قال: فقال أبو عبدالله عليه السلام: ليس السّخيّ المبذّر الّذي ينفق ماله في غير حقّه، و لكنّه الّذي يودّى الى الله عزّوجلّ ما فرض عليه في ماله من الزّكاة و غيرها، و البخيل الّذي لايؤدّى حقّ الله عزّوجلّ في ماله.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: ما حدّ السّخاء؟ قال: تخرج من مالك الحقّ الاذي ّوجبه الله عليك، فتضعه في موضعه.[2]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: السّخيّ الكريم الّذي ينفق ماله في حقّ.[3]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: السّخاء ان تسخو نفس العبد عن الحرام ان تطلبه، فاذا ظفر بالحلال طابت نفسه ان ينفقه في طاعة الله عزّوجلّ.[4]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: السّخاء شجرة اصلها في الجنّة و هي مطلّة على الدّنيا، من تعلّق بغصن منها اجترّه إلى الجنّة.[5]

* قال اميرالمؤمنين للحسن عليه السلام: يا بنى ما السّماحة؟ قال: البذل في العسر و اليسر، وروى انّه قال اميرالمؤمنين للحسن عليه السلام: ما السّماحة؟ قال: اجابة السّائل و بذل النّائل؟.[6]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال اميرالمؤمنين عليه السلام: ثلاث من أبواب البرّ: سخاء النّفس، و طيب الكلام، و الصبر على الاذىٰ.[7]

١ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٣٥٢، باب ٨٧، ح ٩

٢ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٣٥٧، باب ٨٧، ح ١٠

٣ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٣٥٧، باب ٨٧، ح ١١

٤ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٣٥٧، باب ٨٧، ح ١٢

٥ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٣٥٧، باب ٨٧، ح ١٣

٦ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٣٥٧، باب ٨٧، ح ١٤

٧ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٣٥٤، باب ٨٧، ح ١٥

* اروى عن العالم عليه السلام انّه قال: السّخاء شجرة في الجنة اغصانها في الدّنيا فمن تعلّق بغصن منها ادّته إلى الجنّة، و البخل شجرة في النّار اغصانها في الدّنيا فمن تعلّق بغصن من اغصانها ادّته إلى النّار، اعاذنا الله و ايّاكم من النّار. و نروى انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعديّ بن حاتم طيّىء: دفع عن ابيك العذاب الشّديد لسخاء نفسه. وروى انّ جماعة من الاسارى جاؤا بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمر اميرالمؤمنين عليه السلام بضرب اعناقهم ثمّ امره بإفراد واحد لايقتله، فقال الرّجل: لِمَ افردتنى من اصحابى و الجناية واحدة؟ فقال له: انّ الله تبارك و تعالى اوحى الىّ انّك سخىّ قومك و لااقتلك، فقال الرّجل: فانّى اشهد ان لاإلهإلّاالله و انّك محمّد رسول الله، قال: فقاده سخاؤه إلى الجنّة. وروى: الشّاب السّخىّ المعترف للذّنوب احبّ إلى الله من الشّيخ العابد البخيل.وروى ما شيء يتقرّب به إلى الله جلّ و عزّ من اطعام الطعام و اراقة الدّماء. وروى اطيلوا الجلوس عند الموائد، فانّها اوقات لاتحسب من اعمارکم. وروى لو عملت طعاماً بمائة الف درهم ثمّ أكل منه مؤمن واحد لم تعدّ مسرفاً. وروى عن العالم عليه السلام انّه قال: اطعموا الطّعام، و افشوا السّلام، وصلّوا و النّاس نيام، و ادخلوا الجنّة بسلام. و اروى ايّاك و السّخىّ فانّ الله عزّوجلّ يأخذ بيده. وروى انّ الله تبارك و تعالى يأخذ بناصية السّخىّ إذا اعثر.[١]

* قال الصادق عليه السلام: السّخاء من اخلاق الأنبياء و هو عماد الايمان و لايكون مؤمن إلّا سخيّاً، و لايكون سخيّاً إلّا ذويقين و همّة عالية، لانّ السّخاء شعاع نور اليقين، و من عرف ما قصد هان عليه ما بذل. و قال النّبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: و ما جبل ولىّ الله إلّا على السّخاء، و السّخاء ما يقع على كلّ محبوب اقلّه الدّنيا، و من علامة السّخاء ان لا يبالى من (اصحاب) أكل الدّنيا و من ملكها مؤمناً أو كافراً، و عاصياً أو مطيعاً، شريفاً أو وضيعاً، يطعم غيره و يجوع، و يكسو غيره و يعرى، و يعطى غيره و يمتنع من قبول عطاء غيره، و يمنّ بذلك و

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٣٥٤، باب ٨٧، ح ١٦

لايمتنّ، و لو ملك الدّنيا باجمعها لم ير نفسه فيها إلّا اجنبيّاً، و لو بذلها في ذات الله عزّوجلّ في ساعة واحدة ما ملّ. قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: السّخيّ قريب من الله، قريب من النّاس، قريب من الجنّة، بعيد من النّار، و البخيل بعيد من الله، بعيد من النّاس، بعيد من الجنّة، قريب من النّار و لايسمّى سخيّاً إلّا الباذل في طاعة الله و لوجهه، و لو برغيف أو شربة ماء قال النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم: السّخيّ بما ملك و أراد به وجه الله و امّا السّخيّ في معصية الله فحمّال سخط الله و غضبه، و هو ابخل النّاس على نفسه، فكيف لغيره، حيث اتّبع هواه، و خالف أمر الله، قال الله عزّوجلّ: ﴿و ليحملنّ اثقالهم (و اثقالاً مع اثقالهم﴾ و قال النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم: يقول ابن آدم: ملكى ملكى و مالى مالى، يا مسكين أين كنت حيث كان الملك و لم تكن، و هل لك إلّا ما اكلت فافنيت أو لبست فابليت أو تصدّقت فابقيت امّا مرحوم به و امّا معاقب عليه، فاعقل ان لايكون مال غيرك احبّ إليك من مالك، فقد قال اميرالمؤمنين عليه السلام: ما قدّمت فهو للمالكين، و ما اخّرت فهو للوارثين، و ما معك فما لك عليه سبيل سوى الغرور به، كم تسعى في طلب الدّنيا؟ و كم تدّعى؟ افتريد ان تفقر نفسك و تغنى غيرك.[1]

* قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: الجنّة دار الأسخياء. و قال الصادق عليه السلام: السّخيّ الكريم الّذي ينفق ماله في حقّ

وروى عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لجاهل سخيّ افضل من سائح بخيل. و في حديث آخر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: لشابّ مرهق في الذنوب سخيّ احبّ إلى الله من شيخ عابد بخيل.... و قال النّبيّ صلى الله عليه و آله و سلم: الرّجال اربعة: سخيّ و كريم و بخيل و لئيم، فالسّخيّ الّذي يأكل و يعطى، و الكريم الّذي لايأكل و يعطى، و البخيل الّذي يأكل و لايعطى، و اللّئيم الّذي لايأكل و لايعطى.[2]

۱ـ بحار الانوار، ج ۶۸، ص ۳۵۵، باب ۸۷، ح ۱۷

۲ـ بحار الانوار، ج ۶۸، ص ۳۵۶، باب ۸۷، ح ۱۸

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من صدق بالخلف جاد بالعطية.[۱]

* قال الحسين بن على عليه السلام: من قبل عطائك فقد اعانك على الكرم. قال عليه السلام: مالك ان لم يكن لك كنت له، فلاتبق عليه، فانّه لايبق عليك، و كله قبل ان يأكلك و قال الصادق عليه السلام: جاهل سخيّ افضل من ناسك بخيل. قال عليه السلام: السّخاء ما كان ابتداء، فامّا ما كان من مسألة فحياء و تذمّم. و قال عليه السلام: الكرم اعطف من الرّحم .[۲]

* عن جعفر ابن محمّد عن ابيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : طعام السّخيّ دواء و طعام الشّحيح داء.[۳]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام في غرر الحكم:

الف: السّخاء سجيّة.

ب: السّخاء خلق.

ج: السّخاء خلق الأنبياء.

د: السّخاء و الشّجاعة غرائز شريفة يضعها الله سبحانه فيمن احبّه و امتحنه.

ه: اشجع النّاس اسخاهم.

و: اكرم الأخلاق السّخاء و اعمّها نفعاً العدل.

ز: السّخاء ثمرة العقل و القناعة برهان النّبل.

ح: السّخاء ستر العيوب.

ط: غطاء العيوب السّخاء و العفاف.

ى: غطّوا معايبكم بالسّخاء فانّه ستر العيوب.

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ۳۵۷، باب ۸۷، ح ۲۰

۲ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ۳۵۷، باب ۸۷، ح ۲۱

۳ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ۳۵۷، باب ۸۷، ح ۲۲

يا: السّخاء يزرع المحبّة.

يب: السّخاء يثمر الصّفاء.

يج: السّخاء يكسب المحبّة و يزيّن الأخلاق.

يد: السّخاء يمحّص الذّنوب و يجلب المحبّة.

يه: عليكم بالسّخاء و حسن الخلق فانّهما يزيدان الرّزق و يوجبان المحبّة.

يو: كثرة السّخاء تكثر الاولياء و تستصلح الاعداء.

يز: ما استجلب المحبّة بمثل السّخاء و الرّفق و حسن الخلق.[1]

---

١ ـ ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٤١٨، باب السّخاء

الرذيلة الثانية والعشرون: البُخل

و هي ملكة تمنع صاحبها عن البذل ممّا رزقه الله فيما ينبغي البذل فيه.

و هو ضد السخاء معنىً، و نظيرها في عدم الاختصاص بالمال و ان اشتهر الاختصاص، بل يعمّ المال و جميع ما رزقه الله من العلم و القدرة و الوجاهة و نحو ذلك و ورد ذمّه في القرآن و الروايات كثيراً.

قال الله تعالى: ﴿و لا ورد يدك مغلولة إلى عنقك و لا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوما محسوراً﴾ [1]

و قال تعالى: ﴿و الّذين إذا انفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا و كان بين ذلك قواماً﴾ [2]

و قال تعالى: ﴿و من يوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون﴾ [3]

و قال تعالى: ﴿و الّذين يكنزون الذّهب و الفضّة و لاينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم * يوم يحمى عليها في نار جهنّم فتكوى بها جباههم و جنوبهم و ظهورهم هذا ماكنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ [4]

---

١ ـ الاسراء / ٢٩ ٢ ـ الفرقان / ٦٧ ٣ ـ الحشر / ٩

٤ ـ التوبة / ٣٥ ـ ٣٤

و قال تعالى: ﴿و لا يحسبن الّذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شّر لهم سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيمة﴾ (١)

و قال تعالى: ﴿الّذين يبخلون و يأمرون النّاس بالبخل و يكتمون ما اتاهم الله من فضله و اعتدنا للكافرين عذاباً مهينا﴾ (٢)

و قال تعالى: ﴿و لا تطع كلّ حلّاف مهين * همّاز مشّاء بنميم * منّاع للخير معتد اثيم * عتلّ بعد ذلك زنيم * ان كان ذا مال و بنين * إذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاوّلين * سنسمه على الخرطوم﴾ (٣)

و قال تعالى: ﴿و احضرت الانفس الشحّ﴾ (٤)

و قال تعالى: ﴿و منهم من عاهدالله لئن اتانا من فضله لنصّدّقنّ و لنكوننّ من الصّالحين * فلمّا اتاهم من فضله بخلوا به و تولّوا و هم معرضون * فاعقبهم نفاقاً في فلوبهم إلى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه و بما كانوا يكذبون﴾ (٥)

و قال تعالى: ﴿انّما الحيوة الدّنيا لعب و لهو و ان تؤمنوا و تتّقوا يؤتكم اجوركم و لا يسئلكم اموالكم * ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا و يخرج اضغانكم* ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل و من يبخل فانّما يبخل عن نفسه و الله الغنى و انتم الفقراء و ان تتولّوا يستبدل قوماً غيركم ثمّ لايكونوا امثالكم﴾ (٦)

و قال تعالى: ﴿الّذين يبخلون و يأمرون النّاس بالبخل و من يتولّ فانّ الله هو الغنى الحميد﴾ (٧)

و قال تعالى: ﴿و امّا من بخل و استغنى و كذّب بالحسنى فسنيره للعسرى و ما يغنى عنه

---

١ ـ آل عمران / ١٨٠ ٢ ـ النساء / ٣٧ ٣ ـ القلم / ١٦ ـ ١٠

٤ ـ النساء / ١٢٨ ٥ ـ التوبة / ٧٧ ـ ٧٥ ٦ ـ محمّد / ٣٨ ـ ٣٦

٧ ـ الحديد / ٢٤

ماله إذا تردّى ﴾[1]

و قال تعالى: ﴿قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربّى اذاً لامسكتم خشية الانفاق و كان الإنسان قتوراً﴾[2]

و قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا انفقوا من طيّبات ما كسبتم و ممّا اخرجنا لكم من الارض .... الشّيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء﴾[3]

و قال تعالى: ﴿ المنافقون و المنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر و ينهون عن المعروف و يقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهمم انّ المنافقين هم الفاسقون﴾[4]

و قال تعالى: ﴿و من الاعراب من يتّخذ ما ينفق مغرماً و يتربّص بكم الدّوائر عليهم دائرة السّوء﴾[5]

و قال تعالى: ﴿ و انفقوا في سبيل الله و لا تلقوا بايديكم إلى التهلكة﴾[6]

هذا ما وجدنا من الآيات و لعلّك لو فحصت تجد ازيد من ذلك.

و اما الروايات فنذيّل البحث بها انشاءالله حتّى يكون ختامه مسكاً.

و حيث ان الآيات تعرّضت لكلّ ما يمكن ان يقال في مذمّة البخل و اشتملت على جميع ما يرجع إلى هذا المبحث فينبغى لنا ان نتأمّل فيها.

فنقول انّها أشارت أوّلاً إلى ان هذه الرذيلة شائعة بين الناس و الإنسان بطبعه بخيلاً قتوراً (و احضرت الانفس الشح).

و اشارت ثانياً، إلى ان هذه الرذيلة تؤديّ إلى الكفر ـ اعاذنا الله منه ـ (فلما اتاهم من فضله بخلوا به و تولّوا و هم معرضون) و قد اشتهر بين المفسرين ان الآية نزلت في ثعلبة بن حاطب حيث امتنع عن اداء زكوة ماله و اعترض على الرسول بأن الزكاة جزية فما الفرق

---

١ ـ الليل / ١١ ـ ٨ ٢ ـ الاسراء / ١٠٠ ٣ ـ البقرة / ٢٦٨ ـ ٢٦٧

٤ ـ التوبة / ٦٧ ٥ ـ التوبة / ٩٨ ٦ ـ البقرة / ١٩٥

بيننا و بين الكفار فقال الله تعالى ﴿ فاعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يـلقونه﴾ و قـال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إذا سمع منه هذا القول: يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة.[١]

و نظير هذه الآيات شاناً الآيات النازلة في قارون بعد بخله عن الزكوة مع أنّ موسى عليه السلام خفّف له في ادائها، و لكنّه لم يؤدّها، بل نقل انه أراد ان يتّهمه بالزنا، ثمّ صرف الله عنه السوء و افتضح قارون و أهلكه.

قال الله تعالى: ﴿انّ قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم و اتيناه من الكنوز مـا انّ مفاتحه لتنوأ بالعصبة اولى القوّة .... قال انّما اوتيته على علم عندى .... فخسفنا بـه و بداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله و ما كان من المنتصرين﴾[٢]

و أشارت ثالثاً، إلى أنّ البخل يبرز العداوة و البغضاء في أفواه البخلاء، حتّى أنّهم يبرزون البغض و العداوة لله تعالى ﴿و ما يخفون في صدورهم اكبر﴾ ﴿و يخرج اضغانكم﴾ ﴿و يتربّص بكم الدّوائر»﴾.

و اشارت رابعاً، إلى ان البخل يجعل الإنسان مغلولاً ممنوعاً عن الانفاقات فكـلّما أراد أن يأتى بنفقةٍ يمنعه منها و يستحكم هذه الرذيلة في نفس البخيل يوماً فيوماً حتّى تمنعه عن الانفاق على عياله و اسر ته و لوكانوا في عسرةٍ شديدةٍ و كان متمكّناً من الانفاق عليهم. و في كتب التاريخ و السير ذُكر كثيرٌ من امثال هؤلاء البخلاء غير القائمين بما يجب عليهم من الانفاقات و ما يستحبّ منها. ﴿و لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾.

و اشارت خامساً، إلى ان البخيل لن يفلح ابداً حيث كرّرت: ﴿و من يوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون﴾.

و اشارت سادساً، إلى ان البخيل كما يبخل، يأمر بالبخل ايضاً، فهو يأمر بالمنكر فهو الآمر بالمنكر و الناهي عن العروف!، ﴿الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل﴾.

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٢٢، ص ٤٠، باب ٣٧.

٢ ـ القصص / ٨١ ـ ٧٦

و اشارت سابعاً، إلى ان معيشة البخيل ضنك، فهو في عسرة الدنيا حتّى يرد على الآخرة الّتي هي اشدّ عسراً عليه، ﴿فسنيسّره للعسرى﴾.

و اشارت ثامناً، إلى كون البخيل منافقاً حيث اطلق الله تعالى على البخيل هذه اللفظة الذّامّة ﴿المنافقون و المنافقات بعضهم من بعض.... و يقبضون ايديهم﴾.

و اشارت تاسعاً، إلى ان البخيل دائماً يخاف من الفقر، فلذلك الخوف يأتى بالفحشاء و لو بكبائرها ﴿الشّيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء﴾ ﴿لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى اذاً لامسكتم خشية الانفاق﴾.

و اشارت عاشراً، إلى ان البخيل يبخل على نفسه لانه مضافاً إلى منع نفسه من الجنّة، يمنع نفسه من الدنيا أيضاً، لانه مبغوض عند الناس حتّى عند عياله و أسر ته، لانه لحبّ التكنّز و جمع المال و الثر وة يمحق ماله إذا المال يُمحَق بالبخل و بمنع الصدقات الواجبة عنه، قال تعالى: ﴿يمحق الله الرّبا و يربى الصّدقات﴾[1] فكما ان الربا يمحق المال فكذلك البخل ﴿و من يبخل فانما يبخل عن نفسه﴾.

و اشارت حادى عشراً، إلى أنّه يكتم ماله و لا يسمح باشتهاره بين الناس ليكون عوناً لمعدمى المجتمع ﴿و يكتمون ما اتاهم الله من فضله﴾.

و أشارت ثانى عشراً و هو الاهمّ في المقام، ﴿و ان كان عند اهل القلوب كفره و نفاقه و بغضه و اظهار عداوته لله تعالى أهم امنه﴾ ان البخيل يفتضح يوم القيامة لأنّه يؤتىٰ بها و في عنقه طوقٌ ممّا بخل به في دنياه، فما تكنّز به الدنيا يُكوى بها في نار جهنّم و بئس المصير مصيره!. ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ ﴿سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم و جنوبهم و ظهورهم﴾.

هذا ما يظهر من القرآن، و يظهر من المرويات المعصوميّة أيضاً نكت نشير إلى بعضها هيهنا:

---

١ ـ البقرة / ٢٧٦

اولاً، ان البخيل يبتلى بان ينفق فيما يسخط الله،

* فعن الباقر عليه السلام: ما من عبد يمتنع من معونة اخيه المسلم و السعى له في حاجته قضيت أو لم تقض الا ابتلى بالسعى في حاجة فيما يأثم عليه و لا يوجر، و ما من عبد يبخل بنفقة ينفقها فيما يرضى الله الا ابتلى بان ينفق اضعافها فيما اسخط الله.(١)

و ثانياً، انه لايجتمع البخل مع الايمان حيث بينهمابونٌ بعيدٌ:

* عن الباقر عليه السلام عن ابيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: ما محق الايمان محق الشح شيء ثم قال ان لهذا الشح دبيباً كدبيب النمل و شعبا كشعب الشرك.(٢)

و ثالثاً، ان الشاب السخى المذنب احبّ إلى الله من العابد البخيل،

* عن الصادق عليه السلام: شاب سخى مرهق في الذنوب احبّ إلى الله عزّوجلّ من شيخ عابد بخيل.(٣)

و رابعاً، ان السخى قريب من الله و من الناس و من الجنّة و البخيل بعيد من ذلك كلّه

* عن الباقر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: السخى قريب من الله و قريب من النـاس و قريب من الجنّة و البخيل بعيد من الله و بعيد من الناس و قريب من النار.(٤)

ثم ان لهذه الرذيلة مراتب شدة وضعفاً كما هي ثابتةٌ بأضدادها لما يضادّها، و هي السخاوة امّا المرتبة الشديدة منها فهى منع الحقوق الواجبة كالزكوة و الخمس و النفقات، فـلذلك وردت مستفيضةً ان البخيل حق البخيل من منع ما فرض الله عليه.

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ١٧٣، باب ٢٢، ح ١٢

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠١، باب ١٣٦، ح ٨

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٧، باب ١٣٦، ح ٣٤

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٨، باب ١٣٦، ح ٣٧

* عن الكاظم عليه السلام قال: البخيل من بخل بما افترض الله عليه.[١]

و المرتبة الوسطى منها ترك النفقات المندوبة و الضيافات المستحبّة و الإقراءات المألوفة و ترك البخيل هذه الأمور و ان كان غير محرّم في نفسه إلّا أنّ الكلام كلّه في تأدية هذه الرذيلة صاحبها إلى موبقاتٍ و مهلكاتٍ لا شكّ في حرمتها، هذا مضافاً إلى انها في حد ذاتها ابغض عندالله من كلّ شيء و جامع لمساوى الأخلاق كما اشرنا إليه.

و المرتبة الضعيفة منها هي ترك الايثار، فهذه المرتبة و ان قلّت في النّاس إلّا أنّ العقل يحكم بحسنها في بعض الأحيان ـ كايثار المرء زوجته على نفسه عند العُدم ـ، و بوجوبها في آخر ـ كحين وجوب الجهاد، و ضغط الأعداء على بلاد المسلمين ـ.

ثم ان لهذه الرذيلة مراتب أُخر باعتباراتٍ أُخر، و بعض تلك المراتب أقبح و أشؤم من بعضها:

١ ـ فمنها ان يبخل في ماله و لايرضى ان يُصرَف و يبذل في سبيل الله أو في نفقة الاخوان و نحو ذلك، بل من البخلاء من يبخل على نفسه فضلاً عن غيره كان قريباً أو بعيداً و كان في واجب أو مندوبٍ.

٢ ـ و منها ان يبخل في مال غيره ايضا، فيأمر الناس بالبخل، فهو كما يبخل على ما رزقه الله يبخل على ما في ايدى الناس، فهو لايرضى بأن يَفْعل الخير أو يُفعَل ﴿ الذين يبخلون و يأمرون الناس بالبخل ﴾.[٢]

و هذا هو معنى الشحّ، و هو شائع بين الناس، بل كلّ بخيل شحيح لانه لاينفق و لايرضى بأن ينفق، بل يأمر بترك الانفاق.

٣ ـ و منها: ان يكون بخيلاً على صرف الناس اموالهم في معيشتهم، فلو رأى ان أحداً ينفق على نفسه و عياله و لا يبخل عليهما ينزعج و يشتغل قلبه عليه و ينهاه عن التوسّع في

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٥، باب ١٣٦، ح ٢٦

٢ ـ النساء / ٣٧

الرزق، فالبخيل و الشحيح و اللئيم بمعنى واحد من حيث المعنى و يفترق كلّ الآخر بحسب المرتبة ضعفاً و شدة، فالمرتبة الضعيفة تسمّى باسم البخل و المرتبة الوسطى تسمّى باسم الشحّ و المرتبة الشديدة باسم اللؤم، كما ان السخاء و الجود و الكرم كذلك، و الفارق بين الثلاثة التشكيك و الشدة و الضعف، فالسخى من يحبّ ان يبذل ممّا رزقه الله، و الجواد من يحبّ ان يبذل غيره أيضاً ممّا رزقه الله، و يأمر بذلك و يرغّب فيه، و الكريم من يحبّ ان يكون الناس يبذلون مما في ايديهم فيما يحبّه الله، كما هو يبذل كذلك و يحبّ ان يكون الناس في سعة كما يحبّ و يأمر بذلك و ينهى عن ضدّه، فيحب للناس ما يحبّ لنفسه و يكره للناس ما يكره لنفسه، فالبخيل ضد السخى، و الشحيح ضد الجواد و اللئيم ضد الكريم و في الختام يجب ان نشير إلى أمر هامٍّ لابّد في المقام من التنبيه عليه و هو أنّ المتراءى من سيرة بعض الناس من البخل في اداء الصدقات الواجبة كالخمس و الزكاة والتوّسع في البذل في المندوبات كاقاقة مأتم الحسين عليه‌السلام و تجهيز العرس للمعدمين و نحوهما، ليس إلّا من مكائد الشيطان و شبكاته، حيث أن لاقيمة للمندوب مع ترك الواجب.

فالبخيل حق البخيل من ترك ما افترض الله عليه و هذا الّذي يتراءى منهم ليس الا رياء و هو شرك خفى و إن لم يلتفتوا به.

قال تعالى: ﴿و لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ و الاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس و لايؤمن بالله و اليوم الاخر﴾[1]

---

١ ـ البقرة / ٢٦٤

رواياتٌ في البخل

* عن الصادق عليه السلام قال: ان كان الخلف من الله عزّوجلّ حقّاً فالبخل لماذا.(١)

* عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اقلّ الناس راحة البخيل، و ابخل الناس من بخل بما افترض الله عليه.(٢)

* قال الصادق عليه السلام: عجبت لمن يبخل بالدّنيا و هي مقبلة عليه أو يبخل بها و هي مدبرة عنه، فلا الانفاق مع الاقبال يضرّه، و لا الامساك مع الادبار ينفعه.(٣)

* عن عبدالله بن الحسن بن الحسن، عن امّه فاطمة بنت الحسين عن ابيها قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انّ صلاح اوّل هذه الامّة بالزهد و اليقين، و هلاك آخرها بالشحّ و الامل.(٤)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ احقّ الناس بان يتمنّى للناس الغنى البخلاء، لانّ الناس إذا استغنوا كفّوا عن اموالهم، و انّ احقّ الناس بان يتمنّى للناس الصلاح اهل العيوب، لانّ الناس إذا صلحوا كفّوا عن تتبّع عيوبهم، و انّ احقّ الناس بان يتمنّى للناس الحلم اهل السفه الّذين يحتاجون ان يعفى عن سفههم، فاصبح اهل البخل يتمنّون فقر الناس، و اصبح اهل العيوب يتمنّون معايب الناس، و اصبح اهل السفه يتمنّون سفه الناس، و في الفقر

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٠، باب ١٣٦، ح ١

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٠، باب ١٣٦، ح ٢

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٠، باب ١٣٦، ح ٣

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٠، باب ١٣٦، ح ٤

الحاجة إلى البخيل، و في الفساد طلب عورة اهل العيوب، و في السفه المكافات بالذنوب.(١)

* في خبر مناهي النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: قال الله عزّوجلّ: حرمت الجنّة على المنّان و البخيل و القتات.(٢)

* عن الفضل بن أبي قرّة قال: رايت ابا عبدالله عليه السلام يطوف من اول اللّيل إلى الصباح، و هو يقول: اللّهمّ قنى شحّ نفسى، فقلت جعلت فداك ما سمعتك تدعو بغير هذا الدعاء، قال: و ايّ شيء اشدّ من شحّ النّفس انّ الله يقول: ﴿و من يوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون﴾(٣)

* عن جعفر عن ابيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: ما محق الايمان محق الشحّ شيء، ثم قال: انّ لهذا الشحّ دبيباً كدبيب النمل و شعباً كشعب الشرك.(٤)

* عن أبي سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: خصلتان لاتجتمعان في مسلم، البخل و سوء الخلق.(٥)

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: الموبقات ثلاث: شحّ مطاع، و هوى متبع، و اعجاب المرء بنفسه.(٦)

* عن أبي عبدالله عن ابيه عليه السلام قال: لايؤمن رجل فيه الشحّ و الحسد و الجبن و لايكون المؤمن جباناً و لا حريصاً و لا شحيحاً.(٧)

* عن جعفر، عن ابيه عليه السلام انّ علياً عليه السلام سمع رجلاً يقول: الشحيح اعذر من الظالم، فقال:

١ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٠، باب ١٣٦، ح ٥

٢ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠١، باب ١٣٦، ح ٦

٣ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠١، باب ١٣٦، ح ٧

٤ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠١، باب ١٣٦، ح ٨

٥ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠١، باب ١٣٦، ح ٩

٦ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٢، باب ١٣٦، ح ١١

٧ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٢، باب ١٣٦، ح ١٢

كذبت انّ الظالم يتوب و يستغفر الله و يردّ الظّلامة على اهلها، و الشحيح إذا شحّ منع الزكاة و الصدقة و صلة الرّحم، و اقراء الضيف ، و النفقة في سبيل الله و أبواب البر و حرام على الجنّة ان يدخلها شحيح.[١]

* عن جعفر، عن ابيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : السخاء شجرة في الجنّة اغصانها في الدّنيا
من تعلّق بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى الجنّة، و البخل شجرة في النار اغصانها في الدّنيا من تعلّق بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى النار.[٢]

* عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: ايّاكم و الشحّ فانّما هلك من كان قبلكم بالشحّ امرهم بالكذب فكذبوا، و امرهم بالظلم فظلموا، و امرهم بالقطيعة فقطعوا.[٣]

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ايّاكم و الفحش فانّ الله عزّوجلّ لايحبّ الفاحش المتفحّش، و ايّاكم و الظلم فان الظلم عندالله هو الظلمات يوم القيامة، و ايّاكم و الشحّ، فانّه دعا الّذين من قبلكم حتّى سفكوا دمائهم، و دعاهم حتّى قطعوا ارحامهم، و دعاهم حتّى انتهكوا و استحلّوا محارمهم.[٤]

* عن أبي على بن راشد رفعه إلى الصادق عليه السلام انّه قال: خمس هنّ كما اقول: ليست لبخيل راحة، و لا لحسود لذّة، و لا لملوك وفاء و لا لكذّاب مروّة، و لا يسود سفيه.[٥]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لايطمعنّ ذو الكبر في الثناء الحسن، و لا الخبّ في كثرة

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٢، باب ١٣٦، ح ١٣

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٣، باب ١٣٦، ح ١٤

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٣، باب ١٣٦، ح ١٥

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٣، باب ١٣٦، ح ١٦

٥ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٣، باب ١٣٦، ح ١٧

الصديق، و لا السيّئ الادب في الشرف، و لا البخيل في صلة الرحم.[١]

* عن الحسين بن على عليه السلام قال: خطبنا اميرالمؤمنين عليه السلام فقال: سيأتى على الناس زمان عضوض يعضّ المؤمن على ما في يده و لم يؤمر بذلك، قال الله تعالى: ﴿ و لاتنسوا الفضل بينكم انّ الله كان بما تعملون بصيراً ﴾[٢]

* فيما سأل على عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام ان قال له: ما الشحّ؟ قال ان ترى ما في يديك شرفاً و ما انفقت تلفاً.[٣]

* عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: البخيل من بخل بما افترض الله عليه.[٤]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: البخيل من بخل بالسلام.[٥]

* عن عبدالله بن على بن الحسين، عن ابيه عن جدّه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: البخيل حقاً من ذكرت عنده فلم يصلّ علىّ.[٦]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: اتدرى من الشحيح؟ فقلت: هو البخيل، فقال الشحيح اشدّ من البخيل، انّ البخيل يبخل بما في يديه، و انّ الشحيح يشحّ بما في ايدى النّاس، و على ما في يديه، حتّى لايرى في ايدى الناس شيئاً إلّا تمنّى ان يكون له بالحلّ و الحرام، و لايشبع و لايقنع بما رزقه الله تعالى.[٧]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: ليس البخيل من يؤدى أو الّذي يؤدى

١ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٤ باب ١٣٦، ح ١٨.

٢ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٤، باب ١٣٦، ح ١٩

٣ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٥، باب ١٣٦، ح ٢٣

٤ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٥، باب ١٣٦، ح ٢٦

٥ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٥، باب ١٣٦، ح ٢٧

٦ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٦، باب ١٣٦، ح ٢٨

٧ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٦، باب ١٣٦، ح ٢٩

الزكاة المفروضة من ماله، و يعطى النائبة في قومه و انّما البخيل حق البخيل الّذي يمنع الزكاة المفروضة في ماله و يمنع النائبة في قومه، و هو فيما سوى ذلك يبذّر.(١)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ثلاث إذا كنّ في الرّجل فلاتحرّج ان تقول انّه في جهنّم: الجفاء، و الجبن، و البخل، و ثلاث إذا كنّ في المرأة فلاتحرّج ان تقول انّها في جهنّم: البذاء و الخيلاء و الفخر.(٢)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما كان في شيعتنا فلايكون فيهم ثلاثة اشياء، لايكون فيهم من يسأل بكفّه، و لايكون فيهم بخيل، و لايكون فيهم من يؤتى في دبره.(٣)

* عن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : يقول الله تعالى: المعروف هدية منّي إلى عبدى المؤمن، فان قبلها منّي فبرحمتي و منّي، و ان ردّها عليّ فبذنبه حرمها و منه لا منّي، و أيّما عبد خلقته فهديته إلى الايمان و حسّنت خلقه و لم ابتله بالبخل فانّي اريد به خيراً.(٤)

* عن الصادق عليه السلام قال: خياركم سمحاؤكم، و شراركم بخلاؤكم و من خالص الايمان البّر بالاخوان، و السعى في حوائجهم.(٥)

و عنه عليه السلام قال: شابّ سخيّ مرهق في الذنوب احبّ إلى الله عزّوجلّ من شيخ عابد بخيل.(٦)

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٦، باب ١٣٦، ح ٣٠

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٦، باب ١٣٦، ح ٣١

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٦، باب ١٣٦، ح ٣٢

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٧، باب ١٣٦، ح ٣٣

٥ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٧، باب ١٣٦، ح ٣٤

٦ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٠٧، باب ١٣٦، ذيل ح ٣٤

و قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم : من ادّى ما افترض الله عليه فهو اسخى الناس.[1]

قال الصادق عليه السلام: حسب البخيل من بخله سوء الظنّ بربّه، من ايقن بالخلف جاد بالعطية.[2]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: البخل عار، و الجبن منقصة.[3]

* و قال عليه السلام: البخل جامع لمساوى العيوب، و هو زمام يقاد به إلى كلّ سوء.[4]

* عن الرّضا عليه السلام قال: قال على بن الحسين عليه السلام: انّى لاستحيى من ربّى انّى ارى الاخ من اخوانى فأسأل الله له الجنّة و ابخل عليه بالدينار و الدّرهم، فاذا كان يوم القيمة قيل لى: لو كانت الجنّة لك لكنت بها ابخل و ابخل و ابخل.[5]

* قال أبوالحسن الثّالث عليه السلام: الحسد ماحق الحسنات.... و اليخل اذمّ الاخلاق، و الطّمع سجيّة سيّئة.[6]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام..... البخل جلباب المسكنة.[7]

* قال الصادق عليه السلام: من برئ من ثلاثة نال ثلاثة: من برئ من الشّرّ نال العزّ، و من برئ من الكبر نال الكرامة، و من برئ من البخل نال الشّرف.[8]

* عن الرّضا عليه السلام: قال:.... و ايّاكم و البخل فانّها عاهة لاتكون في حرّ و لا مؤمن، انّها

١ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۳۰۷، باب ۱۳٦، ح ٣٤

٢ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۳۰۷، باب ۱۳٦، ح ۳۵

٣ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، حكم ٣

٤ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، حكم ۳۷۸

٥ـ وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٥٩٨، باب ٣٨، من أبواب فعل المعروف، ح ١

٦ـ بحار الانوار، ج ٦٩، ص ۱۹۸، باب ۱۰۵، ذيل ح ٢٧

٧ـ بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٢٣٨، باب ٩، ذيل ح ١

٨ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٢٢٩، باب ٢٣، ح ١٠٧.

خلاف الايمان.[١]

* قال الرّضا عليه‌السلام..... و البخل يمزّق العرض.[٢]

* قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام..... النّظر إلى البخيل يقسى القلب.[٣]

* قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام: عجبت للبخيل الاذي ّستعجل الفقر الّذي منه هرب، و فاته الغنى الاذي ّياه طلب، يعيش في الدّنيا عيش الفقراء، و يحاسب في الآخرة حساب الاغنياء.[٤]

* قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام..... و حاجتك إلى البخيل ابرد من الزّمهرير.[٥]

* قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : ابعدكم بى شبهاً البخيل البذى الفاحش.[٦]

* قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام..... و كثرة العلل آية البخل.[٧]

* عن الصّادق عن آبائه عليهم‌السلام عن النّبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قال: تكلّم النّاريوم القيامة ثـلاثة.... و تقول للغني: يا من وهبه الله دنيا كثيرة واسعة فيضاً و سأله الحقير اليسير قرضاً فابى إلّا بخلاً فتزدرده.[٨]

* قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : انّ اعجز الناس من عجز من الدّعاء، و انّ ابخل النّاس من بخل بالسّلام.[٩]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٣٤٦، باب ٢٦، ح ٤

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٣٥٧، باب ٢٦، ذيل ح ١٢

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٥٣، باب ١٦، ح ٨٧

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٩٤، باب ١٦، ح ١٠٧ و نهج البلاغة، قصار الحكم ١٢٦

٥ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ٣١، باب ١٥، ذيل ح ٩٩

٦ ـ بحار الانوار، ج ٧٤، ص ١٤٩، باب ٧، ح ١

٧ ـ بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٢٠٩، باب ٨، سطر ١، ح ١

٨ ـ بحار الانوار، ج ٧٢، ص ٣٣٧، باب ٨١، ح ٧

٩ ـ بحار الانوار، ج ٧٣، ص ٤، باب ٩٧، ح ١١

* عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ اميرالمؤمنين عليه السلام بعث إلى رجل بخمسة اوساق من تمر..... فقال رجل لاميرالمؤمنين عليه السلام: و الله ما سألك فلان و لقد كان يجزيه من الخمسة اوساق وسق واحد، فقال له اميرالمؤمنين عليه السلام: لاكثّر الله في المؤمنين ضربك، اعطى انا و تبخل انت، لله انت، إذا انا لم‌اعط الّذي يرجونى إلّا من بعد المسألة ثمّ اعطينه بعد المسألة فلم‌اعطه إلّا ثمن ما اخذت منه،....[1]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام في غرر الحكم:

الف: البخل بالموجود سوء ظنّ بالمعبود.

ب: من بخل بماله ذلّ، و من بخل بدينه جلّ.

ج: بالبخل تكثر المسبّة.

د: البخيل خازن لورثته.

ه: البخيل يذلّ مصاحبه، و يعزّ مجانبه.

و: البخيل يبخل على نفسه باليسير، و يسمح لوارثه بكلّها.

ز: البخيل يسمح من عرضه باكثر ممّا امسك من عرضه.

ح: ليس لبخيل حبيب.

ط: ابخل النّاس من بخل على نفسه بماله و خلّفه لوارثه.

ى: البخل باخراج ما افترضه الله سبحانه من الاموال، اقبح البخل.

ك: انّ سخاء النّفس عمّا في ايدى النّاس، لأفضل من سخاء البذل.

ل: البخيل متحجّج بالمعاذير و التعاليل.[2]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام لجابر بن عبدالله الانصارى: يا جابر، قوام الدّين و الدّنيا باربعة:

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٤١، ص ٣٥، باب ١٠٢، ح ١٢.

٢ ـ ميزان الحكمة، ج ١، ص ٣٧٥ إلى ٣٧٨، باب البخل

عالم مستعمل علمه، و جاهل لايستنكف ان يتعلّم، و جواد لايبخل بمعروفه، و فقير لايبيع اخرته بدنياه، فاذا ضيّع العالم علمه استنكف الجاهل ان يتعلّم، و إذا بخل الغنى بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه.[1]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: خيار خصال النّساء شرار خصال الرّجال: الزّهو و الجبن والبخل، فاذا كانت المرأة مزهوّة لم‌تمكّن من نفسها، و إذا كانت بخيلة حفظت مالها و مال بعلها، و إذا كانت جبانة فرقت من كلّ شيء يعرض لها.[2]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: يا بنيّ.... و ايّاك و مصادقة البخيل، فأنّه يقعد عنك احوج ما تكون اليه.[3]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام:.... و لاتدخلنّ في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل و يعدك الفقر.[4]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: و قد علمتم أنّه لاينبغى ان يكون الوالى على الفروج و الدّماء و المغانم و الاحكام و امامة المسلمين البخيل فتكون في اموالهم نهمته.[5]

---

١ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٣٧٢.

٢ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٢٣٤

٣ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٣٨.

٤ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الكتاب ٥٣.

٥ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبة ١٣١.

الفصل العشرون

الفضيلة الحادية و العشرون: النُّصح

الـرّذيلـة الثالثة و العشرون: الحسد

الفضيلة الواحدة و العشرون: النّصيحة

و هي حبّ الخير و النعمة للغير عن ملكة، فالناصح يحبّ بقاء الخير لغيره كما أنّه يحبّ حصوله له إن لم يكن متوفّراً لديه. و هو دليل الايمان بل دليل الانسانية.

ففى روايات بلغت حدّ الاستفاضة عن أئمّة اهل البيت عليهم السلام انّهم قالوا: هل الايمان الا الحبّ و البغض؟[1]

و قالوا: من اصبح لا يهتمّ بامور المسلمين فليس بمسلم.[2]

و الاهتمام بامور المسلمين، فرع حبّ الخيرات و النعمات لهم عن ملكة، بل لا معنى للحبّ الا كونه عن ملكة و لو ملكة ضعيفة و ما اشتهر بين الناس من ابياتٍ للشيخ الاريب السعدى الشيرازى مأخوذٌ من هذه الروايات:

بنى آدم اعضاء يكديگرند — كه در آفرينش ز يك گوهرند

چو عضوى به درد آورد روزگار — دگر عضوها را نماند قرار

تو كز محنت ديگران بى غمى — نشايد كه نامت نهند آدمى

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٥، باب الحبّ في الله و البغض في الله، ح ٥

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٦٣، باب الاهتمام بامور المسلمين، ح ١

و لا يختصّ النصح بالمسلمين و للمسلمين فقط، بل يعمّ المسلمين و غيرهم لكـافّة النّاس كما أنشأه الشيخ السعدى في أبياته نعم ان المسلمين اولى به ناصحاً و منصوحاً، و إلّا فالبرّ و الاحسان عن ملكة، من الفضائل فهى حسنة كما ان ما ينشأ منها من فعل الخيرات و الحسنات حسن، من غير فرق بين المسلمين و بين غيرهم، بل من غير فرق بين الإنسان و الحيوان.

قال الله تعالى: **﴿لا ينهيكم الله عن الّذين لم يقاتلوكم في الدّين و لم يرجوكم من دياركم ان تبرّوهم و تقسطوا إليهم انّ الله يحبّ المقسطين * انّما ينهيكم الله عن الّذين قاتلوكم في الدّين و اخرجوكم من دياركم و ظاهروا على اخراجكم ان تـولّوهم و مـن يتولهم فاولئك هم الظّالمون﴾**[۱]

فترى ان القرآن رغّب بقوله **﴿ان تبرّوهم و تقسطوا إليهم انّ الله يحبّ المقسطين﴾** في البرّ بالكفار، ثمّ اشار إلى ان البر بالمحارب ليس ببرّ و إلّا فما يصدق عليه عنوان البرّ فهو حسنٌ عقلاً و شرعاً، و قد اشارت إليه آيات كثيرة مشيرةً إلى أنّ القتال من الطاف الحقّ تعالى الخفيّة.

قال الله تعالى: **﴿و قاتلوهم حتّى لا تكون فتنة و يكون الدّين لله﴾**[۲]

و قال تعالى: **﴿و قاتلوا المشركين كافّة كما يقاتلونكم كافّة﴾**[۳]

و قال تعالى: **﴿فقاتلوا ائمّة الكفر انّهم لا ايمان لهم﴾**[٤]

بل يظهر من القرآن انّ السّرّ في وضع القصاص ليس إلّا توقّف المجتمع و حياته عليه.

قال تعالى: **﴿و لكم في القصاص حيوة يا اولى الالباب﴾**[٥]

و مع ذلك كلّه أمر اولياء الدم بالعفو عن الجانى.

---

۱ ـ الممتحنة / ۹ ـ ۸ ۲ ـ البقرة / ۱۹۳ ۳ ـ التوبة / ۳۶

٤ ـ التوبة / ۱۲ ٥ ـ البقرة / ۱۷۹

قال تعالى: ﴿و جزاء سيّئة سيّئة مثلها فمن عفا و اصلح فاجره على الله انّه لا يحبّ الظّالمين﴾[١]

و قد فسّرها بعض اهل القلوب بان جزاء سيّئة سيّئة، و المؤمن لايفعل ما هو السيّئة و لا تليق به، بل يعفو عنها.

و للنصيحة اقسام، بعضها من مقولة الجوانح و بعضها من مقولة الجوارح.

و على مصطلحٍ أسّسناه في هذا الكتاب، بعضها من مقولة الأخلاق و بعضها من مقولة الاخلاقيات.

و بعبارةٍ أخرى بعضها من مقولة الفضائل و بعضها من مقولة الاعمال الصالحة.

فما يكون من قبيل الفضائل مرتبطاً بالقلب ذاصلةٍ به ان تحبّ لغيرك ما تحبّ لنفسك و ان تكره له ما تكره لها، و قد استفاضت الروايات في ذلك، بل في بعضها أنّ هذه الفضيلة من دلائل الايمان.

و الكليني رضوان الله تعالى عليه، مضافاً إلى ما نقل من تلك الروايات في أبواب متفرقة خصّ بها باباً، و أورد فيه ستة عشر رواية منها:

سألت ابا عبدالله عليه السلام عن الحبّ و البغض، امن الايمان هو؟ فقال: هل الايمان الا الحبّ و البغض، ثمّ تلا هذه الآية ﴿حبّب اليكم الايمان و زيّنه في قلوبكم و كرّه اليكم الكفر و الفسوق و العصيان اولئك هم الراشدون﴾.[٢]

و منها ما، عن أبي عبدالله عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لاصحابه: اى عرى الايمان اوثق؟ فقالوا: الله و رسوله اعلم، و قال بعضهم الصلوة و قال بعضهم الزكوة و قال بعضهم الصيام و قال بعضهم الحج و العمرة و قال بعضهم الجهاد، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : لكلّ ما قلتم فضل و ليس به، و لكن اوثق عرى الايمان الحبّ في الله و البغض في الله و توالى اولياء

---

١ ـ الشورى / ٤٠

٢ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٢٥، باب الحبّ في الله و البغض في الله، ح ٥

الله و التبرى من اعداء الله.[۱]

و ما يكون من قبيل الاعمال الصالحة فهو كثير، نظير الدفاع عن نفسه و ماله و عرضه و حريمه و الاهتمام بامور أسرته و ادخال السرور عليهم و قضاء حوائجهم و السعى في رفع مشاكلهم بأيّ طريقٍ أمكن، و رفع الكرب عنهم و القيام بما يجب عليه و عليهم كتعليمهم الشرائع و السنن و امرهم بالمعروف و نهيهم عن المنكر.

هذا هو أهمّ مواردها و صاحب الكافي ﷺ روى في ذلك ما يربو على خمسماة روايةٍ و نحن نذيل البحث ببعض تلك الروايات بعونه تعالى، إلّا انه لا بأس بنا لو أوردنا هيهنا روايةً تتضمّن جلائل النكات مستدلاً بها على ما أسلفنا من البحث.

* عن معلّى بن خنيس عن أبي عبدالله عليه السلام قلت له ما حق المسلم على المسلم؟ قال: سبع حقوق واجبات ما منهن حق إلّا و هو عليه واجب، ان ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله و طاعته و لم يكن لله فيه من نصيب، قلت له جعلت فداك ما هى؟ فقال: يا معلى انى عليك شفيق، اخاف ان تضيع و لاتحفظ و تعلم و لاتعمل قال: قلت له لا قوة الا بالله. قال: ايسر حق منها ان تحبّ له ماتحبّ لنفسك و تكره له ما تكره لنفسك، و الحق الثانى ان تجنّب سخطه و تتبع مرضاته و تطيع امره، و الحق الثالث ان تعينه بنفسك و مالك و لسانك و يدك و رجلك، و الحق الرابع ان تكون عينه و دليله و مرآته، و الحق الخامس ان لاتشبع و يجوع و لاتروى و يظمأ و لاتلبس و يعرى، و الحق السادس ان يكون لك خادم و ليس لاخيك خادم فواجب ان تبعث خادمك فيغسل ثيابه و يصنع طعامه و يمهّد فراشه، و الحق السابع ان تبرّ قسمه ـ أي: هديّته ـ و تجيب دعوته و تعود مريضه و تشهد جنازته و إذا علمت ان له حاجة تبادره إلى قضائها، و لا تلجئه ان يسئلكها، و لكن تبادر مبادرة فاذا فعلت ذلك

---

۱ ـ الكافى، ج ۲، ص ۱۲۵، باب الحبّ في الله و البغض في الله، ح ٦

وصلت ولايتك بولايته و ولايته بولايتك.[١]

و المُؤمّن الّذي يقرّ به النّفس قبال هذه الرواية، هو تساقط حقوق المسلمين بالتهاتر، حيث لم يقم أحدٌ منهم بما يجب عليه من أخيه المسلم، و الا فويل لنا ثمّ ويل لنا و لاخواننا المسلمين، اللهم ارحمنا و تفضّل علينا و اغفرلنا انك انت ارحم الراحمين.

ثمّ ان النُّصح باعتبار متعلّقه ينقسم إلى اقسام بعضها اوجب من بعض:

١ ـ النصيحة لائمّة المسلمين و إليها اشار اميرالمؤمنين عليه‌السلام: .... ايها الناس ان لي عليكم حقّاً و لكم عليّ حقّ، فاما حقّكم عليّ فالنصيحة لكم، و توفير فيئكم عليكم، و تعليمكم كيلاتجهلوا، و تؤديبكم كيما تعلموا، و اما حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة، و النصيحة في المشهد و المغيب، و الاجابة حين ادعوكم، و الطاعة حين آمركم.[٢]

٢ ـ نصيحة الأقرباء، بادئاً بالأقرب فالاقرب و يجب على المسلم القيام بهذا القسم قبل أقسامها الأُخر،

قال الله تعالى: ﴿و انذر عشيرتك الاقربين﴾[٣]

و قال تعالى: ﴿يا ايّها الذين امنوا قوا انفسكم و اهليكم ناراً﴾[٤]

و قال تعالى: ﴿و قضى ربّك ان لا تعبدوا إلّا ايّاه و بالوالدين احساناً امّا يبلغنّ عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما افّ و لا تنهرهما و قل لهما قولاًكريماً * و اخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة و قل ربّ ارحهما كما ربّياني صغيراً.[٥]

و قال تعالى: ﴿و الّذين يصلون ما أمر الله به ان يوصل و يخشون ربّهم ... جنات عدن يدخلونها و من صلح من ابائهم و ازواجهم و ذرّيّاتهم.[٦]

---

١ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٦٩، باب حقّ المؤمن على اخيه، ح ٢
٢ ـ نهج البلاغة، آخر خطبة ٣٤
٣ ـ الشعرا / ٢١٤
٤ ـ التحريم / ٦
٥ ـ الاسراء / ٢٤ ـ ٢٣
٦ ـ الرعد / ٢٣ ـ ٢١

٣ ـ نصح الجار

قال تعالى: ﴿و اعبدوا الله و لا تشركوا به شيئاً و بالوالدين احساناً و بذى القربى و اليتامى و المساكين و الجار ذى القربى و الجار الجُنُب و الصاحب بالجَنْب و ابن السبيل و ما ملكت ايمانكم ان الله لا يحبّ من كان مختالاً فخوراً﴾[١]

٤ ـ نصح المؤمنين

قال الله تعالى: ﴿محمّد رسول الله و الّذين معه اشدّاء على الكفّار رحماء بينهم﴾[٢]

٥ ـ النصيحة لعامّة الناس إلّا ان يمنع عنه مانعٌ يؤدّى إلى وهن الشريعة أو يوجب المقدّر السوء بالنسبة إليها و هذا سرّ ما رُوى عن سيرة الرسول صلّى الله عليه وآله أنّه حينما آذاه العرب دعا لها ـ لا عليها ـ فقال: (اللّهمّ اهد قومى فانّهم لايعلمون)[٣]. حتّى قال سبحانه و تعالى:

﴿لعلّك باخع نفسك الّا يكونوا مؤمنين﴾[٤]

و اشار إلى سيرته المرضيّة حيث قال: ﴿لقد جائكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رئوف رحيم﴾[٥]

٦ ـ النُّصح الّذي يشمل كلّ ما مرّ، و هو الامر بالمعروف و النهى عن المنكر، و هي مشارفة عامّة ثابتةٌ لآحاد المسلمين، فللأئمّة بالنسبة إلى الرّعية و للرعيّة بالنسبة إلى الأئمّة و لكلّ أحدٍ بالنسبة إلى غيره من قاطنى المجتمع و هذا الأمر و النهى أحسن نُصحٍ يجرى بين الناس بلا مدافع.

قال تعالى: ﴿المؤمنون و المؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر﴾[٦]

---

١ ـ النساء / ٣٦ ٢ ـ الفتح / ٢٩

٣ ـ بحار الانوار، ج ١١، ص ٢٩٨، باب ٣. ٤ ـ الشعراء / ٣

٥ ـ التوبة / ١٢٨ ٦ ـ التوبة / ٧١

و هذا النُّصح العامّ هو الّذي يدور عليه صلاح المجتمع و لا سبيل إلى المدينة الفاضلة إلّا بالقيام به و حينئذٍ يفتّح على المجتمع بركات السماوات و الأرض، و لكنّ الناس في عصرنا هذا تركوه وراء ظهورهم فأخذهم الله بذنوبهم ثمّ سلّط سبحانه عليهم الأجانب و شرار الناس كما اخبر بذلك النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم حيث قال: إذا لم يأمروا بالمعروف و لم ينهوا عن المنكر و لم يتبعوا الاخيار من اهل بيتى سلّط الله عليهم شرارهم فيدعوا خيارهم فلايستجاب هم.[1]

و يطول البحث عنه فنبحث عنه في الأخلاقيّات انشاءالله.

٧ ـ النّصح بالانفاقات الواجبة و المندوبة و الايثار و العفو و الصفح، و قد مرّ الكلام عنه في البحث عن السخاء فراجع.

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٣٦٩، باب ١٣٨، ح ٣

روايات في نصيحة المؤمن

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يجب للمؤمن على المؤمن ان يناصحه.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد و المغيب.[2]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لينصح الرّجل منكم اخاه كنصيحته لنفسه.[3]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انّ اعظم الناس منزلة عندالله يوم القيامة امشاهم في ارضه بالنصيحة لخلقه.[4]

* عن سفيان ابن عيينه قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: عليكم بالنصح لله في خلقه فلن تلقاه بعمل افضل منه.[5]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من اصبح لا يهتمّ بامور المسلمين فليس بمسلم.[6]

---

١ ـ الكافي، ج ٢، ص ٢٠٨، باب نصيحة المؤمن، ح ١

٢ ـ الكافي، ج ٢، ص ٢٠٨، باب نصيحة المؤمن، ح ٢

٣ ـ الكافي، ج ٢، ص ٢٠٨، باب نصيحة المؤمن، ح ٤

٤ ـ الكافي، ج ٢، ص ٢٠٨، باب نصيحة المؤمن، ح ٥

٥ ـ الكافي، ج ٢، ص ٢٠٨، باب نصيحة المؤمن، ح ٦

٦ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٦٣، باب اهتمام بامور المسلمين، ح ١

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انسك الناس نسكاً انصحهم جيباً و اسلمهم قلباً لجميع المسلمين.(١)

* عن أبي عبدالله عليه السلام ان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: من اصبح لا يهتمّ بامور المسلمين فليس منهم و من سمع رجلاً ينادى يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم.(٢)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الخلق عيال الله فاحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله و ادخل على اهل بيت سروراً.(٣)

* عن عمر بن علي بن الحسين، عن ابيه صلوات الله عليهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من ردّ عن قوم من المسلمين عادية (ماء) أو ناراً وجبت له الجنّة.(٤)

* عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿و قولوا للناس حسناً﴾ قال: قولوا للناس حسناً و لاتقولوا إلّا خيراً تعلموا ما هو؟(٥)

* عن أبي جعفر عليه السلام قال في قول الله عزّوجلّ: ﴿و قولوا للناس حسناً﴾ قال: قولوا للناس احسن ما تحبّون ان يقال فيكم.(٦)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال في قول الله عزّوجلّ: ﴿و جعلنى مباركاً اين ما كنت﴾ قال: نفّاعاً.(٧)

* قال أبو عبدالله عليه السلام: انّما المؤمنون اخوة بنوأب و امّ و إذا ضرب على رجل منهم

١ـ الكافى، ج ٢، ص ١٦٣، باب اهتمام بامور المسلمين، ح ٢

٢ـ الكافى، ج ٢، ص ١٦٣، باب اهتمام بامور المسلمين، ح ٥

٣ـ الكافى، ج ٢، ص ١٦٣، باب اهتمام بامور المسلمين، ح ٦

٤ـ الكافى، ج ٢، ص ١٦٤، باب اهتمام بامور المسلمين، ح ٨

٥ـ الكافى، ج ٢، ص ١٦٤، باب اهتمام بامور المسلمين، ح ٩

٦ـ الكافى، ج ٢، ص ١٦٤، باب اهتمام بامور المسلمين، ح ١٠

٧ـ الكافى، ج ٢، ص ١٦٤، باب اهتمام بامور المسلمين، ح ١١

عرق سهر له الآخرون.[۱]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: المؤمن اخو المؤمن، عينه و دليله، لايخونه و لايظلمه و لايغشّه و لايعده عدة فيخلفه.[۲]

* عن أبي بصير قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: المؤمن اخو المؤمن كالجسد الواحد، ان اشتكى شيئاً منه وجد الم ذلك في سائر جسده و ارواحهما من روح واحدة، و انّ روح المؤمن لأشد اتّصالاً بروح الله من اتّصال شعاع الشمس بها.[۳]

* عن جميل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: المؤمنون خدم بعضهم لبعض، قلت: و كيف يكونون خدماً بعضهم لبعض؟ قال: يفيد بعضهم بعضا.... الحديث.[٤]

حق المؤمن على اخيه و اداء حقه

* عن معلّى بن خنيس، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: ما حق المسلم على المسلم؟ قال: له سبع حقوق واجبات ما منهنّ حقّ إلّا و هو عليه واجب، ان ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله و طاعته و لم يكن لله فيه من نصيب، قلت له: جعلت فداك و ما هى؟ قال: يا معلّى انّى عليك شفيق اخاف ان تضيّع و لاتحفظ و تعلم و لاتعمل، قال: قلت له: لا قوّة إلّا بالله، قال: ايسر حقّ منها ان تحبّ له ما تحبّ لنفسك و تكره له ما تكره لنفسك، و الحقّ الثانى ان تجتنب سخطه و تتّبع مرضاته و تطيع امره، و الحقّ الثالث ان تعينه بنفسك و مالك و لسانك و يدك و رجلك، و الحق الرّابع ان تكون عينه و دليله و مرآته، و الحقّ الخامس (ان) لا تشبع و يجوع و لا تروى و يظمأ و لا تلبس و يعرى، و الحق السادس ان

---

۱ ـ الكافى، ج ۲، ص ۱٦٥، باب اخوة المؤمنين بعضهم لبعض، ح ۱

۲ ـ الكافى، ج ۲، ص ۱٦٦، باب اخوة المؤمنين بعضهم لبعض، ح ۳

۳ ـ الكافى، ج ۲، ص ۱٦٦، باب اخوة المؤمنين بعضهم لبعض، ح ٤

٤ ـ الكافى، ج ۲، ص ۱٦٦، باب اخوة المؤمنين بعضهم لبعض، ح ۹

يكون لك خادم و ليس لأخيك خادم فواجب ان تبعث خادمك فيغسّل ثيابه و يصنع طعامه و يمهّد فراشه، و الحقّ السّابع ان تبر قسمه و تجيب دعوته و تعود مريضه و تشهد جنازته، و إذا علمت انّ له حاجة تبادره إلى قضائها و لاتلجئه ان يسألكها و لكن تبادره مبادرة، فاذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته و ولايته بولايتك.[1]

* عن عبد الاعلى بن اعين قال: كتب (بعض) اصحابنا يسألون اباعبدالله عليه السلام عن اشياء و امرونى ان اسأله عن حقّ المسلم عن اخيه، فسألته فلميجبنى، فلمّا جئت لاودّعه فقلت: سألتك فلمتجبنى؟ فقال انّى اخاف ان تكفروا، انّ من اشدّ ما افترض الله على خلقه ثلاثاً: انصاف المرء من نفسه حتّى لا يرضى لاخيه من نفسه إلّا بما يرضى لنفسه منه، و مؤاساة الأخ في المال، و ذكر الله على كلّ حال، ليس سبحان الله و الحمدلله و لكن عند ما حرّم الله عليه فيدعه.[2]

* عن أبي المأمون الحارثى قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام: ما حقّ المؤمن على المؤمن؟ قال: انّ من حقّ المؤمن عن المؤمن المودّة له في صدره و المواساة له في ماله، و الخلف له في اهله، و النصرة له على من ظلمه، و ان كان نافلة في المسلمين و كان غائباً اخذ له بنصيبه و إذا مات الزّيارة إلى قبره و ان لايظلمه و ان لايغشّه وان لايخونه و ان لايخذله و ان لايكذّبه و ان لايقول له افّ، و إذا قال له: افّ فليس بينهما ولاية، و إذا قال له انت عدوّى فقد كفر احدهما، و إذا اتّهمه انماث الايمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء.[3]

* عن ابان بن تغلب قال: كنت اطوف مع أبي عبدالله عليه السلام فعرض لي رجل من اصحابنا كان سألنى الذهاب معه في حاجة فاشار الىّ فكرهت ان ادع ابا عبدالله عليه السلام و

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٦٩، باب حقّ المؤمن على اخيه و...، ح ٢

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٧٠، باب حقّ المؤمن على اخيه و...، ح ٣

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٧١، باب حقّ المؤمن على اخيه و...، ح ٧

اذهب إليه فبينا انا اطوف اذ اشار الىّ أيضاً فرآه أبو عبدالله عليه السلام فقال: يا ابان ايّاك يريد هذا؟ قلت نعم قال: فمن هو؟ قلت رجل من اصحابنا، قال: هو على مثل ما انت عليه، قلت: نعم قال: فاذهب اليه، قلت: فاقطع الطواف؟ قال نعم قلت: و ان كان طواف الفريضة؟ قال: نعم، قال: فذهبت معه، ثم دخلت عليه بعد فسألته، فقلت: اخبرنى عن حقّ المؤمن على المؤمن فقال: يا ابان دعه لا ترده قلت: جعلت فداك فلم ازل اردد عليه، فقال: يا ابان تقاسمه شطر مالك، ثم نظر الىّ فراى ما دخلنى، فقال: يا ابان اما تعلم انّ الله عزّوجلّ قد ذكر المؤثرين على أنفسهم؟ قلت: بلى جعلت فداك، فقال: امّا إذا انت قاسمته فلم‌نؤثره بعد انّما انت و هو سواء انّما تؤثره إذا انت اعطيته من النصف الآخر.(١)

* عن محمّد بن عجلان قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فدخل رجل فسلّم، فسأله كيف من خلّفت من اخوانك ؟ قال: فاحسن الثناء و زكّى و اطرى، فقال له: كيف عيادة اغنيائهم فقرائهم؟ فقال: قليلة، قال: و كيف مشاهدة اغنيائهم لفقرائهم؟ قال: قليلة، قال: فكيف صلة اغنيائهم لفقرائهم في ذات ايديهم؟ فقال: انّك لتذكر اخلاقاً قلّ ما هي فيمن عندنا، قال: فقال فكيف تزعم هؤلاء انّهم شيعة.(٢)

* عن عيسى بن أبي منصور قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام انا و ابن أبي يعفور و عبدالله بن طلحة فقال ابتداء منه: يا ابن أبي يعفور قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ستّ خصال من كنّ فيه كان بين يدى الله عزّوجلّ و عن يمين الله ، فقال ابن أبي يعفور: و ما هنّ جعلت فداك؟ قال: يحبّ المرء المسلم لاخيه ما يحبّ لأعزّ اهله، و يكره المرء المسلم لاخيه ما يكره لأعزّ اهله، و يناصحه الولاية، فبكى ابن أبي يعفور و قال: كيف يناصحه الولاية؟ قال: يا ابن أبي يعفور إذا كان منه بتلك المنزلة بثّه همّه ففرح لفرحه ان هو فرح و حزن لحزنه ان هو

---

١ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٧١، باب حقّ المؤمن على اخيه و....، ح ٨

٢ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٧٣، باب حقّ المؤمن على اخيه و....، ح ١٠

حزن و ان كان عنده ما يفرّج عنه فرّج عنه و إلّا دعا الله له، قال: ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام: ثلاث لكم و ثلاث لنا ان تعرفوا فضلنا و ان تطؤوا عقبنا و ان تنتظروا عاقبتنا، فمن كان هكذا كان بين يدى الله عزّوجلّ فيستضيء بنورهم من هو اسفل منهم و امّا الذين عن يمين الله فلو انّهم يراهم من دونهم لم يهنّئهم العيش ممّا يرون من فضلهم، فقال ابن أبي يعفور: و ما لهم لايرون و هم عن يمين الله؟ فقال: يا ابن أبي يعفور انّهم محجوبون بنور الله اما بلغك الحديث انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: انّ لله خلقاً عن يمين العرش بين يدى الله و عن يمين الله وجوههم ابيض من الثلج و اضوء من الشمس الضّاحية، يسأل السائل ما هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء الّذين تحابّوا في جلال الله.[١]

* عن أبي اسماعيل قال: قلت لابى جعفر عليه السلام: جعلت فداك انّ الشيعة عندنا كثير فقال: (ف)هل يعطف الغنى على الفقير؟ و هل يتجاوز المحسن عن المسيئ؟ و يتواسون؟ فقلت لا، فقال ليس هؤلاء شيعة، الشيعة من يفعل هذا.[٢]

* قال أبو جعفر عليه السلام: ايجيئ احدكم إلى اخيه فيدخل يده في كيسه فيأخذ حاجته فلا يدفعه؟ فقلت: ما اعرف ذلك فينا، فقال أبو جعفر عليه السلام فلا شيء اذاً، قلت: فالهلاك اذاً، فقال: انّ القوم لم يعطوا احلامهم بعد.[٣]

إدخال السرور على المؤمنين

* عن أبي حمزة الثمالى قال: سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من سرّ مؤمناً فقد سرّنى و من سرّنى فقد سرّ الله.[٤]

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٧٢، باب حقّ المؤمن على اخيه و....، ح ٩

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٧٣، باب حقّ المؤمن على اخيه و....، ح ١١

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٧٤، باب حقّ المؤمن على اخيه و....، ح ١٣

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٨٨، باب ادخال السرور على المؤمنين، ح ١

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: تبسّم الرجل في وجه اخيه حسنة و صرف القذى عنه حسنة، و ما عبدالله بشيءٍ احبّ إلى الله من ادخال السرور على المؤمن.[۱]

* قال أبو عبدالله عليه السلام في حديث طويل: إذا بعث الله المؤمن من قبره خرج معه مثال يقدم امامه، كلّما رأى المؤمن هولاً من اهوال يوم القيامة قال له المثال: لا تفزع و لاتحزن و ابشر بالسرور و الكرامة من الله عزّوجلّ، حتّى يقف بين يدى الله عزّوجلّ فيحاسبه حساباً يسيراً و يأمر به إلى الجنّة و المثال امامه فيقول له المؤمن: يرحمك الله نعم الخارج خرجت معى من قبرى و مازلت تبشّرنى بالسرور و الكرامة من الله حتّى رايت ذلك فيقول من انت؟ فيقول: انا السرور الّذي كنت ادخلت على اخيك المؤمن في الدّنيا خلقنى الله عزّوجلّ منه لابشّرك.[۲]

* عن محمّد بن جمهور قال: كان النجاشى و هو رجل من الدهاقين عاملاً على الاهواز و فارس، فقال بعض اهل عمله لابى عبدالله عليه السلام: انّ في ديوان النجاشى علىّ خراجاً و هو مؤمن يدين بطاعتك فان رايت ان تكتب لي إليه كتاباً قال: فكتب إليه أبو عبدالله « بسم الله الرحمن الرحيم سرّ اخاك يسرّك الله » قال: فلمّا ورد الكتاب عليه دخل عليه و هو من مجلسه، فلمّا خلا ناوله الكتاب و قال: هذا كتاب أبي عبدالله عليه السلام فقبّله و وضعه على عينيه و قال له: ما حاجتك؟ قال: خراج علىّ في ديوانك، فقال له: و كم هو؟ قال: عشرة آلاف درهم، فدعا كاتبه و امره بادائها عنه ثمّ اخرجه منها و أمر ان يثبتها له لقابل ثمّ قال له: سررتك؟ فقال: نعم جعلت فداك ثمّ أمر له بمركب و جارية و غلام و أمر له بتخت ثياب، في كلّ ذلك يقول له: هل سررتك؟ فيقول: نعم جعلت فداك، فكلّما قال نعم، زاده حتّى فرغ، ثمّ قال له: احمل فرش هذا البيت الّذي كنت جالساً فيه حين دفعت الىّ كتاب مولاى الّذي

---

۱ ـ الكافي، ج ۲، ص ۱۸۸، باب ادخال السرور على المؤمنين، ح ۲

۲ ـ الكافي، ج ۲، ص ۱۹۰، باب ادخال السرور على المؤمنين، ح ۸

ناولتني فيه و ارفع الىّ حوائجك قال: ففعل و خرج الرّجل فصار إلى أبي عبدالله عليه السلام بعد ذلك فحدّثه الرّجل بالحديث على جهته فجعل يسرّ بما فعل، فقال الرجل: يا ابن رسول الله كانّه قد سرّك ما فعل بى؟ فقال: اى و الله لقد سرّ الله و رسوله.[1]

قضاء حاجة المؤمن

* قال أبو عبدالله عليه السلام: لقضاء حاجة امرء مؤمن احبّ إلى (الله) من عشرين حجّة كلّ حجّة ينفق فيها صاحبها مائة الف.[2]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال: من طاف بهذا البيت طوافاً واحداً كتب الله عزّوجلّ له ستّة آلاف حسنة و محى عنه ستّة آلاف سيّئة، و رفع الله له ستّة آلاف درجة حتّى إذا كان عند الملتزم فتح الله له سبعة أبواب من أبواب الجنّة، قلت له: جعلت فداك هذا الفضل كلّه في الطواف؟ قال: نعم و اخبرك بافضل من ذلك، قضاء حاجة المسلم افضل من طواف و طواف و طواف حتّى بلغ عشراً.[3]

* عن ابراهيم الخارقى قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: من مشى في حاجة اخيه المؤمن يطلب بذلك ما عندالله حتّى تقضى، له كتب الله عزّوجلّ له بذلك مثل اجر حجة و عمرة مبرورتين، وصوم شهرين من اشهر الحرم و اعتكافهما في المسجد الحرام و من مشى فيها بنيّة و لم تقض، كتب الله له بذلك مثل حجّة مبرورة، فارغبوا في الخير.[4]

* عن على ابن جعفر قال: سمعت ابا الحسن عليه السلام يقول: من اتاه اخوه المؤمن في حاجة فانّما هي رحمة من الله تبارك و تعالى ساقها اليه، فان قبل ذلك فقد وصله بولايتنا و هو

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٩٠، باب ادخال السرور على المؤمنين، ح ٩

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٩٣، باب قضاء حاجة المؤمن، ح ٤

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٩٤، باب قضاء حاجة المؤمن، ح ٨

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٩٤، باب قضاء حاجة المؤمن، ح ٩

موصول بولاية الله و ان ردّه عن حاجته و هو يقدر على قضائها سلّط الله عليه شجاعاً من نار ينهشه في قبره إلى يوم القيامة، مغفوراً له أو معذّباً، فان عذره الطالب كان اسوء حالاً.(١)

* عن معمر بن خلّاد قال: سمعت ابا الحسن عليه السلام يقول: انّ لله عبداً في الارض يسعون في حوائج النّاس، هم الآمنون يوم القيامة و من ادخل عل مؤمن سروراً فرّح الله قلبه يوم القيامة.(٢)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من سعى في حاجة اخيه المسلم، طلب وجه الله كتب الله عزّوجلّ له الف الف حسنة، يغفر فيها لاقاربه و جيرانه و اخوانه و معارفه و من صنع إليه معروفاً في الدّنيا فاذا كان يوم القيامة قيل له: ادخل النار فمن وجدته فيها صنع إليك معروفاً في الدّنيا فاخرجه باذن الله عزّوجلّ إلّا ان يكون ناصباً.(٣)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من سعى في حاجة اخيه المسلم فاجتهد فيها فاجرى الله على يديه قضاءها كتب الله عزّوجلّ له حجّة و عمرة و اعتكاف شهرين في المسجد الحرام و صيامهما و ان اجتهد فيها و لم يجر الله قضاءها على يديه كتب الله عزّوجلّ له حجّة و عمرة.(٤)

* عن صفوان الجمّال قال: كنت جالساً مع أبي عبدالله عليه السلام إذا دخل عليه رجل من اهل مكة يقال له ميمون، فشكا إليه تعذّر الكراء عليه، فقال لى: قم فاعن اخاك، فقمت معه فيسّر الله كراه، فرجعت إلى مجلسى، فقال أبو عبدالله عليه السلام: ما صنعت في حاجة اخيك؟

---

١ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٩٦، باب قضاء حاجة المؤمن، ح ١٣

٢ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٩٧، باب السعى في حاجة المؤمن، ح ٢

٣ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٩٧، باب السعى في حاجة المؤمن، ح ٦

٤ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٩٨، باب السعى في حاجة المؤمن، ح ٧

فقلت: قضاها الله، ـ بابي انت و امّي ـ فقال: اما انّك ان تعين اخاك المسلم احبّ اليّ من طواف اسبوع بالبيت مبتدئاً، ثمّ قال: انّ رجلاً اتى الحسن بن على عليه السلام فقال: بابي انت و امّي اعنّي على قضاء حاجة، فانتعل و قام معه فمرّ على الحسين صلوات الله عليه و هو قائم يصلّي فقال له: اين كنت عن أبي عبدالله تستعينه على حاجتك، قال: قد فعلت ـ بابي انت و امّي ـ فذكر انّه معتكف، فقال له: انّه لو اعانك كان خيراً له من اعتكاف شهراً.[1]

إطعام المؤمن

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من سقى مؤمناً شربة من ماء من حيث يقدر على الماء اعطاه الله بكلّ شربة سبعين الف حسنة و ان سقاه من حيث لايقدر على الماء فكأنّما اعتق عشر رقاب من ولد اسماعيل.[2]

* عن حسين بن نعيم الصحّاف قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: اتحبّ اخوانك يا حسين؟ قلت: نعم، قال: تنفع فقراءهم؟ قلت: نعم، قال: اما انّه يحق عليك ان تحبّ من يحبّ الله، اما و الله الا تنفع منهم احداً حتّى تحبّه، اتدعوهم إلى منزلك؟ قلت: نعم ما آكل إلّا و معى منهم الرجلان و الثلاثة و الاقل و الاكثر، فقال أبو عبدالله عليه السلام: اما انّ فضلهم عليك اعظم من فضلك عليهم، فقلت: جعلت فداك اطعمهم طعامى و اوطئهم رحلى و يكون فضلهم علىّ اعظم؟! قال: نعم انّهم إذا دخلوا منزلك دخلوا بمغفرتك و مغفرة عيالك، و إذا خرجوا من منزلك خرجوا بذنوبك و ذنوب عيالك.[3]

* عن مسمع أبي سيّار، قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: من نفّس عن مؤمن كربة نفّس الله عنه كرب الآخرة و خرج من قبره و هو ثلج الفؤاد و من اطعمه من جوع اطعمه

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٩٨، باب السعى في حاجة المؤمن، ح ٩

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ٢٠١، باب اطعام المؤمن، ح ٧

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ٢٠١، باب اطعام المؤمن، ح ٨

الله من ثمار الجنّة و من سقاه شربة سقاه الله من الرّحيق المختوم.[١]

زيارة الإخوان

* عن أبي غرّة قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: من زار اخاه في الله في مرض أو صحة، لا يأتيه خداعاً و لا استبدالاً، وكّل الله به سبعين الف ملك ينادون في قفاه ان: طبت و طابت لك الجنّة فانتم زوّار الله و انتم وفدالرحمن حتّى يأتى منزله، فقال له يسير: جعلت فداك و ان كان المكان بعيداً؟ قال: نعم يا يسير و ان كان المكان مسيرة سنة، فانّ الله جواد و الملائكة كثيرة، يشيّعونه حتّى يرجع إلى منزله.[٢]

الحبّ في الله و البغض في الله

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من احبّ لله و ابغض لله و اعطى لله فهو ممّن كمل ايمانه.[٣]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ودّ المؤمن للمؤمن في الله من اعظم شعب الايمان، الا و من احبّ فى الله و ابغض في الله و اعطى في الله و منع في الله فهو من اصفياء الله.[٤]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: انّ المتحابّين في الله يوم القيامة على منابر من نور، قد اضاء نور وجوههم و نور اجسادهم و نور منابرهم كلّ شيء حتّى يعرفوا به، فيقال: هؤلاء المتحابّون في الله.[٥]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاصحابه: ايّ عُرى الايمان اوثق؟

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٩٩، باب تفريج كرب المؤمن، ح ٣

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٧٧، باب زيارة الاخوان، ح ٧

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٤، باب الحبّ في الله..... ح ١.

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٥، باب الحبّ في الله..... ح ٣

٥ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٥، باب الحبّ في الله..... ح ٤

فقالوا: الله و رسوله اعلم، و قال بعضهم: الصلاة و قال بعضهم: الزّكاة و قال بعضهم: الصيام و قال بعضهم: الحجّ و العمرة و قال بعضهم: الجهاد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لكلّ ما قلتم فضل و ليس به ولكن اوثق عرى الايمان الحبّ في الله و البغض في الله و توالى اولياء الله و التبرّى من اعداء الله.[1]

* عن على بن الحسين عليه السلام قال: إذا جمع الله عزّوجلّ الاوّلين و الآخرين قام مناد فنادى يسمع الناس فيقول: اين المتحابّون في الله، قال: فيقوم عنق من الناس فيقال لهم: اذهبوا إلى الجنّة بغير حساب، قال: فتلقّاهم الملائكة فيقولون: إلى اين؟ فيقولون: إلى الجنّة بغير حساب، قال: فيقولون: فأى ضرب انتم من الناس؟ فيقولون: نحن المتحابّون في الله، قال: فيقولون: و اىّ شيء كانت اعمالكم؟ قالوا: كنّا نحب في الله و نبغض في الله، قال: فيقولون: نعم اجر العاملين.[2]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا اردت ان تعلم انّ فيك خيراً فانظر إلى قلبك، فان كان يحبّ اهل طاعة الله و يبغض اهل معصيته ففيك خير و الله يحبّك و ان كان يبغض اهل طاعة الله و يحبّ اهل معصيته فليس فيك خير و الله يبغضك، و المرء مع من احبّ.[3]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كلّ من لم يحبّ على الدين و لم يبغض على الدين فلا دين له.[4]

من لم يناصح أخاه المؤمن

* عن أبي حفص الاعشى، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: قال

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٥، باب الحبّ في الله..... ح ٦

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٦، باب الحب في الله..... ح ٨

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٦، باب الحبّ في الله..... ح ١١

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٢٧، باب الحبّ في الله..... ح ١٦

رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من سعى في حاجة لاخيه فلم‌ينصحه فقد خان الله و رسوله.(۱)

* عن مصبّح بن هلقام قال: اخبرنا أبو بصير قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: أيّما رجل من اصحابنا استعان به رجل من اخوانه في حاجة فلم يبالغ فيها بكلّ جهد فقد خان الله و رسوله و المؤمنين، قال أبو بصير: قلت لابی عبدالله عليه السلام: ما تعنی بقولك: و المؤمنين؟ قال: من لدن اميرالمؤمنين إلى آخرهم.(۲)

* قال أبو عبدالله عليه السلام: أيّما مؤمن كان بينه و بين مؤمن حجاب ضرب الله عزّوجلّ بينه و بين الجنّة سبعين الف سور ما بين السّور إلى السور مسيرة الف عام.(۳)

* عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك ما تقول في مسلم اتى مسلماً زائراً (أو طالب حاجة) و هو في منزله، فاستأذن عليه فلم‌يأذن له و لم‌يخرج اليه، قال: يا ابا حمزة أيّما مسلم اتى مسلماً زائراً أو طالب حاجة و هو في منزله فاستأذن له و لم‌يخرج إليه لم‌يزل في لعنة الله حتّى يلتقيا فقلت: جعلت فداك في لعنة الله حتّى يلتقيا؟ قال، نعم يا ابا حمزة.(٤)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أيّما رجل من شيعتنا اتى رجلاً من اخوانه فاستعان به في حاجته فلم‌يعنه و هو يقدر إلّا ابتلاه الله بان يقضی حوائج غيره من اعدائنا، يعذّبه الله عليها يوم القيامة.(٥)

* عن على ابن جعفر عن (اخيه) أبي الحسن عليه السلام قال: سمعته يقول: من قصد إليه

---

١ ـ الكافی، ج ٢، ص ٣٦٢، باب من لم يناصح اخاه المؤمن، ح ١

٢ ـ الكافی، ج ٢، ص ٣٦٢، باب من لم يناصح اخاه المؤمن، ح ٣

٣ ـ الكافی، ج ٢، ص ٣٦٤، باب من حجب اخاه المؤمن، ح ١

٤ ـ الكافی، ج ٢، ص ٣٦٥، باب من حجب اخاه المؤمن، ح ٤

٥ ـ الكافی، ج ٢، ص ٣٦٦، باب من استعان به اخوه فلم‌يعنه، ح ٢

رجل من اخوانه مستجيراً به في بعض احواله فلم يجره بعد ان يقدر عليه فقد قطع ولاية الله عزّوجلّ.[١]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أيّما مؤمن منع مؤمناً شيئاً ممّا يحتاج إليه و هو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره اقامه الله يوم القيامة مسودّاً وجهه مزرقة عيناه مغلولة يداه إلى عنقه فيقال: هذا الخائن الّذي خان الله و رسوله ثمّ يؤمر به إلى النّار.[٢]

* عن يونس بن ظبيان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا يونس من حبس حقّ المؤمن اقامه الله عزّوجلّ يوم القيامة خمسمائة عام على رجليه حتّى يسيل عرقه أو دمه و ينادى مناد من عندالله: هذا الظالم الّذي حبس عن الله حقه، فيوبّخ اربعين يوماً ثمّ يؤمر بـه إلى النّار.[٣]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: من كانت له دار فاحتاج مؤمن إلى سكناها فمنعه ايّاها قال الله عزّوجلّ: يا ملائكتى ابخل عبدى على عبدى بسكنى الدار الدّنيا و عزّتى و جلالى لايسكن جنانى ابداً.[٤]

* عن على بن جعفر قال: سمعت ابا الحسن عليه السلام يقول: من اتاه اخوه المؤمن في حاجة فانّما هي رحمة من الله عزّوجلّ ساقها اليه، فان قبل ذلك فقد وصله بولايتنا و هو موصول بولاية الله عزّوجلّ و ان ردّه عن حاجته و هو يقدر على قضائها سلّط الله عليه شجاعاً من نار ينهشه في قبره إلى يوم القيامة، مغفور له أو معذّب، فان عذره الطّالب كان اسوء حالاً قال: و سمعته يقول: من قصد إليه رجل من اخوانه مستجيراً به في بعض احواله فلم يجره

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٦٦، باب من استعان به اخوه فلم‌يعينه، ح ٤

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٦٧، باب من منع مؤمنا شيئاً...، ح ١

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٦٧، باب من منع مؤمنا شيئاً...، ح ٢

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٦٧، باب منع مؤمنا شيئاً...، ح ٣

بعد ان يقدر عليه فقد قطع ولاية الله تبارك و تعالى.[۱]

الهجرة

* عن أبي عبدالله عليه السلام يقول: لايفترق رجلان على الهجران إلّا استوجب احدهما البراءة و اللّعنة و ربّما استحقّ ذلك كلاهما، فقال له، معتّب: جعلني الله فداك هذا الظالم فما بال المظلوم؟ قال: لأنّه لايدعوا اخاه إلى صلته و لايتغامس له عن كلامه سمعت أبي يقول إذا تنازع اثنان فعازّ احدهما الآخر فليرجع المظلوم إلى صاحبه حتّى يقول لصاحبه: اى اخى انا الظالم، حتّى يقطع الهجران بينه و بين صاحبه فانّ الله تبارك و تعالى حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم.[۲]

* سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: قال ابى عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: أيّما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثاً لايصطلحان إلّا كانا خارجين من الاسلام و لم يكن بينهما ولاية، فأيّهما سبق إلى كلام اخيه كان السابق إلى الجنّة يوم الحساب.[۳]

باب التّعيير و طلب عثرات المؤمنين

* عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليه السلام قالا: اقرب ما يكون العبد إلى الكفر ان يواخى الرّجل على الدّين فيحصى عليه عثراته و زلّاته ليعنّفه بها يوماً ما.[٤]

* عن اسحاق بن عمار قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: يا معشر من اسلم بلسانه و لم يخلص الايمان إلى قلبه لاتذمّوا المسلمين و لاتتبعوا عوراتهم

---

۱ ـ الكافى، ج ۲، ص ۳٦۷، باب منع مؤمنا شيئاً....، ح ٤

۲ ـ الكافى، ج ۲، ص ۳٤٤، باب الهجرة، ح ۱

۳ ـ الكافى، ج ۲، ص ۳٤٤، باب الهجرة، ح ٥

٤ ـ الكافى، ج ۲، ص ۳٥٤، باب من طلب عثرات المؤمنين و....، ح ۱

فانّه من تتبّع عوارتهم تتبّع الله عورته، و من تتبّع الله تعالى عورته يفضحه و لو في بيته.[١]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من انّب مؤمناً انّبه الله في الدّنيا و الاخرة.[٢]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من اذاع فاحشة كان كمبتدئها و من عيّر مؤمناً بشيءٍ لم يمت حتّى يركبه.[٣]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الغيبة اسرع في دين الرجل المسلم من الآكلة في جوفه.[٤]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قال في مؤمن ما رأته عيناه و سمعته اذناه فهو من الّذين قال الله عزّوجلّ: ﴿انّ الذين يحبّون ان تشيع الفاحشة في الّذين آمنوا لهم عذاب اليم﴾[٥]_[٦]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه بعثه الله في طينة خبال حتّى يخرج ممّا قال، قلت: و ما طينة الخبال؟ قال: صديد يخرج من فروج المومسات.[٧]

* عن أبي حمزة قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: إذا قال الرّجل لاخيه المؤمن: افّ، خرج من ولايته و إذا قال: انت عدوّی، كفر احدهما و لايقبل الله من مؤمن عملاً و هو مضمر على اخيه المؤمن سوءاً.[٨]

---

١ ـ الكافی، ج ٢، ص ٣٥٤، باب من طلب عثرات المؤمنين و...، ح ٢

٢ ـ الكافی، ج ٢، ص ٣٥٦، باب التعيير، ح ١

٣ ـ الكافی، ج ٢، ص ٣٥٦، باب التعيير، ح ٢

٤ ـ الكافی، ج ٢، ص ٣٥٧، باب الغيبة و البهت، ح ١

٥ ـ النور/١٩

٦ ـ الكافی، ج ٢، ص ٣٥٧، باب الغيبة و البهت، ح ٢

٧ ـ الكافی، ج ٢، ص ٣٥٧، باب الغيبة و البهت، ح ٥

٨ ـ الكافی، ج ٢، ص ٣٦١، باب السباب، ح ٨

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما من انسان يطعن في عين مؤمن إلّا مات بشر ميتة و كان قمناً ان لايرجع إلى خير.(١)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا اتّهم المؤمن اخاه انماث الايمان من قلبه كما ينماث الملح في الماء.(٢)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من استذلّ مؤمناً و استحقره لقلّة ذات يده و لفقره شهّره الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق.(٣)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: لقد اسرى ربّى بى فاوحى الىّ من وراء الحجاب ما اوحى و شافهنى (الى) ان قال لى: يا محمّد من اذلّ لي وليّاً فقد ارصدنى بالمحاربة و من حاربنى حاربته، قلت: يا ربّ و من وليّك هذا؟ فقد علمت انّ من حاربك حاربته، قال لى: ذاك من اخذت ميثاقه لك و لوصيّك و لذرّيّتكما بالولاية.(٤)

* قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: اين الصدود لاوليائى فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم، فيقال: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين و نصبوا لهم و عاندوهم و عنفوهم في دينهم، ثم يؤمر بهم إلى جهنّم.(٥)

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا اسرى بالنبيّ صلى الله عليه و آله و سلم قال: يا ربّ ما حال المؤمن عندك؟ قال: يا محمّد من اهان لي وليّاً فقد بارزنى بالمحاربة و انا اسرع شيء إلى نصرة اوليائى و ما تردّدت عن شيء انا فاعله كتردّدى عن و فاة المؤمن، يكره الموت و اكره

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٦١، باب السباب، ح ٩

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٦١، باب التهمة و سوء الظنّ، ح ١

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٥٣، باب من اذى المسلمين و احتقرهم، ح ٩

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٥٣، باب من اذى المسلمين و احتقرهم، ح ١٠

٥ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٥١، باب من اذى المسلمين و احتقرهم، ح ٢

مساءته، و انّ من عبادی المؤمنین من لایصلحه إلّا الغنی و لو صرفته إلی غیر ذلك لهلك، و انّ من عبادی المؤمنین من لایصلحه إلّا الفقر و لو صرفته إلی غیر ذلك لهلك و ما یتقرّب الیّ عبد من عبادی بشيءٍ احبّ الیّ مما افترضت علیه و انّه لیتقرّب الیّ بالنافلة حتّی احبّه فاذا احببته کنت اذاً سمعه الّذي یسمع به و بصره الّذي یبصره به ولسانه الّذي ینطق به ویده الّتي یبطش بها، ان دعانی اجبته و ان سألنی اعطیته.[1]

---

١ ـ الکافی، ج ٢، ص ٣٥٢، باب من اذی المسلمین و احتقرهم، ح ٨

الرذيلة الثالثة و العشرون: الحسد

و هي ملكة تقتضى تمنّى زوال النعمة من صاحبها أو تمنّى عدم حصولها لمن هو بصددها.

و هي ضدّ النصح و لعلّه ليس في الرذائل رذيلةٌ هي أشدّ قبحاً من الحسد و مع ذلك فقد شاع بين الناس و هو مألوفٌ بينهم إلّا الكمّل منهم. و النّفس الّتي تمكّنت فيها هذه الرذيلة، لا يجتنب عن القبائح كلّها، حتّى القتل و اراقة الدم ظلماً، حتّى انّه لم يكن سببٌ لاول قتلٍ حدث على الارض إلّا ثوران الحسد، حيث قتل قابيل أخاه هابيل حسداً عليه قال الله سبحانه و تعالى **﴿و اتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحقّ اذ قرّبا قرباناً فتقبّل من احدهما و لم يتقبّل من الاخر قال لاقتلنّك قال انّما يتقبّل الله من المتّقين.... فطوّعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين﴾** [1]

و تترتب على هذه الرذيلة مفاسد عظمى و كبائر موبقة كالظلم حتّى على أبويه و على أولاده و أقربائه، و كذلك القتل و نهب الاموال و إحراقها و إفنائها باىّ وجه أمكن، و ترك اعانة الغير و لو كان اخيه، و ترك النصح لهم، و ترك الارشاد، بل ترك الامر بالمعروف و

---

١ ـ المائدة / ٣٠ ـ ٢٧

النهى عن المنكر، و تجويز التباعد عنهم، و قطع الرحم، و الهمز و اللّمز عليهم، و كشف السرّ و السّتر عنهم، و طلب عثراتهم.

و لكن الدارج المألوف منه الغيبة و التهمة و السخرية و الكذب و الافتراء حتّى على الله تعالى، و ترك الدعاء للمؤمنين و لقائهم، و سوء الظن بهم، و قد استفاضت الروايات بانّه يوجب الكفر، و دلّت التجربة و الخبر على انّه نارٌ يحترق صاحبه بها قبل أن تصيب المحسود فهو يوجب الهمّ و الغمّ و الخوف و الاضطراب و ضيق العيش و الرقابة و إفناء الاموال فيما لايسمن و لايغنى و لايفيد و فضول العيش الّذي دقّت و رقّت و استرقّت اعناق الحسود.

هذا من حيث ترتب مفاسد يكفي للشقاء واحدٌ منها فقط!.

و اما من حيث اللوازم، فالحسد يلازم رذائل كثيرة كالشك و الحيرة و سوء الظن بالله تعالى و المكر و الحيلة و الغضب و دنائة الهمّة حتّى يؤدّى إلى عدم الغيرة و الحميّة بالنسية إلى اقربائه فضلاً عن اخوانه المؤمنين، و الكبر و القساوة، و حبّ الدّنيا بالمعنى العام حتّى يرضى الحاسد بقتل ابنه أو بحق عينه ـ كما يُشاهد كثيراً في سير السلاطين في أرجاء العالَم ـ، و البخل حتّى عن النفقات الواجبة، و الغرور، و طول الامل، و الهوى، و العجب، و الفخر، و الغفلة، و البغضاء حتّى على الله تعالى فضلاً عن المحسود و من تبعه، و العزلة، و الخمول، و السخط و عدم الرضا و التسليم، و ترك التوكل و عدم الاعتماد على الله تعالى، و الكفران، و الغدر حتّى مع الله تعالى فضلاً عن محسوده، و الجزع بترك الصبر.

و هذا أيضاً شطر من اللوازم فقط لا جميعها، فالحسد مجمع الرذائل و المفاسد.

الم تر ان انكار الرسل لم ينشأ إلّا من الحسد؟

الم تر ان السقيفة و اجتماع الفئة فيها لم تكن إلّا لهذه الرذيلة الموبقة؟

الم تر ان الحقّ مع كونه في غاية الجلاء يستره الحسد.

الم تر ان الحسد هو الحجاب الاعظم يستر كثيراً من الفضائل.

هذا و لكن من المؤسّف عليه ان هذه الرذيلة تبتلى بها عامّة الناس، كما أشرنا إليه و لاتختصّ بالنساء و ضرّاتهنّ بل يبتلى به العلماء فضلاً عن غيرهم من العوام.

و لشياعه هذا قد رفع الله تعالى المؤاخذة عليه منّةً على الأمّة مادام في النّفس غير ظاهرٍ على اللسان أو غيره من الجوارح، و هذا من أعظم منن الله على الأمّة المرحومة.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: وضع عن امتي تسع خصال الخطاء و النسيان و ما لايعلمون و ما لايطيقون و ما اضطرّوا إليه و ما استكرهوا عليه، و الطيرة و الوسوسة في التفكر في الخلق و الحسد ما لم يظهر بلسان أو يد.(١)

ثمّ ان القرآن الكريم نبّه اولاً على ان الحسد يوجب كتمان الحق، ثمّ أنّه مضافاً إلى انه يوجب الضلال يوجب الاضلال، فيوجب تضليل الغير و اخراجه من الاسلام إلى الكفر و من الهداية إلى الضلال،

قال الله تعالى: ﴿ودّ كثير من اهل الكتاب لو يردّونكم من بعد ايمانكم كفّاراً حسداً من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحقّ﴾(٢)

ثمّ نبّه ثانياً على أنّ الحسد يوجب استعانة الحاسد و لو من الكافر للتغلّب على المحسود حيث يتعاهد الحاسد معهم و يستعين منهم و من الطواغيت ليصل إلى ما اقتضاه حسده فبهذا يستحق لعن الله و البُعد عن رحمته.

قال تعالى: ﴿ الم تر إلى الّذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت و الطّاغوت و يقولون للّذين كفروا هؤلاء اهدى من الّذين امنوا سبيلاً * اولئك الّذين لعنهم الله و من يلعن الله فلن تجد له نصيراً * ام لهم نصيب من الملك فاذاً لايؤتون النّاس نقيراً * ام يحسدون النّاس على ما اتيهم الله من فضله﴾(٣)

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ٤٦٣، باب ما رفع عن الامّة، ح ٢ ٢ ـ البقرة / ١٠٩

٣ ـ النساء / ٥٤ ـ ٥١

ثمّ نبّه ثالثاً على ما يترتّب على الحسد من المفاسد فاشار إلى اخوة يوسف الحاسدين على نعمه، و ما ترتّب على حدسهم من الذنوب العظيمة كالخدعة و الإفك و الكذب و القائهم إيّاه في الجبّ، و شرائه بثمن بخس دراهم معدودة، و نسبة الضلالة و السرقة إلى أبيهم و اخيهم النبيّين غير مدافعين.

قال تعالى: ﴿اذ قالوا ليوسف و اخوه احبّ إلى ابينا منّا و نحن عصبة انّ ابانا لفى ضلال مبين * اقتلوا يوسف أو اطرحوه ارضاً يخل لكم وجه ابيكم و تكونوا من بعده قوماً صالحين﴾ (١)

ثمّ نبّه رابعاً على ان الحسد هي الغاية في السّفه لأنّ لمّيّة التفاضل بين النّاس من خفيّات الأمور راجعٌ إلى المصالح القدرية و ان لكل انسان نصيباً بحسب التكوين يتوقّف المجتمع و الحياة الجماعية عليه و لو لا ذلك لاختل النظام فرجع الحسد حينئذ إلى الكفر، و ما ذلك إلّا السّفه!.

قال تعالى: ﴿و لا تتمنّوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض للرّجال نصيب ممّا اكتسبوا و للنّساء نصيب ممّا اكتسن وسئلوا الله من فضله﴾ (٢)

و قال الله تعالى: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدّنيا و رفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً و رحمت ربّك خير ممّا يجمعون﴾ (٣)

ثمّ نبّه خامساً على أنّ انكار الملأ الرسلَ ليس إلّا لما تمكّن في أنفسهم من الحسد عليهم ـ عليهم صلوات الله ـ، و قد كررّ الله تعالى هذا الأمر في كتابه الحكيم ليكون تذكرةً للحسّاد ليقلعوا عن أنفسهم هذه الشجرة الخبيثة.

قال تعالى: ﴿فقال الملأ الّذين كفروا من قومه ما هذا إلّا بشر مثلكم يريد ان يتفضّل

---

١ ـ يوسف / ٩ ـ ٨   ٢ ـ النساء / ٣٢   ٣ ـ الزخرف / ٣٢

عليكم﴾[١]

و قال تعالى: ﴿و قال الملأُ من قومه .... ما هذا إلّا بشر مثلكم يأكل ممّا تأكلون منه و يشرب ممّا تشربون و لعن اطعتم بشراً مثلكم انّكم اذاً لخاسرون﴾[٢]

و قال تعالى: ﴿فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا و قومهما لنا عابدون * فكذّبوهما فكانوا من المهلكين﴾[٣]

ثمّ نبّه سادساً على أنّ الحسد يؤدّى بصاحبه إلى الهمّ إذا رأى غيره ناجحاً في أموره فائزاً بما يبتغيه و يؤدّى به إلى الفرح لو رآه مصاباً بالشرور و العاهات بينما أنّ اطروحة الاسلام في المجتمع بُنى على ان ايسر حقّ المسلم على المسلم ان يحب له ما يحب لنفسه و يكره له ما يكره لنفسه.[٤]

قال تعالى: ﴿ان تمسسكم حسنة تسؤهم و ان تصبكم سيّئة يفرحوابها﴾[٥]

ثمّ نبّه سابعاً على وجوب العياذ عن الحسود عند اشتعال حسده و لهيبه فجعل الحسد تالياً لأمورٍ هامّة مفزعةٍ يجب العياذ منها كشرّ الشرار من الخلق من الانس و الجن، و من شر الظلمات إذا اشتدّت ظلمة الليل، و ظلمة النّفس الامارة و ظلمة وساوس الشّياطين الجنيّة و الانسيّة و من شر النفاثات في العقد من السحرة الكفرة، و من الوساوس الانسيّة و الجنيّة سيما الصديق السوء، و من النساء الماجنات عند ثوران الشهوة و الاستلذاذ من الفتيان.

قال تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * قل اعوذ بربّ الفلق * من شرّ ما خلق * و من شرّ غاسق إذا وقب * و من شرّ النّفّاثات في العقد * و من شرّ حاسد إذا حسد﴾[٦]

---

١ ـ المؤمنون / ٢٤ ٢ ـ المؤمنون / ٣٤ ـ ٣٣ ٣ ـ المؤمنون / ٤٨ ـ ٤٧

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ٢٦٩، ح ٢، نقلاً بالمعنى ٥ ـ آل عمران / ١٢٠

٦ - الفلق / ٥ ـ ١

تلك هي امورٌ أربعة ذكرها الله تعالى متتالياً، و وحدة السياق تدلّ على أنّ الحاسد كشرار الخلق و الغاسق و النفّاث يجب العياذ منه و الابتعاد عنه.

هذا شطر من ثمرات هذه الرذيلة، و لها مراتب شدة و ضعفاً.

فالمرتبة الضعيفة هي تمنّي سلب النعم عن غيره و جلبها له و يظهر من القرآن الكريم انّ هذه المرتبة توجد في كثيرٍ من الناس.

قال تعالى: ﴿انّ هذا اخي له تسع و تسعون نعجة و لي نعجة واحدة قال اكفلنيها و عزّني في الخطاب * قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه و انّ كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلّا الّذين امنوا و عملو الصّالحات و قليل ما هم﴾ (١)

و المرتبة الوسطى هي تمنّي سلب النعمة عن غير الحاسد، سواء انتقلت إليه ام لا.

و هذا المرتبة هي الّتي يبحث عنها في علم الاخلاق.

و المرتبة الشديدة هي تمنّي سلب النعم عن غير الحاسد و استبدالها بالبلايا و المصائب فيحبّ ان يصيب المحسود من البلايا و المصائب ما يعلمه الله فقط!.

قال تعالى: ﴿ان تمسسكم حسنة تسؤهم و ان تصبكم سيّئة يفرحوا بها﴾ (٢)

و العامّة من العلماء و الامراء و الأثرياء غير المهذّبين تكون كذلك في كلّ حين و زمان.

قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين امنوا لاتتّخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالاً ودّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم و ما تخى صدورهم اكبر﴾ (٣)

كما أنّ للحسد باعتبار المتعلّق اقسام:

١ ـ أن يحسد الكفّار و الاجانب و الفسّاق و الفجّار، أو فقل من ليس له اهليّة تلك النعم فيتمنّى سلب النعم عنه، فهذا الحسد و إن كان من الرذائل الا ان الغيرة الدينيّة تقتضى ذلك التمنّي.

---

١ ـ ص / ٢٤ ـ ٢٣   ٢ ـ آل عمران / ١٢٠   ٣ ـ آل عمران / ١١٨

فهذا القسم قبيح من ناحية و حسن من ناحية أخرى و تقدّم احدى الناحيتين على الأخرى لابدّ و ان يكون على سبيل الاهمّ و المهمّ.

٢ ـ ان يحسد على ابناء نوعه الصالحين لتلك النعم، مسلماً كانوا أو غير مسلمٍ و هذا القسم هو مورد الكلام لانه هو الرائج بين النّاس.

٣ ـ ان يحسد على اقربائه و لو كانوا أبنائه و اخوته أو من ذوى النعم عليه.

و هذا القسم يعدّ من أشدّ الرذائل قبحاً و يصاحبه الكفر و الخديعة و الخلاعة.

كما ان للحسد باعتبار ما يستجلب من الضرر للمحسود له اقساماً:

فقسمٌ منه يضرّ بنعمه.

و قسمٌ آخر يضرّ بعرضه أو عرض اولاده.

و قسم ثالث يضرّ بحياته، حتّى يؤدّى إلى قتله أو قتل ذويه.

اعوذ بالله من الرذائل سيما رذيلة الحسد، حيث يؤدّى إلى استدعاء قتل المحسود له، كما يتراءى كثيراً من التاريخ.

عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: لمّا نصب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً عليه السلام يوم غدير خم.... فشاع ذلك في البلاد فقدم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم النعمان بن الحارث الفهرى فقال: امرتنا من الله ان نشهد ان لا اله الا الله و انك رسول الله و امرتنا بالجهاد و الحج و الصوم و الصلاة و الزكوة فقبلناها ثم لم ترضى حتّى نصبت هذا الغلام فقلت: من كنت مولاه فعلى مولاه، فهذا شيء منك أو أمر من الله؟ فقال: بلى والله الّذي لا اله الا هو ان هذا من الله فولّى النعمان بن الحارث و هو يقول: اللّهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم.[1]

قال الله تعالى: ﴿و اذ قالوا اللّهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة

---

١ ـ البرهان، ج ٥، ص ٣٨٢، ح ٦.

من السّماء أو ائتنا بعذاب اليم﴾[١]

وروى ان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يمرّ بجهنم فمن اهل النار من يستشمّ نسمة الرحمة فيسئل عنها ثمّ يستدعى من خزنة النار أن يغلق عليه الأبواب حتّى لايراه بغضاً و حسداً عليه!.

ثمّ ان الحسد كسائر الرذائل أمر ذاتى كحب الدّنيا و حبّ المشتهيات و نحوهما من الغرائز، نعم ان الرذائل كلها ليست من الذاتيات الّتي لاتزول، فبا لرياضات الدينيّة و بالطرق الّتي مرّت الإشارة إليها تفصيلاً يمكن التخلية و التحلية و التجلية، و بعبارةٍ أخرى ان الرذائل بحسب الاقتضاء ذاتية، و يمكن ان يمنع من فعلية ذلك الاقتضاء كما يمكن ان يصير ذلك الاقتضاء فعليّاً بمتابعة النّفس عنه و ليس ارسال الرسل و انزال الكتب إلّا لزجر الناس عن متابعة الرذائل، حتّى لا تكون فعليةً في أنفسهم.

قال تعالى: ﴿لقد ارسلنا رسلنا بالبيّنات و انزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم النّاس بالقسط و انزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للنّاس﴾[٢]

فلو لم تصلح النّفس للتخلية و التجلية فما كانت بعثهم إلّا عبثاً و لغواً سبحان الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

فليس للحسد كغيره من الرذائل علّةٌ غير أنّه من الذاتيات، أي: كونه مرتكزاً في النّفس فكما يكون له حبّ المشتهيات يكون له الحسد و الكبر و العجب شدة و ضعفاً.

نعم قانون الوراثة و قانون المحيط و قانون التغذية و قانون الصداقة و الصديق و نحوها من القوانين التكوينيّة أو التشريعيّة يقتضى الشدة أو الضعف لتلك الرذائل و الفضائل، و لكن يجب أن يُعلم أن للرذائل كلّها (كما انّ للفضائل كلّها) نحو ارتباط مع الاخرى خفيّاً كان أو جليّاً و يسمّى الجليّ منه بالملازمة فلذا قلنا ان الحسد يلازم الكبر و العجب و سوء الظن و حبّ الدّنيا بمعناه العام و البغضاء و نحو ذلك.

---

١ ـ الانفال / ٣٢   ٢ ـ الحديد / ٢٥

فليس ذلك الربط كالعلّيّة كما انه ليس ذلك الترتّب المذكور بين أقسام الرذائل أيضاً كذلك فما اشتهر بين علماء علم الأخلاق من ان الحسد منبعث من الكبر و البغضاء و حبّ الرياسة و الخوف من فوت المقاصد و التعزز و الجبروت و الرعونة و العجب و غير ذلك منفرداً أو جمعاً ليس بسديد، لأنّه لا علّيّة بين تلك الرذائل و بين الحسد اصلاً، بل الحسد ينشأ من النّفس الامارة الداعية إلى صرف النعم عن الغير و كذلك ساير الرذائل.

كما ان الفضائل كلها تنشأ من البعد المَلَكى المركوز في النّفس مع أنّ التلازم المذكور بينها ليس من باب العلّيّة المذكور في العلوم الحكميّة.

و في الختام نذكر قسطاً من روايات الباب راجين ممّن بيده الخُلُق و الخلق ان يهدينا و يزكّينا من الرذائل بكلام العترة الطاهرة الّذي هو نور و هداية.

رواياتٌ في الحسد

* قال أبو جعفر عليه السلام: انّ الرجل ليأتى بأى بادرة فيكفر و انّ الحسد ليأكل الايمان كما تأكل النار الحطب.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: كاد الفقر ان يكون كفراً و كاد الحسد ان يغلب القدر.[2]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: آفة الدّين الحسد و العجب و الفخر.[3]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: قال الله عزّوجلّ لموسى بن عمران عليه السلام: يا ابن عمران لاتحسدنّ الناس على ما آتيتهم من فضلى و لاتمدّن عينيك إلى ذلك و لاتتبعه نفسك فانّ الحاسد ساخط لنعمى، صاد لقسمى الّذي قسمت بين عبادى و من يك كذلك فلست منه و ليس منّى.[4]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ المؤمن يغبط و لايحسد و المنافق يحسد و لايغبط.[5]

* عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: اقلّ الناس لذّة الحسود.[6]

---

١ ـ الكافى، ج ٢، باب الحسد، ص ٣٠٦، ح ١.

٢ ـ الكافى، ج ٢، باب الحسد، ص ٣٠٧، ح ٤.

٣ ـ الكافى، ج ٢، باب الحسد، ص ٣٠٧، ح ٥.

٤ ـ الكافى، ج ٢، باب الحسد، ص ٣٠٧ ح ٦

٥ ـ الكافى، ج ٢، باب الحسد، ص ٣٠٧، ح ٧

٦ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٢٥٠، باب ١٣١، ح ٨

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لقمان لابنه: للحاسد ثلاث علامات: يغتاب إذا غاب، و يتملّق إذا شهد، و يشمت بالمصيبة.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : يا علي انهاك عن ثلاث خصال عظام، الحسد و الحرص والكذب.[2]

* فيما اوصى به الصادق عليه السلام: لا راحة لحسود.[3]

* عن اميرالمؤمنين عليه السلام قال: انّ الله عزّوجلّ يعذّب ستّة بستّ، العرب بالعصبية، و الدهاقنة بالكبر، و الامراء بالجور، و الفقهاء بالحسد، و التجار بالخيانة و اهل الرستاق بالجهل.[4]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يتعوّذ في كلّ يوم من ستّ: من الشك و الشرك و الحميّة و الغضب و البغي و الحسد.[5]

* عن الصادق عليه السلام: لايطمعنّ الحسود في راحة القلب.[6]

* عن علي بن جعفر، عن اخيه موسى، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ذات يوم لاصحابه: الا انّه قد دبّ اليكم داء الامم من قبلكم، و هو الحسد ليس بحالق الشعر، لكنّه حالق الدين و ينجي منه ان يكفّ الإنسان يده، و يخزن لسانه، و لايكون ذا غمز على اخيه المؤمن.[7]

۱ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۲۵۱، باب ۱۳۱، ح ۱۱

۲ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۲٦۱، باب ۱۱٤، ح ۳۱

۳ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۲۵۲، باب ۱۳۱، ح ۱۲

٤ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۲۵۲، باب ۱۳۱، ح ۱۳

۵ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۲۵۲، باب ۱۳۱، ح ۱٤

٦ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۲۵۲، باب ۱۳۱، ح ۱۵

۷ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۲۵۳، باب ۱۳۱، ح ۲۰

* قال الصادق عليه السلام: الحاسد مضرّ بنفسه قبل ان يضرّ بالمحسود كابليس اورث بحسده لنفسه اللعنة و لادم الاجتباء و الهدى و الرفع إلى محلّ حقائق العهد و الاصطفاء، فكن محسوداً و لاتكن حاسداً فانّ ميزان الحاسد ابداً خفيف بثقل ميزان المحسود، و الرزق مقسوم فماذا ينفع حسد الحاسد، فما يضرّ المحسود الحسد. و الحسد اصله من عمى القلب، و جحود فضل الله تعالى، و هما جناحان للكفر، و بالحسد وقع ابن آدم في حسرة الابد، و هلك مهلكاً لاينجو منه ابداً و لا توبة للحاسد لانّه مصرّ عليه، معتقد به، مطبوع فيه، يبدو بلا معارض له و لا سبب، و الطبع لايتغيّر عن الاصل و ان عولج.[1]

* عن أبي أبي نجران، قال: سألت ابا عبدالله عليه السلام عن قول الله ﴿و لاتتمنّوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض﴾ قال: لايتمنّى الرجل امرأة الرجل و لا ابنته، و لكن يتمنّى مثلهما.[2]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: بينما موسى بن عمران يناجى ربّه و يكلّمه اذ رأى رجلاً تحت ظلّ عرش الله فقال: يا ربّ من هذا الّذي قد اظلّه عرشك؟ فقال: يا موسى هذا ممّن لم‌يحسد النّاس على ما آتاهم الله من فضله.[3]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: ما رأيت ظالماً اشبه بمظلوم من الحاسد، نفس دائم، و قلب هائم، و حزن لازم. و قال عليه السلام: الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له اليه، بخيل بما لايملكه. و قال عليه السلام: الحسد آفة الدين، و حسب الحاسد ما يلق. و قال عليه السلام: لا مروّة لكذوب، و لا راحة لحسود. و قال عليه السلام: يكفيك من الحاسد انّه يغتمّ في وقت سرورك. و قال عليه السلام: الحسد لايجلب إلّا مضرّة و غيظاً يوهن قلبك و يمرض جسمك، و شرّ ما استشعر قلب المرء

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٢٥٥، باب ١٣١، ح ٢٣

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٢٥٥، باب ١٣١، ح ٢٤

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ٢٥٥، باب ١٣١، ح ٢٥

الحسد. و قال عليه السلام: الحسود سريع الوثبة، بطيء العطفة. و قال عليه السلام: الحسود مغموم، و اللئيم مذموم. و قال عليه السلام: لا غنى مع فجور، و لا راحة لحسود، و لا مودّة لملوك و قال لقمان لابنه: ايّاك و الحسد فانّه يتبيّن فيك، و لايتبيّن فيمن تحسده.[۱]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام في غرر الحكم:

الحسد مرض لا يؤسى.

الحسد داب السّفل و اعداء الدّول.

الحسد مقنصة ابليس الكبرى.

الحسد حبس الرّوح.

الحسد شرّ الأمراض.

الحسد احد العذابين.

الحسد عيب فاضح و شحّ فادح، لايشفى صاحبه إلّابلوغ امله فيمن يحسده.

رأس الرّذائل الحسد.

إذا امطر التحاسد انبتت التفاسد.

ثمرة الحسد شقاء الدّنيا و الآخرة.

الحاسد لا يشفيه إلّا زوال النّعمة.

الحاسد يفرح بالشّرّ و يغتمّ بالسّرور.

الحاسد يرى انّ زوال النّعمة عمّن يحسده، نعمة عليه.

الحاسد يظهر ودّه في اقواله، و يخفي بغضه في افعاله، فله اسم الصّديق و صفة العدوّ.

الحسود كثير الحسرات متضاعف السّيّئات.

الحسود لا يبرء.

۱ـ بحار الانوار، ج ۷۰، ص ۲۵٦، باب ۱۳۱، ح ۲۹

الحسود لا خلال له.

الحسود لايسود.

الحسود غضبان على القدر.

بئس الرّفيق الحسود.

الحسد يضنى الجسد.

الحسد يذيب الجسد.

الحسد ينشيء الكمد.

الحسود ابداً عليل.

العجب لغفلة الحسّاد عن سلامة الاجساد.

صحة الجسد من قلة الحسد.

الحسود دائم السّقم و ان كان صحيح الجسم.[١]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: لله درّ الحسد فما اعدله ! بدا بصاحبه فقتله.[٢]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام:.... من ولع بالحسد ولع به الشّوم.[٣]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام:.... و الحسد مطيّة التعب.[٤]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خمس من خمسة محال: النّصيحة من الحاسد محال....[٥]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: ليس لحاقن رأى، و لا لملوك صديق، و لا لحسود غنى....[٦]

---

١ ـ ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٤٢٢ إلى ٤٢٧

٢ ـ ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٤٢٢، ح ٣٩٠٨

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ١٢، باب ١٥، ح ٧٠

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ١٣، باب ١٥، ح ٧١

٥ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ١٩٤، باب ٢٣، ح ٩

٦ ـ بحار الانوار، ج ٧٥، ص ١٩٧، باب ٢٣، ح ١٩

الفصل الحادى و العشرون

الفضيلة الثانية و العشرون: الغبطة

الرّذيلة الرابعة و العشرون: القناعة في الفضائل

الفضيلة الثانية و العشرون: الغبطة

هذه الفضيلة تُسمّى في الذكر الحكيم بالمنافسة و السباق و المسارعة و المراقبة.

و معنى هذه الفضيلة استجلاب الفضائل و النعم الفردية و الجماعية لنفسه و لذويه من اولاده و اقربائه و بلديّه و مواطنيه ليكونوا في زمرة الا فاضل مترقّين إلى ذرى الكمال، بل مضافاً إلى السباق يتمنّى الغابط ان يكون مائزاً بينهم غير متمنٍّ أن يُسلب عنهم النعم.

قال في المفردات: و المنافسة مجاهدة النّفس للتشبّه بالافاضل و اللحوق بهم من غير ادخال ضرر على غيره و هذا كقوله ﴿و في ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ و هذا كقوله ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾.[1]

و للقرآن الكريم اهتمامٌ بالغ بهذه الفضيلة فوق الاهتمام.

قال تعالى: ﴿و في ذلك فليتنافس المتنافسون﴾[2]

و قال تعالى: ﴿ فبشّر عباد الذين يستمعون القول فيتّبعون احسنه اولئك الّذين

---

١ ـ المفردات ذيل لغة نفس، ص ٥٠١.

٢ ـ المطففين / ٢٦

هداهم الله و اولئك هم اولو الالباب﴾[١]

و قال تعالى: ﴿ و سارعوا إلى مغفرة من ربّكم و جنّة عرضها السّموات و الارض﴾[٢]

و قال تعالى: ﴿ يؤمنون بالله و اليوم الاخر و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يسارعون في الخيرات و اولئك من الصّالحين ﴾[٣]

و قال تعالى: ﴿ اولئك يسارعون في الخيرات و هم لها سابقون ﴾[٤]

و قال تعالى: ﴿ فاستجبنا له و وهبنا له يحيى و اصلحنا له زوجه انّهم كانوا يسارعون في الخيرات و يدعوننارغباً و رهباً و كانوا لنا خاشعين ﴾[٥]

و قال تعالى: ﴿ و السّابقون السّابقون اولئك المقرّبون ﴾[٦]

و قال تعالى: ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربّكم و جنّة عرضها السّماء و الارض﴾[٧]

و قال تعالى: ﴿ و السّابقون الاوّلون من المهاجرين و الانصار و الّذين اتّبعوهم باحسان رضى الله عنهم و رضوا عنه﴾[٨]

و قال تعالى: ﴿ يا ايّها الّذين امنوا اصبروا و صابروا و رابطوا و اتّقوا الله لعلّكم تفلحون ﴾[٩]

و قال تعالى: ﴿ و جاهدوا في الله حقّ جهاده ﴾[١٠]

و قال تعالى: ﴿ و الّذين هاجروا و جاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله﴾[١١]

---

١ ـ الزمر / ١٨ ـ ١٧ ٢ ـ آل عمران / ١٣٣ ٣ ـ آل عمران / ١١٤
٤ ـ المؤمنون / ٦١ ٥ ـ الانبياء / ٩٠ ٦ ـ الواقعة / ١١ ـ ١٠
٧ ـ الحديد / ٢١ ٨ ـ التوبة / ١٠٠ ٩ ـ آل عمران / ٢٠٠
١٠ ـ الحج / ٧٨ ١١ ـ البقرة / ٢١٨

و نظير هذه الآيات كثير فراجع، و اجتهد حتّى يجتمع عندك ازيد من ذلك.

و يظهر من الكريمات القرآنيّة ان العبد الصالح يريد الترقّي لنفسه و لذويه، بل يريد أن لايوجد مثيلاً له بين أقرانه في زمانه.

قال الله تعالى: ﴿ ربّنا هب لنا من ازواجنا و ذرّيّاتنا قرّة اعين و اجعلنا للمتّقين اماماً ﴾[1]

و قال تعالى: ﴿ ربّ اغفرلى و هب لي ملكاً لاينبغى لاحد من بعدى انّك انت الوهّاب ﴾[2]

و غير خفي أنّ حكاية القرآن مثل هذه الادعية من عباده المقرّبين ليس إلّا لترغيب الناس و تحريصهم إلى المسارعة إلى الخيرات، بحيث يقدّموا على اقرانهم، بل على افاضلهم في الدّنيا و الاخرة.

و السباق في الفضائل هو مفتاح سعادة الأمم، و عدم الاهتمام به هو مفتاح سقوطها و تدانيها و هذا هو سرّ ما يتراءى من الجبابرة في كلّ عصر من بثّ الرخاوة و الفشل في الأمم المقهورة، كما نشاهد اليوم في العالم.

و من المؤسّف عليه جدّاً بحيث ينبغى أن يموت المرء عليه أنّ المسلمين و لا سيما جيلهم الشابّ ابتلوا بذلك الفشل و الرخوة.

فهم غفلوا عن قوله تعالى: ﴿ ربّ اغفرلى و هب لي ملكاً لاينبغى لاحد من بعدى انّك انت الوهّاب ﴾[3].

و يا ليت انهم لو غفلوا عن مثل هذه الآية الشريفة لتنبّهوا بما امرهم الله تعالى به في مثل قوله ﴿ و سارعوا إلى مغفرة من ربّكم ﴾[4] و قوله ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربّكم ﴾[5]

---

١ ـ الفرقان / ٧٤ ٢ ـ ص / ٣٥ ٣ ـ ص / ٣٥

٤ ـ آل عمران / ١٣٣ ٥ ـ الحديد / ٢١

نعم الغفلة عن الوحى لا تنتج إلّا هذه الرخوة المذلّة.

روى الحارث الاعور قال: دخلت على امير المؤمنين على ابن ابيطالب عليه‌السلام فقلت: انّا إذا كنّا عندك سمعنا الّذي نسدّ به ديننا و إذا خرجنا من عندك سمعنا اشياء مختلفة مغموسة لاندرى ما هى، قال أو قد فعلوها؟ قلت نعم، قال قد سمعت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقول اتانى جبرئيل فقال: يا محمّد سيكون في امّتك فتنة، قلت: و ما المخرج؟ فقال: كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خير و خبر ما بعدكم و حكم ما بينكم و هو الفصل ليس بالهزل، من وليه من جبار قصمه الله و من التمس الهدى في غيره اضله الله و هو حبل الله المتين، و هو الذكر الحكيم و هو الصراط المستقيم، لاتزيغه الاهواء، و لاتلتبسه الالسنة و لايخلق عن الرد و لاتقتضى عجائبه و لايشبع منه العلماء.[1]

و تلازم هذه الفضيلة فضائل أخرى كالنشاط و الرجاء و الاستقامة و الصبر و الحلم و معاونة غيره و نحوها، لان من يتمنّى نعمةً على أن لا تحوّل عن صاحبها يهدى مجتمعه إلى سبيل السعادة أو يعينه عليه.

قال الله تعالى: ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو انثى و هو مؤمن فلنحيينّه حيوة طيّبة و لنجزينّهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون﴾[2]

و يظهر من كثيرٍ من الكريمات الّتي تزيد على مأةٍ أو أكثر، أن السبيل الوحيد للوصول إلى السعادات فرديةً كانت أو جماعية هو المنافسة إلى الفضائل، فتلك المنافسة هي مفتاح السعادات كلّها. و ليس ما ذكره الله سبحانه و تعالى في كتابه الكريم من كون الإنسان خليفته و وارثه و انّ العالَم خُلق له إلّا لبعثه نحو السبق إلى الخيرات حتّى يصل إلى مقام قربه جلّ و علا، فيكون متصرّفاً في جميع العوالم. و نحن نذكر نموذجاً من تلك الآيات المباركات،

---

۱ ـ بحار الانوار، ج ۸۹، ص ۲۴، باب ۱، ح ۲۵ و سنن الدارمی، ح ۳۱۹۷، مع اختلاف.

۲ ـ النحل / ۹۷

ثم نذيّلها بقسط من روايات الباب، لنعُدّ من المتمسّكين بكتاب الله و سنّة المعصومين، سلام الله عليهم اجمعين.

قال الله تعالى: ﴿ و هو الّذي جعلكم خلائف الارض و رفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما اتاكم، انّ ربّك سريع العقاب ﴾ (١)

تأمّل في هذه الآية الشريفة كيف نفث في روع الإنسان روح المراقبة إلى التعالى، و ذلك في قوله ﴿و رفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما اتاكم﴾.

و قال تعالى: ﴿ثمّ جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعلمون﴾ (٢)

و قال تعالى: ﴿ الم تروا انّ الله سخّر لكم ما في السّموات و ما في الارض و اسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة ﴾ (٣)

و قال تعالى: ﴿ فاذا سوّيته و نفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلّهم اجمعون إلّا ابليس ﴾ (٤)

و قال تعالى: ﴿ انّ الّذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة﴾ (٥)

و قال تعالى: ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً و لايشرك بعبادة ربّه احداً﴾ (٦)

و قال تعالى: ﴿ و لقد كتبنا في الزّبور من بعد الذّكر انّ الارض يرثها عبادى الصّالحون﴾ (٧)

---

١ ـ الانعام / ١٦٥ ٢ ـ يونس / ١٤ ٣ ـ لقمان / ٢٠
٤ ـ الحجر / ٣١ ـ ٢٩ ٥ ـ فصلت / ٣٠ ٦ ـ الكهف / ١١٠
٧ ـ الانبياء / ١٠٥

رواياتٌ في الغبطة

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ان المؤمن يغبط و لايحسد و المنافق يحسد و لايغبط.[1]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام.... و المغبون من غبن دينه و المغبوط من غبط يقينه.[2]

* عن اميرالمؤمنين عليه السلام.... المغبون من غبن دينه و المغبوط من سلم له دينه و حسن يقينه.[3]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام في الغرر: اغبط الناس المسارع إلى الخيرات.[4]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام في الغرر: ان المغبون من غبن عمره و انّ المغبوط مـن انـفذ عمره في طاعة ربّه.[5]

---

١ ـ الكافي، ج ٢، ص ٣٠٧، باب الحسد، ح ٧

٢ ـ بحار الانوار، ج ٦٧، ص ١٧٦، باب ٥٢، ح ٣٣

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٢٩١، باب ١٤، ح ٢.

٤ ـ تصنيف غرر الحكم ص ١٠٥، ح ١٨٧٣

٥ ـ تصنيف غرر الحكم، ص ١٦٠، ح ٣٠٦١

الرّذيلة الرّابعة و العشرون: القناعة في الفضائل

المراد به ضدّ ما مرّ ذكره في السبق إلى الفضائل، و هي رذيلة تمنع صاحبها عن التّرقّي و التّعالى، فهذه الملكة تمنع صاحبها عن الوصول إلى الدّرجات العليا و الدخول في الصلحاء و الفضلاء.

توضيح ذلك: انّ الإنسان كما انه ليس له حدّ يقف عليه فيما يرجع إلى المادّيات، بحيث لا يقنع بماله و لو كان ضخماً جداً كما اشار إليه سبحانه و تعالى: **﴿انّ هذا اخى له تسع و تسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال اكفلنيها و عزّنى في الخطاب * قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه و انّ كثيراً من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلّا الّذين امنوا و عملوا الصّالحات و قليل ما هم﴾** (١)

و قد مرّ الكلام فيه في البحث عن القناعة و الحرص و الاستغناء و الطّمع، فكذلك ليس له حدٌّ يقف عنده فيما يرجع إلى عالمه الروحانى، علوّاً و خسّةً فله أن يترقّى إلى ما لا نهاية له، حيث إنّ مقام اللقاء ليس إلّا من مقدّمات السلوك، و بترقيه إلى منازل السير من الحقّ في الحق و من الحقّ إلى الحق، يظهر له أنْ لا ختام لسيره، لأنّ الحق لا نهاية له عدّةً و مدّةً و

---

١ ـ ص / ٢٣ ـ ٢٤

شدّةً.

و كذلك في الوصول إلى الفضائل، العلميّة و العمليّة، فكلّما عثر على نكتةٍ علميّة يعلم أنّه لا معرفة له بغيرها و شتّان بين ما يعلم و ما لا يعلم، فيلتذّبها آناً فآناً. و اظهار الحقّ في الوقائع و نشر العدل يعدّان من الفضائل، فمن سجايا الإنسان النفسيّة أن يجتهد في بسط العدل على بسيط الأرض، و نشر الرفق عليه، و قد وعد الله سبحانه أن يحقّق له أمله و لا يخيّب سعيه، حيث قال:

﴿ وعدالله الّذين امنوا منكم و عملوا الصّالحات ليستخلفنّهم في الارض كما استخلف الّذين من قبلهم و ليمكّننّ لهم دينهم الاذي ّرتضى لهم و ليبدّلنّهم من بعد خوفهم امناً ﴾[1]

فهذا وعدالله الّذي لايخلفه قطعاً، و يظهر من هذا الوعد انّ ارادة الإنسان سجيّة، فلو تخلّف عن هذه السّجيّة فقد تخلّف عن ارادة الله تعالى التشريعيّة و هو محرّم قطعاً.

فالانسان الكامل قانع في تنحية الشّهوات، و حريص في تنحية الرّوح و استجلاب المنافع.

فالقناعة في تنحية المشتهيات تعدّ من الفضائل و هي ضدّ الحرص الممنوع.

و القناعة في استجلاب الفضائل تُعدّ من الرّذائل و هي ضدّ الغبطة و التنافس.

كما انّ الحرص في تنحية الشّهوات تعدّ من الرّذائل، و الحرص في استجلاب الفضائل تعدّ من الفضائل و هو الغبطة و التّنافس و الترقّب الاتي ّمرالله تعالى به في كثيرٍ من آي الكتاب العزيز.

ثمّ انّ القناعة في الفضائل و عدم الاهتمام باستجلابها يلازم رذائل أخرى كالكسل و الفشل و حبّ الدّنيا بمعناه العامّ، فلا مآل لهذا الفشل إلّا تسلّط غيره عليه، فرادىً و جمعا

---

١ ـ النّور / ٥٥

فيصير ذلك الإنسان أو تلك الملّة غثاء كغثاء السّيل.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يوشك الامم قد تداعى عليكم كما تداعى الاكلة على قصعتها، فقال قائل: و من قلّة نحن يومئذ، قال: بل انتم يومئذ كثير و لكنّكم غثاء كغثاء السّيل، و لينزعنّ الله عن صدور عدوّكم المهابة منكم و ليقذفنّ الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل يا رسول الله: و ما الوهن؟ قال: حبّ الدّنيا و كراهية الموت.[1]

و أشرنا إلى التلازم الواقع بين الرذائل، فكلّما ازداد الفشل فيه، ازداد الحرص على الدنيا و الخوف من الموت فيه، و لا نتيجة لجمع الرذائل و اجتماعها إلّا الهبوط عن مدارج الكمال الانسانيّة فيتسلّط حجب المادّة على القلب، فيكون ذلك الفرد أو تلك الملّة حينئذٍ غثاء كغثاء السّيل لا نشاط له و لها فيما يرجع إليهما.

و هذا هو سرّ مايتراءى اليوم من الملل و الدّول الاسلاميّة من الذلّة و التّوان، حيث همّت بعاجلها من غير اهتمامٍ لها باستجلاب الفضائل الدنيويّة و الأخرويّة فويلٌ لها ثمّ ويل لها من هذا الفشل و الكسل المؤدّى إلى سلطة الاجانب عليها.

فبما قدّمنا يظهر لك ان رذيلة القناعة في الفضائل، هي أمّ جميع الرذائل من غير مدافعٍ!. نعوذ بالله منها.

---

١ ـ سنن أبي داود، ح ٣٧٤٥.

رواياتٌ في القناعة في الفضائل

* عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قال لبعض ولده: يا بنيّ عليك بالجدّ لاتخرجنّ نفسك من حد التقصير في عبادة الله عزّوجلّ و طاعته، فانّ الله لايعبد حقّ عبادته.[1]

* عن جابر قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا جابر لااخرجك الله من النعص و لا التقصير.[2]

* عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال: اكثر من ان تقول: اللّهمّ لاتجعلني من المعارين و لا تخرجني من التقصير، قال: قلت: امّا المعارون فقد عرفت انّ الرّجل يعار الدّين ثمّ يخرج منه، فما معنى لاتخرجني من التقصير؟ فقال: كلّ عمل تريد به الله عزّوجلّ فكن فيه مقصراً عند نفسك، فانّ النّاس كلّهم في اعمالهم فيما بينهم و بين الله مقصرون إلّا من عصمه الله عزّوجلّ.[3]

قال رجل لاميرالمؤمنين عليه السلام: اوصني، فقال اوصيك ان لايكوننّ لعمل الخير عندك غاية في الكثرة و لا لعمل الاثم عندك غاية في القلة.[4]

---

۱ ـ الكافي، ج ۲، ص ۷۲، باب الاعتراف بالتقصير، ح ۱

۲ ـ الكافي، ج ۲، ص ۷۲، باب الاعتراف بالتقصير، ح ۲

۳ ـ الكافي، ج ۲، ص ۷۳، باب الاعتراف بالتقصير، ح ٤

٤ ـ تحف العقول، ص ۱٥۰، حكم علي عليه السلام

❊ قال اميرالمؤمنين عليه السلام: الا انّ ابْصَرَ الابصار من نفذ في الخير طرفه.[١]

❊ قال اميرالمؤمنين عليه السلام: لايقولنّ احدكم ان احداً اولىٰ بفعل الخير منّى فيكون والله كذلك ان للخير و الشر اهلاً فهما تركتموه كفا كموه اهله.[٢]

❊ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :... و اما اعداؤك من الجن فابليس و جنوده.... و إذا اتاك و قال لك: ما اكثر احسانك، يريد ان يدخلك العجب، فقل اسائتى اكثر من احسانى، و إذا اتاك و قال لك: ما اكثر صلاتك، فقل غفلتى اكثر من صلاتى، و إذا قال لك: كم تعطى الناس فقل: ما آخذ اكثر مما أُعْطى.[٣]

❊ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان على بن الحسين عليه السلام إذا اخذ كتاب على عليه السلام فنظر فيه قال: من يطيق هذا، من يطيق ذا؟ قال: ثمّ يعمل به و كان إذا قام إلى الصلاة تغيّر لونه حتّى يعرف ذلك في وجهه و ما اطاق احد عمل علىمن ولده من بعده إلّا علي بن الحسين عليه السلام.[٤]

١ـ تصنيف غرر الحكم، ص ٢٠٥، ح ١٨٨٤

٢ـ تصنيف غرر الحكم، ص ١٠٥، ح ١٨٧٢

٣ـ تحف العقول، ص ٢٤، مواعظ النبى (ص)

٤ـ الكافى، ج ٨، ص ١٤٣، ح ١٧٢

الفصل الثانی و العشرون

الفضيلة الثالثة و العشرون: الزهد في الجاه

الرّذيلة الخامسة و العشرون: حبّ الرياسة

الفضيلة الثالثة و العشرون: الزّهد في الرتبة و الوجاهة

و هي ملكة توجب عدم تعلّق القلب بالرّئاسة و الوجاهة و المقام و لو بلغت له ما بلغت، كحكم رسول الله صلّی الله علیه و آله و سلّم على قلوب النّاس، و كحكم مولانا وليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه الشّريف على العالم، فلايشتغل قلب الزاهد عن الرئاسة بها اصلاً، إذ ليست الرئاسة له إلّا آلة لنشر الحقيقة و لازهاق الباطل، حيث لاهمّ له إلّا الله، و ما أمر به سبحانه و تعالى.

و قد مرّ كلام مولانا اميرالمؤمنين علیه السلام لابن عباس إذا اعترض عليه عند ما رآه كأنّه اسكاف، فقال له: ما قيمة هذا النّعل؟ فقال: لا قيمة لها، فقال علیه السلام: و الله لهى احبّ الىّ من امرتكم إلّا ان اقيم حقّاً أو ادفع باطلاً.[1]

فالزّاهد لا رغبة له في الرّئاسة، و لاتقتدر الرّئاسة و الحكم على قلوب النّاس ان تلهيه عن ذكر الله تعالى، فهو لايحبّها حبّ المولهين لها، فان حصلت له لايستعملها إلّا في الخير، و إن فقدت عنه لايسوء به قلبه بل يفرّ منها فرار الغنم عن الذنب ـ كما يرى في سيرة أوليائه تعالى ـ، لما فيها من المشاكل و المزالق، و خوفاً من سوء الخاتمة ـ نعوذ بالله منه ـ.

---

١ ـ نهج البلاغة، الخطبة ٣٣

و بيّن القرآن الكريم هذه الفضيلة في الكلمتين: ﴿ لكيلاتاسوا على ما فاتكم و لاتفرحوا بما آتاكم ﴾ [1]

و هذا البحث و البحث عن ضدّها و هو رذيلة حبّ الوجاهة و المقام و ان مضى الكلام فيه مفصّلاً في البحث عن فضيلة الزّهد و رذيلة حبّ الدّنيا، إلّا انّ القوم لمّا افردوا لهذه الفضيلة و تلك الرذيلة فصلاً و استوفوا فيه البحث عنها، فنحن نتّبعهم نظراً إلى ما لهما من المكانة الهامّة، لانّ فضيلة الزّهد في الرّئاسة و رذيلة حبّها من الأمور الهامّة في الأخلاق سيّما عند اهل القلوب.

و بالجملة انّ البحث عن فضيلة الزّهد في الرّئاسة و عدم تعلّق القلب بها تعدّ من مصاديق فضيلة الزّهد، و نحن قد تكلّمنا فيه مستوفيً، كما قد تكلّمنا في حبّ الدنيا و أقسامه كحبّ الرئاسة لكن نعيد البحث عنه ـ كما أشرنا إليه ـ لمكانته الهامّة في هذا العلم.

قال رسول الله صلّی الله علیه و آله و سلّم : آخر ما يخرج عن قلوب الصّدّيقين حبّ الجاه.

فنرجو من الله تعالى أن لايجرى على القلم إلّا ما فيه صلاح الأمّة، و ان لانكون معيدين ما مرّ ذكره، بل يجرى عليه نكات مميّزة عمّا مضى، مستمدّين من مولانا اميرالمؤمنين الّذي فاز بأعلى المراتب و المراقى الّتي لايحوم حولها ملكٌ مقرّبٌ في ليلتنا هذه الّتي نكتب فيها هذا الفصل، و هي ليلة استشهاده صلوات الله و سلامه عليه.

و قبل الورود في صلب البحث لابدّ من ان نتذكّر ما وقع للقوم من الاشتباه و هو انّهم بعد ما فصّلوا الكلام في رذيلة حبّ الرّئاسة و المقام ذكروا حبّ الخمول كفضيلة تقابلها، فجعلوها في عداد الفضائل، فوقع لهم في هذا الفصل خطاءان:

الأوّل: جعلهم حبّ الخمول من الفضائل، مع أنّه أيضاً ليس إلّا حبّاً شاغلاً للقلب عن الله فهو صنمٌ يُعبَد من دون الله!؛

---

۱ ـ الحديد / ۲۳

و الثانى: غفلتهم عن كون الرئاسة طريقاً وحيداً لنشر الحق و احياءه و ازهاق الباطل و ابطاله، و لاريب انّ الناس لم يخضعوا قبال الشريعة إلّا بعد أنّ سلّط الله رسوله عليهم. فعلى قلب السالك أن لا يشتغل بغير الله، لا بحبّ المكانة و لا بالخمول عنها، و هذا هو القلب الّذي ينورّه الله سبحانه و تعالى بنوره، و ما أحسن من قال:

غلام همّت آنم كه زير چرخ كبود ز هر چه رنگ تعلّق پذيرد آزاد است

فبما قلنا ظهر أنّه يمكن أنّ يكون للخامل عن الرئاسّة خاتمٌ رخيصٌ بخسٌ ولكن لقلبه تعلّقٌ به كتعلّق العابد الوله بصنمه، كما يمكن أنّ لايكون لقلب الحاكم على المجتمع غير الخامل عن الحكم تعلقاً به، كما قد عاينّا كثيراً منهم و سمعنا بكثيرٍ منهم أيضاً.

و قد حكينا لك آنفاً حكاية المحقّق النراقى العارج إلى معراج السعادة مع الرجل الصوفي المعدم، و فيها خير شاهدٍ على ما نحن بصدده الآن، فراجعها.

نعم انّ مثل اميرالمؤمنين عليه‌السلام مع كونه ذاالرئاستين الدينيّة الالهيّة و الدنيويّة كان يقول: و الله لهى ـ أي: النّعل ـ احبّ الىّ من امرتكم هذه، هذا من ناحيةٍ و من ناحيةٍ أخرى انّ الموهين بالدنيا كطلحة و زبير و معاوية و عمرو بن العاص بدّلوا الدّين بالدّنيا، و الشّرافة بالرّياسة، فخسروا خسراناً مبيناً.

فتلخّص انّ حبّ الخمول لايضادّ حبّ الجاه و المكانة، بل انّهما مخالفان و لهما ضدّ و احدٌ ألّا و هو الزّهد في الرّئاسة، فما اشتهر بين علماء علم الأخلاق من جعله ضدّ حبّ الجاه ليس بسديد.

إذا تقرر هذا فنقول: فضيلة الزهد في الرئاسة فضيلة هامة ولولا فضل اللّه ورحمته لم يصل اليها احدٌ وهي تختصّ بالانبياء والاولياء ومن يحذو حذوهم ممّن سبقت لهم الحسنى. هذا كلّه بالنسبة إلى عظم خطرها، ولكن مع ذلك كلّه رغّب الله عباده إليها حيث جعل الجنّة ثمن هذه الفضيلة مختصّةً بمن حازها،

قال سبحانه و تعالى: ﴿تلك الدّار الآخرة نجعلها للّذين لايريدون علوّاً في الارض و لا فساداً و العاقبة للمتّقين﴾ [(١)]

و المفهوم من هذه الكريمة توقّف حسن العاقبة على هذه الفضيلة الخُلقية، كما يُفهم منها أنّ الفساد في الارض و الابتعاد عن الجنّة لاينشأ إلّا عمّا يضادّها و هو حبّ الرئاسة و المكانة في الدنيا.

و من آثار هذه الفضيلة انّ صاحبها كسائر النّاس مسكناً و ملبساً و مأكلاً و مشرباً بل أدون منهم بمراتب.

الا ترى انّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لم يضع لبنة على لبنة و كان حجراته من ليف النّخل و الحصير، و كان له ملبسٌ رخيصٌ بحيث إذا اشترى له قميص بأربعة دراهم لم يقبله معلّلا بانّه غالى الّثمن، فأقال البيع و اشترى قميصاً بدرهمين و انفق الدّرهمين الآخرين، و لم يأكل و لم يشرب إلّا بقدر الحاجة من أرخص ارزاق الناس كالّتمر و الشعير.

الاترى انّ جهاز بنته الزّهراء عليها السلام كان سبع عشرة قطعة غالبها من الطّين، فبكى و قال: اللّهمّ باركها، و ترى انّ مهرها كان خمسأة دراهم.

الاترى أنّه صلى الله عليه و آله و سلم كان يأمر أصحابه بالجلوس في مجلسه على هيئة الدائرة، حذراً من التراأس في المجلس بحيث لم يكن للوارد عليه فيه أنّ يعرفه أو يميّزه عن أصحابه، فهو اقوى من الكلّ فضيلة و اضعف من الكلّ مؤنة.

الاتسمع انّ عليّاً عليه السلام لم يلبث بعد مبايعة الناس له بالخلافة أن رجع إلى حفر البئر و غرس النّخل اعانة للفقراء.

ثمّ لم يدنّسه الدنيا و الحكم عليها حتّى أنّ بعض حواريّه و هو الضمرة بكى و قال: رأيت افطاره من الخبز الشّعير اليابس و الملح.

---

١ ـ القصص / ٨٣

حتّى أنه عليه السلام لمّا بات ليلته الآخيرة في بيت بنته، فرأى المائدة مزيّنةً بالخبز و اللّبن و الملح تعجّب و قال لها: هل رأيت في اديمى غير ادامٍ واحدٍ قطّ؟! و لمّا ارادت ان تأخذ منه الملح امرها بأخذ اللّبن.

و ما احسن في هذا الباب ما كتبه إلى عثمان ابن حنيف و هو عامله على البصرة:

الا و انّ امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، و من طعمه بقرصيه، الا و أنّكم لاتقدرون على ذلك، و لكن اعينونى بورع و اجتهاد و عفّة و سداد، فو الله ما كنزت من دنياكم تبراً و لاادّخرت من غنائمها وفراً، و لا اعددت لبالى ثوبى طمراً.... و لو شئت لاهتديت الطّريق إلى مصفّى هذا العسل، و لباب هذا القمح، و نسائج هذا القزّ، و لكن هيهات ان يغلبنى هواى و يقودنى جشعى إلى تخيّر الاطعمه ـ و لعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، و لا عهد له بالشّبع ـ.. أ أقنع من نفسى بان يقال: هذا اميرالمؤمنين، و لا اشاركهم في مكاره الدّهر، أو أكون اسوة لهم في جشوبة العيش....[1]

و من جملة آثار هذه الفضيلة تواضع المتحلّى بها عند النّاس سيّما عند الفقير و الوضيع، فيجعل نفسه مثله غير مترفّع عليه.

امّا سمعتَ انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا رأى كبر رجلٍ متموّلٍ على فقير اعمى، غضب حتّى ظهرت آثار الغضب على وجهه فنزلت الآيات الأولى من سورة عبس:

﴿عبس و تولّى * ان جاءه الأعمى * و ما يدريك لعلّه يزّكّى* أو يذّكّر فتنفعه الذّكرى﴾[2]

اما سمعت انّ اميرالمؤمنين عليه السلام اعان الضّعفاء و الفقراء حتّى حمل الحطب لهم على ظهره؟!.

و من جملة آثار هذه الفضيلة انّ الزاهد في الرّئاسة لايبيع أخراه أو عرضه طلباً

---

۱ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، كتاب ۴۵

۲ ـ عبس / ۱ ـ ۴

للرّئاسة، بل يطلب الرئاسّة طلباً للعثور عليها، فلا يرضى بالخداع طلباً لها. هذا كما رُوى عن سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنّه لم يقبل ان يجعل الرئاسّة في آل شيخ طائفة بنى العامر و زعيمها حين طلب منه صلى الله عليه وآله وسلم اقراره و اقرار اهل بيته على زعامة الطائفة على ان يسلم هو و طائفته جمعاء، هذا مع كثرة عددهم و قوّتهم و ضعف الاسلام و قلّة المسلمين آنذاك، و كما روى عن سيرة اميرالمؤمنين حين اشارإليه عبدالرحمن بن عوف في الشورى بالخلافة على ان يتمسّك بالقرآن و بالسنة و بطريقة الشيخين، ولكنّه عليه السلام لم يقبل المعاهدة، فقبلها عثمان ثمّ خرج عن الشرط فكان ما كان و حدث ما حدث، و قال عليه السلام: و الله لو اعطيت الاقاليم السّبعة بما تحت افلاكها على ان اعصى الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلته.[1]

اما سمعتَ قول القوم له عليه السلام: ابق معاوية، و هو كان يقول: أ أطلب الرّياسة بالجور، و إذا عيّروه بانّه لم يكن من السّائسين قال: لولا التّقى لكنت ادهي العرب.

و قد خرجنا عمّا كان دأبنا من الاختصار في تدوين هذا الأثر.

و موجز القول انّ هذه الفضيلة تلازم فضائل كثيرة، و تترتّب عليها حسنات و بركات جمّة. فان اردت ان تعرف هل فزت بهذه المكرمة الكبرى؟ فعليك بالبحث عن آثارها و الفحص عن علائمها في نفسك.

و اعلم انّ تهذيب النّفس عن ضدها و هو حبّ الرّياسة و التّحلية بهذه الفضيلة بحاجةٍ ماسّة إلى كفاحٍ و مجاهدةٍ نفسيّة، بعد أنّ ادركته رحمة الله سبحانه و عنايته، و لا ينحج لها إلّا الأوحدى من الناس في كلّ عصرٍ. فمن تزيّن بهذه الفضيلة فلا غضب له، و لا جدال، و لا فخر، و لا عجب، ولا ما يماثل ذلك.

فبعد ذلك لا عجب ان سمعت انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: آخر ما يخرج عن قلوب الصّدّيقين حبّ الجاه.

---

١ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبة ٢٢٤

و ربّما عاينا و جرّبنا رجالاً متّقين مقيّدين بظواهر الشّرع في غاية التّقوى و التّقيّد و لكن عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان؛

نعم انّ الواصلين إلى ذرى هذه الفضيلة و هم الصّدّيقون و الاحرار ليس عليهم اصر و لاغلّ، حيث انّ الرسالة و الرسول و المرسَل ليس إلّا لوضع الغلّ عنهم.

قال الله تعالى: ﴿الّذين يتّبعون الرّسول .... و يضع عنهم اصرهم و الاغلال الّتي كانت عليهم .... اولئك هم المفلحون﴾ (١)

توضيح ذلك انّ الإنسان له ضالّ و هو الله تعالى، فيطلبه دائماً من غير فتورٍ و توانٍ ولكنّ اكثر الناس إلّا الاوحدى منهم يظنّون أنّ الدنيا هي هذه الضالّة فيطلبونها بدلاً من الله سبحانه و تعالى و لايجدونها فيموتون غمّاً لها فان كانوا من اهل الجنّة فى الدار الآخر ينزع عنهم غلّهم و يصلون على حسب مقامهم إلى مقصودهم.

قال تعالى: ﴿و نزعنا ما في صدورهم من غلّ تجرى من تحتهم الانهار و قالوا الحمد لله الّذي هدانا لهذا و ما كنّا لنهتدى لولا ان هدانا الله﴾ (٢)

و ان كانوا من اهل النّار فيوضَع غلٌّ على غلّهم من غير ان يُراحوا منه.

قال تعالى: ﴿انّا جعلنا في اعناقهم اغلالاً فهى إلى الاذقان فهم مقمحون﴾ (٣)

فكذلك يكونون مغلولين بتلك الاغلال في الآخرة كما كانوا في الأولى.

قال تعالى: ﴿إذا الاغلال في اعناقهم و السّلاسل يسحبون﴾ (٤)

و قال تعالى: ﴿و امّا من اوتى كتابه بشماله فيقول.... * ما اغنى عنّى ماليه * هلك عنّى سلطانيه * خذوه فغلّوه * ثمّ الجحيم صلّوه * ثمّ في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه﴾ (٥)

---

١ ـ الاعراف / ١٥٧ — ٢ ـ الاعراف / ٤٣ — ٣ ـ يس / ٨

٤ ـ الغافر / ٧١ — ٥ ـ الحاقّة / ٢٥ ـ ٣٢

فالواصلون إلى هذه الفضيلة هم الصديقون، السائرون بفضله و رحمته تعالى من منزل إلى آخر، و من مرتبةٍ إلى أخرى، بقلوب خاليةٍ عن كدورات الدنيا و أدناسها، منوّرةٍ بنوره تعالى. فبخلوّ القلب عن الشواغل يعبدونه عبادة الأحرار، و هم الاوحدى من الناس.

فطوبى لهم و حسن مآب، فهم الّذين في هذه الدّنيا لاتعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة اعين جزاء بما كانوا يعملون، إذ انّهم في هذه الدّنيا عندالله، و مصيرهم إلى الله، و رجوعهم إلى الله تعالى.

قال تعالى: ﴿يا ايّتها النّفس المطمئنّة * ارجعى إلى ربّك﴾ (١)

و قال تعالى: ﴿انّ المتّقين في جنّات و نهر * في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ (٢)

فهم في هذه الدّنيا احرار قلوبهم خالية من جميع التّعلّقات، فخرجت من قلوبهم التّعلّقات و الظّلمات كلّها و دخل فيها نور الله تعالى.

قال تعالى: ﴿الله وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظّلمات إلى النّور و الّذين كفروا اوليائهم الطّاغوت يخرجونهم من النّور إلى الظّلمات اولئك اصحاب النّار هم فيها خالدون﴾ (٣)

فالخلود في نور الله تعالى هيهنا هو الخلود في جوار الله تعالى هناك.

قال تعالى: ﴿ وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربّها ناظرة﴾ (٤)

و الخلود في الظّلمات و الحجب هيهنا خلود في الظّلمات و الحجب هناك.

قال تعالى: ﴿كلّا انّهم يومئذ لمحجوبون﴾ (٥)

و الاغلال هيهنا اغلال هناك و العبادات هيهنا جنّات هناك.

---

١ ـ الفجر / ٢٨ ـ ٢٧ ٢ ـ القمر / ٥٥ ـ ٥٤ ٣ ـ البقرة / ٢٥٧

٤ ـ القيامة / ٢٣ ـ ٢٢ ٥ ـ المطفّفين / ١٥

قال تعالى: ﴿ذلك بما قدّمت ايديهم﴾ (۱)

و قال تعالى: ﴿كلوا و اشربوا هنيئاً بما اسلفتم﴾ (۲)

يا رب ليلتنا هذه هي ليلة عزاء عبدك الخالص مولنا اميرالمؤمنين عليه السلام - ليلة ۲۱ رمضان المبارك لسنة ١٤١٤ -، و هي ليلة الجمعة المختصّة بمولانا ولى العصر و الدهر عجل الله تعالى فرجه، و هي ليلة القدر الاتي ّنزلت فيها كتابك دفعةً على قلب سيد الاولين و الآخرين مولى الكل رسولك و نبيك صلّى الله عليه و آله و سلّم،

و كتبت هذه الاوراق فيها لما روى من انّ احبّ الاعمال إليك في هذه الليلة مذاكرة العلم و كتابته، فاجعلها لي ذخراً و وفّقنا لأن نكون اهلاً لها، و اجعلنا بالقرآن و من نزل إليه و الذين ذكرت اسماءهم فيه و هم العترة الطّاهرة صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين وجيهاً في الدّنيا و الاخرة.

﴿ربّنا هب لنا من ازواجنا و ذرّيّاتنا قرّة اعين و اجعلنا للمتّقين اماماً﴾ (۳)

---

١ ـ آل عمران / ١٨٢ ٢ ـ الحاقّة / ٢٤ ٣ ـ الفرقان / ٧٤

الرّذيلة الخامسة و العشرون: حبّ الرّئاسة

و هي تعلّق النّفس بها، و رغبتها فيها، و تلهّيها اليها، و هي من شعب حبّ الدّنيا الّذي هو رأس كلّ خطيئة، و قد أفردناها بالذكر نظراً إلى خطرها و عظمها بين المهالك، كما أفرد القوم فصلاً للبحث عنها فلا يجوز إهمالها و غضّ البصر عنها. و قلّ من نجى منها، و كثير من النّاس هلكوا بها من حيث يشعرون، و اضلّتهم على علم، كما انّ كثيراً منهم هلكوا بها من حيث لا يشعرون، و اضلّتهم على غير علم.

و انّ كثيراً من المتّقين فازوا بالخلاص من سائر الرّذائل، و لكن لم يفوزوا بالخلاص عن هذه الرّذيلة فاذهبتهم إلى وادى الضّلالة، فهلكوا و اهلكوا.

و الاديان الباطلة و المذاهب العبثة لم تنشأ إلّا من هذه الرّذيلة، فأظلّ أصحابها جمعاً قفيراً بها.

الا ترى انّ الاسلام مانال المحن و المصائب سيّما في بدء بعث الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم الاّ بهذه الرذيلة.

و انّ جميع الانبياء و الاوصياء حتّى علماء الأمّة منذ بدء غيبة الامام عليه السلام إلى عصرنا هذا لم يسدّ طريقهم إلّا المتّصفون بهذه الرذيلة الموبقة؟.

قال الله تعالى: ﴿و ما ارسلنا في قرية من نذير إلّا قال مترفوها انّا بما ارسلتم به كافرون﴾ [۱]

و قال تعالى: ﴿قال الملأ من قومه انّا لنريك في ضلال مبين﴾ [۲]

و نظير هاتين الكريمتين كثيرٌ في الكتاب المبين، حتّى أنْ ذكر الله تعالى فيه الملأ الّذين يصدّون عن سبيله ما يقرب من ثلاثين مورداً.

و المترف و الملأ هم الّذين تمكّنت فيهم هذه الرّذيلة، لانّ الاتراف هو التّوسّع في النّعم و الملأ هم الّذين يملأون عيون الناس خداعاً كالرؤساء و العلماء و الأثرياء و لا يسدّ عن سبيله تعالى إلّا هذه الجماعة.

و من المؤسّف عليه انّ هذه الرّذيلة تمكّنت في قلوب النّاس كلّهم إلّا من ايّده الله تعالى بفضله، فاقتدر على ازالتها بالرّياضات الشرعيّة.

فهذا سرّ ما اشتهر بين ارباب القلوب من انّ نفسية الفرعون توجد في كلّ انسان، فلوأهملت من غير مباراةٍ معها، لتؤدّى إلى ادّعاء الربوبيّة، كما كان عليه الفرعون و من الواضح أنْ لاسبيل إلى ادّعا النيابة أو الامامة أو النبوّة أو الالوهيتة إلّا بعد أن تمكّنت رذيلة حب الجاه في النفس، فيتنزّل المتصّف بها عن مدارج الكمال حتّى يدّعى الحلول و الالوهيّة ـ نعوذ بالله منها ـ.

فهذه النفسيّة لها مراتب شدة وضعفاً، فالمرتبة الشّديدة منها هي الرّعونة الفرعونيّة الّتي لم تزل و لاتزال في كلّ عصر و زمن، و المرتبة الضّعيفة منها هي حبّ رئاسة الأسرة و التحكّم عليها، زوجاً كان أو زوجةً.

بل المتراءى من بعض الناس في قيامهم و قعودهم، بل في ما يجب عليهم من العبادات أو في المندوب منها كاتيان المشاهد المشرفة و اقامة مأتم الحسين عليه السلام و ما يشبهها ليس إلّا

---

۱ ـ سباء / ۳۴ ۲ ـ الاعراف / ۶۰

حصيلة هذه الرذيلة؛ فيأتى بذلك كلّه طلباً للجاه و الصيت بين الناس.

ثمّ انّ حبّ الجاه و هو حبّ تسخير قلوب النّاس، و حبّ الرّئاسة و هو حبّ تسخير أنفسهم، و حبّ السمعة و هو حبّ كونه مشيراً بالبنان و الألسن، أمر لا ينفكّ عن الإنسان بمعنى انّه لامنشأ له غير ذاته، فهو كحبّ المأكول و المشروب و النّساء و امثال ذلك، إلّا انّ ذلك الحبّ امثاله قد يلازم حبّاً آخر أو يترتّب عليه حبّ آخر.

مثلاً حبّ الرّئاسة يلازم الكبر و العجب و الغرور و الرّئاء و نحو ذلك، كما انّه يترتّب عليه الفساد و الظّلم، بل كثيراً ما يكون بعض ذلك داعياً لطغيان الآخر، كحب الدنيا الّذي يوجب محبّة المكانة و الرتبة.

و لكن كلّ ذلك يعدّ من الذّاتيات و مقتضيات النّفس الامّارة، لا أن ينشأ بعضه عن الآخر. فما اشتهر بين القوم من نشأ بعضه عن الآخر غير سديدٍ، و في هذا البحث وقعت لهم اشتباهات بيّنة فراجع و تأمّل فيها.

منها تصريحهم بأنّ حب الرئاسّة ممّا لابدّ منه في تنظيم أمر المعاش، فليس من الرذائل بالاطلاق، بل الزائد على المحتاج إليه الّذي فيه رعونةٌ و نفسيةٌ فرعونية، هو القبيح فحسب؛

و ليس الأمر كذلك، إذ الحبّ ليس إلّا تعلّق القلب بالمحبوب، و تعلّق القلب بغير المحبوب الأوّل الحقيق جلّ و علا قبيحٌ قليلاً كان أو كثيراً، و لا حرية إلّا بتحرير القلب عن جميع الشواغل و المشاغل غيره تعالى. هذا كلّه بالنسبة إلى حبّ الجاه و الرئاسّة امّا نفس الرئاسة و المرتبة، فلبست بمذمومةٍ بل الظاهر عن عدّة من آي القرآن الكريم كونها حسنةً مطلوبة.

قال الله تعالى: ﴿و لقد كتبنا في الزّبور من بعد الذّكر انّ الارض يرثها عبادى الصّالحون﴾[1]

---

١ ـ الانبياء / ١٠٥

و قال تعالى: ﴿وعدالله الّذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الارض﴾[١]

و قال تعالى: ﴿و الّذين يقولون ربّنا هب لنا من ازواجنا و ذرّيّاتنا قرّة أعين و اجعلنا للمتّقين إماماً﴾[٢]

و قال تعالى: ﴿اذ قالت الملائكة يا مريم انّ الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدّنيا و الآخرة و من المقرّبين﴾[٣]

و قال تعالى: ﴿ربّنا انّي اسكنت من ذرّيّتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرّم ربّنا ليقيموا الصّلوة فاجعل افئدة من النّاس تهوى إليهم و ارزقهم من الثمرات لعلّهم يشكرون﴾[٤]

و قال تعالى: ﴿قال ربّ اغفر لي و هب لي ملكاً لاينبغي لأحد من بعدى انّك انت الوهّاب﴾[٥]

و قال تعالى: ﴿قال اجعلنى على خزائن الأرض انّى حفيظ عليم﴾[٦]

و قال تعالى: ﴿في بيوت اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ و الآصال * رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله﴾[٧]

و قال تعالى: ﴿ الم نشرح لك صدرك * و وضعنا عنك وزرك * الاذي نقض ظهرك * و رفعنا لك ذكرك﴾[٨]

يظهر من الآيات بجلاءٍ و وضوح انّ الرّئاسة و الشهرة من خير النّعم الالهيّة فكان الانبياء عليهم السلام يطلبونها و كان الله سبحانه و تعالى يجازيهم بها.

---

١ ـ النّور / ٥٥ ٢ ـ الفرقان / ٧٤ ٣ ـ آل عمران / ٤٥

٤ ـ ابراهيم / ٣٧ ٥ ـ ص / ٣٥ ٦ ـ يوسف / ٥٥

٧ ـ النّور / ٣٦ ـ ٣٧ ٨ ـ الإنشراح / ١ ـ ٤

بل يظهر من بعض الآيات انّه تعالى أراد ان يسخّر الإنسان ما في السّموات و ما في الأرض.

قال تعالى: ﴿الم تروا انّ الله سخّر لكم ما في السّموات و ما في الارض و اسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة ....﴾ (١)

فتسخير القلوب و تسخير النّفوس، و كون الإنسان مشيراً بالبنان مذكوراً في الألسن و الكتب، من الطاف الله تعالى، حيث لا طريق إلى احقاق الحق و ازهاق الباطل إلّا بالرئاسة و المكانة فلا تعدّان مذمومتين غير مطلوبتين. امّا تعلق النّفس بها و تلهّيها و اشتغالها بحيازتها، فهو مذموم من غير ترديد كان في قليلها كتسخير قلب امراءة أو كثيرها كالحكم على النّاس طرّاً.

فتلخّص ممّا ذكرنا انّ الجاه و المقام و الرّياسة و الشّهرة ذاتها من حيث هي هي لا مطلوبة و لا مبغوضة، و المبغوض هو حبّ هذه الأشياء و المحبوب هو حبّها طلباً لاثبات الحقّ و ابطال الباطل بها.

فلوحازها من لا تعلّق لقلبه بها، فقد وقع الحق في محلّه كالانبياء و الاوصياء و من يحذو حذوهم.

و بهذا صرّح اميرالمؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة حيث قال لابن عبّاس: والله لهى ـ أي: نعله عليه السلام ـ احبّ الىّ من امرتكم، إلّا ان اقيم حقّاً أو ادفع باطلاً.(٢)

و هذا هو الّذي جعله تعالى جزاءً للمتّقين، و عطيّةً للأنبياء و الكمّلين، و هم بهذا يقيمون الحقّ و يحفظونه، و يبطلون الباطل، و لولا ذلك لاندرس الحقّ بيد الجبابرة.

قال تعالى: ﴿ و لولا دفع الله النّاس بعضهم ببعض لفسدت الارض و لكنّ الله ذو

---

١ ـ لقمان / ٢٠
٢ ـ نهج البلاغة، الخطبة ٣٣

فضل على العالمين﴾[١]

و قال تعالى: ﴿و لو لا دفع الله النّاس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع و بيع و صلوات و مساجد .... * الّذين ان مكّنّاهم في الارض اقاموا الصّلوة و آتوا الزّكوة و امروا بالمعروف و نهوا عن المنكر﴾[٢]

و امّا ان حازها المكبّ على الدّنيا، و المحبّ لها المتعلّق قلبه بها، فويل له و لذلك المجتمع الّذي أمره بيده، حيث لا سبيل له إلّا إلى الفساد و هلاك الحرث و النّسل، و بذلك اشار الله تعالى في آيات:

قال : ﴿انّ الملوك إذا دخلوا قرية افسدوها و جعلوا اعزّة اهلها اذلّة﴾[٣]

و قال الله تعالى: ﴿و لو اتّبع الحقّ اهوائهم لفسدت السّموات و الارض و من فيهنّ﴾[٤]

و قال تعالى: ﴿و إذا تولّى سعى في الارض ليفسد فيها و يهلك الحرث و النّسل﴾[٥]

و قال تعالى: ﴿انّ فرعون علا في الارض و جعل اهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبّح ابنائهم و يستحيي نسائهم انّه كان من المفسدين﴾[٦]

و قال تعالى: ﴿اتّخذوا احبارهم و رهبانهم ارباباً من دون الله﴾[٧]

و قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا انّ كثيراً من الاحبار و الرّهبان ليأكلون اموال النّاس بالباطل و يصدّون عن سبيل الله﴾[٨]

و قد أشرنا إلى أنّ القرآن الكريم يشير إلى الملأ الذين كانوا يصدّون عن سبيل الله في ما

---

١ ـ البقرة / ٢٥١ ٢ ـ الحجّ / ٤٠ ـ ٤١ ٣ ـ النّمل / ٣٤
٤ ـ المؤمنون / ٧١ ٥ ـ البقرة / ٢٠٥ ٦ ـ القصص / ٤
٧ ـ التوبة / ٣١ ٨ ـ التوبة / ٣٤

يقرب من ثلاثين آية. و لا علّة لصدّهم عن الحقّ إلّا أنّ حب الرئاسة تمكّن في قلوبهم، و لا سيما في قلوب علمائهم و أوليائهم السوء، هذا بالنسبة إلى اصل هذه الرذيلة. امّا بالنسبة إلى ما يلازمها، فكفاها قبحاً عدم فكّها عن النفاق و الرئاء، حيث إنّ التلازم بين الثلاثة أمر قهريٌ قلّما يمكن انفكاك بعضها عن بعضٍ.

توضيح ذلك: انّ المحبّ للجاه لا همّ له إلّا استجلاب انظار النّاس إلى نفسه و بسط الحكم على قلوبهم، و هذا يلازم التظاهر بمحاسن الاخلاق، و بالمحسّنات الشّرعيّة و العرفية، بل هو لايبالى ان يكذب مرة و يتفاخر أخرى و يغتب ثالثاً بل لا يتمالك نفسه عن أن يباهت ليستجلب الناس، فلا شعار له الا المكر و لا دثار له إلّا الخديعة ثمّ إذا تمالك قلوبهم و سلّط عليهم، يحتاج إلى خديعة أخرى محافظةً على سلطته و ابقاءً لها.

قال تعالى: ﴿انّ الملوك إذا دخلوا قرية افسدوها و جعلوا اعزّة اهلها اذلّة﴾[1]

و ممّا يجب ان نعلم، انّ هذه الرّذيلة عند المتّصف بها تعدّ اعلى قدراً و شأناً على سائر الرّذائل، فهو يغضّ البصر عن غيرها طلباً لها، فيكفّ عن أمواله و مَلَذّاته استجلاباً للمكانة في قلوب الناس فضلاً عن رفعه اليد عن زوجته و عرضه ليصل إليها.

و كلّ ذلك دليل على انّ الرّئاسة احبّ إلى الإنسان غير المهذّب من كلّ المشتهيات، و ليس هذا من طلبة الدنيا الدنيّة بعجب.

حكى أنّ حميد بن قحطبة و كان من رؤساء عسكر الرشيد، استفطر في شهر رمضان، فلمّا سئل عن ذلك؟ قال: إياساً من رحمة الله و غفرانه، حيث قتلتُ من ذريّة الزهراء سلام الله عليها ستّين ذكراً بين غلام و رجلٍ. و ذلك انّ الرشيد هارون سألنى ليلة عن مدى محافظتى على عهده فأجبته افديك بمالى فلم يرض ففديته بنفسى فلم يرض ففديته بعرضى فلم يرض فقلت له افديك بدينى فطاب وقته و أعطانى سيفاً و قال افعل كلّما أمرك به هذا

---

١ ـ النمل / ٣٤

الغلام فأذهب بى الغلام إلى سجن فيه ستّون ذكراً من بنى الزهراء و أمرنى بقتلهم، فقتلهم ذبحاً! فلا أطمع في رحمته و غفرانه تعالى. هذ تلخيص الحكاية بتحريرٍ منا.

و كم لهذه الحكاية من نظيرٍ، و لو كانت هذه اكذوبة ولكن ما نشاهد اليوم ليس ممّا لاواقع له، فعلى سبيل المثال المحافظة الّتي تُدعى جمعيّة حقوق الإنسان، مع كونها متشكّلة عن أعلام علم الحقوق، فهل ترى فيما تقوم به شيئاً غير ازهاق الحق تقريباً بالشياطين و الظلمة؟

ا و لانرى انّ القرآن الكريم يقصّ علينا قصص نوح و ابراهيم و موسى و عيسى و خاتم الأنبياء ـ عليهم افضل صلوات الله تعالى ـ و معجزاتهم، و لكنّ الملأ مع العلم بحقّانيّتهم انكروهم، بل اضلّوا النّاس بخدعهم و مكرهم بل أراقوا دماء الأنبياء الطاهرة المقدّسة علماً منهم بأنّه لاذنب لهم غير ايمانهم بالله العظيم.

قال تعالى: ﴿و ما نقموا منهم إلّا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ [١]

و في الختام نتذكّر امراً هامّاً رفعاً لاشتباه وقع للقوم في المقام، و هو انّ المشتهيات و الملذّات و كذلك الآلام و الأسقام تنقسم إلى أقسام ثلاثة:

١ ـ ما يكون مرتبطاً بالجسم، كالأكل و الشّرب و الاراحة و اطفاء الشّهوة الجنسيّة و نحو ذلك، و كالجوع و الظّمأ و التّوانى و نحوها، و هذا القسم من اللّذّات و الآلام مشترك بين الانسان و سائر الحيوانات، بل الحيوان أقوى من الإنسان في ساحة المشتهيات و اصبر منه في ساحة الآلام.

٢ ـ اللّذّات الوهميّة و الخيالة، كالرّياسة و الجاه و جمع المال و نحو ذلك، و كالخمول و الانعزال و الفقر ممّا ليس بازائه شيء في الخارج فهو لاينشأ إلّا من الوهم و الخيال.

ولله درّ الحكيم السّبزوارى قدّس سرّه حيث أنشد في منظومته:

---

١ ـ البروج / ٨

كلّ مـا في الكـون وهـمٌ أو خـيال   أو عكـوس في المـرايـا أو ظـلال

لانّ الوقاع و الاكل و الشّرب، و كذلك الجوع و الظّمأ، لها ما يقابلها في العالم العينى المادى، و امّا الرّئاسة و نحوها فليست إلّا وهماً أو خيالاً.

و لكن أسفاً على ابناء الدّنيا حيث يقدّ مونها على كلّ من الاكل و الشّرب و الوقاع و نحوها، و لعلّ السّرّ في ذلك قوّة عالَمى الوهم و الخيال بالنسبة إلى عالم الجسم و المادّة، فلا مردّ من كون آثار ذاك العالَم أقوى من آثار هذا العالم.

و هذه اللّذّات و الآلام أيضاً مشتركة بين الإنسان و الحيوان.

الا ترى انّ النمر و الأسد كيف تحبّ التّقدّم، و انّ النّمل و الذّئب كيف يحرص على جمع المال و نهبه؟.

۳ـ اللّذّات و الآلام الرّوحية كالعلم و الاعانة، و الغلبة على الظّلم، و العدالة، و ابطال الباطل و اثبات الحقّ، و الاتصاف بالفضائل، و التهذيب عن الرّذائل و نحو ذلك.

فهذه اللّذّات و الآلام تختصّ بالانسان و لا نصيب للحيوان فيها و حقيقة الإنسان ليست إلّا من هذه اللذات أو الآلام. و قد أشرنا إلى ما جرى بين اميرالمؤمنين عليه السلام و بين ابن عباس لمّا رآه يختصف النعل بيده، فاعترض عليه، فأجابه عليه السلام: و الله لهى احبّ الىّ من امرتكم إلّا ان اقيم حقّاً أو ادفع باطلاً.[۱]

فأراد عليه السلام اعلام الناس أن لا عناية له بالدنيا و ما يرجع إليها من المكانة و الرئاسة إلّا ما يؤدّى إلى اثبات حق أو ازهاق باطل. و هذه هي سيرة الالهيّين حيث لا يشتغل قلبهم بخسائس الدنيا الدنيّة كالأكل و الشرب و الوقاع اِلّا بما لابدّ منه.

النّفس المتألّهة تحبّ الله تعالى، و تحبّ ما يحبّه الله تعالى، و تحبّ الفضائل كلّها، و ليس شيء يصرفها عنها، و هي متوغّلة في ذلك الحبّ، و هو غالب على قلبها.

۱ـ نهج البلاغة، الخطبة ۳۳

قال الله تعالى: ﴿ في بيوت اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ و الآصال * رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله و اقام الصّلوة و ايتاء الزّكوة يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب و الابصار﴾ (۱)

بل انّها خلقت لذلك، قال تعالى: ﴿و اصطنعتك لنفسى﴾ (۲)

و وقع للغزالي في هذا البحث اشتباهات، و من المؤسّف عليه أنّ الفيض المقدّس و النراقيّين تبعوه في ذلك الخطا و لكن لمّا لم يكن في كتابنا هذا مجالاً للمقاولة و الرّدّ و القبول، فلانخرج عمّا كنّا فيه من الاختصار، فراجع "إحياء العلوم" و "المحجّة البيضاء" و "جامع السّعادات" و "معراج السّعادة" و تأمّل فيها، تقف على خطأهم و زلّتهم في هذا الباب.

اللّهمّ احفظنا عن الزّلل و الخطأ بحقّ سيّدنا محمّد و آله الطّاهرين المعصومين من الزّلل و الخطأ صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين.

و نختم الكلام بذكر طائفةٍ من كلمات اهل البيت استنارةً منها.

---

۱ ـ النّور / ۳۶ ـ ۳۷   ۲ ـ طه / ۴۱

رواياتٌ في طلب الرّياسة

* عن معمّر بن خلاّد، عن أبي الحسن عليه السلام انّه ذكر رجلاً فقال: انّه يحبّ الرياسة، فقال: ما ذئبان ضاريان في غنم قد تفرّق رعاؤها باضرّ في دين المسلم من الرّياسة.(١)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من طلب الرّياسة هلك.(٢)

* عن عبدالله بن مسكان قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: ايّاكم و هؤلاء الرؤساء الّذين يترأّسون، فوالله ماخفقت النعال خلف رجل إلّا هلك و اهلك.(٣)

* قال أبو عبدالله عليه السلام: ملعون من ترأّس، ملعون من همّ بها ملعون من حدّث بها نفسه.(٤)

* عن أبي حمزة الثمالى قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: ايّاك و الرّياسة و ايّاك ان تطأ اعقاب الرجال، قال: قلت: جعلت فداك امّا الرّياسة فقد عرفتها و امّا ان اطأ اعقاب الرّجال فما ثلثا ما في يدى إلّا ممّا وطئت اعقاب الرجال، فقال لى: ليس حيث تذهب، اياك ان تنصب رجلاً دون الحجّة، فتصدّقه في كلّ ما قال.(٥)

* عن أبي الربيع الشامى، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لى: ويحك يا ابا الرّبيع لاتطلبنّ

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ٢٩٧، باب طلب الرّياسة، ح ١

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ٢٩٧، باب طلب الرّياسة، ح ٢

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ٢٩٧، باب طلب الرّياسة، ح ٣

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ٢٩٨، باب طلب الرّياسة ح ٤

٥ ـ الكافى، ج ٢، ص ٢٩٨، باب طلب الرّياسة، ح ٥

الرّياسة و لاتكن ذنبا و لاتأكل بنا النّاس فيفقرك الله و لاتقل فينا ما لانقول في انفسنا فانّك موقوف و مسؤول لا محالة فان كنت صادقاً صدّقناك و ان كنت كاذباً كذّبناك.[۱]

* عن محمّد بن مسلم قال: سمعتت ابا عبدالله عليه السلام يقول: اترى لا اعرف خيارکم من شرارکم؟ بلى و الله و انّ شرارکم من احبّ ان يوطّأ عقبه، انّه لابدّ من کذّاب أو عاجز الرّأى.[۲]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: اول ما عصى الله تبارك و تعالى بستّ خصال: حبّ الدّنيا و حبّ الرّياسة و حبّ الطعام و حبّ النساء و حبّ النوم و حبّ الرّاحة.[۳]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: ايّاك و الرّياسة، فما طلبها احد إلّا هلك، فقلت له: جعلت فداك قد هلكنا اذاً ليس احد منّا إلّا و هو يحبّ ان يذكر و يقصد و يؤخذ عنه، فقال: ليس حيث تذهب إليه أنّما ذلك ان تنصب رجلاً دون الحجّة فتصدّقه في کلّ ما قال و تدعوا النّاس إلى قوله.[٤]

* قال أبو الحسن عليه السلام: ما ذئبان ضاريان في غنم قد غاب عنها رعاؤها باضرّ في دين المسلم من حبّ الرّياسة، ثمّ قال: لكن صفوان لا يحبّ الرّئاسة.[٥]

---

١ ـ الكافي، ج ٢، ص ٢٩٨، باب طلب الرّياسة، ح ٦

٢ ـ الكافي، ج ٢، ص ٢٩٩، باب طلب الرّياسة، ح ٨

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٥٣، باب ١٢٤، ح ٩

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٥٣، باب ١٢٤، ح ١١

٥ ـ بحار الانوار، ج ٧٠، ص ١٥٤، باب ١٢٤، ح ١٣

الفصل الثالث و العشرون

الفضيلة الرابعة والعشرون: الشعور بالمسئولية

الرّذيلة السادسة و العشرون: التقصير قبال المسئولية

الفضيلة الرّابعة و العشرون: الشعور بالمسؤولية

و هي ملكة فاضلة توجب خير الدّنيا و الآخرة و هي ملكة ترغّب صاحبها إلى العمل و الوفاء بما في عهدته من الملزوميّة شرعاً أو عقلاً أو عرفاً فالمتصّف بهذه الخصلة كانّه يقوم بانجاح ما عليه من غير أن يشعر به، فلا يحتاج إلى أمر آمرٍ أو تهديد منذرٍ.

أمَا سمعت انّ اميرالمؤمنين عليه السلام لمّا أُخبر بما فعله عسكر معاوية حين أن هجمت بانبار من نهب حُلي امرأةٍ يهوديّة غضب و قال: و لقد بلغنى ان الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة و الاخرىٰ المعاهدة فينتزع حجلها و قلبها و قلائدها و رعثها، ما تمتنع منه إلّا بالاسترجاع و الاسترحام ثم انصرفوا وافرين، ما نال رجل منهم كلم و لا اريق لهم دم فلو ان امرأً مسلماً مات من بعد هذا اسفاً ما كان به ملوما بل كان به عندى جديرا.[1]

و لو لم يرد في الحثّ و التّرغيب إلى هذه الفضيلة إلّا قوله تعالى: ﴿ يا ايّها الّذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبّهم و يحبّونه اذلّة على المؤمنين اعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله و لايخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله واسع عليم﴾[2] لكان وافياً لها.

---

١ ـ نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.

٢ ـ المائدة / ٥٤

و الظّاهر انّ المراد من الارتداد في الآية الشّريفة هو الرّجوع إلى الكفر العملي و بعبارةٍ أخرى عدم اتّصاف النّفس بالشعور بالمسؤولية و التّلبّس بضدّه و هو الارتداد العملي الّذي يقال له بالفارسية ـ بى تفاوتى ـ

فوعدالله تعالى في القرآن الكريم ان يأتى بقومٍ لهم هذا الشعور بعد أن ارتدّ المسلمون فهم المجاهدون في سبيل الله من غير ان يمنعهم مانع، حتّى لومة اللائم ثمّ أشار إلى أنّ ايمانهم راسخٌ في أنفسهم، فلهم المراتب العليا منه، فالله تعالى يعشقهم كما أنّهم يعشقون الله سبحانه و تعالى.

و قد استفاضت الرّوايات بين العامّة و الخاصّة في فضل الجماعة هذه و فضيلتهم.

و هذه الفضيلة مع كونها مقولة بالتشكيك، تنقسم باعتبار المتعلّق باقسام:

١ ـ المسؤولية قبال الشريعة و هذا القسم اهمّ الاقسام و ليس في الاسلام شيء اهمّ من الدّين، و الانبياء كلّهم تهيئوا لأن يفدوا أنفسهم المقدّسة احياءً للشريعة كما قال الحسين عليه السلام: اما ترون إلى الحقّ لايعمل به و إلى الباطل لايتناهي عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربّه حقّاً حقّاً.[1]

من كان فينا باذلاً مهجته موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فانّى راحل مصبحاً، انشاءالله.[2]

و هذه المسئوليّة هي حفظ الدّين و للحفظ بعدان: بعد الايمان و العمل به، و بعد المشارفة العامّة، و بهذين البعدين اشار الله تعالى في سورة العصر:

قال الله تعالى: ﴿و العصر * انّ الإنسان لفى خسر الاّ الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات و تواصوا بالحقّ و تواصوا بالصّبر﴾[3]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٤٤، ص ٣٨١، باب ٣٧، ح ٢

٢ ـ بحار الانوار، ج ٤٤، ص ٣٦٧، باب ٣٧، ح ٢

٣ ـ والعصر / ٣ ـ ١

و امّا بعد الايمان و العمل الصّالح من الاتيان بالواجبات و المستحبّات و الاجتناب عن المحرّمات فهو الاذي ّهتمّ به رسول الله و الائمّة عليهم السلام و كثرة عبادات اهل العصمة عليهم صلوات الله و كونها من مشاقّها، يكفيك من ان يذكر شيء منها.

و للاشارة إلى هذا الاهتمام، نكتفي بحديثين شريفين مرويّين عن امير البيان عليه صلوات الله المنّان: قال: و الله لئن ابيت على حك السّعدان مسهّداً أو اجر في الاغلال مصفّداً، احبّ اليّ من ان الق الله و رسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد و غاصباً لشيء من الحطام.[1]

و قال: و الله لواعطيت الاقاليم السّبعه بما تحت افلاكها على ان اعصى الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلت.[2]

و امّا بُعد المشارفة العامّة فيكفيه الآيات و الرّوايات الكثيرة الواردة في تلك الفريضة.

و القرآن اوّلاً اوجب قيام قسطٍ من الناس بتشكيل الحوزات العلميّة حفظاً لبيضة الإسلام.

قال تعالى: ﴿فلو لا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدّين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون﴾[3]

و ثانياً: أوجب قيام قسطٍ آخر منهم بتشكيل منظّمة لتولّى شؤون الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.

قال تعالى: ﴿و لتكن منكم امّة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر﴾[4]

و ثالثاً: اوجب قيام الناس فرادىً بهذه الفريضة، حتّى علّق كون الأمّة الاسلاميّة خير

---

١ ـ نهج البلاغة، خطبة ٢٢٤
٢ ـ نهج البلاغة، خطبة ٢٢٤
٣ ـ التوبة / ١٢٢
٤ ـ آل عمران / ١٠٤

الامم على أدائهم هذا الأمر.

قال تعالى: ﴿كنتم خير امّة اخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر﴾[۱]

و رابعاً: اوجب على كلّ فردٍ فردٍ من أعضاء المجتمع النقد اللاذع دفعاً للعيوب عن المجتمع و طلباً للفضائل و عبّر عن هذا الأمر بالتواصى بالحقّ و الصبر و له فيه تأكيدٌ بليغ.

قال تعالى: ﴿و العصر * انّ الإنسان لفى خسر * إلّا الّذين آمنوا و عملوا الصّالحات * و تواصوا بالحقّ و تواصوا بالصّبر﴾[۲]

و ليس هذا النقد من باب الهَمز أو اللمز، أى ذكر عيوب الرجل ظهر غيبه أو بحضرته، بل هو ذكر العيوب طلباً لازالتها، كما في المرآة و قد روى عنهم: انّ المؤمن مرآت المؤمن.[۳] امّا الهمز و اللمز، فلا كلام في حرمتهما.

قال تعالى : ﴿ويل لكلّ همزة لمزة.... كلّا لينبذنّ في الحطمة * و ما ادراك ما الحطمة * نارالله الموقدة * الّتي تطّلع على الافئدة﴾[٤]

و قال تعالى: ﴿و تواصوا بالحقّ و تواصوا بالصّبر﴾[٥]

و خامساً: اوجب على المؤمنين أن ينقادوا قبال النقد، ثم رتّب عليه ثواباً عظيماً.

قال تعالى: ﴿فبشّر عباد * الّذين يستمعون القول فيتّبعون احسنه اولئك الّذين هداهم الله و اولئك هم اولوا الالباب﴾[٦]

هذا خلاصة القول في هذا الباب و تفصيله يحتاج إلى افراد كتابٍ به، و المرجوّ من فضله تعالى أن يوفّقنا لبسط الكلام فيه في الابواب الراجعة إلى الأخلاقيات.

---

١ ـ آل عمران / ١١٠ ٢ ـ و العصر / ١ ـ ٣

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٢٦٨، باب ١١، ح ١. ٤ ـ الهمزة / ١ ـ ٧

٥ ـ والعصر / ٣ ٦ ـ الزّمر / ١٧ ـ ١٨

۲ ـ شعور الإنسان بمسؤوليّته قبال نفسه و روحه، و هي أيضاً مسؤوليّة عظيمة، لانّ الإنسان الّذي لا روح له أو أسدل الحجب وراء روحه أو يكون مريضاً، ليس في قاموس القرآن إلّا حيواناً.

قال تعالى: ﴿يأكلون كما تأكل الأنعام﴾ [١]

بل هو اضلّ منه.

قال تعالى: ﴿اولئك كالأنعام بل هم اضلّ﴾ [٢]

بل هو شرّ من كلّ دابّة.

قال تعالى: ﴿انّ شرّ الدّوابّ عندالله الصمّ البكم الّذين لايعقلون﴾ [٣]

فرفع الحجب بالتّوبة و اليقظة الدّائمة، و بالتّخلية بالرّياضات الدّينيّة، و بالدّعاء و التّوسّل، و بعد ذلك يمكن له التحلّي بالفضائل بربطٍ وثيقٍ بينه و بين المبدأ تعالى، حتّى يصل إلى مقام التّجلية و حينئذٍ لا مناص له من هيوب ريح الرحمة و جذبها النّفس إلى مقام القدس.

قال تعالى: ﴿قد جائكم من الله نور و كتاب مبين * يهدى به الله من اتّبع رضوانه سبل السّلام﴾ [٤]

و لو لا هذا السير من هذا الدار الفانى إلى ذلك الجناب المقدّس ليتوغّل الإنسان في المادّيات و يصوّر بصورها، فهو يصير حيواناً بل اضلّ منها.

و يختلج في النّفس انّ قوله تعالى: **﴿اولئك كالأنعام بل هم اضلّ﴾** و قوله تعالى: **﴿انّ شرّ الدّوابّ عندالله الصمّ البكم الّذين لايعقلون﴾** لا يكون تعييراً و شتماً، بل هو اخبار عن نفس الامر حيث إنّ الرؤية القرانيّة تحكم بأنّ المتوغّل في المادّة و المادّيات لا يشبه الإنسان

---

١ ـ محمّد / ١٢　　　٢ ـ الاعراف / ١٧٩　　　٣ ـ الانفال / ٢٢

٤ ـ المائدة / ١٦ ـ ١٥

إلّا من جهة مادّته، و امّا من حيث الصورة فليس إلّا حيواناً، فمادّة الإنسان تزيّنت بالصورة الحيوانيّة الحمارية، أو الكلبيّة و ما إليها من الحيوانات الخسيسة.

قال تعالى: ﴿مثل الّذين حمّلوا التّوراة ثمّ لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً﴾ (۱)

و قال تعالى: ﴿مثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ (۲)

۳ ـ شعور الإنسان بمسؤليّته قبال جسمه، و لا يخفى اهميّة تلك المسؤليّة، لانّ الجسم للانسان كالبراق للعروج، و لولا الجسم لما يمكن لأحدٍ أن يترقّى إلى ذرى الكمال. فالمحافظة على الجسم مرغوبٌ فيه في الكتاب و السنّة.

قال تعالى: ﴿و ابتغ فيما اتاك الله الدّار الآخرة و لا تنس نصيبك من الدّنيا﴾ (۳)

و قال تعالى: ﴿قل من حرّم زينة الله الاتي ّخرج لعباده و الطّيّبات من الرّزق﴾ (٤)

و قال تعالى: ﴿يا ايّها الرّسل كلوا من الطّيّبات و اعملوا صالحاً﴾ (٥)

و قال تعالى: ﴿يا ايّها النّاس كلوا ممّا في الارض حلالاً طيّباً﴾ (٦)

و قال تعالى: ﴿و لقد كرّمنا بنى آدم و حملناهم في البرّ و البحر و رزقناهم من الطّيّبات﴾ (۷)

و نظيرها في القرآن كثير، و قد استفاضت من اهل البيت عليهم السلام :

من رغب عن سنّتى فليس منّى يعنى من رغب عن تنحية ميوله.

و ليس منّا من ترك دنياه لآخرته و لا آخرته لدنياه. (۸)

فلا كلام في مسؤولية الرجل قبل جسمه، انّما الكلام في اسرافه أو تبذيره قباله، و هذا

---

۱ ـ الجمعة / ٥ ـــ ۲ ـ الاعراف / ۱۷٦ ـــ ۳ ـ القصص / ۷۷

٤ ـ الاعراف / ۳۲ ـــ ٥ ـ المؤمنون / ٥۱. ـــ ٦ ـ البقرة / ۱٦۸

۷ ـ الاسراء / ۷۰ ـــ ۸ ـ الفقيه، ج ۳، ص ٩٤، باب ٥۸، ح ۳

أيضاً حرام، حيث يؤدّى إلى ضعف الجسم أو سقمه، فالمرغوب فيه عقلاً و شرعاً هو حدّ التّوسّط.

قال تعالى: ﴿و الّذين إذا انفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا و كان بين ذلك قواماً﴾[۱]

فلذا كما نُهِي عن اهمال التّمايلات، نهى عن التّوغّل في المشتهيات.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: ابغض النّاس عندالله الاكول.

ابغض النّاس عندالله النّوّام.

ابغض النّاس عندالله البطّال.

و أوجز الكلام في هذا الباب و أخصره لفظة الاسراف، حيث اشار القرآن الكريم إليه و حذّر عنه مبيّناً ما يترتّب عليه من المفاسد العظيمة المؤدّية إلى قهره و عذابه!

قال تعالى: ﴿و اصحاب الشمال ما اصحاب الشمال * في سموم و حميم* و ظلّ من يحموم * لا بارد و لا كريم * انّهم كانوا قبل ذلك مترفين * و كانوا يصرّون على الحنث العظيم﴾[۲]

و قال تعالى: ﴿و إذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميراً﴾[۳]

تتمّة: انّ من أعظم البلايا لجسم الإنسان و روحه، الحزن و الهمّ و الغمّ و الاضطراب و الخوف بل ليس لها بلاء اشدّ من ذلك البلاء، بل مضرّة الحزن و الخوف للروح أشدّ من مضرّة الرذائل له.

و بالجملة: انّ هذا البلاء يؤدّى إلى إماتة الروح، و لا يبقى من الجسم إلا ظاهره، لو لم يؤدّه إلى قتله.

و قد أقرّ عليه السيكولوجيون، حيث ذهبوا إلى أنّ جميع الامراض الا ما شذّ منها

---

١ ـ الفرقان / ٦٧   ٢ ـ الواقعة / ٤١ ـ ٤٦   ٣ ـ الاسراء / ١٦

ناشيءٌ عن الهمّ و الحزن، فعبّروا عنه بداءٍ لا دواء له!.

امّا الاسلام فيشير أوّلاً إلى أنّ من دخل في حصن الله الحصين، فلا خوف عليه، قال تعالى: ﴿الا انّ اولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾ [۱]

و ثانياً ينبّه الإنسان على ان لا فائدة في الحزن و الخوف بعد العلم بتقدير الأمور تقديراً ناشئاً عن المصلحة التّامّة اللازمة للنظام الأحسن،

قال تعالى: ﴿ما اصاب من مصيبة في الارض و لا في انفسكم إلّا في كتاب من قبل ان نبرأها انّ ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم﴾ [۲]

ولله درّ القائل:

رضا به داده بده و ز جبين گره بگشا   زبهر من و تو در اختيار نگشودند

و ثالثاً: بعد اليقين بأنّ صفات الله تعالى عين ذاته، و منها الكرم و الرحمة و العلم و القدرة و الحكمة و العدل، نستيقن لِمّاً انّ ما يقع في الوجود ليس إلّا مطابقاً للنّظام الاتمّ و فيه مصلحة تامّة، بحيث انّه لو يمكن أن يبدّل شيءٌ منه و لو كان مثقال حبّةٍ، لكان ذلك مخالفاً لحكمته، إذ الحكمة جعل الشّيء في موضعه، و الحكمة من صفاته و الحكيم من اسمائه، فالعالم بشراشره و أجزائه تامٌ ليس فيه ما يضادّ الرحمة و العدل و العلم.

و بعبارةٍ اخرى: لو لم يكن مطابقاً للمصلحة و الحكمة، فذلك امّا لعدم كرمه أو لعدم رحمته أو لجهله بالواقع أو لعجزه عن ايجاده أو لعدم كونه حكيماً عادلاً، و قد أشرنا إلى أنّ ذلك كلّه منتفٍ عنه، فالشكل الأوّل من الأقيسة الاقترانيه بطريق اللمّ يدلّ على المطلوب ولله درّ الحكيم السبزوارى حيث قال في البحث عن الغاية:

ما ليس موزوناً لبعضٍ من نغم   ففي نظام الكون كلٌّ منتظم

و رابعاً: انّ المناجى ربّه الذاكر له ذكراً كثيراً القارىء لكتابه حق الكتاب و داعيه حقّ

---

۱ ـ يونس / ٦٢   ۲ ـ الحديد / ۲۲ ـ ۲۳

الدعاء يصل إلى مقامَى التبتل و الانقطاع، فحينئذٍ لا خوف و لا حزن عليه، اذ لا موضوع للخوف و الحزن حتّى يبتلى به،

قال الله تعالى: ﴿انّ الإنسان خلق هلوعاً * إذا مسّه الشرّ جزوعاً * و إذا مسّه الخير منوعاً * إلّا المصلّين * الّذين هم على صلوتهم دائمون﴾ (۱)

و قال تعالى: ﴿في بيوت اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه يسبّح له فيها بالغدوّ و الآصال * رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله﴾ (۲)

و قال تعالى: ﴿قد جائتكم موعظة من ربّكم و شفاء لما في الصّدور﴾ (۳)

و قال تعالى: ﴿الا انّ اولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون﴾ (٤)

و قال تعالى: ﴿الا بذكر الله تطمئنّ القلوب﴾ (٥)

و هذه الآية بالاتيان بصيغة النداء اللافتة للنظر و تقدّم الجارّ و المجرور تدلّ على ان لا دواء لهذا الداع إلّا الصّلوة و الدّعاء و الذّكر و لا سبيل للأولياء إلّا ايّاه والاتي ّوردناها قبل هذه الآية تدلّ على انّهم لا خوف عليهم و لا هم يحزنون.

قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام في دعاء الخضر المشتهر باسم صحابيه الجليل كميل بن زياد:

يا من اسمه دواء و ذكره شفاء و طاعته غنى، ارحم من رأس ما له الرّجاء و سلاحه البكاء. (٦)

٤ ـ الشعور بالمسؤولية قبال العمر:

و العمر من اعزّ الاشياء و لايمكن تقويمه بما في ايدى النّاس فلهذا ترى نفسك لا ترضى بشرائه و لو كان ثمنه الدنيا بما فيها، هذا ولكن مع الأسف أن غفلة الإنسان عن معاشه و معاده، يعدم العمر و يهلكه و القرآن الكريم تنبيهاً لنا على هذه الدقيقة يحكى ندامة الإنسان

---

١ ـ المعارج / ١٩ ـ ٢٣ ٢ ـ النّور / ٣٦ ـ ٣٧ ٣ ـ يونس / ٥٧

٤ ـ يونس / ٦٢ ٥ ـ الرّعد / ٢٨ ٦ ـ مفاتيح الجنان ـ دعاء كميل

على تضييع العمر في مواقف الموت و القيامة و عند الدخول في الجحيم ـ أعاذنا الله منها ـ.

قال الله تعالى: ﴿ ربّ ارجعون لعلّي اعمل صالحاً فيما تركت كلّا ﴾ [۱]

و قال الله تعالى: ﴿ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرّطت في جنب الله ﴾ [۲]

و قال تعالى: ﴿و هم يصطرخون فيها ربّنا اخرجنا نعمل صالحاً غير الّذي كنّا نعمل اولم نعمّركم ما يتذكّر فيه من تذكّر و جائكم النّذير فذوقوا فما للظّالمين من نصير ﴾ [۳]

و الرّوايات في ذلك كثيرة منها قول الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم:

إذا كان يوم القيامة لم تزل قدما عبد حتّى يسئل عن اربع: عن عمره فيما افناه، و عن شبابه فيما ابلاه، و عمّا اكتسبه من اين اكتسبه و فيما انفقه، و عن حبّنا اهل البيت. [٤]

و اغتنام العمر و رعاية النّظم فيه، توجب ان يستفاد منه و لو كان قصيراً.

كما أنّ إضاعته و عدم النّظم فيه يوجب فواته من غير ان يستفاد منه و لو تجاوز المأة، هذا كما يشاهد من سيرة اعلام المخترعين و المؤلّفين و غيرهم، حيث وفّقوا بما يبهر منه العقول في أعمارٍ غير طويلة فكم منهم ألّف ما يربوا على مأة كتاب و رسالة و لم يكن له من العمر حظّاً وافراً، و كم منهم من لم يكن له عيش هنيءٌ و لكنّه بلغ ما أراد و رام، منهم شيخ الطائفة الطوسى حيث ألّف كثيراً من آثاره حين هجوم الأعداء على الشيعة و نهبهم دورات كتبهم و مساجدهم و حتّى بيوتهم، و كالشيخ الرئيس حيث الّف بعض آثاره في السجن، و كالشهيدين حيث ألّفا اللمعة و شرحه في السجن أو تحت رقابة العدو، و كالطباطبائى حيث الف الرياض حين هجوم العدوّ إلى النجف الأشرف و اباحتم دماء الشيعة فيها. و كالشيخ النجفى حيث ما وقف عن تأليف موسوعته الفقهيّة القيّمة و التحقيق فيها حتّى الليلة الّتي أصاب فيها بموت ولده، و كصدرالمتاهين و الخواجه نصيرالملّة و الدين و استاذنا السيد

---

١ ـ المؤمنون / ٩٩ ـ ١٠٠ ٢ ـ الزّمر / ٥٦ ٣ ـ فاطر / ٣٧

٤ ـ تحف العقول، ص ٤٥

مؤسّس الدولة الاسلاميّة في ايران حيث كتبوا قسطاً من آثارهم في السجن أو المنفى، و قيل ان العلّامة الحلي صنّف كتابه قواعد الاحكام في مسيره إلى الكربلاء المقدّسة و انّ المحقّق النراقي انشد منظومته الكبرى المسمّاة بالتاقديس في دقائق كان يتوظّأ فيها و كم لهم من الامثال!.

فهؤلاء الكبراء الذين جاؤا بهذه المكتبة الضخمة الثرية للشيعة الاماميّة ما دوّنوا آثارهم و ألّفوها إلّا تحت الضغط و كبس الاعداء و المحن الدائمة لكنّهم باغتنام الفرص نالوا بما نالوا فشكر الله سعيهم حيث كانوا عاملين بما روى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: انّ لربّكم في ايّام دهركم نفحات، الا فتعرّضوا لها.[1]

٥ ـ الشعور بالمسؤولية قبال الأسرة و الاقربين: و هي تنقسم إلى أقسامٍ:

منها الشعور بالمسؤولية قبال الأبوين و هي من وجهة نظر القرآن من أعظم وظائف الإنسان.

قال الله تعالى: **﴿و قضى ربّك إلّا تعبدوا إلّا ايّاه و بالوالدين احسانا امّا يبلغنّ عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلاتقل لهما افّ و لاتنهرهما و قل لهما قولاً كريماً* و اخفض لهما جناح الذّلّ من الرّحمة و قل ربّ ارحمهما كما ربّياني صغيراً﴾**[2]

و قال تعالى: **﴿و ان جاهداك على ان تشرك في ما ليس لك به علم فلاتطعهما و صاحبهما في الدّنيا معروفاً﴾**[3]

و في الآيتين من التأكيد البليغ ما يندر وجوده في غيرهما من المواضع.

و قد ثبت بالرّوايات و السير و التّجربة انّ خير الدّنيا و الآخرة مرهون بالاحسان بالوالدين كما ثبت انّ العاقّ لا خير له في الدّارين و من آثار العقوق الوضعيّة الضّنك في

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٢٢١، باب ٦٦، ح ٣٠.
٢ ـ الاسراء / ٢٣ ـ ٢٤
٣ ـ لقمان / ١٥

المعيشة.

و منها: الشعور بالمسؤولية قبال الأولاد لانّه كما للابوين حقّ على الاولاد، كذلك للاولاد حقّ على الابوين و من تلك الحقوق: تربيتهم و تعليمهم العلوم سيّما علوم الدّين من آية محكمة و سنّة قائمة و فريضة عادلة، أي: علم اصول الدّين و فروعه و الأخلاق و تزويجهم حين بلغوا مبلغ الزواج، و العفو بل الصّفح عن زلّاتهم. فلو طردا اولادهما بالعقوق فليعلما انّ الله تعالى لايعفو عنهما و لايغفر لهما.

قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا انّ من ازواجكم و اولادكم عدوّاً لكم فاحذروهم و ان تعفوا و تصفحوا و تغفروا فانّ الله غفور رحيم﴾ (١)

و منها: شعور الزوجة بمسؤوليتها قبال زوجها و شعور الزوج بمسؤوليته قبال زوجته كلّ في تدبير أمر بيتهما. و تفصيل الكلام في هذا يحتاج إلى مجلّداتٍ عديدة، و نحن نكتفي هنا ببعض الكلام و لا نفصّله فيه، حيث صدر منا ـ والحمدلله ـ كتبٌ في هذا الموضوع بألسنةٍ مختلفة.

و ممّا يناسب المقام على سبيل الاختصار: انّ الربع المسكون تشكلّ من ممالك و كلّ مملكة من بلاد، و كل بلدٍ من بيوت، فكلّ بيت كأنّها مملكة صغيرة و لابدّ لها من رئيس و من المعلوم انّ الرّئاسة فُوّضت على عاتق المرء لقوّة التعقّل فيه، و بوجوب النفقة عليه.

قال الله تعالى: ﴿الرّجال قوّامون على النّساء بما فضّل الله بعضهم على بعض و بما انفقوا من اموالهم﴾ (٢)

ثمّ فُوّضت معاونة المرء على عاتق المرءة لقوّة العطف و الحنوّ فيها، فلها ترتيب أمور البيت و تربية الاولاد.

و على حدّ قول الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم حين قسّم امور البيت لاميرالمؤمنين و الزّهراء عليها السلام،

---

١ ـ التغابن / ١٤ ٢ ـ النساء / ٣٤

فقضى على فاطمة بخدمة ما دون الباب و قضى على عليّ بما خلفه فقالت فاطمة: فلايعلم ما داخلني من السّرور إلّا الله.[١]

و لايخفى أنّ نجاح الزوجين في سياسة البيت يحتاج إلى امورٍ: و هي اولاً: توافقهما من حيث الرأى و النظر و هذا محال، بل لا يمكن أزيد من خمسين بالمأة بحسب العرف، فالاسرة و البيت بحاجةٍ ماسّةٍ إلى التواضع من جانب المرئة.

قال تعالى: ﴿فالصّالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾[٢]

و بالمروءة و العفو و الصّفح و المغفرة من جانب المرء.

قال تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا انّ من ازواجكم و اولادكم عدوّاً لكم فاحذروهم و ان تعفوا و تصفحوا و تغفروا فانّ الله غفور رحيم﴾[٣]

و ثانياً: إلى مراقبة الزوجين على البيت حتّى يكون مستراحاً لهما و مزالاً لهمومهما و توانيهما.

و تلك المراقبة تحتاج اوّلاً إلى كون كلّ منهما مسكناً للآخر ـ أي: محلاً لسكون نفسه ـ و مأمناً لقلبه.

قال الله تعالى: ﴿و من آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها و جعل بينكم موّدة و رحمة﴾[٤]

و ثانياً: إلى سياسة شؤون البيت المختلفة و قد قلنا انّ سياسة امور البيت الداخلية على المرءة و سياستها الخارجية على المرء.

و بعد ذلك كلّه، انّ البيت يُعدّ مكتب و معلّم ذلك المكتب هو الزوجين و التّقصير في تعليم كلّ الآخر و تعليمهما أولادهما ذنب عظيم.

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٤٣، ص ٨١، باب ٤، ح ١.
٢ ـ النّساء / ٣٤
٣ ـ التّغابن / ١٤
٤ ـ الرّوم / ٢١

قال الله تعالى: ﴿يا ايّها الّذين آمنوا قوا انفسكم و اهليكم ناراً﴾ [١]

و قال تعالى: ﴿انّ الخاسرين الّذين خسروا انفسهم و اهليهم يوم القيامة الا ذلك هو الخسران المبين﴾ [٢]

هذا موجز فرضهما، فلو قاما به فلهما مثلما للشهداء من الأجر الجزيل.

قال أبو عبدالله عليه السلام: الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله. [٣]

و قال أبو ابراهيم عليه السلام: جهاد المرئة حسن التبعّل » [٤]

امّا لو قصرا فيه، فلهما الخسران و العذاب في الدارين، امّا في الدنيا فليس الدار لهما إلّا كجحيمٍ عاجلة فلهما حياةٌ مُرّةٌ و لأولادهما عيش غير هنيءٍ، فيموت قلوبهم فيصيرون كأمواتٍ بين الأحياء، و لايتصوّر للأسرة عذابٌ فوق هذا العذاب.

و امّا في الاخرة، فنكتفي هنا برواية، رواها الشيخ الحرّ في الوسائل عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

من كان له امرئة تؤذيه لم يقبل الله صلوتها و لا حسنة من عملها حتّى تعينه و ترضيه ... و كانت اوّل من ترد النّار و على الرّجل مثل ذلك الوزر و العذاب إذا كان لها موذياً ظالماً ... [٥]

و منها الشعور بالمسؤولية قبال الجار:

و هذه مسؤولية هامّة أيضاً، و أسفاً لنا حيث أهملناها كأنّها لما وجبت علينا!.

و في الكتاب و السّنة قبال هذا الفرض ما تقشعرّ منه الجلود،

---

١ ـ التحريم / ٦ ٢ ـ الزّمر / ١٥

٣ ـ الكافي، ج ٥، ص ٨٨، باب من كدّ على عياله، ح ١

٤ ـ الكافي، ج ٥، ص ٥٠٧، باب حق الزوج على المراة، ح ٤

٥ ـ وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ١١٦، باب ٨٢، ح ١

قال الله تعالى: ﴿و اعبدوا الله و لا تشركوا به شيئاً و بالوالدين احساناً و بذى القربى و اليتامى و المساكين و الجار ذى القربى و الجار الجنب و الصّاحب بالجنب و ابن السّبيل و ما ملكت ايمانكم انّ الله لا يحبّ من كان مختالاً فخوراً﴾.[1]

و قال تعالى: ﴿فويل للمصلّين الّذينهم عن صلوتهم ساهون الّذين هم يرائون و يمنعون الماعون﴾[2]

ثمّ في رواية فُسّر الماعون بما يحتاج الجار إليه من اساس البيت، و من الواضح انّ ذلك التعيين من باب الجرى و تعيين المصداق الكامل.

امّا الرّوايات فهى كثيرة، منها:

ما روى عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: ما آمن بى من بات شبعاناً و جاره جائع.[3]

و ما روى عنه ايضاً صلّى الله عليه و آله و سلّم: حرمة الجار على الجار كحرمة امّه.[4]

و منها قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: من كان جاره مريضاً فترك عيادته استخفافاً بحقّه فقد تعلّق بغصن منه ـ بشجرة الزّقّوم ـ و من مات جاره فترك تشييع جنازته تهاوناً به فقد تعلّق بغصن منه.[5]

و ما روي عن الكاظم عليه السّلام: ليس حسن الجوار كفّ الاذى و لكن حسن الجوار صبرك على الاذى.[6]

و ما روي عن أبي عبدالله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: كلّ اربعين داراً جيران،

---

١ ـ النساء / ٣٦   ٢ ـ الماعون / ٤ ـ ٦

٣ ـ وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٤٩٠، باب ٨٨، ح ١

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ٦٦٦، باب حق الجوار، ذيل ح ٢

٥ ـ بحار الانوار، ج ٨، ص ١٦٨، باب ٢٣، ح ١١

٦ ـ الكافى، ج ٢، ص ٦٦٧، باب حق الجوار، ح ٩

من بين يديه، و من خلفه و عن يمينه و عن شماله.[١]

٧ ـ الشعور بالمسؤولية قبال المجتمع:

انّ الإنسان خُلِق مدنياً بحسب طبعه محتاجاً إلى آخرين و ليس له أن يعيش فـريداً منسلخاً عن الآخرين.

قال الله تعالى: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدّنيا و رفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً و رحمة ربّك خير ممّا يجمعون﴾[٢]

فمن رحمة الله تعالى على الناس كما اشارت إليه هذه الآية الشّريفة انّ كلّا خلقوا بحسب الاستعداد لرفع حوائج الآخرين، فعلى كلّ طائفة منهم أن يقوم بقسطٍ من أمور المجتمع فمنهم مَن خُلق لحفظ الناموس، و منهم من خُلق لحفظ النظام، أو المعاش و ما إليها.

هذا بحسب التكوين، ثم شرع الله عليهم ـ رحمةً منه ـ أيضاً أن يهتمّ كلٌّ بـالآخرين ليصلح أمر المجتمع، فيصلح معيشه الناس و حياتهم فيه ثمّ اكّد على ذلك حذراً من ضياع المجتمع و أمره.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من اصبح لا يهتمّ بامور المسلمين فليس بمسلم.[٣]

و قال صلى الله عليه وآله وسلم: انّ الله يحبّ عبداً إذا عمل عملاً احكمه.[٤]

و بعبارةٍ اجود، قد استفاضت عن اهل البيت عليهم السّلام انّ المؤمن من يحبّ لغيره ما يحبّ لنفسه و يكره لغيره ما يكره لنفسه.[٥]

و نسمّي هذا الاذي ّستظهرناه من الكتاب و السنة بقانون المواسات و معلوم أنّه ان

---

١ ـ الكافي، ج ٢، ص ٦٦٩، باب حد الجوار، ح ١

٢ ـ الزّخرف / ٣٢

٣ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٦٣، باب الاهتمام بامور المسلمين، ح ١

٤ ـ وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٨٨٣، باب ٦٠، ح ٢

٥ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٦٩، باب حق المؤمن على اخيه و اداء حقه، ح ٢ و ٣ و ٥ و ١٤

اجرى هذا القانون و عُمِل به تصير كلّ مدينةٍ مدينةً فاضلة، فلارفث و لا فسوق و لا جدال و لا خدعة و لا كذب و لا سرقة و لا نحو ذلك فيها. فلا فقر و لا فاقة و لا عـزوبة و لا احتياج فيها.

فالمتراءى في عصرنا من الاختلافات العنصرية و الطبقيّة ثم كون بعض الناس من فئة الدخل الضعيف و بعضهم من الطبقة المالكة و العُدم بحسب الفرد و المجتمع و مشكلة الخوف و الحزن فليس إلّا لعدم اجراء ذلك القانون.

و من المؤسّف عليه جدّاً في هذا العصر عدم اهتمام اصحاب المهن و الحِـرَف بأمـور متجانسيهم و لو بلغت أجورهم على حِرَفهم أضعاف ما يستحقّونه.

و هكذا الأسف على ضعفهم في صنائعهم و ما أنتجت أيديهم مع حضورهم في المجامع و المجالس الدينيّة و سماعهم توصية رجال الدين باستحكام العمل و اتقانه.

فهم منتحلون اسم المسلم و ليس لهم في الاسلام من خلاق.

قال الله تعالى: ﴿ارايت الّذي يكذّب بالدّين ... فويل للـمصلّين الّـذين هـم عـن صلاتهم ساهون الّذينهم يرائون و يمنعون الماعون﴾[1]

و في الختام نذكر روايات تمسّكاً بأذيال كلام اهل البيت عليهم السلام و نرجوا منهم النّجاة من هذه العويصة و التنبّه بالقيام بهذا القانون و العمل به بما يتيسّر انشاءالله تعالى.

---

۱ ـ الماعون / ۱ ـ ۷

رواياتٌ في المسئوليّة

* عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: يا معاشر قرّاء القرآن اتّـقوا الله عزّوجلّ فيما حملكم من كتابه فانّى مسؤول و انّكم مسؤولون، انّى مسؤول عن تبليغ الرسالة و امّا انتم فتسالون عما حملتم من كتاب الله و سنّتى.[1]

* عن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: ... انّى مسئول و انّكم مسئولون.[2]

* عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: كلّكم راع و كلكم مسئول عن رعيّته.[3]

* عن اميرالمؤمنين على بن ابيطالب عليه‌السلام ... اتّـقوا الله في عـباده و بـلاده فـانّكم مسؤولون حتّى عن البقاع و البهائم ...[4]

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام في قوله تعالى ﴿انّ السّمع و البصر و الفؤاد كلّ اولئك كان عنه مسؤلاً﴾ قال: يسال السّمع عمّا سمع و البصر عمّا نظر إليه و الفؤاد عمّا عقد عليه.[5]

* عن اميرالمؤمنين عليه‌السلام في غرر الحكم: كلّ امرئ مسؤل عمّا ملكت يمينه و عياله.[6]

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ٦٠٦، باب فضل حامل القرآن، ح ٩

٢ ـ بحار الانوار، ج ٢٣، ص ١٤١، باب ٧، ح ٩٢

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧٢، ص ٣٨، باب ٣٥، ذيل ح ٣٦

٤ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبة ١٦٧

٥ ـ الكافى، ج ٢، ص ٣٧، باب في ان الايمان مبثوث لجوارح البدن كلّها، ح ٢

٦ ـ ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٣٢٧، ح ٨٠٣٦

روايات في الدّين و العمل به

* قال على بن الحسين عليه السلام: من عمل بما افترض الله عليه فهو من خير النّاس.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ ﴿اصبروا و صابروا و رابطوا﴾ قال: اصبروا على الفرائض و صابروا على المصائب و رابطوا على الائمّة عليهم السلام.[2]

و في رواية زاد: واتّقوا الله ربّكم فيما افترض عليكم.

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: اعمل بفرائض الله تكن اتقى النّاس.[3]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال الله تبارك و تعالى: ما تحبّب الىّ عبدى با حبّ ممّا افترضت عليه.[4]

* عن أبي جعفر عليه السلام: كلّ عين باكية يوم القيامة غير ثلاث، عين سهرت في سبيل الله و عين فاضت من خشية الله و عين غضّت عن محارم الله.[5]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: فيما ناجى الله عزّوجلّ به موسى عليه السلام يا موسى: ما تقرّب الىّ المتقرّبون بمثل الورع عن محارمى فانّى ابيحهم جنّات عدن لا اشرك معهم احداً.[6]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: من ترك معصية لله مخافة الله تبارك و تعالى ارضاه الله يوم القيامة.[7]

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ٨١، باب اداء الفرائض، ح ١

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ٨١، باب اداء الفرائض، ح ٣

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ٨٢، باب اداء الفرائض، ح ٤

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ٨٢، باب اداء الفرائض، ح ٥

٥ ـ الكافى، ج ٢، ص ٨٠، باب اجتناب المحارم، ح ٢

٦ ـ الكافى، ج ٢، ص ٨٠، باب اجتناب المحارم، ح ٣

٧ ـ الكافى، ج ٢، ص ٨١، باب اجتناب المحارم، ح ٦

روايات في الامر بالمعروف و النهى عن المنكر

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: يكون في آخر الزمان قوم يتبع فيهم قوم مراؤون يتقرّؤون و يتنسّكون حدثاء سفهاء لا يوجبون امراً بمعروف و لا نهياً عن منكر إلّا إذا امنوا الضرر يطلبون لا نفسهم الرّخص و المعاذير يتبعون زلاة العلماء و فساد عملهم، يقبلون على الصلوة و الصيام و مالا يكلمهم في نفس و لا مال و لو اضرّت الصلوة بسائرما يعملون باموالهم و ابدانهم لرفضوها كما رفضوا اسمى الفرائض و اشرفها، انّ الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، هنالك يتمّ غضب الله عزّوجلّ عليهم فيعمّهم بعقابه فيهلك الابرار في دار الفجّار و الصغار في دار الكبار، انّ الامر بالمعروف و النهى عن المنكر سبيل الانبياء و منهاج الصلحاء، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض و تأمن المذاهب و تحلّ المكاسب و تردّ المظالم و تغمر الارض و ينتصف من الاعداء و يستقيم الامر فأنكروا بقلوبكم و الفظوا بالسنتكم و صكّوا بها جباههم و لا تخافوا في الله لومة لائم، فان اتّعظوا و إلى الحقّ رجعوا فلا سبيل عليهم ﴿انما السبيل على الذين يظلمون الناس و يبغون في الأرض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم﴾[1] هنالك فجاهدوهم بابدانكم و ابغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطاناً و لا باغين مالاً و لا مريدين بظلم ظفراً حتّى يفيئوا إلى امرالله و يمضوا على طاعته قال: و اوحى الله عزّوجلّ إلى شعيب النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم، انّي معذّب من قومك مائة الف اربعين الفاً من شرارهم و ستّين الفاً من خيارهم، فقال عليه السلام يا ربّ هؤلاء الأشرار فما بال الاخيار ؟ فأوحى الله عزّوجلّ اليه: داهنوا اهل المعاصى و لم يغضبوا لغضبى.[2]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما قدست امّة لم يؤخذ لضعيفها من قويّها بحقّه غير

---

١ ـ شورى / ٤٢

٢ ـ الكافى، ج ٥، ص ٥٥، باب الامر بالمعروف، ح ١

متعتع.[١]

* عن محمّد بن عمر بن عرفة قال: سمعت ابا الحسن عليه السلام يقول: لتامرنّ بالمعروف و لتنهنّ عن المنكر أو ليستعملنّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم.[٢]

* عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليه السلام قال: ويل لقوم لا يدينون الله بالامر بالمعروف و النّهى عن المنكر.[٣]

خطب اميرالمؤمنين عليه السلام فحمدالله و اثنى عليه و قال: امّا بعد فانّه انّما هلك من كان قبلكم حيث ما عملوا من المعاصى و لم ينههم الربانيّون و الاحبار عن ذلك و انهم امّا تمادوا في المعاصى و لم ينههم الربانيون و الاحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات فامروا بالمعروف و انهوا عن المنكر ...[٤]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ الله عزّوجلّ بعث ملكين إلى اهل مدينة ليقلباها على اهلها فلمّا انتهيا إلى المدينة وجدا رجلاً يدعوالله و يتضرّع فقال: احد الملكين لصاحبه: اما ترى هذا الداعى ؟ فقال: قد رايته و لكن امضى لما أمر به ربّى، فقال: و لكن لا احدث شيئاً حتّى اراجع ربّى فعاد إلى الله تبارك و تعالى فقال: يا ربّ انّى انتهيت إلى المدينة فوجدت عبدك فلاناً يدعوك و يتضرّع اليك، فقال: امض لما امرتك به فانّ ذارجل لم يتعمر وجهه غيظاً لي قط.[٥]

* عن أبي عبدالله عليه السلام انّ رجلاً من خثعم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال: يا رسول

---

١ ـ الكافى، ج ٥، ص ٥٦، باب الامر بالمعروف، ح ٢

٢ ـ الكافى، ج ٥، ص ٥٦، باب الامر بالمعروف، ح ٣

٣ ـ الكافى، ج ٥، ص ٥٦، باب الامر بالمعروف، ح ٤

٤ ـ الكافى، ج ٥، ص ٥٧، باب الامر بالمعروف، ح ٦

٥ ـ الكافى، ج ٥، ص ٥٨، باب الامر بالمعروف، ح ٨

الله اخبرنی ما افضل الاسلام، قال: الامر بالمعروف و النّهی عن المنکر، قال: فقال الرّجل: فایّ الاعمال ابغض إلی الله ؟ قال: الشرك بالله، قال: ثمّ ماذا ؟ قال قطیعة الرحم، قال: ثمّ ماذا ؟ قال: الامر بالمنکر و النهی عن المعروف.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال اميرالمؤمنين عليه السلام امرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان نلقی اهل المعاصی بوجوه مکفهرة.[2]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: الامر بالمعروف و النّهی عن المنکر خلقان من خلق الله فمن نصرهما اعزّه الله و من خذلهما خذله الله.[3]

* عن محمّد بن عرفة قال: سمعت ابا الحسن الرّضا عليه السلام یقول: کان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم یقول: إذا امّتی تواکلت الامر بالمعروف و النهی عن المنکر فلیأذنوا بوقاع من الله تعالی.[4]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال النبیّ صلى الله عليه وآله وسلم: کیف بکم إذا فسدت نساءکم و فسق شبابکم و لم تامروا بالمعروف و لم تنهوا عن المنکر، فقیل له: و یکون ذلك یا رسول الله ؟ فقال نعم و شرّ من ذلك کیف بکم إذا امرتم بالمنکر و نهیتم عن المعروف، فقیل له: یا رسول الله و یکون ذلك ؟ قال: نعم و شرّ من ذلك کیف بکم إذا رأیتم المعروف منکراً و المنکر معروفا.[5]

قال النبیّ صلى الله عليه وآله وسلم: ان الله عزّوجلّ لیبغض المؤمن الضعیف الّذي لا دین له فقیل له: و ما المؤمن الّذي لا دین له ؟ قال: الّذي لا ینهی عن المنکر.[6]

---

١ ـ الکافی، ج ٥، ص ٥٨، باب الامر بالمعروف، ح ٩

٢ ـ الکافی، ج ٥، ص ٥٨، باب الامر بالمعروف، ح ١٠

٣ ـ الکافی، ج ٥، ص ٥٩، باب الامر بالمعروف، ح ١١

٤ ـ الکافی، ج ٥، ص ٥٩، باب الامر بالمعروف، ح ١٣

٥ ـ الکافی، ج ٥، ص ٥٩، باب الامر بالمعروف، ح ١٤

٦ ـ الکافی، ج ٥، ص ٥٩، باب الامر بالمعروف، ح ١٥

روايات في الروح

※ عدة من اصحابنا عن احمد بن محمّد بن خالد عن ابيه رفعه عن محـمّد بـن داود الغنوى عن الاصبغ بن نباته قال: جاء رجل إلى اميرالمؤمنين عليه‌السلام فقال يا اميرالمؤمنين ان ناسا زعموا ان العبد لا يزنى و هو مؤمن و لا يسرق و هو مؤمن و لا يشرب الخمر و هو مؤمن و لا يأكل الربا و هو مؤمن و لايسفك الدم الحرام و هو مؤمن فقد ثقل على هذا و حرج منه صدرى حين ازعم ان هذا العبد يصلى صلاتى و يدعو دعائى و يناكحنى و اناكحه و يوارثنى و اوارثه و قد خرج من الايمان من اجل ذنب يسير اصابه فقال اميرالمـؤمنين صلوات الله عليه صدقت سمعت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقول و الدليل عليه كتاب الله، خلق الله عزّوجلّ النّاس على ثلاث طبقات و انزلهم ثلاث منازل و ذلك قول الله عزّوجلّ في الكتاب اصحاب الميمنة و اصحاب المشأمة و السابقون فاما ما ذكر من أمر السابقين فانهم انبياء مرسلون و غير مرسلين جعل الله فيهم خمسة ارواح روح القدس و روح الايمان و روح القوة و روح الشهوة و روح البدن فبروح القدس بعثوا انبياء مرسلين و غير مرسلين و بها علموا الاشياء و بروح الايمان عبدوا الله و لم يشركوا به شيئا و بروح القوّه جاهدوا عدوهم و عالجوا معاشهم و بروح الشهوة اصابوا لذيذ الطعام و نكحوا الحلال من شباب النساء و بروح البدن دبوا و درجوا فهؤلاء مغفور لهم مصفوح عن ذنوبهم ثم قال: قال الله عزّوجلّ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله و رفع بعضهم درجات و آتينا عيسى بن مريم البينات و ايدناه بروح القدس ثم قال في جماعتهم و ايدهم بروح منه يقول اكرمهم بها ففضلهم على من سواهم فهؤلاء مغفور لهم مصفوح عن ذنوبهم ثم ذكر اصحاب الميمنة و هم المؤمنون حقا باعيانهم جعل الله فيهم اربعة ارواح روح الايمان و روح القـوة و روح الشهوة و روح البدن فلا يزال العبد يستكمل هذه الارواح الاربعة حتّى تاتى عليه حالات فقال الرجل يا اميرالمؤمنين ما هذه الحالات فقال اما اولاهن فهو كما قال الله عـزّوجلّ و

منكم من يرد إلى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا فهذا ينتقص منه جميع الارواح و ليس بالذى يخرج من دين الله لان الفاعل به رده إلى ارذل عمره فهو لا يعرف للصلاة وقتا و لا يستطيع التهجّد بالليل و لا بالنهار و لا القيام في الصف مع الناس فهذا نقصان من روح الايمان و ليس يضره شيئا و منهم من ينتقص منه روح القوة فلا يستطيع جهاد عدوه و لا يستطيع طلب المعيشة و منهم من ينتقص منه روح الشهوة فلو مرت به اصبح بنات آدم لم يحن اليها و لم يقم و تبق روح البدن فيه فهو يدب و يدرج ياتيه ملك الموت فهذا الحال خير لان الله عزّوجلّ هو الفاعل به و قد تاتى عليه حالات في قوته و شبابه فيهم بالخطيئة فيشجعه روح القوة و يزين له روح الشهوة و يقوده روح البدن حتّى توقعه في الخطيئة فاذا لامسها نقص من الايمان و تفصى منه فليس يعود فيه حتّى يتوب فاذا تاب تاب الله عليه و ان عاد ادخله الله نار جهنم فاما اصحاب المشأمة فهم اليهود و النصارى يقول الله عزّوجلّ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم يعرفون محمّدا و الولاية في التوراة و الانجيل كما يعرفون ابناءهم في منازلهم و ان فريقا منهم ليكتمون الحق و هم يعلمون الحق من ربك انك الرسول إليهم فلا تكونن من الممترين فلما جحدوا ما عرفوا ابتلاهم الله بذلك فسلبهم روح الايمان و اسكن ابدانهم ثلاثة ارواح روح القوة و روح الشهوة و روح البدن ثم اضافهم إلى الانعام فقال ان هم الا كالانعام لان الدابة انما تحمل بروح القوة و تعتلف بروح الشهوة و تسير بروح البدن فقال له السائل احييت فلبى باذن الله يا اميرالمؤمنين.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ للقلب أُذنين فاذاهمّ العبد بذنب قال له روح الايمان لا تفعل و قال له الشيطان: افعل، و إذا كان على بطنها نزع منه روح الايمان.[2]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما من مؤمن الا و لقلبه أُذنان في جوفه، أُذن ينفث فيها

---

١ ـ الكافيى، ج ٢، ص ٢٨١، باب الكبائر، ح ١٦

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ٢٦٧، باب ان للقلب اذنين.....، ح ٢

الوسواس الخنّاس، و أُذن ينفث فيها الملك، فيؤيد الله المومن بالملك، فذلك قوله ﴿و ايّدهم بروح منه﴾[١]

* عن أبي خديجة قال: دخلت على أبي الحسن عليه‌السلام فقال لى: انّ الله تبارك و تعالى ايّد المؤمن بروح منه تحضره في كلّ وقت يحسن فيه و يتّق و تغيب عنه في كلّ وقت يذنب فيه و يعتدى، فهى معه تهتزّ سروراً عند احسانه و تسيخ في الثرى عند اساءته، فتعاهدوا عبادالله نعمه باصلاحكم انفسكم تزدادوا يقيناً و تربحوا نفيسا ثميناً، رحم الله امرءأهمّ بخير فعمله أو همّ بشرّ فارتدع عنه، ثمّ قال: نحن نؤيد الروح بالطاعة لله و العمل له.[٢]

روايات في الجسم

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: أنّمابنى الجسد على الخبز.[٣]

* قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: اللّهم بارك لنا في الخبز و لا تفرّق بيننا و بينه، فلو لا الخبز ما صمنا و لا صلينا و لا ادّينا فرائض ربّنا عزّوجلّ.[٤]

* عن ابن اخى شهاب بن عيدربّه قال: شكوت إلى أبي عبدالله عليه‌السلام ما القى من الاوجاع و التخم فقال لي تغدّ و تعش و لا تاكل بينهما شيئاً فانّ فيه فساد البدن، اما سمعت الله عزّوجلّ يقول: ﴿لهم رزقهم فيها بكرة و عشيّاً﴾[٥]

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: اصل خراب البدن ترك العشاء.[٦]

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: ترك العشاء مهرمة و ينبغى للرّجل إذا اسنّ إلّا يبيت إلّا

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ٢٦٧، باب ان للقلب اذنين....، ح ٣

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ٢٦٨، باب الروح الاذي يّد به المؤمن، ح ١

٣ ـ الكافى، ج ٦، ص ٢٨٦، باب ان ابن آدم اجوف....، ح ٣ و ٧

٤ ـ الكافى، ج ٦، ص ٢٨٧، باب ان ابن آدم اجوف....، ح ٦

٥ ـ الكافى، ج ٦، ص ٢٨٨، باب الغداء و العشاء، ح ٢

٦ ـ الكافى، ج ٦، ص ٢٨٨، باب فضل العشاء و كراهية تركه، ح ٢

وجوفه ممتلئ من الطعام.[١]

* عن سليمان بن جعفر الجعفرى قال: كان أبوالحسن عليه السلام لا يدع العشاء و لو بكعكة و كان يقول عليه السلام انّه قوة للجسم ـ و قال: و لا اعلمه الا قال: و صالح للجماع.[٢]

* عن جميل بن درّاج قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: من ترك العشاء ليلة السبت و ليلة الاحد متواليتين ذهبت عنه قوّته فلم ترجع إليه اربعين يوماً.[٣]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال اميرالمؤمنين عليه السلام عليكم بالهريسة فانّها تنشط للعبادة اربعين يوماً و هي من المائدة الاتي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.[٤]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أكل الحيتان يذيب الجسم[٥]

* عن يوسف ابن ابراهيم قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام و عليّ جبّة خز و طيلسان خز، فنظر اليّ فقلت: جعلت فداك عليّ جبّة خز و طيلسان خزّ فما تقول فيه ؟ فقال: و ما بأس بالخز ؟ قلت: و سداه ابر يسم، قال: و ما بأس با بريسم، فقد اصيب الحسين عليه السلام و عليه جبّة خزّ، ثمّ قال: انّ عبدالله بن عباس لمّا بعثه اميرالمؤمنين عليه السلام إلى الخوارج فواقفهم لبس افضل ثيا به و تطيّب بافضل طيبه و ركب افضل مراكبه فخرج فواقفهم فقالوا: يا ابن عباس بينا انت افضل الناس إذا اتيتنا في لباس الجبابرة و مراكبهم، فتلا عليهم هذه الآية ﴿قل من حرّم زينة الله الّتي أخرج لعباده و الطيبات من الرزق﴾ فالبس و تجمّل فانّ الله جميل يحب الجمال و ليكن من حلال.[٦]

---

١ ـ الكافي، ج ٦، ص ٢٨٨، باب فضل العشاء و كراهية تركه، ح ٣

٢ ـ الكافي، ج ٦، ص ٢٨٨، باب فضل العشاء و كراهية تركه، ح ٥

٣ ـ الكافي، ج ٦، ص ٢٨٩، باب فضل العشاء و كراهية تركه، ح ٨

٤ ـ الكافي، ج ٦، ص ٣١٩، باب الهريسة، ح ١

٥ ـ الكافي، ج ٦، ص ٣٢٣، باب السمك، ح ٦

٦ ـ الكافي، ج ٦، ص ٤٤٢، باب اللباس، ح ٧

روايات في العمر

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام في غرر الحكم:

انّ عمرك مهر سعادتك ان انفذته في طاعة ربّك.

انّ عمرك عدد انفاسك و عليها رقيب تحصيها.

فيالها حسرة على ذى غفلة ان يكن عمره عليه حجّة و ان تؤدّيه ايّامه إلى شقوة.

قصّر الأمل فان العمر قصير و افعل الخير فان يسيره كثير.

ليس بشيءاعزّ من الكبريت الاحمر إلّا مابقى من عمر المؤمن.

لا يعرف قدر مابقى من عمره إلّا نبىّ أو صديق.

طوبى لمن بادر الاجل و اغتنم المَهَل و تزوّد من العمل.

ان عمرك وقتك الاذي ّنت فيه.

انّ ماضى عمرك اجل و اتيه امل و الوقت عمل.

الايّام صحائف آجالكم فخلّدوها احسن اعمالكم.

بادر شبابك قبل هرمك و صحتك قبل سقمك.

بئس الغريم النّوم، يفنى قصير العمر و يفوت كثير الاجر.

زد من طول املك في قصر اجلك، و لا تغرّنّك صحّة جسمك و سلامة امسك، فانّ مدّة العمر قليلة و سلامة الجسم مستحيلة.

السّاعات تنهب الاعمار.

انّ اللّيل و النّهار مسرعان في هدم الاعمار.

كيف يفرح بعمر تنقصه السّاعات.

ما اسرع السّاعات في الايّام و اسرع الايام في الشّهور و اسرع الشّهور في السّنة و اسرع السّنة في العمر.

لا بقاء لاعمار مع تعاقب اللّيل و النّهار.

احفظ عمرك من التّضييع له في غير العبادة و الطّاعات.

احذروا ضياع الاعمار فيما لا يبق لكم ففائتها لا يعود.

انّ انفاسك اجزاء عمرك فلا تفنها إلّا في طاعة تزلفك.

انّ المغبون من غبن عمره و ان المغبوط من انفذ عمره في طاعة ربه.

كفى بالرّجل غفلة ان يضيّع عمره فيما لا ينجيه.

من قصّر في ايّام امله قبل حضور اجله فقد خسر عمره و ضرّه اجله.[۱]

روايات في حقّ الوالدين

* عن أبي ولّاد الحنّاط قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ ﴿و بالوالدين احساناً﴾ ما هذا الاحسان؟ فقال: الاحسان ان تحسن صحبتهما و ان لا تكلّمهما ان يسألاك شيئاً ممّا يحتاجان إليه و ان كانا مستغنيين، اليس يقول الله عزّوجلّ ﴿لن تنالوا البرّ حتّى تنفقوا ممّا تحبّون﴾ قال: ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام و امّا قول الله عزّوجلّ ﴿امّا يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما افّ و لا تنهرهما﴾ قال: ان اضجراك فلا تقل لهما افّ و لا تنهرهما ان ضرباك، قال: ﴿و قل لهما قولاً كريماً﴾ قال: ان ضرباك فقل لهما: غفر الله لكما، فذلك منك قول كريم، قال ﴿و اخفض لهما جناح الذّلّ من الرّحمة﴾ قال: لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلّا برحمة ورقة و لا ترفع صوتك فوق اصواتهما و لا يدك فوق ايديهما و لا تقدّم قدّامهما.[۲]

* عن محمّد بن مروان قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: انّ رجلاً اتى النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم فقال: يا رسول الله اوصني فقال: لا تشرك بالله شيئاً و ان حرّقت بالنّار و عذّبت إلّا و قلبك

---

۱ ـ تصنيف غرر الحكم، ص ۱۶۰، ۱۵۹، ۱۵۸

۲ ـ الكافي، ج ۲، ص ۱۵۷، باب البرّ بالوالدين، ح ۱

مطمئنّ بالايمان، و والديك فاطعهما و برّهما حيّين كانا أو ميّتين و ان امراك ان تخرج من اهلك و مالك فافعل فانّ ذلك من الايمان.[١]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت: ايّ الاعمال افضل ؟ قال: الصّلاة لوقتها و برّ الوالدين و الجهاد في سبيل الله عزّوجلّ.[٢]

* عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: سال رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما حقّ الوالد على ولده ؟ قال: لا يسمّيه، و لا يمشي بين يديه و لا يجلس قبله و لا يستسبّ له.[٣]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لعبد الواحد الانصارى في برّ الوالدين في قول الله عزّوجلّ ﴿و بالوالدين احساناً﴾ فظننّا انّها الآية الّتي في بنى اسرائيل ﴿و قضى ربّك ان لا تعبدوا إلّا ايّاه و بالوالدين احساناً﴾ فلّما كان بعد سالته فقال: هي الّتي في لقمان ﴿و وصّينا الإنسان بوالديه حسناً و ان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾ فقال: انّ ذلك اعظم من ان يامر بصلتهما و حقّهما على كلّ حال ﴿و ان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم﴾؟ فقال: لا بل يامر بصلتهما و ان جاهداه على الشّرك مازاد حقّهما إلّا عظماً.[٤]

* قال أبو عبدالله عليه السلام ما يمنع الرّجل منك ان يبرّ والديه حيّين و ميّتين، يصلّى عنهما و يتصدّق عنهما و يحجّ عنهما و يصوم عنهما فيكون الّذي صنع لهما و له مثل ذلك فيزيده الله عزّوجلّ ببرّه وصلته خيراً كثيراً.[٥]

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٥٨، باب البرّ بالوالدين، ح ٢

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٥٨، باب البرّ بالوالدين، ح ٤

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٥٨، باب البرّ بالوالدين، ح ٥

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٥٩، باب البرّ بالوالدين، ح ٦

٥ ـ الكافى، ج ٢، باب البرّ بالوالدين، ص ١٥٩، ح ٧

* عن معمر بن خلّاد قال: قلت لابی الحسن الرّضا عليه السلام ادعو لوالدیّ إذا كانا لا يعرفان الحقّ ؟ قال: ادع لهما و تصدّق عنهما و ان كانا حيّين لا يعرفان الحقّ فدارهما فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: انّ الله بعثنی بالرّحمة لا بالعقوق.(۱)

روايات في حقّ الأولاد

* عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: احبّوا الصّبيان و ارحموهم فاذا وعدتموهم ففوالهم فانّهم لا يرون إلّا انّكم ترزقونهم.(۲)

* قال عليه السلام: اعدلوا بين اولادكم كما تحبّون ان يعدلوا بينكم في البرّ و اللّطف.(۳)

* عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: سمّوا اولادكم اسماء الانبياء و احسن الاسماء عبدالله و عبدالرّحمن.(٤)

* قال عليه السلام: يلزم الوالدين من عقوق الولد ما يلزم الولد لهما من العقوق.(٥)

* عن الصّادق عليه السلام: دع ابنك يلعب سبع سنين و يؤدّب سبعاً و الزمه نفسك سبع سنين فان فلح و إلّا فانّه من لا خير فيه.(٦)

* عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: اغسلوا صبيانكم من الغمر فانّ الشّيطان يشمّ الغمر فيفرع الصبيّ في رقاده و يتاذّى به الكاتبان.(۷)

---

۱ ـ الكافی، ج ۲، باب البرّ بالوالدين، ص ۱۵۹، ح ۸

۲ ـ بحار الانوار، ج ۱۰۱، ص ۹۲، باب ۲، ح ١٤

۳ ـ بحار الانوار، ج ۱۰۱، ص ۹۲، باب۲، ح ١٦

٤ ـ بحار الانوار، ج ۱۰۱، ص ۹۲، باب ۲، ح ۱۸

٥ ـ بحار الانوار، ج ۱۰۱، ص ۹۳، باب ۲، ح ۲۲

٦ ـ بحار الانوار، ج ۱۰۱، ص ۹۵، باب ۲، ح ٤٠

۷ ـ بحار الانوار، ج ۱۰۱، ص ۹۵، باب ۲، ح ٤٥

* قال عليه‌السلام: اكرموا اولادكم و احسنوا آدابهم يغفرلكم.(١)

* قال على عليه‌السلام: ابصر رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم رجلاً له ولدان فقبّل احدهما و ترك الاخر فقال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: فهلّا و اسيت بينهما.(٢)

روايات في حقّ المرأة على الزّوج

* عن اسحاق بن عمّار قال: قلت لابى عبدالله عليه‌السلام ما حقّ المرأة على زوجها الاذي ّذا فعله كان محسناً ؟ قال: يشبعها و يكسوها و ان جهلت غفرلها و قال أبو عبدالله عليه‌السلام كانت امرأة عندابى عليه‌السلام تؤذيه فيغفرلها.(٣)

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام جاءت امرأة إلى النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فسألته عن حقّ الزّوج على المرأة، فخبّرها، ثمّ قالت: فما حقّها عليه ؟ قال: يكسوها من العرى و يطعمها من الجوع و ان اذنبت غفرلها، فقالت: فليس لها عليه بشيءغير هذا ؟ قال: لا، قالت: لا و الله لا تزوّجت ابداً ثمّ ولّت، فقال النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: ارجعى، فرجعت، فقال: انّ الله عزّوجلّ يقول: و ان يستعففن خير لهنّ.(٤)

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام: اتّقوا الله في الضّعيفين ـ يعنى بذلك اليتيم و النّساء ـ و انّما هنّ عورة.(٥)

* عن يونس بن عمّار قال: زوّجنى أبو عبدالله عليه‌السلام جارية كانت لاسماعيل ابنه، فقال: احسن اليها، فقلت: و ما الاحسان اليها ؟ فقال: اشبع بطنها و اكس جثّتها و اغفر ذنبها، ثمّ

---

١ ـ بحار الانوار، ج ١٠١، ص ٩٥، باب ٢، ح ٤٤

٢ ـ بحار الانوار، ج ١٠١، ص ٩٧، باب ٢، ح ٦١

٣ ـ الكافى، ج ٥، ص ٥١٠، باب حقّ المرأة على الزّوج، ح ١

٤ ـ الكافى، ج ٥، ص ٥١١، باب حقّ المرأة على الزّوج، ح ٢

٥ ـ الكافى، ج ٥، ص ٥١١، باب حقّ المرأة على الزّوج، ح ٣

قال: اذهبي وسّطك الله ما له.[١]

* عن شهاب بن عبدربّه قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام ما حقّ المرأة على زوجها ؟ قال: يسدّ جوعتها و يستر عورتها و لا يقبح لها وجهاً فاذا فعل ذلك فقد و الله ادّى حقّها، قلت: فالدّهن ؟ قال غبّاً يوم و يوم لا، قلت: فاللّحم، قال: في كلّ ثلاثة فيكون في الشّهر عشر مرّات لا اكثر من ذلك، قلت: فالصّبغ ؟ قال: و الصبغ في كلّ ستّة اشهر و يكسوها في كلّ سنة اربعة اثواب، ثوبين للشّتاء و ثوبين للصّيف و لا ينبغى ان يفقربيته من ثلاثة اشياء: دهن الرأس و الخلّ و الزّيت و يقوتهنّ بالمدّ، فانّى اقوت به نفسى و عيالى و ليقدّر لكلّ انسان منهم قوته فان شاء اكله و ان شاء وهبه و ان شاء تصدّق به و لا تكون فاكهة عامّة إلّا اطعم عياله منها و لا يدع ان يكون للعيد عندهم فضل في الطّعام ان يسنّى من ذلك شيئاً لا يسنّى لهم في سائر الآيام.[٢]

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اوصانى جبرئيل عليه السلام بالمرأة حتّى ظننت انّه لا ينبغى طلاقها إلّا من فاحشة مبيّنة.[٣]

* عن أبي عبدالله عليه السلام انّ رجلاً من الانصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج في بعض حوائجه فعهد إلى امرأته عهداً إلّا تخرج من بيتها حتّى يقدم قال: و انّ اباها مرض فبعثت المرأة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: انّ زوجى خرج و عهد الىّ ان لا اخرج من بيتى حتّى يقدم و انّ أبي قد مرض فتامرنى ان اعوده ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا، اجلسى في بيتك و اطيعى زوجك قال: فثقل فارسلت إليه ثانياً بذلك، فقالت: فتامرنى ان اعوده ؟ فقال: اجلسى في بيتك و اطيعى زوجك، قال: فمات أبوها فبعثت إليه انّ أبي قدمات فتامرنى ان

١ـ الكافى، ج ٥، ص ٥١١، باب حقّ المرأة على الزّوج، ح ٤
٢ـ الكافى، ج ٥، ص ٥١١، باب حقّ المرأة على الزّوج، ح ٥
٣ـ الكافى، ج ٥، ص ٥١٢، باب حقّ المرأة على الزّوج، ح ٦

اصلّي عليه؟ قال: لا، اجلسی في بيتك و اطيعی زوجك، قال: فدفن الرّجل فبعث اليها رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم انّ الله قد غفرلك و لابيك بطاعتك لزوجك.[۱]

* خطب رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم النّساء فقال: يا معاشر النّساء تصدّقن و لو من حليّكنّ و لو بتمرة و لو بشقّ تمرة فانّ اكثركنّ حطب جهنّم ان كنّ تكثرن اللّعن العشيرة، فقالت امرأة من بنی سليم لها عقل: يا رسول الله اليس نحن الامّهات الحاملات المرضعات، اليس منّا البنات المقيمات و الاخوات المشفقات فرق لها رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم فقال: حاملات والدات مرضعات رحيمات، لولا ما يأتين إلى بعولتهنّ ما دخلت مصلّية منهنّ النّار.[۲]

روايات في حقّ الزّوج على المرأة

* عن أبي جعفر علیه السلام قال: جاءت امرأة إلى النبيّ صلی الله علیه و آله و سلم فقالت: يا رسول الله ما حقّ الزّوج على المرأة ؟ فقال لها: ان تطيعه و لا تعصيه و لا تصدّق من بيته إلّا باذنه و لا تصوم تطوّعاً إلّا باذنه و لا تمنعه نفسها و ان كانت على ظهر قتب و لا تخرج من بيتها إلّا باذنه و ان خرجت من بيتها بغير اذنه لعنتها ملائكة السّماء و ملائكة الارض و ملائكة الغضب و ملائكة الرّحمة حتّى ترجع إلى بيتها، فقالت: يا رسول الله من اعظم النّاس حقّاً على الرّجل ؟ قال: والده، فقالت: يا رسول الله من اعظم النّاس حقّاً على المرأة ؟ قال: زوجها، قالت: فمالی عليه من الحقّ مثل ماله عليّ؟ قال: لا و لا من كلّ مائة واحدة، قال: فقالت: و الّذي بعثك بالحقّ نبيّاً لا يملك رقبتی رجل ابداً.[۳]

* قال أبو عبدالله علیه السلام ايّما امرأة باتت و زوجها عليها ساخط في حقّ لم تقبل منها صلاة حتّى يرضى عنها و ايّما امرأة تطيّبت لغير زوجها لم تقبل منها صلاة حتّى تغتسل من

---

۱ ـ الكافی، ج ۵، ص ۵۱۳، باب ما يجب من طاعة الزّوج على المرأة، ح ۱

۲ ـ فروع الكافی، ج ۵، ص ۵۱۳، ما يجب من طاعة الزّوج على المرأة، ح ۲.

۳ ـ الكافی، ج ۵، ص ۵۰۶، باب حقّ الزوج على المرأة، ح ۱

طيبها كغسلها من جنابتها.(١)

* عن أبي عبدالله عليه السلام: ثلاثة لا يرفع لهم عمل، عبد آبق و امرأة زوجها عليها ساخط و المسبل ازاره خيلاء.(٢)

* عن أبي ابراهيم عليه السلام: جهاد المرأة حسن التّبعّل.(٣)

* عن أبي عبدالله عليه السلام: ثلاثة لا تقبل لهم صلاة، عبد آبق من مواليه حتّى يضع يده في ايديهم و امرأة باتت و زوجها عليها ساخط و رجل امّ قوماً و هم له كارهون.(٤)

* عن أبي عبدالله عليه السلام: انّ قوماً اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: يا رسول الله انّا رأينا اناساً يسجد بعضهم لبعض، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لو امرت احداً ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها.(٥)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله ما حقّ الزّوج على المرأة ؟ قال: اكثر من ذلك، فقالت: فخبّرني عن بشيءمنه فقال: ليس لها ان تصوم إلّا باذنه يعني تطوّعاً و لا تخرج من بيتها إلّا باذنه و عليها ان تطيب باطيب طيبها و تلبس احسن ثيابها و تزيّن باحسن زينتها و تعرض نفسها عليه غدوة و عشيّة و اكثر من ذلك حقوقه عليها.(٦)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اتت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: ما حقّ الزّوج على المرأة فقال: ان تجيبه إلى حاجته و ان كان على قتب و لا تعطى شيئاً إلّا باذنه فان فعلت

---

١ ـ الكافي، ج ٥، ص ٥٠٧، باب حقّ الزوج على المراة، ح ٢.
٢ ـ الكافي، ج ٥، ص ٥٠٧، باب حق الزوج على المرأة، ح ٣
٣ ـ الكافي، ج ٥، ص ٥٠٧، باب حق الزوج على المرأة، ح ٤
٤ ـ الكافي، ج ٥، ص ٥٠٧، باب حق الزوج على المرأة، ح ٥
٥ ـ الكافي، ج ٥، ص ٥٠٧، باب حق الزوج على المرأة، ح ٦
٦ ـ الكافي، ج ٥، ص ٥٠٨، باب حق الزوج على المرأة، ح ٧

فعليها الوزروله الاجر و لا تبيت ليلة و هو عليها ساخط، قالت: يا رسول الله و ان كان ظالماً ؟ قال: نعم، قالت: و الّذي بعثك بالحقّ لا تزوّجت زوجاً ابداً.[١]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم للنّساء: لا تطوّلن صلوتكنّ لتمنعن ازواجكنّ.[٢]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ امرأة اتت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لبعض الحاجة فقال لها: لعلّك من المسوّفات، قالت: و ما المسوّفات يا رسول الله ؟ قال: المرأة الّتي يدعوها زوجها لبعض الحاجة فلاتزال تسوّفه حتّى ينعس زوجها و ينام فتلك لا تزال الملائكة تلعنها حتّى يستيقظ زوجها.[٣]

* عن أبي عبدالله عليه السلام: نهى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم النّساء ان يتبتلن و يعطّلن انفسهنّ من الازواج.[٤]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا ينبغى للمرأة ان تعطّل نفسها و لو تعلّق في عنقها قلادة و لاينبغى ان تدع يدها من الخضاب و لو تمسّحها مسحاً بالحنّاء و ان كانت مسنّة.[٥]

روايات في حقّ الجار

* عن عمر بن عكرمة قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت له: لي جار يؤذيني، فقال: ارحمه، فقلت: لا رحمه الله، فصرف وجهه عنّي، قال: فكرهت ان ادعه فقلت: يفعل بى كذا و كذا و يفعل بى و يؤذيني، فقال: ارأيت ان كاشفته انتصفت منه؟ فقلت: بلى أُربى عليه

---

١ ـ الكافى، ج ٥، ص ٥٠٨، باب حق الزوج على المرأة، ح ٨

٢ ـ الكافى، ج ٥، ص ٥٠٩، باب كراهية ان تتبتل النساء و يعطّلن انفسهّن، ح ١

٣ ـ الكافى، ج ٥، ص ٥٠٨، باب كراهية ان تمتع النساء ازواجهنّ، ح ٢

٤ ـ الكافى، ج ٥، ص ٥٠٩، باب كراهية ان تتبتل النّساء و يعطلن انفسهن، ح ١

٥ ـ الكافى، ج ٥، ص ٥٠٩، باب كراهية ان تتبتل النّساء و يعطلن انفسهن، ح ٢

فقال: انّ ذاممّن يحسد النّاس على ما آتاهم الله من فضله فاذا رأى نعمة على احد فكان له اهل جعل بلاءه عليهم و ان لم يكن له اهل جعله على خادمه فان لم يكن له خادم اسهر ليله و اعاظ نهاره، انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم اتاه رجل من الانصار فقال انى اشتريت داراً في بنى فلان و انّ اقرب جيرانى منّي جواراً من لا ارجو خيره و لا آمن شرّه، قال: فامر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم علياً عليه السلام و سلمان و اباذر ـ و نسيت آخر و اظنّه المقداد ـ ان ينادوا في المسجد باعلى اصواتهم بانه لا ايمان لمن لايأمن جاره بوائقه، فنادوا بها ثلاثاً ثمّ اومأ بيده إلى كلّ اربعين داراً من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله.(۱)

* عن أبي عبدالله، عن ابيه عليه السلام قال: قرأت في كتاب على عليه السلام انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كتب بين المهاجرين و الانصار و من لحق بهم من اهل يثرب انّ الجار كالنفس غير مضارّ و لا أثم و حرمة الجار على الجار كحرمة امّه.(۲)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: حسن الجوار يزيد في الرزق.(۳)

* عن أبي مسعود قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: حسن الجوار زيادة في الاعمار و عمارة الديار.(٤)

* عن الحكم الخياط قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: حسن الجوار يعمر الديار و يزيد في الاعمار.(٥)

* عن عبد الصالح عليه السلام قال: ليس حسن الجوار كف الاذى و لكن حسن الجوار

---

۱ ـ الكافى، ج ۲، ص ٦٦٦، باب حقّ الجوار، ح ۱

۲ ـ الكافى، ج ۲، ص ٦٦٦، باب حقّ الجوار، ح ۲

۳ ـ الكافى، ج ۲، ص ٦٦٦، باب حقّ الجوار، ح ۳

٤ ـ الكافى، ج ۲، ص ٦٦٧، باب حقّ الجوار، ح ۷

٥ ـ الكافى، ج ۲، ص ٦٦٧، باب حقّ الجوار، ح ۸

صبرك على الاذى.[١]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال و البيت غاصّ باهله: اعلموا انه ليس منا من لم يحسن مجاورة من جاوره.[٢]

* عن أبي حمزة قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: المؤمن من آمن جاره بوائقه، فقلت: و ما بوائقه ؟ قال: ظلمه و غشمه.[٣]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فشكا إليه اذى من جاره، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اصبر، ثمّ اتاه ثانية فقال له النبيّ اصبر ثمّ عاد إليه فشكا ثالثة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للرجل الّذي شكا إذا كان عند رواح الناس إلى الجمعة فاخرج متاعك إلى الطريق حتّى يراه من يروح إلى الجمعه فاذا سألوك فاخبرهم قال: ففعل فاتاه جاره المؤذى له فقال له: رد متاعك فلك الله على ان لا اعود.[٤]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما امن بى من بات شبعان و جاره جائع، قال: و ما من اهل قرية يبيت (و) فيهم جائع ينظرالله إليهم يوم القيامة.[٥]

* عن أبي جعفر عليه السلام: من القواصم الفواقر الّتي تقصم الظهر جار السوء ان رأى حسنة اخفاها و ان رأى سيئة افشاها.[٦]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: عليكم بحسن الجوار فانّ الله عزّوجلّ أمر بذلك.[٧]

١ـ الكافى، ج ٢، ص ٦٦٧، باب حقّ الجوار، ح ٩

٢ـ الكافى، ج ٢، ص ٦٦٨، باب حقّ الجوار، ح ١١

٣ـ الكافى، ج ٢، ص ٦٦٨، باب حقّ الجوار، ح ١٢

٤ـ الكافى، ج ٢، ص ٦٦٨، باب حقّ الجوار، ح ١٣

٥ـ الكافى، ج ٢، ص ٦٦٨، باب حقّ الجوار، ح ١٤

٦ـ الكافى، ج ٢، ص ٦٦٨، باب حقّ الجوار، ح ١٥

٧ـ بحار الانور، ج ٧١، ص ١٥٠، باب ٩، ح ١

في مناهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: من خان جاره شبراً من الارض جعلها طوقاً في عنقه من تخوم الارضين السابعة حتّى يلق الله يوم القيامة مطوّقاً إلّا ان يتوب و يرجع و قال: من آذى جاره حرّم الله عليه ريح الجنّة و ماواه جهنم و بئس المصير و من ضيّع حق جاره فليس منا و ما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتّى ظننت انه سيورّثه.(١)

* عن أبي بصير قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: من كفّ اذاه عن جاره اقاله الله عزّوجلّ عثرته يوم القيامة و من عفّ بطنه و فرجه كان في الجنة ملكاً محبوراً و من اعتق نسمة مؤمنة بنى الله له بيتاً في الجنّة.(٢)

* عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: من آذى جاره طمعاً في مسكنه و رثه الله داره.(٣)

روايات في المسئوليّة الاجتماعيّة

* قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انسك النّاس نسكاً انصحهم جيباً و اسلمهم قلباً لجمع المسلمين.(٤)

* عن سفيان عيينة قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: عليك بالنصح لله في خلقه، فلن تلقاه بعمل افضل منه.(٥)

* عن أبي عبدالله عليه السلام انّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: من اصبح لا يهتم بامور المسلمين فليس منهم و من سمع رجلاً ينادى ياللمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم.(٦)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الخلق عيال الله فاحبّ الخلق إلى

---

١ ـ بحار الانور، ج ٧١، ص ١٥٠، باب ٩، ح ٢

٢ ـ بحار الانور، ج ٧١، ص ١٥٠، باب ٩، ح ٣

٣ ـ بحار الانور، ج ٧١، ص ١٥٠، باب ٩، ح ٤

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٦٣، باب الاهتمام بامور المسلمين، ح ٢

٥ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٦٤، باب الاهتمام بامور المسلمين، ح ٣

٦ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٦٤، باب الاهتمام بامور المسلمين، ح ٥

الله من نفع عيال الله و ادخل على اهل بيت سروراً.[١]

* عن أبي عبدالله عليه السلام يقول: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من احبّ النّاس إلى الله ؟ قال: انفع النّاس للنّاس.[٢]

* عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: و قولوا للنّاس حسناً قال: قولوا للنّاس حسناً و لا تقولوا إلّا خيراً حتّى تعلموا ما هو.[٣]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال في قول الله عزّوجلّ ﴿ و قولوا للنّاس حسناً ﴾ قال قولوا للنّاس احسن ما تحبّون ان يقال فيكم.[٤]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال في قول الله عزّوجلّ ﴿و جعلني مباركاً اينما كنت﴾ قال نفاعاً.[٥]

* قال أبو عبدالله عليه السلام: انما المؤمنون اخوة بنواب و ام و إذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الاخرون.[٦]

* عن جابر الجعفي قال: تقبّضت بين يدى أبي جعفر عليه السلام فقلت: جعلت فداك ربّما حزنت من غير مصيبة تصيبنى أو أمر ينزل بى حتّى يعرف ذلك اهلى في وجهى، و صديق، فقال: نعم يا جابر ان الله عزّوجلّ خلق المؤمنين من طينة الجنان و اجرى فيهم من ريح روحه فلذلك المؤمن اخو المؤمن لابيه و امه. فاذا اصاب روحاً من تلك الارواح في بلد من

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٦٤، باب الاهتمام بامور المسلمين، ح ٦

٢ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٦٤، باب الاهتمام بامور المسلمين، ح ٧

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٦٤، باب الاهتمام بامور المسلمين، ح ٩

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٦٥، باب الاهتمام بامور المسلمين، ح ١٠

٥ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٦٥، باب الاهتمام بامور المسلمين، ح ١١

٦ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٦٥، باب اخوة المؤمنين، ح ١

البلدان حزن حزنت هذه لأنّها منها.[1]

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: المؤمن اخو المؤمن، عينه و دليله، لا يخونه و لا يظلمه و لا يغشّه و لا يعده عدة فيخلفه.[2]

* عن أبي بصير قال: سمعت ابا عبدالله عليه‌السلام يقول: المؤمن اخو المؤمن كالجسد الواحد، ان اشتكى شيئاً منه وجد الم ذلك في سائر جسده، و ارواحهما من روح واحدة، و انّ روح المؤمن لاشد اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها.[3]

* قال أبو عبدالله عليه‌السلام: المسلم اخوا المسلم هو عينه و مرآته و دليله، لا يخونه و لا يخدعه و لا يظلمه و لا يكذّبه و لا يغتابه.[4]

---

١ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٦٦، باب اخوة المؤمنين، ح ٢

٢ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٦٦، باب اخوة المؤمنين، ح ٣

٣ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٦٦، باب اخوة المؤمنين، ح ٤

٤ ـ الكافي، ج ٢، ص ١٦٦، باب اخوة المؤمنين، ح ٥

الرّذيلة السّادسة و العشرون: التّقصير قبال المسؤوليّة

تقصير الإنسان قبال فرضه ينشأ في أكثر الموارد عن الفَشَل، و هو ضعف و تراخٍ يحدث عند شدّةٍ، كما أنّ الكسَل ضعفٌ يحدث للجسم عندها. فالفشَل و الكسَل يمنعان الإنسان من خير الدّنيا و الاخرة.

قال الكاظم عليه السلام: ايّاك و الضجر و الكسل فانهما يمنعانك حظّ الدّنيا و الآخرة.[1]

إلّا انّ المراد من الفشل هيهنا ـ و ان كان عامّاً ـ هو التقصير قبال المفروض على الانسان، فالغافل عن مسؤوليّته غير دقيق الشعور بها هو الفَشِل.

قال الله تعالى: ﴿و لقد صدقكم الله وعده اذ تحسّونهم باذنه حتّى إذا فشلتم و تنازعتم في الامر و عصيتم من بعد ما اريكم ما تحبّون﴾[2]

قال تعالى: ﴿و لو اريكهم كثيراً لفشلتم و لتنازعتم في الامر﴾[3]

و قال تعالى: ﴿اذ همّت طائفتان منكم ان تفشلا و الله وليّهما و على الله فليتوكّل المؤمنون﴾[4]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٦٦، ص ٣٩٥، باب ٣٨، ح ٧٩.

٢ ـ آل عمران / ١٥٢.

٣ ـ الانفال / ٤٣

٤ ـ آل عمران / ١٢٢

و قال تعالى: ﴿و اطيعوا الله و رسوله و لا تنازعوا فتقشلوا و تذهب ريحكم و اصبروا انّ الله مع الصّابرين﴾ [١]

و قال تعالى: ﴿و إذا قاموا إلى الصّلوة قاموا كسالى يراؤن النّاس و لا يذكرون الله إلّا قليلاً﴾ [٢]

و قال تعالى: ﴿و لا يأتون الصّلوة إلّا و هم كسالى و لا ينفقون إلّا و هم كارهون﴾ [٣]

و قد اشارت هذه الآيات إلى نكتة لطيفة و هي تلازم هذه الرذيلة الرذائل الأُخر، كمحبة الدّنيا و الرّياء و الفسق و الفجور و مخالفة الرّسول على علمٍ بأنّه وليّ الامر و متابعة النّفس و الهوى.

و لعلّ السّرّ في ذلك انّه إذا لم تشعر بفرضه الّذي هو يحرّكه نحو العمل، فلا محالة تحركه رذيلة، و هي الهوى الّتي تنجرّ إلى التشاجر بينه و بين متجانسيه و أبناء نوعه، و مخالفة الرّسول، و الرّئاء في العمل، و الخوف من الجهاد و الفرار عنه، و عن غيره من فرائضه ثمّ تبريرها و توجيهها بما لا يقبله العقل، فهذه رذيلةٌ تلازمها رذائل آخر من ناحية، و تترتّب عليها رذائل و سيّئاتٌ من ناحيةٍ أُخرى و سير تواريخ الحضاراة يشهد بأنّ الشعور بالمسؤولية هو السبب الوحيد في تقدّم أقوامٍ، كما أنّ التقصير قبالها هو العامل الفريد في تأخّر آخرين.

فالذلّة تلازم هذه الرّذيلة، و انّ ذلك من سنّة الله الّتي لا تتغيّر و لا تتبدّل، و العزّة تلازم الشعور بالمسؤولية و قد نبّه القرآن بذلك حيث قال:

﴿و لقد صدقكم الله وعده إذا تحسّونهم باذنه حتّى إذا فشلتم﴾ [٤]

و ما حدث قُبيل اليوم بمدينة الخليل بفلسطين من هجوم اليهود الصهيونيّين على

---

١ ـ الانفال / ٤٦ ٢ ـ النّساء / ١٤٢ ٣ ـ التّوبة / ٥٤

٤ ـ آل عمران / ١٥٢

مسجدٍ و اطلاق النار و الرصاص على المصلّين صلاة الفجر، ثم سموط الدول الاسـلاميّة العربية و سكاتها قبال هذه المصيبة، لم يكن إلّا ناتجاً عن تقصيرها قبال فرضها، و فَشَلها ما يجب عليها، أضف إلى ذلك سموط منظّمة الأمم المتّحدة مخافة الدول العُظمى، و كم هـذا الواقعة من نظائر تقع في كلّ شهرٍ إن لم نقل أنّها تقع في كلّ يوم! و ليس ضعف المسلمين ذلك إلّا لاتّصافهم بهذه الرذيلة، و لايرضى عنهم الدول العظمى إلّا برسوخ تلك الرذيـلة في أنفسهم، لتكونوا ربّاً لهم مالكاً على ثرواتهم الأرضيّة و غيرها، حتّى تخرجهم عن دين الله سبحانه و تعالى.

قال الله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود و لا النّصارى حتّى تتّبع ملتهم﴾ [1]

ولله درّ من قال بالفارسيّة.

چشم باز و گـوش بـاز و ايـن عـمى   وه عـجب از چشـم بـندىّ خـدا

و لولا تعدّد مذمّة الله تعالى هذه الرذيلة في كتابه، ليكفيك ان تعرف انّ هذه الرّذيلة من أولى الرذائل و أقبحها، و هي موجبة لخسران الدّنيا و الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿ قل الله ثمّ ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ [2]

و قال تعالى: ﴿ذرهم ياكلوا و يتمتّعوا و يلههم الامل فسوف يعلمون﴾ [3]

و قال تعالى : ﴿من يضلل الله فلا هادى له و يذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ [4]

و جاءت الآيات بعتابٍ مفضع، حيث أخبر اولاً بأنّه تعالى يكلهم إلى أنفسهم، فهم كدودة القزّ الّتي كلّما زادت في عمله، ازدادت القيود على نفسه، حتّى لايمكن لها أن تنجو منها.

قال تعالى: ﴿يومئذ يتذكّر الإنسان و انّى له الذّكرى﴾ [5]

---

١ ـ البقرة / ١٢٠   ٢ ـ الانعام / ٩١   ٣ ـ الحجر / ٣

٤ ـ الاعراف / ١٨٦   ٥ ـ الفجر / ٢٣

ثمّ اخبر ثانياً بانّه تعالى يذرهم في طغيانهم يعمهون فكأنّهم حيوانٌ حتّى اخرجهم الله تعالى من ولايته، فالصورة صورة الإنسان و السيرة سيرة الوحوش و الحيوان. و قد أشرنا فيما مضى من هذا الكتاب انّ هذه الآيات ليست إلّا في مقام الاخبار، فلا انشاء فيها. و المراد اخبارها عن كونهم في مرتبة الحيوان بحسب الواقع و نفس الأمر، لا انتسابهم إليها خفةً لهم و ازدراءً بشأنهم.

ثمّ انّ هذه الرّذيلة لمّا كانت من الملكات فلا محالة تكون مقولة بالتّشكيك، كما أنّ ضدها مقولة بالتشكيك و لها مراتب شدّة و ضعفاً، فالمرتبة الشّديدة منها هي لمن نزلت فيه: ﴿ قل الله ثمّ ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾ فلا شعور بالمسؤوليّة فيه اصلاً، فهو كميّت بين الاحياء.

و المرتبة الضّعيفة منها فيمن مهّد الشيطان عليه سبيلاً، فيما إذا غلب عليه حبّ الدّنيا بمعناه العامّ، أو اقبلت الموانع إليه فرفعت عنه ذلك الشعور، كغالب النّاس، بل كلّهم إلّا من شذّ منهم.

و المرتبة الوسطى الّتي لها عرض عريض توجد في المذبذبين بين الصنفين لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء، و هي أيضاً كضدّها تنقسم باعتبار المتعلّق إلى اقسام:

و هي التقصير في الدّين، و التقصير بحسب الرّوح، و التقصير بحسب الجسم، و التقصير بحسب العمر، و التقصير بحسب البيت، و التقصير بحسب المجتمع.

و بعض النّاس مقصّرون إلى الغاية في الدّين و المعنويّة، و لكنّهم يشعرون بمسؤوليتهم قبال أجسامهم و هم كثيرون و هذا دأب المنغمرين في المادّة من أبناء الزمان، حيث هجروا المعنويّة و رضوا بما استجلبوا من العوائد الفانية المادّية، يراعون الجسم و يهملون الرّوح، فاولئك كالانعام بل هم اضلّ، لانّ الغافل عن بعده النفسى هو شرّ الدّوابّ.

قال الله تعالى: ﴿انّ شرّ الدّوابّ عندالله الصمّ البكم الّذين لايعقلون﴾[١]

و بعض النّاس يجتهدون فيما يرجع إلى بعدهم النفسى الروحى و لكن يقصّرون في بعدهم المادّى و هذا أيضاً خطأٌ و قد فصلنا الكلام في حرمته لو انجرّ إلى متاركة الدنيا و الانسلاك في سلك الرهبان، و قد أوردنا ما ورد عن الصادق عليه السلام : ليس منّا من ترك دنياه لآخرته[٢]

و بعض النّاس يضيّعون عمرهم و لايستفيدون عن فُرَصهم بل يهملون العمر والفُرَص اهمالاً، مع تقيّدهم الاجمالى بالشريعة و امورهم النفسيّة و البيت و المجتمع و ما إلى ذلك؛ و لاريب في خطأهم أيضاً و لو كان طريقتهم إلى الصواب أقرب من طريق الآخرين.

كما انّ الشاعر بمسؤوليّته قبال بيته الغافل عنها قبل مجتمعه أيضاً ليس إلّا في عداد المخطئين.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: من اصبح لايهتمّ بامور المسلمين فليس بمسلم[٣].

و قال الشّاعر بالفارسيّة:

بنى آدم اعضاى يكديگرند   كه در آفرينش ز يك گوهرند
چو عضوى به درد آورد روزگار   دگر عضوها را نماند قرار
تو كز محنت ديگران بى غمى   نشايد كه نامت نهند آدمى

و من النّاس من يشعر بمسؤوليّته الجماعيّة مع غفلته عن مسؤوليّته قبال أسرته و أقربائه كالأصدقاء و الجيران، فهو المبعد عن رحمة الله تعالى، حيث تمكّن فيه قسوة القلب و صلابته، فما ترى لو غفل رجلٌ عن حيوانٍ جائع أليس قاسى القلب؟، فكيف بمن غفل عن حوائج أبيه، أو أمه، أو جاره، أو أسرته؟ و لاريب في أنّه لاسبيل للقساة إلى رحمته سبحانه

---

١ ـ الانفال / ٢٢   ٢ ـ من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ١٥٦، ح ٣٥٦٨.

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٦٣، باب الاهتمام بامور المسلمين، ح ١

و تعالى. قال: ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ [١]

فتلخّص انّ الإنسان الكامل الّذي حاز الكمالات كلّها، له الشعور التامّ بمسؤوليّاته فكلّما زاد في شعوره بها، زاد في كماله، و كلّما نقص عن شعوره هذا، نقص عن كماله، حتّى يهبط إلى مرتبة الدوّابات غير الشاعرات بما لها من الفرض.

و في الختام نأتى بنكتةٍ هامّة لافتين نظر القارىء الكريم إليها، و هي أنّ الاسلام ليس الا شريعة جامعة بأجزائها المتشتّتة المرتبط بعضها ببعضٍ، فلا يمكن أنّ يُقبل بعض أجزائها و يُرفَض الآخر، لا في العقيدة و لا في الاتيان بالاركان و الاعمال،

قال الله تعالى: ﴿و يقولون نؤمن ببعض و نكفر ببعض و يريدون ان يتّخذوا بين ذلك سبيلاً * اولئك هم الكافرون حقّاً و اعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾ [٢]

و من المؤسّف عليه ما جرت عليه سيرتنا من الأخذ بما يلائم أهوائنا و رفض الثقيل على أنفسنا، كمن يكون جليس الكتاب العزيز حمامة المسجد و لكنّه يفرّ من فرضه في ماله و لوكان ثريّاً، و كمن يتّصف بضدّه، فلا صلاة له و لاصوم و لاغيرهما من الفرائض مع كونه مولهاً باقامة مأتم الحسين عليه السلام و بزيارة العتبات و المشاهد المشرفة و هم الّذين ذكرهم الله تعالى في قوله: اولئك هم الكافرون حقّاً، فهم حمقاء الاسلام غير المتّصفين بواقعه.

فتلخّص ممّا قلنا انّه لامعنى لأن يُكفّر ببعضه و يؤمن بالآخر، حيث ان انكار البعض و الكفر به يساوق انكار الكّل و الخروج عن ربقه الاسلام. و عليه فلا يمكن للمرء المسلم أن يشعر ببعض مسؤوليّاته و يهمل بعضها الآخر، لان فضيلة الشعور بالمسؤوليّة لايتأتّى إلّا بالاتيان بجميعها.

و في الختام نأتى بروايات في ذمّ هذه الرّذيلة ان شاء الله تعالى.

---

١ ـ الزّمر / ٢٢

٢ ـ النّساء / ١٥٠ ـ ١٥١

رواياتٌ في ذمّ التقصير

* عن أبي عبدالله عليه السلام: قال عدوّ العمل الكسل.(١)

* عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قال ابى عليه السلام لبعض ولده: ايّاك و الكسل و الضجر فانهما يمنعانك من حظّك من الدّنيا و الآخرة.(٢)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من كسل عن طهوره و صلاته فليس فيه خير لامر آخرته و من كسل عمّا يصلح به أمر معيشته فليس فيه خير لامر دنياه.(٣)

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: انّى لا بغض الرجل - أو ابغض للرجل - ان يكون كسلاناً عن أمر دنياه و من كسل عن أمر دنياه فهو عن أمر اخرته اكسل.(٤)

* عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: اياك و الكسل و الضجر فانك ان كسلت لم تعمل و ان ضجرت لم تعط الحق.(٥)

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا تستعن بكسلان و لا تستشيرنّ عاجزاً.(٦)

* عن ابان بن تغلب قال: سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: تجنّبوا المنى فانها تذهب بهجة

---

١ - الكافى، ج ٥، ص ٨٥، باب كراهية الكسل

٢ - الكافى، ج ٥، ص ٨٥، باب كراهية الكسل ح ٢.

٣ - الكافى، ج ٥، ص ٨٥، باب كراهية الكسل ح ٣.

٤ - الكافى، ج ٥، ص ٨٥، باب كراهية الكسل ح ٤.

٥ - الكافى، ج ٥، ص ٨٥، باب كراهية الكسل ح ٥.

٦ - الكافى، ج ٥، ص ٨٥، باب كراهية الكسل ح ٦.

ما خوّلتم و تستصغرون بها مواهب الله تعالى عندكم و تعقبكم الحسرات فيما وهمتم به انفسكم.[۱]

❊ قال اميرالمؤمنين عليه السلام: ان الاشياء لمّا ازدوجت ازدوج الكسل و العجز فنتجا بينهما الفقر.[۲]

❊ كتب أبو عبدالله عليه السلام إلى رجل من اصحابه: اما بعد فلاتجادل العلماء و لاتمار السفهاء فيبغضك العلماء و يشتمك السفهاء و لاتكسل عن معيشتك فتكون كلاً على غيرك ـأو قال: على اهلك.[۳]

❊ عن بشير الدهان قال: سمعت ابا الحسن موسى عليه السلام يقول: انّ الله جلّ و عزّ يبغض العبد النّوام الفارغ.[٤]

❊ عن على بن عبد العزيز قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام ما فعل عمر بن مسلم ؟ قلت جعلت فداك اقبل على العبادة و ترك التجارة فقال: ويحه اما علم انّ تارك الطلب لا يستجاب له، انّ قوماً من اصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لمّا نزلت **﴿من يتّق الله يجعل له مخرجاً و يرزقه من حيث لا يحتسب﴾**.[٥] اغلقوا الابواب و اقبلوا على العبادة و قالوا: قد كفينا فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم فارسل اليهم، فقال ما حملكم على ما صنعتم ؟ قالوا: يا رسول الله تكفّل لنا بارزاقنا فاقبلنا على العبادة فقال: انه من فعل ذلك لم يستجب له، عليكم بالطلب.[٦]

---

١ ـ الكافي، ج ٥، ص ٨٥، باب كراهية الكسل ح ٧.

٢ ـ الكافي، ج ٥، ص ٨٦، باب كراهية الكسل ح ٨.

٣ ـ الكافي، ج ٥، ص ٨٦، باب كراهية الكسل ح ٩.

٤ ـ الكافي، ج ٥، ص ٨٤، باب كراهية النوم و الفراغ، ح ٢

٥ ـ تحريم / ٧

٦ ـ الكافي، ج ٥، ص ٨٤، باب الرزق من حيث لا يحتسب، ح ٥.

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ليس منا من ترك دنياه لاخرته و لا آخرته لدنياه.[1]

* قال العالم عليه السلام: اعمل لدنياك كانك تعيش ابداً و اعمل لا خرتك كـانك تمـوت غداً.[2]

* عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال: انى لاحب ان ارى الرجل متحرفاً في طلب الرزق، ان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: اللهم بارك لامتى في بكورها.[3]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لاتكسلوا في طلب معايشكم فـان آبـاءنا قـد كـانوا يركضون فيها و يطلبونها.[4]

* و قال أبو جعفر عليه السلام: انى اجدنى امقت الرجل يتعذّر عليه المكاسب فيستلق على قفاه و يقول: اللهم ارزقنى و يدع ان ينتشر في الارض و يلتمس من فضل الله و الذرة تخرج من حجرها تلتمس رزقها.[5]

* و قال اميرالمؤمنين عليه السلام: ان الله تبارك و تعالى يحب المحترف الامين.[6]

* روى عن الفضل بن يسار قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام انى قد تركت التجارة فقال: فلا تفعل افتح بابك و ابسط بساطك و استرزق الله ربك.[7]

* قال الصادق عليه السلام: لا خير فيمن لا يحب جمع المال من حلال فيكف به وجـهه و

۱ـ من لا يحضره الفقيه ج ۳، ص ۱۵۶، باب المعايش و المكاسب ح ۳.

۲ـ من لا يحضره الفقيه ج ۳، ص ۱۵۶، باب المعايش و المكاسب ح ٤.

۳ـ من لا يحضره الفقيه ج ۳، ص ۱۵۷، باب المعايش و المكاسب ح ۸.

٤ـ من لا يحضره الفقيه ج ۳، ص ۱۵۷، باب المعايش و المكاسب ح ۱۱.

٥ـ من لا يحضره الفقيه ج ۳، ص ۱۵۸، باب المعايش و المكاسب ح ۱٤.

٦ـ من لا يحضره الفقيه ج ۳، ص ۱۵۸، باب المعايش و المكاسب ح ۱۵.

۷ـ من لا يحضره الفقيه ج ۳، ص ۱٦۵، باب المعايش و المكاسب ح ٤۱.

يقضى به دينه و يصل به رحمه.[1]

* قال الصادق عليه السلام: من سعادة المرء ان يكون القيّم على عياله.[2]

* قال الصادق عليه السلام: كفى بالمرء اثماً ان يضيع من يعول.[3]

* عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال: اياك و الكسل و الضجر فانهما مفتاح كلّ سوء انه من كسل لم يؤد حقاً، و من ضجر لم يصبر على حق.[4]

* قال أبوالحسن موسى بن جعفر عليه السلام: ان الله تعالى ليبغض العبد النوام، ان الله تعالى ليبغض العبد الفارغ.[5]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام: عليك بالسعي و ليس عليك بالنجح.[6]

١ـ من لا يحضره الفقيه ج ٣، ص ١٦٦، باب المعايش و المكاسب ح ٥٠.

٢ـ من لا يحضره الفقيه ج ٣، ص ١٦٨، باب المعايش و المكاسب ح ٦٣.

٣ـ من لا يحضره الفقيه ج ٣، ص ١٦٨، باب المعايش و المكاسب ح ٦٥.

٤ـ من لا يحضره الفقيه ج ٣، ص ١٦٨، باب المعايش و المكاسب ح ٦٩.

٥ـ من لا يحضره الفقيه ج ٣، ص ١٦٩، باب المعايش و المكاسب ح ٧٠.

٦ـ تصنيف غرر الحكم، ص ٤٤٣، ح ١٠١١٦.

الفصل الرابع و العشرون

الفضيلة الخامسة و العشرون: الوفاء

الرّذيلة السابعة و العشرون: الغـدر

الفضيلة الخامسة و العشرون: الوفاء

و هي ملكة توجب اتّجاه النّفس و التفاتها إلى النّعم الّتي أنعم الله بها عليه، ثمّ ما أنعم به عليه كلّ واحدٍ من المخلوقين في النعم الصغيرة و الجسيمة و المنعمين الصغار و الكبار فهذه الملكة تمنعه من أن ينساها أو يسترها ويلازمها شكره المنعِمَ بـاللسان و القـلب و الجـوارح، و عرفانه مكانة المنعم. فكأنّ الوفاء لاينفكّ عن شكر المنعم و عرفان قدره و مكانته.
و هذه الفضيلة عند اهل القلوب اجود الفضائل وهي احب الاشياء عندهم كما هي عندالله تعالى، و لكنها جوهرةٌ ثمينةٌ نادرة و قد اشار الله سبحانه و تعالى في كثيرٍ من آي الكتاب إلى قلّة وجودها و ندرتها،

قال الله تعالى: ﴿ و قليل من عبادي الشكور ﴾[1]

و قال تعالى: ﴿فابى اكثر الناس الاكفوراً ﴾[2]

و قال تعالى: ﴿ ان الإنسان لكفور مبين ﴾[3]

---

١ ـ سبأ / ١٣ ٢ ـ الاسراء / ٨٩ و الفرقان / ٥٠

٣ ـ الزخرف / ١٥

و قال تعالى: ﴿ ان الإنسان لظلوم كفار ﴾[۱]
و قال تعالى: ﴿ قتل الإنسان ما اكفره ﴾[۲]
و قال تعالى: ﴿ و ما قدروا الله حقّ قدره ﴾[۳]

و كم لها من نظيرٍ. و كثرة الآيات المتضمّنة للترغيب نحوها تدلّ على قلّتها اوّلاً، و على كونها أحبّ الأشياء عند الله ثانياً، و على كون ضدّها ـ و هي رذيلة القدر ـ أبغضها عنده تعالى ثالثاً، حتّى كأنّه تعالى قد غضب على من لا وفاء له، فقال: ﴿ قتل الإنسان ما أكفره ﴾.

و الإنسان إذا سمع أو رأى وفاء من احد يدخل في قلبه سرور و شعف لا يقبل وصفاً و كانّ نوراً و ضياءً أحاط بالمتّصف بهذه الفضيلة حتّى انّ لفظ الوفاء يفوح منه النور وَ يُستشمّ منه البهجة و السرور. و هذا سرّ محبّة الإنسان للحيوانات الوفيّة كالكلب و الهدهد.

فلذا إذا سمع ان بعض الحيوانات ذو وفاء، يقع في القلب محبة ذلك الحيوان المشوبة بالسرور و قد اشتهر ان مثل الكلب من السباع و الهدهد من الوحوش ذو وفاء شديد.

في البحار عن الجاحظ ان هدهد وفاء حفوظ ودود و ذلك انه إذا غابت انثاه لم ياكل و لم يشرب و لم يشتغل بطلب طعم و لا غيره و لا يقطع الصيّاح حتّى تعود إليه فان حدث حادث اعدمه اياها لم يسفد بعدها انثى ابدا، و لم يزل صائحا عليها ما عاش و لم يشبع ابداً من طعم بل يناله منه ما يمسك رمقه إلى ان يشرف على الموت، فعند ذلك ينال منه يسيراً.[٤]

و قد اشتهر بين الناس وفاء الكلب، و أنّها يجعل نفسها معرضاً للهلاك حفظاً لصاحبه و ماله و عرضه و بيته و إن لم يكن وفيّاً بها و انها لا تعرض عن صاحبها و ان كان غدراً، فالجوع عند صاحبها احسن لها من الشبع عند غيره و قيامها بمهمّتها عند صاحبها جائعة

---

١ ـ ابراهيم / ٣٤ ٢ ـ عبس / ١٧ ٣ ـ الانعام / ٩١

٤ ـ بحار الانور، ج ٦١، ص ٢٨٨، باب ١٠، ذيل ح ٥٢

ألذّ لها من راحة عند غيره مشبعةً.

و ذلك مما اشتهر عند الناس و قد جرّبوا كثيراً وقائع تثبت ما قلنا.

فتبّاً لهذا الإنسان الاذي ّكرمه الله و أنعم عليه و اسبغ عليه نعمه ظاهرة و باطنة و لكنه إذا اصابته مصيبة و هي بما كسبت يداه كفّره تكفيراً لساناً و عملاً و حتّى عقيديّاً فلا تعجب من قوله تعالى: « قتل الإنسان ما اكفره »[1]

و بعد ذلك لو قلنا ان الإنسان أشدّ كفراً من جميع الحيوانات لم نقل جزافاً.

و لعل مثل قوله تعالى: « ان الإنسان لظلوم كفار »[2] اشارة إلى ما قلنا.

و هذه الفضيلة كسائر الفضائل مقولة بالتشكيك، فوفاء مثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنسبة إلى الله تعالى، بل بالنسبة إلى المخلوق حتّى العدوّ هي المرتبة الشديدة من هذه الفضيلة.

قال تعالى: ﴿ طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ﴾[3]

و قد روى انه عبَدَالله حتّى ورمت قدماه فنزلت هذه الآية الشريفة.[4]

و إذا اعترض عليه لكثرة عبادته قال صلى الله عليه وآله وسلم: الا اكون عبداً شكوراً.[5]

و قال تعالى: ﴿ لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ﴾[6]

و قال تعالى: ﴿ لقد جائكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ﴾[7]

بل هذه الفضيلة في الله تعالى اشد مما في الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و الفرق بين الصّفتين في الرّب

---

١ ـ عبس / ١٧ ٢ ـ ابراهيم / ٣٤ ٣ ـ طه / ٢ ـ ١

٤ ـ تفسير الصافى، ذيل الآية الشريفة

٥ ـ الكافى، ج ٢، ص ٩٥، باب الشكر، ح ٦ ٦ ـ الشعرا / ٣

٧ ـ التوبة / ١٢٨

و العبد، كالفرق بين الذّاتين الواجبة و الممكنة.

و اخلاص اميرالمؤمنين عليه السلام في الوفاء بعهد الله و بعهد رسوله و بمن كان تحت حكمه و حتّى بالعدوّ مشهورٌ و من السّير و التواريخ معلوم لم ينكره أحدٌ حتّى معاوية مع شدّة بغضه له عليه السلام، و من وفائه اضطجاعه على فراش رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ليلة المبيت فانزل الله تعالى في ذلك: ﴿ و من الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله ﴾[1] و قال الباقر عليه السلام: انها نزلت في على بن ابيطالب عليه السلام ليلة اضطجع على فراش رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لمّا طلبته كفّار قريش.[2]

و هذا العمل بالنسبة إلى اخلاصه في الوفاء بالنبى صلى الله عليه و آله نذرٌ يسيرٌ. فالآية الكريمة تبّهتنا على وفائه حيث جعل نفسه فداءً لنفس النبيّ.

و كاخلاص الخليل عليه السلام في وفائه بعهد ربّه، حتّى استحقّ به مرتبة الامامة بعد ان نجح في امتحاناتٍ كثيرٍ أدّاها من غير توانٍ فيها، فوصفه الله تعالى بكونه شديد الاخلاص في الوفاء حين ذكره وفيّاً.

قال تعالى: ﴿ و ابراهيم الّذي وفّى ﴾[3]

و اطلاق الوفّاء عليه بصيغة التفعيل، اشارة إلى كونه كثير الوفاء، و قد قيل ان باب التفعيل قد يدل على التاكيد.

و بالجملة فاخلاص الانبياء في وفائهم بالعهود و لا سيّما اخلاص خاتمهم فيه و كذلك اخلاص الاوصياء فيه و لا سيّما اخلاص أهل بيت النبى صلوات الله عليهم اجمعين فيه، هي المرتبة العليا من هذه الفضيلة الرفيعة.

قال تعالى: ﴿ و كاين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما و هنوا لما اصابهم في سبيل

---

١ ـ البقرة / ٢٠٧ ٢ ـ البرهان، ج ١، ص ٢٠٦.

٣ ـ النجم / ٣٧

الله و ما ضعفوا و ما استكانوا و الله يحب الصابرين * و ما كان قولهم الا ان قالوا ربّنا اغفرلنا ذنوبنا و اسرافنا في امرنا و ثبت اقدامنا و انصرنا على القوم الكافرين﴾.[١]

و المرتبة الوسطى منها كوفاء اهل الحميّة و الغيرة و العفة بالنسبة إلى النـاس و إلى اقربائهم و اهل بيتهم و يعجبنى أن أذكر هيهنا حكايتين لاتخلوان عن لطافة و عظةٍ، و اكتفى بهما عن كثير القول: الأولى: حُكى ان رجلاً أدبرت عنه الدنيا بعد أن كان في سعةٍ، و كانت تحته امرأة حسناء جميلة و كانت صابرةً وفيّةً و كان آنذاك مروان بن الحكم والياً من قبل معاوية على الكوفة، فسمع بما جرى على المرأ و بحسن زوجته، فأشخص الرجل إلى السجن طمعاً فيها، ثمّ تصرّفها و أطلق زوجها، فشكى الرجل منه عند معاوية، فطلبهما و صـار مفتوناً بها، فاحتال حيلةً في تصرّفها، فخيّرها في الزواج به أو بمروان أو ببعلها، فصرفت نظرها عن حشمة الملك و جلال الوالى و اختارت بعلها قائلةً: شعرةٌ من بعلى المعدم خيرٌ عندى منكما و ممّا في أيديكما، فبهتا عن وفائها ثمّ أعادها معاوية إلى بيتها غفر الله لها و لزوجها، ما كانت وفيّةً!، و هي تليق أن تكون اسوةً حسنةً للنساء لا سيّما للجميلات منهنّ.

الثانية: حُكى أن إحدى بنات السلطان فتحعلى القاجارى أرادت أن تهاجر فتسكن المشاهد المشرّفة بالعراق فارسلت إلى بعض السادة و هو الامام العلامة السـيد ابـراهـيم القزوينى طالبةً منه أن يزوّج بها، فردّها مستدلاً بأنّه ليس كفواً لها، فأصرّت عليه و ضمّنت له قيامها بأمور بيته من غير أن تطلب منه شيئاً، فكلّما زادت في اصرارها زاد السـيد في انكاره قائلاً انّ زوجتى رافقتنى في العسر و اليسر حين تحصيلى للعلوم و كانت تساعدنى سفراً و حضراً مع ما كان بى من الفقر و العدم و الفاقة، فلستُ أوجرها بضرّةٍ لا تهنىء لها الحياة معها أبداً، إذ ليس هذا من الوفاء في شيء. فرضى الله تعالى عنه و أرضاه، حيث كان خير أسوةٍ للرجال في وفائهم بعهودهم.

---

١ ـ آل عمران / ١٤٧ ـ ١٤٦

و اما المرتبة الأدنى: الّتي لابد لكل مسلم منها بل يجب على كلّ انسانٍ أن يتّصف بها فهي الوفاء المعتاد المألوف الّذي لو لم يوجد في شخص فهو الغدر و الغادر ليس فيه شيءٌ من الاسلام، أو من مباني الانسانيّة.

فالوفاء هو عرفان نعمة المنعِم عليه و شكره بما يقدر عليه من اللسان و القلب و الجوارح، كان المنعم هو الله تعالى أو أحداً من أبناء نوعه، و أن لا ينسى نعمه بسيّئته، و أن لا يسوء بنسيان نعم الله عليه و من المؤسّف عليه عموم هذا الحجاب في أنفس الناس و تغطيته نعم المنعم عليهم، فهم غادرون منكرون لنعم ارباب النعم، فيستحقوا ما قاله الجليل في كتابه: ﴿قتل الإنسان ما اكفره﴾[1]

و قال الرّضا عليه السلام: من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله.[2]

و المراد منه أنّ من لا يفي بحقوق المخلوق عليه، فلا يفي بحقوق الخالق عليه أيضاً، لصغر الأوّل بالنسبة إلى الثاني.

فتلخص ان الوفاء بحسب مراتبه ينقسم إلى وفاء اخص الخواص، و وفاء الخواص، و وفاء العوام. و من أراد التشبه بالله تعالى و التخلق باخلاقه تعالى لابد من ان يحصل اولاً وفاء العوام و يستعمله حتّى يصير ملكةً له ثم وفاء الخواص و يستعمله ثم بعض مراتب الأولى من مراتب اخص الخواص و يستعمله.

ثم انّ الوفاء باعتبار متعلّقه ينقسم إلى اقسام:

۱ ـ الوفاء لله تعالى و القرآن اكّد على ذلك الوفاء تأكيداً بليغاً.

قال الله تعالى: ﴿ بلى من اوفى بعهده و اتّقى فانّ الله يحبّ المتقين ﴾[3]

و قال تعالى: ﴿ و من اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجراً عظيماً ﴾[4]

---

۱ ـ عبس / ۱۷

۲ ـ الوسائل، ج ۱۱، ص ۵۴۲، ح ۱۵.

۳ ـ آل عمران / ۷۶

۴ ـ الفتح / ۱۰

و قال تعالى: ﴿ و اوفوا بعهدی اوف بعهدکم و ایّای فارهبون ﴾ [١]

و المراد بالعهد في الايات كما يظهر من سياق قوله تعالى « واتق » و قوله « وايّـاى فارهبون » هو التوحيد بمراتبه و اقسامه.

قال تعالى: ﴿ الم اعهد اليكم يا بنى آدم إلّا تعبدوا الشيطان انه لكم عدوّ مبين ﴾ [٢]

من المؤسّف عليه نقض العباد إلّا المخلصين منهم هذا العهد، فهم غدرون بالنسبة إلى الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ و ما يؤمن اكثرهم بالله الا و هم مشركون ﴾ [٣]

مع ان هذا الوفاء و الالتزام به اولى من سائر الاقسام و الالتزام بها لانه الاذي ّسبغ علينا نعمه ظاهرة و باطنة، الا ترى ان نعمة الايمان، و العقل، و القلب، و الشعور، و نحوها و نعمة صحّة الجسم و الاعضاء و الأمن و نحوها من النعم الّتي لا قيمة لأقلّها في الدنيا، لان الإنسان المنتبه إليها لايبيع احدى تلك النعم بالدنيا و ما فيها بل نعمة التنفس الّتي تتبعها نعم كثيرة لا يمكن شكر إحديها من المتفضّل بها على الإنسان ولله درّ من قال بالفارسية:

« هر نفسى كه فرو مى‌رود ممدّ حيات است و چون بر مى‌آيد مفرّح ذات پس در هر نفسى دو نعمت موجود است و بر هر نعمتى شكرى واجب،

از دست و زبان كـه بـرآيـد کز عهدهٔ شكرش بدر آيد [٤]

قال الله تعالى: ﴿ اعملوا ال داود شكراً و قليل من عبادى الشكور ﴾ [٥]

٢ ـ الوفاء بالنسبة إلى الرسل عليهم‌السلام.

و نعمة الرسالة مع كونها اعظم النعم و لكن الناس لم يوفوا حقّها و لم يوفوا حقّ الرسل

---

١ ـ البقرة / ٤٠ ٢ ـ يس / ٦٠ ٣ ـ يوسف / ١٠٦

٤ ـ صدر ديباجة كتاب گلستان للشيخ الاجل سعدى الشيرازى.

٥ ـ سبأ / ١٣

بل قتلوهم و صلبوهم و شتموهم و لااقلّ من أن استهزئوا بهم بين حينٍ و حين.

قال تعالى: ﴿ ياحسرتاً على العباد ما يأتيهم من رسول إلّا كانوا به يستهزؤن ﴾(١)

مع انهم جائوا لسعادة الدارين و بها، و اقامة العدل و القسط و الهداية و أعظم من الكل الّذي يتضمن جميع ما ذكرنا أنّهم جاؤوا لتهذيب النفوس، و ان يقوم الناس بالقسط.

قال تعالى: ﴿لقد ارسلنا رسلنا بالبيّنات و انزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط و انزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للناس﴾.(٢)

نعم نعمة ارساله تعالى خاتم الانبياء صلّى الله عليه و آله و سلّم افضل و اشرف و اعلى من جميع نعمه و لكنهم آذوه ايذاءً حتّى قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: ما اوذى نبيّ مثل ما اوذيت.(٣) و قال تعالى: ﴿ و وضعنا عنك وزرك الاذي نّقض ظهرك ﴾(٤)

و المراد بالوزر في هذه الآية الشريفة ـ و الله أعلم ـ هو ما أصابه في مكّة و لايمكن لأحدٍ عدّ قليلٍ منها، هذا مع أنّ حروبه مع المشركين بقلّة عدد أنصاره و ضعف عُدّته وكون تلك الحروب اكثر من سبعين حرباً وقعت بالمدينة المنوّرة، فيا له ممّا أصابه في مكّة.

٣ ـ الوفاء بالنسبة إلى القرآن و العترة:

و الامّة كلّها إلّا من شذّ منها لم يوف بهذين الأمرين مع ماللقرآن الكريم من الأهميّة البالغة حيث نزّل من عند الله و هو مخطّط عالَمي التكوين و التشريع و معجرة باهرة إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿ و لا رطب و لا يابس الا في كتاب مبين ﴾(٥)

و قال تعالى: ﴿ قل لئن اجتمعت الانس و الجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾(٦)

---

١ ـ يس / ٣٠ ٢ ـ الحديد / ٢٥

٣ ـ بحارالانوار، ج ٣٩، ص ٥٦، باب ٧٣، ح ١٥ ٤ ـ الانشراح / ٣ ـ ٢

٥ ـ الانعام / ٥٩ ٦ ـ الاسراء / ٨٨

و هذا التحدى لحذف المتعلق يدل على العموم فيكون معنى الآية:

انّ هذا القرآن لاهل الفصاحة و البلاغة معجزة فيهما.

و لاهل الفلسفة معجزة في اقامة البرهان مع كون الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم اميّا و كلّ ما في الصحائف الحكميّة كالشفاء و الاسفار، لمعةٌ خاطفةٌ من لمعاته المنيرة بل يفتخر صدرالمتألهين و اضرابه بان يقتدر على فهه و تطبيق ما عثر عليه من الفلسفة عليه وجعل القرآن مدركاً لصحّة فهمه و استدلاله.

و لاهل الشهود معجزة في كونه نوراً و شفاء و رحمة بل حيّا مدركا ناطقا هادياً.

و لاهل التقوى معجزة في هدايته إلى سبل السلام و اخراجهم من الظلمات إلى النور و هدايتهم إلى الصراط المستقيم اى إلى الله تعالى.

و لاهل التنجيم و الهيئة معجزة في اخباره عن الثوابت و السّيارات بما يطابق المخبَر به بالمكبّرات الفعلية.

و لاهل التقنين معجزة في وضع القوانين الصالحة للعمل بها في الجوامع في كلّ عصرٍ و مصرٍ.

و لاهل معرفة النّفس معجزة لهم في معرفة الإنسان و هويّته و أطواره و صفاته و نحو ذلك ممّا يحيّر العقول في علم النّفس على حدٍّ كانوا يخضعون لهذا الرسول و لهذا المرسَل فيعظّمونهما و يبجّلونهما.

و لكن الّذي هو اهم من الكل، ان القرآن لاهل الأخلاق معجزة في تهذيب النّفس و لو في قرائته فضلا عن محتواه فهو معلم الاخلاق، بقسميه النظرى و العملى.

الا ترى ان الكتب المخصَّصة بالاخلاق ظلمات حتّى تضيئ من نور القرآن فلو لم يكن في كلّ صفحة منه آيةٌ فهو ﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾[1] و هذا من عجائب القرآن.

---

١ ـ النور / ٤٠

فنفس القرآن اجود و احسن و افضل من كلّ كتاب دوّن في هذا العلم بل استعمال ما يدلّ على التفضيل كالأحسن و الاجود و الافضل غلط يشبه أن يكون جسارةً بالنسبة إليه ـ عظّم الله قدره ـ. فينبغى ان يقال انه هو معلم الأخلاق الوحيد و الكتب المؤلّفة في هذا الطريق ليست إلّا أطفال السبيل.

و يجب أن ننبّه على أنّ القرآن الكريم وإن اشتمل على جميع العلوم فيستفيد منه أعلام الفنون المتشتّتة، إلّا أن قطب رحاه ليس إلّا تكميل خُلُق الناس، فهو نُزّل لأن يكون معلّم اخلاقٍ يستفيد منه جميع الناس، صغيرهم و كبيرهم، وضيعهم و شريفهم، دانيهم و عاليهم، و قد أشار الله إلى هذه النكتة و ارشد الناس إليها فيه كراراً، كقوله تعالى:

﴿ لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولاً من انفسهم يتلوا عليهم آيـاته و يزكّيهم و يعلّمهم الكتاب و الحكمة ﴾[1]

و يعجبنى أن أذيّل هذا الكلام باشارةٍ موجزةٍ إلى ما اشتهر في عصرنا هذا من النسبة العدديّة القائمة بين كثيرٍ من ألفاظ هذا الذكر الحكيم، بل و بين حروفه، و هذه النسبة القائمة سُمّيت بالمعجزة العدديّة، الدالّة على عدم تحريف الكتاب بالزيادة و النقصان و لو بـلفظةٍ واحدةٍ.

و تفصيل ذلك يحتاج إلى افراد كتاب، و نحن من باب الّنموذج نذكر بعضاً منه:

١ ـ كلمة « الايمان » كرّرت في القرآن ١٧ مرّة و كلمة « الكفر » تكون بهذه المـثابة ايضاً.

٢ ـ كلمة « الدّنيا » فيه ١١٥ مرّة و كلمة « الآخرة » أيضاً كذلك.

٣ ـ كلمة « الطّيّب » فيه ٧ مرّات و كلمة « الخبيث » أيضاً كذلك.

٤ ـ كلمة « الغدوّ » ٣ مرّات و كلمة « الآصال » كذلك.

---

١ ـ ال عمران / ١٦٤

٥ ـ كلمة « النفع » ٨٠ مرّات و كلمة « الضّرر » كذلك.

٦ ـ كلمة « السفل » ۴ مرّات و كلمة « العلوّ » أيضاً كذلك.

٧ ـ كلمة « الصّادق » مرّتان و كلمة « الكاذب » كذلك.

٨ ـ كلمة « المصدّق » ۵ مرّات و كلمة « الكذّاب » كذلك.

٩ ـ كلمة « الحرّ » مرّتان و كلمة « البرد » كذلك.

١٠ ـ كلمة « الامس » ۴ مرّات و كلمة « الغد » كذالك.

١١ ـ كلمة « رحمتى » مرّتان و كلمة « غضبى » مثل ذلك.

١٢ ـ كلمة « الاخ » ۴ مرّات و كلمة « الاخت » مثل ذلك.

١٣ ـ كلمة « حيّاً » ۵ مرّات و كلمة « ميّتاً » كذلك.

١۴ ـ كلمة « آكلون » مرّتان و كلمة « شاربون » كذلك.

١۵ ـ جملة « يأمرون » ٧ مرّات و جملة « ينهون » مثل ذلك.

١۶ ـ كلمة « الأعلون » مرّتان و كلمة « الأسفلون » كذلك.

١٧ ـ كلمة « الحرب » ۴ مرّات و كلمة « السّلم » كذلك.

١٨ ـ كلمة « الرّشد » ٣ مرّات و كلمه « الغيّ » كذلك.

١٩ ـ كلمة « الشفاعة » ١١ مرّات و كلمة « الخزى » كذلك.

٢٠ ـ كلمة « المودّة » ٨ مرّات و كلمة « العدوان » كذلك.

٢١ ـ جملة « تعلنون » ٣ مرّات و جملة « تسترون » كذلك..

و نظير ذلك كثير و كذلك التوازن في المفرد و الجمع روعى في القرآن فعلى سبيل المثال:

١ ـ كلمة « الباب » و « الابواب » احد عشر مرّة.

٢ ـ كلمة « اليد » و « الايدى » خمس مرّات.

٣ ـ كلمة « المال » و « الاموال » احد عشر مرّة.

٤ ـ كلمة « الرّأس » و « الرّوؤس » مرّتان.

٥ ـ كلمة « العورة » و « العورات » مرّتان..

٦ ـ كلمة « العين » و « العيون » تسع مرّات.

٧ ـ كلمة « المحكم » و « المحكمات » مرّة واحدة.

٨ ـ كلمة « الأمانة » و الأمانات » مرّة واحدة.

٩ ـ كلمة « الأبيض » و « البيض » مرّة واحدة.

١٠ ـ كلمة « المجموع » و « المجموعون » مرّة واحدة.

١١ ـ كلمة « الجناح » و « الاجنحة » مرّة واحدة.

١٢ ـ كلمة « القربة » و « القربات » مرّة واحدة.

١٣ ـ كلمة « القرطاس » و « القراطيس » مرّة واحدة.

١٤ ـ كلمة « المنصور » و « المنصورون » مرّة واحدة.

١٥ ـ كلمة « الخبيثة » و « الخبيثات » مرّتان.

١٦ ـ كلمة « الطريقة » و « الطرائق » مرّتان.

١٧ ـ كلمة « اللّون » و « الألوان » مرّتان.

١٨ ـ كلمة « الضّعيف » و « الضّعفاء » اربع مرّات..

١٩ ـ كلمة « الملوم » و « الملومين » مرّتان.

٢٠ ـ كلمة « المصباح » و « المصابيح » مرّتان.

و نظيرها في القرآن كثير و ممّا روعى في القرآن الشّريف، هو التّوازن في الاضافة إلى الضمائر المختلفة، كضميرى المفرد و الجمع. و من تلك الموارد:

١ ـ كلمة « نوره » بالإضافة إلى ضمير المفرد اربع مرّات و مثل ذلك كلمة « نورهم » مع اضافتها إلى الجمع.

٢ ـ كلمة « مثله » و « مثلهم » اربع مرّات.

٣ ـ كلمة « أهلي » و « أهلنا » ثلاث مرّات.

٤ ـ كلمة « زينتها » و « زينتهنّ » ثلاث مرّات.

٥ ـ كلمة « مولاه » و « مولاهم » مرّتان.

٦ ـ كلمة « حسبه » و « حسبهم » مرّتان.

٧ ـ كلمة « سعيه » و « سعيهم » مرّتان.

٨ ـ كلمة « بنيانه » و « بنيانهم » مرّتان.

٩ ـ كلمة « طعامك » و « طعامكم » مرّة واحدة.

١٠ ـ كلمة « منامك » و « منامكم » مرّة واحدة.

١١ ـ كلمة « بأسه » و « بأسهم » مرّة واحدة.

و ممّا روعى أيضاً في القرآن الشّريف، توازن المفرد و الجمع في الافعال ماضياً كانت أو مضارعاً أو أمراً، فعلى سبيل المثال جاء في الماضي:

١ ـ جملة « شهد » و « شهدوا » ستّ مرّات.

٢ ـ جملة « مرّ » و « مرّوا » ثلاث مرّات.

٣ ـ جملة « ذكر » و « ذكروا » مرّتان.

٤ ـ جملة « أساء » و « أساؤوا » مرّتان.

٥ ـ جملة « يئس » و « يئسوا » مرّتان.

و مثلها كثير جدّاً، و من المضارع جاء:

١ ـ جملة « يذكر » و « يذكرون » ستّ مرّات.

٢ ـ جملة « يرى » و « يرون » ثمان مرّات.

٣ ـ جملة « أدعو » و « ندعو » اربع مرّات.

٤ ـ جملة « أبتغى » و « نبتغى » مرّة واحدة.

٥ ـ جملة « يحرم » و « يحرمون » مرّة واحدة.

٦ ـ جملة « يقنط » و « يقنطون » مرّة واحدة.

٧ ـ جملة « يتكلّم »و « يتكلّمون » مرّة واحدة.

و نظيرها فيه كثير، و جاء في الأمر:

١ ـ جلمة « الق » و « القوا » أربع مرّات.

٢ ـ جملة « اقرء » و « اقرؤا » ثلاث مرّات.

٣ ـ جملة « ابن » و « ابنوا » مرّتان.

٤ ـ جملة « ادع » و « ادعوا » مرّتان.

٥ ـ جملة « استقم » و « استقيموا » مرّتان.

٦ ـ جملة « اسئله » و « اسألوهم » مرّة واحدة.

٧ ـ جملة « اسكن » و « اسكنوا » مرّتان.

٨ ـ جملة « اركب » و « اركبوا » مرّة واحدة.

٩ ـ جملة « أحسن » و « احسنوا » مرّة واحدة.

و نظيرها كثير، و لقد خرجنا عن طور البحث، و هذا الّذي ذكرناه لم يكن إلّا من باب المثال، فراجع مظانّه تجد ما يعجبك.

هذا بالنّسبة إلى القرآن، و امّا بالنسبة إلى العترة فهم الّذين أراد الله تعالى مودّتهم و متابعتهم، فصرّح بذلك في الذكر الحكيم فاجتمع في حبّ النّاس إيّاهم أمره تعالى و إرادته.

قال تعالى: ﴿ قل لا اسئلكم عليه اجراً إلّا المودّة في القربى ﴾[1]

و قال تعالى: ﴿ يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول و أولى

---

١ ـ الشّورى / ٢٣

الأمر منكم﴾[١]

و كون اهل البيت عليهم السّلام هم اولوالامر في القرآن ممّا لا اشكال فيه عند الفريقين.

الا ترى إلى أحاديث الثّقلين و المنزلة و السّفينة و نحوها ممّا تواترت عند الفريقين صدورها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوّلاً، و كونها في حقّهم عليهم السلام ثانياً، و بعد تواتر تلك الرّوايات هل يبقى ريب في ذلك؟

و انت إذا تفحّصت في كلمات أعلام العامّة عبرالقرون المختلفة تجد انّه لاريب لهم في ذلك، و عدم القبول منهم مسألة سياسيّة اشتعل نارها الحميّة و اللّجاجة هذا بالنسبة إلى جميع الأزمنة، أمّا بالنسبة إلى زماننا هذا فأضف إليها ما للدول العظيمة من ايجاد الخلاف و الخلل بين المسلمين و من هذه الفكرة و الواقع ترسيخهم الوهابية في أمّ قرى الإسلام، لأنّها أبعد النحل الإسلاميّة عن مدرسة أهل البيت عليهم الاسلام و هذا من الغدر بالنسبة إليهم الّذي يدعو الشيطان إليه فيصير الإنسان ظالماً لنفسه كافراً بحقّهم قال الله تعالى: ﴿ انّ الإنسان لظلوم كفّار ﴾[٢]

و لنا هنا كلام طويل الذّيل برهاناً و موعظة و تحسّراً و لكن نطوى الكلام هيهنا راجين منه تعالى أن يوفّقنا لبسطه في موضعٍ آخر.

٤ ـ وفاء الإنسان بالنّسبة إلى اهل بيته من زوجها و زوجته و من اولاده و اقربائه سيّما أبويه و كذلك بالنسبة إلى المرأة المسلمة.

و من المؤسّف عليه جدّاً قلّة هذا الوفاء في الناس، حيث أنّ حبّ الذّات مسيطرةٌ على نفوسهم و قلوبهم، فلا يحبّ أحدٌ أحداً و لايفي به إلّا حين رآه نافعاً لنفسه، امّا عند قصوره في ما يرجع إليه، فلا حبّ و لاوفاء، و قد مرّ الكلام في ذلك مجملاً، فلا نعيده هيهنا.

---

١ ـ النّساء / ٥٩

٢ ـ ابراهيم / ٣٤

٥ ـ الوفاء بالنّسبة إلى عموم النّاس، بل إلى جميع ذوات الأرواح كالحيوانات، و قد روى صاحب الوسائل روايات في تبيين حقوق الدّابّة، و في كلّها اوصى بها خيراً. و من تلك الرّوايات:

* عن جعفر بن محمّد، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: للدّابّة على صاحبها خصال: يبدء بعلفها إذا نزل، و يعرض عليها الماء إذا مرّ به، و لا يضرب وجهها فانّها تسبح بحمد ربّها، و لا يقف على ظهرها إلّا في سبيل الله، و لا يحملها فوق طاقتها، و لا يكلّفها من المشى إلّا ما تطيق.[١]

فمن الوفاء دفعه ما يشين عِرض اخيه المؤمن في ظهره، فلا يسمح لأحدٍ أن يغتابه فضلاً عن ان يغتابه، و الغيبة غدر فضلاً عن التّهمة أو النّميمة.

و من الوفاء صدق الحديث و اداء الأمانة و الوفاء بالعهد و العقد.

و من الوفاء إجراء قانون المواساة بين نفسه و بين غيره.

و لكن أسفاً على انّ الغيبة و التّهمة و النّميمة و الكذب و خلف الوعد و العقد بين المنعم و المنعم عليه حتّى الأبوين و الأولاد، و الزّوجة و الزّوج دائرٌ بين الناس شائعٌ فيهم.

نسأل الله الوفاء بمراتبه و أقسامه، لانّه يتضمّن كلّ خير و يمنع عن كلّ شرّ، و يلازم كثيراً من الفضائل، و يمنع عن كثير من الرّذائل.

و في الخاتمة اوصى أصحاب الجاه و الرئاسة و الأثرياء بالوفاء، لانّ الإنسان إذا آتاه الله خيراً يصير غدراً مع كونه وفيّاً، فاوصيهم ان لا ينسوا ما هو خيرٌ من الخير الموهوب لهم.

قال تعالى: ﴿ ان الإنسان خلق هلوعاً إذا مسّه الشّرّ جزوعاً و إذا مسّه الخير منوعاً إلّا المصلّين ﴾[٢]

---

١ ـ وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٣٥٠، باب ٩، ح ١

٢ ـ المعارج / ١٩ ـ ٢٢

رواياتٌ في الوفاء

* عن أبي مالك قال: قلت لعليّ بن الحسين عليه السلام: اخبرنى بجميع شرائع الدّين، قال: قول الحقّ و الحكم بالعدل و الوفاء بالعهد.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ثلاث لم يجعل الله لاحد من الناس فيهنّ رخصة: برّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين، و وفاء بالعهد بالبرّ و الفاجر و اداء الامانة إلى البرّ و الفاجر.[2]

* عن الرّضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من عامل الناس فلم يظلمهم، و حدّثهم فلم يكذبهم، و وعدهم فلم يخلفهم، فهو ممّن كملت مروءته، و ظهرت عدالته، و وجبت اخوّته، و حرمت غيبته.[3]

* عن أبي جعفر، عن ابيه عليه السلام قال: اربع من كنّ فيه كمل اسلامه و محصت عنه ذنوبه، و لقى ربّه عزّوجلّ و هو عنه راض: من وفى لله عزّوجلّ بما يجعل على نفسه للناس، و صدق لسانه مع الناس، و استحيى من كلّ قبيح عندالله و عند الناس، و حسن خلقه مع اهله.[4]

١ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٩٢، باب ٤٧، ح ١

٢ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٩٢، باب ٤٧، ح ٣

٣ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٩٢، باب ٤٧، ح ٤

٤ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٩٣، باب ٤٧، ح ٦

* عن اميرالمؤمنين عليه السلام قال: اوفوا بعهد من عاهدتم.[١]

* عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اقربكم غداً منّي في الموقف اصدقكم للحديث، و ادّاكم للامانة، و اوفاكم بالعهد، و احسنكم خلقاً و اقربكم من الناس.[٢]

* عن عبدالله بن سنان قال: سألت ابا عبدالله عن قول الله ﴿ يا ايّها الذين آمنوا اوفوا بالعقود ﴾ قال: العهود.[٣]

* عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا دين لمن لا عهد له.[٤]

* قال على عليه السلام في كتابه للأشتر: ايّاك و المنّ على رعيّتك باحسانك، أو التزيّد فيما كان من فعلك، أو ان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فانّ المنّ يبطل الاحسان، و التزيد يذهب بنور الحق و الخلف يوجب المقت عندالله و عند الناس، قال الله سبحانه ﴿ كبر مقتاً عندالله ان تقولوا ما لا تفعلون ﴾[٥]

قال اميرالمؤمنين عليه السلام في الغرر

اشرف الخلائق الوفاء.

الوفاء كيل.

الوفاء حصن السّؤدد.

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٩٤، باب ٤٧، ح ١١

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٩٤، باب ٤٧، ح ١٢

٣ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٩٥، باب ٤٧، ح ١٥

٤ ـ بحار الانوار، ج ٧١، ص ٩٦، باب ٤٧، ح ٢٠

٥ ـ نهج البلاغة، صبحى صالح، الكتاب ٥٣

الوفاة حفظ الذّمام.

الوفاء حلية العقل و عنوان النّبل.

الوفاء عنوان و فور الدّين، و قوّة الأمانة.

الوفاء توام الأمانة، و زين الاخوّة.

نعم قرين الامانة الوفاء.

نعم قرين الصّدق الوفاء.

الوفاء توأم الصّدق.

الكرم فضل، الوفاء نبل.

افضل الأمانة الوفاء بالعهد.

افضل الصّدق الوفاء بالعهد.

اصل الدّين اداء الأمانة و الوفاء بالعهود.

بحسن الوفاء يعرف الأبرار.

من وفى بعهده اعرب عن كرمه.

من احسن الوفاء استحق الإصطفاء.

انجاز الوعد من دلائل المجد.

من افضل الاسلام الوفاء بالعهد.

من دلائل الايمان الوفاء بالعهد.

لا تعتمد على مودّة من لا يوفي بعهده.(١)

---

١ ـ ميزان الحكمة، ج ١٠، ص ٦٠٢، باب الوفاء

الرّذيلة السّابعة و العشرون: الغدر

و هي ضدّ الوفاء معنىً، و هي ملكة تمنع صاحبها عن ان يشكر من المنعم عليه و لااقلّ من ان لا يرى نعمة المنعم عليه حتّى يشكره لها.

و هذه الصفة الرذيلة لها مراتب:

المرتبة الاولى: ان لا يرى النّعمة.

و المرتبة الثّانية: أن يراها و يتوجّه إليها و لكنّه لا يشكرها.

و المرتبة الثّالثة: أن يستر النّعمة و يكذّبها.

و المرتبة الرّابعة: أن يبدل النّعمة، فيظهرها نقمة عند النّاس.

و المترتبة الخامسة: تبديلها بالنّقم عند نفسه، فيظهرها لنفسه كأنّها نقمة. و بعض تلك المراتب سيّما الاخيرة، يسمّى بالفارسيّة: منفى باف.

و هذه الرّذيلة، رذيلة شائعة بين الناس و كأنّ الإنسان خلق كفوراً فقلّما أن يوجد انسان لا يكون كفوراً مع كون الكفران من الموبقات.

و القرآن اشار إلى ذلك كلّه مكرّراً و معيداً تلك الاشارة فاشار اوّلاً إلى أنّ نعم الله على الناس كثيرةٌ و لكنّهم يكفرونها.

قال الله تعالى: ﴿ و ان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها انّ الإنسان لظلوم كفّار ﴾[١]

و اشار ثانياً إلى انّ الإنسان من حيث هو انسان كفور و لااقلّ من أنّ اكثرهم بهذه الصفة.

قال تعالى: ﴿ فابى اكثر النّاس إلّاكفوراً. [٢]

و قال تعالى: ﴿ و إذا مسّكم الضّرّ في البحر ضلّ من تدعون إلّا ايّاه، فلمّا نجّاكم إلى البّر اعرضتم و كان الإنسان كفوراً ﴾[٣]

و أشار ثالثاً إلى أنّ الإنسان بما يصيبه من المصائب يصير آئساً كفوراً حيث يعدّ تلك المصائب نازلةً من عند الله، فينسى نعمه تعالى بل يعدّها من قبل نفسه، لا منه جلّ و علا.

قال تعالى: ﴿ و ان تصبهم سيّئة بما قدّمت ايديهم فانّ الإنسان كفور ﴾[٤]

و قال تعالى: ﴿ و لئن اذقنا الإنسان منّا رحمة ثمّ نزعناها منه، انّه ليؤس كفور و لئن اذقناه نعماء بعد ضرّاء مسّته، ليقولن ذهب السّيّئات عنّي، انّه لفرح فخور ﴾[٥]

و أشار رابعاً: إلى أنّ من الذنوب العظام ما يترتّب على هذه الموبقة، فأشار إلى بعض تلك الذنوب في ثلّةٍ من الايات منها:

قال تعالى: ﴿ و ما يجحد بآياتنا إلّا كلّ ختّار كفور ﴾[٦]

و قال تعالى: ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنّتان عن يمين و شمال، كلوا من رزق ربّكم و اشكروا له..... فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم.... ذلك جزيناهم بما كفروا و هل نجازى إلّا الكفور ﴾[٧]

و قال تعالى: ﴿ و ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنّة يأتيها رزقها رغداً من كلّ

---

١ ـ ابراهيم / ٣٤ ٢ ـ الاسراء / ٨٩ ٣ ـ الاسراء / ٦٧
٤ ـ الشّورى / ٤٨ ٥ ـ هود / ٩ ـ ١٠ ٦ ـ لقمان / ٣٢
٧ ـ سباء / ١٧ ـ ١٦ ـ ١٥

مكان، فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون.[١]

و قال تعالى: ﴿ و لا يخفّف عنهم من عذابها كذلك نجزى كلّ كفور ﴾[٢]

و قال تعالى: ﴿ القيافي جهنّم كلّ كفّار عنيد، منّاع للخير معتد مريب ﴾[٣]

و هذه الصّفة الرّذيلة تلازم رذائل أخرى و تترتّب عليها كما أشرنا إليه مفاسد و كبائر موبقة أخرى و لاثبات المدّعى نكتفى بما ذكره سبحانه و تعالى في سورة البقرة نقلاً لما جرى على بنى اسرائيل و تلك الحكاية من الوجهة الاخلاقية تُعدّ من مهامّ حكايات القرآن، و نظراً إلى هذه الاهميّة البالغة قد فصّل الله تعالى فيه القول في ما يربو على ستّين آية، أضف إلى ذلك ذكرها في غير هذا الموضع من القرآن بأنحاء مختلفة حتّى قيل انّ القضيّة هذه اشتغلت ستمأئة آية من آيات الكتاب الحكيم.

فابتدأ الله تعالى اولاً بقوله: ﴿ يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى الاتي ّنعمت عليكم و اوفوا بعهدى اوف بعهدكم و ايّاى فارهبون ﴾[٤]

و من اللافت للنظر ان الله تعالى سيبيّن معنى وفاء العبد و المراد منه في ما يأتى قريباً من الايات، فيذكر انّه هو الاتيان بالواجبات سيّما الصّلوة و الاجتناب عن المحرّمات سيّما النّفاق.

و في سورة يس فسّر ذلك بعدم عبادة الشّيطان و هي الشّرك عباديّاً يعنى متابعة غير الله و عبادته.

قال تعالى: ﴿ الم اعهد اليكم يا بنى آدم إلّا تعبدوا الشّيطان انّه لكم عدوّ مبين ﴾[٥]

و ان أردت كلاماً اشدّ ايجازاً و احسن بياناً من ذلك كلّه فهو قوله في نفس الآية: و ايّاى فارهبون.

و امّا الوفاء من الله تعالى: فهو اعطاءه الإنسان الحيوة الطيّبة في الدّارين.

---

١ ـ النحل / ١١٢ — ٢ ـ فاطر / ٣٦ — ٣ ـ ق / ٢٤ ـ ٢٥

٤ ـ البقرة / ٤٠ — ٥ ـ يس / ٦٠

قال: ﴿ من عمل صالحاً من ذكر اوانثى و هو مؤمن فلنحيينّه حيواة طيّبة و لنجزينّهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ﴾ (١)

ثمّ بيّن الله تعالى النعم الاتي ّنعم بها على بنى اسرائيل من غير أن ينعم بها على غيرهم من الأمم و هي عظيمةٌ جزيلةٌ و لكنّهم كفروا بها، فاذاقهم عذابه بكفرانهم هذا، فاستأصلهم و اشار إلى انّ الغدر يترتّب عليه عذاب الدّارين.

و امّا النّعم الاتي ّنعم الله بها عليهم فهي:

١ ـ تفضيلهم على العالمين.

قال تعالى: ﴿ و انّى فضّلتكم على العالمين ﴾ (٢)

و المراد بهذا التّفضيل هو تلك النّعم الاتي ّنعم بها عليهم و هي الّتي تذكر بعد هذه الآية الشّريفة، و ليس المراد بها سلطتهم على العالمين أو كونهم أشرف مرتبةً من غيرهم حتّى يرد الاشكال فيه و يحتاج إلى جواب سقيمٍ ذكره بعض المفسّرين و هو انّ المراد بالعالمين هم اهل مصر فقط و من حولها لا جميع الناس.

٢ ـ انجائهم من آل فرعون الّذي يذبّح ابنائهم و يستحيى نسائهم و في ذلك بلاء عظيم.

قال تعالى: ﴿ و اذ نجيّناكم من آل فرعون، يسومونكم سوء العذاب، يذبّحون ابنائكم و يستحيون نسائكم و في ذلكم بلاء من ربّكم عظيم ﴾ (٣)

سيّما إذا ضمّت إلى هذا المعنى الظّاهر الاذي ّشتهربين المفسّرين قضيّة أخرى و هي انّ آل فرعون كانوا ينسلخون الرجال عن لباس الغيرة و الحميّة، و ينسلخون من النساء الحياء و العفّة، فيقتلون أرواحهم لا أنفسهم و يسيرون نفسيّاتهنّ لا أجسادهنّ فحسب و هذا بلاء عظيم نجّاهم الله تعالى منه.

٣ ـ انشقاق البحر لهم و انجائهم من آل فرعون ثم اهلاك ال فرعون في البحر على أعين

---

١ ـ النحل / ٩٧ ٢ ـ البقرة / ٤٧ ٣ ـ البقرة / ٤٩

بني اسرائيل.

قال تعالى: ﴿ و اذ فرقنابكم البحر فانجيناكم و اغرقنا آل فرعون و انتم تنظرون ﴾[١]

و هذه النّعمة، نعمة عظيمة و معجزة باهرة لهم و لعدوّهم و لكنّ آل أمر آل فرعون إلى ما آل، لطمعهم في إسر بني اسرائيل، فدخلوا البحر و غرقوا بأجمعهم.

و اعجب من ذلك انّ بني اسرائيل بعد رؤية تلك المعجزة الباهرة جعلوا تعدّد الطّرق بعدد تعدّد طوائفهم.

۴ ـ و من تلك النعم أنّ الله سبحانه و تعالى قد قبل توبتهم من عبادة العجل الاذي ّتخذه السامري من ذهبهم، كلّ ذلك مع أنّ هارون عليه السلام قد نهاهم عن ذلك لكنّهم خالفوه فعبدوا العجل، ثمّ تاب الله عليهم و قبلها عنهم.

قال تعالى: ﴿ و اذ قال موسى لقومه يا قوم انّكم ظلمتم انفسكم باتّخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذٰلكم خيركم عند بارئكم فتاب عليكم انّه هو التّواب الرّحيم ﴾[٢]

سيّما ان فسّرنا قوله تعالى: فاقتلوا انفسكم بالتوبة الحقيقية و هي قتل الهوى، لا ما اشتهر بين اهل التفسير من انّهم امروا ان يقتل بعضهم بعضاً و الانصاف انّ هذا بعيد من ظاهر الآية مع كونها بصدد بيان امتنانه عليهم و رحمته لهم.

۵ ـ انبعاثهم من مراقدهم بعد موتهم بالصّاعقة الّتي كانت من غضب الله تعالى، لانّهم أرادوا أن يروه جهرةً فغضب الله عليهم، ثمّ أماتهم، ثم بعثهم فقبل توبتهم.

قال تعالى: ﴿ ثمّ بعثناكم من بعد موتكم لعلّكم تشكرون ﴾[٣]

۶ ـ ۷ ـ و من تلك النعم الجسام جعلُ الله تعالى الغمام ظلّاً لهم و انزاله تعالى المائدة عليهم و فيها المنّ و السلوى طعاماً و اداماً لهم، و ذلك حين هجرتهم من مصر إلى بيت

---

١ ـ البقرة / ٥٠ ٢ ـ البقرة / ٥٤ ٣ ـ البقرة / ٥٦

المقدس في تيه سينا.

قال تعالى: ﴿ و ظلّلنا عليكم الغمام و انزلنا عليكم المنّ و السّلوى كلوا من طيّبات مارزقناكم ﴾ (١)

٨ ـ انفجار الماء لهم من الحجر و جريان الماء بعدد أممهم و هم الاثنتاعشر.

قال تعالى: ﴿ و إذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتاعشرة عيناً قد علم كلّ اناس مشربهم، كلوا و اشربوا من رزق الله و لا تعثوا في الارض مفسدين ﴾ (٢)

هذا كلّه بيان ما أنعم الله به عليهم و قد كرّر الله تعالى ذكرها اهتماماً بشأنها و لكنّ اليهود الغدر لم يشكروا بل كفروا بتلك الانعم كفراناً مبيناً، و ها نحن نذكر اولاً كفرانهم بتلك النّعم ثم نأتي بالنقمات المترتّبة عليه:

١ ـ انّهم عبدوا العجل بمجرّد تأخير موسى عليه السلام في رجوعه عن الميقات فأشركوا إلّا من شذّ منهم.

قال تعالى: و اذواعدنا موسى اربعين ليلة ثمّ اتّخذتم العجل من بعده و انتم ظالمون﴾ (٣)

٢ ـ انّهم أرادوا ان يروا الله جهرةً و ذلك بعد رؤيتهم تلك المعجزات الباهرات و بعد أن وصف موسى لهم سمات الربوبية و صفاتها فأصروا عليه أن يأتي بالله جهرةً.

قال تعالى: ﴿ و اذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة ﴾ (٤)

٣ ـ بعد خروجهم عن البحر و اعدادهم للدخول في بيت المقدس و اخبار سيّدنا موسى عليه السلام ايّاهم بوفور النعم فيها فعليهم أن يدخلوها مستغفرين أبوا عن ذلك، فلم

---

١ ـ البقرة / ٥٧ ٢ ـ البقرة / ٦٠ ٣ ـ البقرة / ٥١

٤ ـ البقرة. ٥٥

يدخلوها، أضف إلى ذلك طغيانهم عليه و استهزائهم به، فتقوّلوا بما لم يتقوّل به مـؤمنٌ أو كافرٌ، حتّى ان الله سبحانه و تعالى لم يحكها عنهم في الذكر الحكيم و ذلك لشناعته و رداءته.

قال تعالى: ﴿ و اذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً و ادخـلوا الباب سجّداً و قولوا حطّة نغفرلكم خطاياكم و سنزيدالمحسنين ﴾[١]

و قال تعالى: ﴿ قالوا يا موسى انّا لن ندخلها ابداً ما داموا فيها فاذهب انت و ربّك فقاتلا انّا هيٰهنا قاعدون ﴾[٢]

و قال تعالى: ﴿ فبدّل الّذين ظلموا قولاً غير الّذي قيل لهم ﴾[٣]

۴ ـ بعد نزول المنّ و السّلوى كفروا بذلك الغذاء الذّى يُعدّ من أطائب الأطعمة و سألوا موسى البقل و القثّاء و الفوم و البصل و العدس و لسؤالهم هذا دلالة واضحة على دنائتهم و لجاجهم و خسّة أنفسهم كما هم عليه الآن،

قال تعالى: ﴿ و اذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربّك يخرج لنا ممّا تنبت الارض من بقلها و قثّائها و فومها و عدسها و بصلها قال اتستبدلون الّذي هو ادنى بالّذى هو خير ﴾[٤]

۵ ـ بعد أن فضّلهم الله على العالمين و ثبّت سلطتهم و وفّر نـعمهم، اسـتبدلوا الكـفر بالايمان و التقوى بالفجور و مقاتلة العدوان بقتل الانبياء.

قال تعالى: ﴿ و ضربت عليهم الذّلّة و المسكنة و باؤا بغضب من الله ذلك بـانهم كانوا يكفرون بآيات الله و يقتلون النّبييّن بغير الحقّ ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون ﴾[٥]

۶ ـ يظهر من هذه الايات، انّ بنى اسرائيل بعد احراق العجل لم يجعلوه ورائهم، بـل كانوا معتقدين بربوبيّتها و لم يقلع هذا الاعتقاد عن قلوبهم مع رؤيتهم ما أتى به موسى عليه‌السلام

---

١ ـ البقرة / ٥٨ ٢ ـ المائدة / ٢٤ ٣ ـ البقرة / ٥٩

٤ ـ البقرة / ٦١ ٥ ـ البقرة / ٦١

من المعجزات الباهرات.

قال الله تعالى: ﴿ و اشربوا في قلوبهم العجل ﴾[(١)]

فاعطاه الله معجزة أخرى عجيبة مهيبة و هي جعل جبل على رئوسهم، فقال موسى عليه السلام خذوا الميثاق لئلا يسقط الجبل عليكم و الميثاق هو التوراة و ما فيها، كما يظهر من الآيات التالية لهذه الكريمة، فهم اخذوها و لكن تولّوا و اعرضوا عنه.

و قال تعالى: ﴿ و اذ اخذنا ميثاقكم و رفعنا فوقكم الطّور خذوا ما آتينكم بقوّة و اذكروا ما فيه لعلّكم تتّقون ثمّ تولّيتم من بعد ذلك ﴾[(٢)]

و قال: ﴿ و اذ اخذنا ميثاقكم و رفعنا فوقكم الطّور، خذو اما آتيناكم بقوّة و اسمعوا، قالوا سمعنا و عصينا ﴾[(٣)]

٧ ـ حكى الله تعالى في مواضع من القرآن ما جرى لبنى اسرائيل في وقعة السبت، حيث كان من المحرّم عليهم صيد السمك في هذا اليوم، لكنهم خادعوا الله و احتالوه، حيث كانوا يسدّون الانهار في يوم السبت ثمّ يصطادوا السمكات يوم الأحد، فغضب الله عليهم بفعلهم هذا.

قال تعالى: ﴿ و لقد علمتم الّذين اعتدوا منكم في السّبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾[(٤)]

٨ ـ و من تلك النعم وقعة البقرة، حيث أمرهم الله بقتلها و ضرب بعضها على الرجل المقتول صيانةً لهم عن المقاتلة و المحاربة، ولكنّهم أبوا عن ذلك، و هذه الحكاية بطولها تدلّ على قبح المِراء و الجدال.

قال تعالى: ﴿ و اذ قال موسى لقومه انّ الله يأمركم ان تذبحوا بقرة.... فقلنا اضربوه

---

١ ـ البقرة / ٩٣ ٢ ـ البقرة / ٦٤ ـ ٦٣ ٣ ـ البقرة / ٩٣

٤ ـ البقرة / ٦٥

ببعضها كذلك يحيى الله الموتى و يريكم آياته لعلّكم تعقلون ثمّ قست قلوبكم من بعد ذلك ﴾[1].

٩ ـ ثمّ أشار الله تعالى في هذه الايات الشريفة اوّلاً إلى توغّلهم في المادّيات، فكأنّ ذاتهم عُجنت بماء محبّة الدنيا،

قال تعالى: ﴿ و لتجدنّهم احرص النّاس على حيواة و من الّذين اشركوا يودّ احدهم لو يعمّر الف سنة ﴾[2]

و هذه المحبّة انجرّ بهم إلى مفاسد عظيمة ذُكِر هيهنا بعضها.

١٠ ـ تحريف الكتاب بما لا يرضى الله بل بما لا يرضى عقولهم، فبهذا التحريف ضلّوا على علم و هذا أقبح انواع الضلال.

قال تعالى: ﴿ افتطمعون ان يؤمنوا لكم و قد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثمّ يحرّفونه من بعد ما عقلوه و هم يعلمون ﴾[3]

١١ ـ النّفاق الّذي هو أشدّ خبثاً من الكفر و الشّرك و هو في الدّرك الاسفل من النّار.

قال تعالى: ﴿ و إذا لقوا الّذين آمنوا، قالوا آمنّا و إذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا اتحدّثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجّوكم به عند ربّكم افلا تعقلون ﴾[4]

١٢ ـ تحريف الكتاب بالزيادة فيه ناسباً إيّاها إليه تعالى.

قال تعالى: ﴿ فويل للّذين يكتبون الكتاب بايديهم ثمّ يقولون هذا من عندالله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم ممّا كتبت ايديهم و ويل لهم ممّا يكسبون ﴾[5]

١٣ ـ خضوعهم لبعض ما جاء في الكتاب و ردّهم بعضه الآخر، ثمّ عدم خضوعهم لما قاله الرسل الّذين جاؤوا بعد موسى إذا كان مخالفاً هواهم، و بالجملة فما كان يوافق امانيهم

---

١ ـ البقرة / ٦٧ إلى ٧٤ ٢ ـ البقرة / ٩٦ ٣ ـ البقرة / ٧٥

٤ ـ البقرة / ٧٦ ٥ ـ البقرة / ٧٩

قبلوه و ما كان مخالفاً لها ردّوه. في حقّهم قال سبحانه:

﴿ اولئك هم الكافرون حقّاً ﴾[١]

و قال تعالى: ﴿ و منهم اميّون لا يعلمون الكتاب إلّا امانّي و ان هم إلّا يظنّون ﴾[٢]

و قال تعالى: ﴿ افتؤمنون ببعض الكتاب و تكفرون ببعض، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلّا خزى في الحيواة الدّنيا و يوم القيامة يردّون إلى اشدّ العذاب ﴾[٣]

و قال تعالى: ﴿ افكلّما جائهم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم، ففريقاً كذبتم و فريقاً تقتلون ﴾[٤]

١٤ ـ ادّعائهم انّهم لايدركون ما جاء به الرسل، و الله سبحانه و تعالى يشهد عليهم انّ هذا ليس افتراءً منهم على أنفسهم حيث لهم قلوب لا يفقهون لها.

قال تعالى: ﴿ و قالوا قلوبنا غلف، بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون ﴾[٥]

١٥ ـ تمكّن رذيلتى التكبر والاعجاب بالنفس في أنفسهم، أدّتهم إلى الغدر بالنسبة إلى الله تعالى حيث ادّعوا انّهم اعلى و افضل من النّاس أجمعين بل ادّعوا انّهم ابناءالله و احبّائه نعوذ بالله من اعجاب المرء بنفسه.

قال تعالى: ﴿ و قالت اليهود و النّصارى نحن ابناءالله و احبّائه ﴾[٦]

ثمّ هذا القول الجزاف الّذي أشبه بكلام المجنونين منه بكلام العقلاء، أدّاهم إلى دعاوى أُخر أشدّ قبحاً من كلام السفهاء، و قد جيء ببعضها في هذه الآيات المباركات:

١٦ ـ انّ الجنّة تختصّ بهم و لا يدخلها إلّا من كان هوداً اونصارى.

قال تعالى: ﴿ قل ان كانت لكم الدّار الآخرة عندالله خالصة من دون النّاس فتمنّوا

---

١ ـ النّساء / ١٥١ — ٢ ـ البقرة / ٧٨ — ٣ ـ البقرة / ٨٥

٤ ـ البقرة / ٨٧ — ٥ ـ البقرة / ٨٨ — ٦ ـ المائدة / ١٨

الموت ان كنتم صادقين ﴾[1]

١٧ ـ انّهم مبرّؤون عن دخول النار، ولو دخلوها لم يكن إلّا ايّاما معدودة.

قال تعالى: ﴿ و قالوا لن تمسّنا النّار إلّا ايّاماً معدودة قل اتّخذتم عندالله عهداً ﴾[2]

١٨ ـ انّ النّبوّة و الكتاب يختصّان بهم و لن يرسل الله رسولاً و لن ينزّل كتاباً إلّا منهم و فيهم.

قال تعالى: ﴿ و إذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله، قالوا نؤمن بما انزل علينا و يكفرون بما ورائه ﴾[3]

١٩ ـ هؤلاء المجادلون الغُدَر بعد أن قُلِبوا فصاروا صاغرين، استعذروا بكون جبرائيل عدوّاً لهم و كونهم عدوّاً له، لأنّه جاء لهم بما فيه حرجٌ لهم، فلهذا لمّا دعاهم النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الاسلام، جهدوه معلّلين باستقرار العداوة بينهم و بين الملك المنزَل عليه فلا يؤمنوا حتّى يأتى إليه ميكائيل عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ قل من كان عدوّاً لجبريل، فانّه نزّله على قلبك باذن الله ﴾[4]

و معناه انّكم عدوّ لله و إلّا فليس جبريل إلّا تابعاً لأمره تعالى فعداوتكم له عداوة لله تعالى.

٢٠ ـ و تلخيص القول انّ هذه الآيات الكريمات تشير إلى أنّه ليس لهم خلاقٌ في الايمان بالله، و باليوم الآخر، و بالكتب و بالرسل، و لاينظرون إلى الكتاب إلّا كمجلبٍ للعوائد و مكسبٍ للفوائد الدنياويّة فحقّ فيهم القول أنّهم كافرون.

الا ترى اوائل هذه الآيات ؟

قال الله تعالى: ﴿ و لا تكونوا اوّل كافر به و لا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً و ايّاى

---

١ ـ البقرة / ٩٤ ٢ ـ البقرة / ٨٠ ٣ ـ البقرة / ٩١

٤ ـ البقرة / ٩٧

فاتّقون ﴾[١]

و الا ترى أواسطها؟

قال الله تعالى: ﴿ و إذا لقوا الّذين آمنوا، قالوا آمنّا و إذا خلا بعضهم إلى بعض، قالوا اتحدّثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجّوكم ﴾[٢]

و الا ترى أواخرها؟

قال تعالى: ﴿ قالوا سمعنا و عصينا و اشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾[٣]

و امّا عذاب الدّارين الّذي ذُكِر في هذه الآيات كنتيجة مترتّبة على سيرتهم الجماعيّة، فكثيرٌ و نحن نذكر ثلّةً منه مستلّةً من الذكر الحكيم.

قال تعالى: ﴿ يذبّحون ابنائكم و يستحيون نسائكم و في ذلكم بلاء من ربّكم عظيم ﴾[٤]

يظهر من هذه الآيات انّ بني اسرائيل كانوا يستحقون ذلك البلاء قبل بعث موسى عليه‌السلام و كان ذلك من باب الاستيصال و لاتظنَّنّ ان هذا كان من باب البلاء للولاء ثمّ الاولى فالاولى، حيث لم يقربوا إلى جنابه تعالى خطوةً حتّى يكونوا من أوليائه.

قال تعالى: ﴿ فانزلنا على الّذين ظلموا رجزاً من السّماء بما كانوا يفسقون ﴾[٥]

و قال تعالى: ﴿ فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾[٦]

و قال تعالى: ﴿ ثمّ قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو اشدّ قسوة ﴾[٧]

و لاريب في أنّ هذه كلّها من باب الاستيصال، ليقفوا عمّا جرت عليه سيرتهم النكدة.

و قال تعالى: ﴿ و يوم القيامة يردّون إلى اشدّ العذاب ﴾[٨]

١ـ البقرة / ٤١ ٢ـ البقرة / ٧٦ ٣ـ البقرة / ٩٣
٤ـ البقرة / ٤٩ ٥ـ البقرة / ٥٩ ٦ـ البقرة / ٦٥
٧ـ البقرة / ٧٤ ٨ـ البقرة / ٨٥

و قال تعالى: ﴿ فلا يخفّف عنهم العذاب ﴾[1]

و قال تعالى: ﴿ فباؤا بغضب على غضب و للكافرين عذاب مهين ﴾[2]

الحمدلله الّذي هدانا إلى كتابه المبين و رزقنا أن نقتبس منه في هذا المبحث، و من يكون له قلب يظهر له من هذه الآيات قبح هذه الرّذيلة و ما يتبعها من المـفاسد و الرّذائـل و المهالك.

و دلالة القرآن على أنّ الغدر من أقبح الرذائل فيترتّب عليه موبقات كثيرةٌ، فيؤدّى بالمآل إلى موبقاتٍ كثيرةٍ، بحيث يُخرج المتصّف به عن نور الاسلام إلى ظلمة الكفر، واضحة جليةٌ، كما أشبعنا الكلام فيها، و الحمد لله ربّ العالمين.

---

١ ـ البقرة / ٨٦

٢ ـ البقرة / ٩٠

رواياتٌ في الغدر

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام الوفاء لاهل الغدر غدر عندالله، و الغدر باهل الغدر وفاء عندالله.[1]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام ايّها النّاس الوفاء توام الصدق، و لا اعلم جنّة اوقى منه و ما يغدر من علم كيف المرجع ، و لقد اصبحنا في زمان قد اتّخذ اكثر اهله الغدر كيساً و نسبهم اهل الجهل فيه إلى احسن الحيلة، ما لهم قاتلهم الله، قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيلة، و دونه مانع من أمر الله و نهيه، فيدعها رأى عين بعد القدرة عليها و ينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدّين.[2]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام في معاوية: و الله ما معاوية بادهي مني و لكنّه يغدر و يفجر و لولا كراهيّة الغدر لكنت من ادهي النّاس، و لكن كلّ غدرة فجرة، و كلّ فجرة كفرة، و لكلّ غادر لواء يعرف به يوم القيامة. و الله ما استغفل بالمكيدة، و لا استغمز بالشديدة.[3]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام في كتابه للاشتر: فلا تغدرنّ بذمّتك و لا تخيسنّ بعهدك، و لا تختلنّ عدوّك، فانّه لا يجترى على الله إلّا جاهل شقيّ و قد جعل الله عهده و ذمّته امناً افضاه بين العباد برحمته و حريماً يسكنون إلى منعته و يستفيضون إلى جواره، فلا ادغال و لا

---

١ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الحكم ٢٥٩

٢ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبة ٤١

٣ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبة ٢٠٠

مدالسة و لا خداع فيه.... و لا يدعونّك ضيق امر، لزمك فيه عهد الله، إلى طلب انفساخه بغير الحق، فانّ صبرك على ضيق أمر ترجوا انفراجه و فضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته.[١]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: اربعة اسرع بشيء عقوبة: رجل احسنت إليه و يكافيك بالاحسان إليه اساءة، و رجل لا تبغى عليه و هو يبغى عليك، و رجل عاهدته على أمر فمن امرك الوفاء و من امره الغدربك، و رجل يصل قرابته و يقطعونه.[٢]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام في الغرر:

الغدر اقبح الخيانتين.

الغدر شيمة اللّئام.

الغدر يضاعف السّيئات.

الغدر يعظم الوزر و يزرى بالقدر.

جانبوا الغدر فانّه مجانب القرآن.

ايّاك و الغدر فانّه اقبح الخيانة، انّ الغدور لمهان عندالله بغدره.

الغدر بكلّ احد قبيح، و هو بذى القدرة و السلطان اقبح.

اقبح الغدر اذاعة السّر.[٣]

الخائن لاوفاء له.

من كثر مزحه قلّ و فائه.[٤]

---

١ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الكتاب ٥٣

٢ ـ بحار الانوار، ج ٧٢، ص ٩٣، باب ٤٧، ح ٧

٣ ـ ميزان الحكمة، ج ٧، ص ١٧٤، باب الغدر

٤ ـ ميزان الحكمة، ج ١٠، ص ٦٠٤، باب الوفاء

* قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام لولا انّ المكر و الخديعة في النار لكنت امكر النّاس.[۱]

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: يجيئ كلّ غادر يوم القيامة بامام مائل شدقه حتّى يدخل النار و يجيئ كلّ ناكث بيعة امام اجذم حتّى يدخل النّار.[۲]

* عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: سألته عن قريتين من اهل الحرب لكلّ واحدة منهما ملك على حدة، اقتتلوا ثم اصطلحوا، ثمّ انّ احد الملكين غدر بصاحبه فجاء إلى المسلمين فصالحهم على ان يغزو معهم تلك المدينة ؟ فقال أبو عبدالله عليه‌السلام لا ينبغى للمسلمين ان يغدروا و لا يامروا بالغدر و لا يقاتلوا مع الّذين غدروا و لكنّهم يقاتلون المشركين حيث وجدوهم و لا يجوز عليهم ما عاهد عليه الكفّار.[۳]

---

۱ ـ الكافى، ج ۲، ص ۳۳۶، باب المكر، و الغدر و الخديعة، ح ۱

۲ ـ الكافى، ج ۲، ص ۳۳۶، باب المكر، و الغدر و الخديعة، ح ۲

۳ ـ الكافى، ج ۲، ص ۳۳۶، باب المكر، و الغدر و الخديعة، ح ٤

الفصل الخامس و العشرون

الفضيلة السادسة و العشرون: الكياسة و الدهاء

الرّذيلة الثامنة و العشرون: الاغترار و الانخداع

الفضيلة السّادسة و العشرون: الكياسة و الدَّهاء

و هي ملكة تحفظ الإنسان من أن يُخْدَع و هي و ان كانت من مراتب العقل إلّا انها افضل للانسان و أثمر له من العقل المصطلح بين الحكماء حيث ان هذا العقل لا ثمرة له غير الوصول إلى النتائج في الأقيسة فيصير به العاقلُ عالماً، بينما انّ الدهاء يجعل العالم بصيراً بمواقع الحقّ بحيث لم يشتبه عليه بالباطل و لا يخفى ما في العالِمِ غير الدهيّ من المضرة لنفسه و لقومه، و هذا امرٌ قد جرّبناه مراراً. فلهذا تُعدّ هذه الفضيلة من اعزّ الفضائل عندالله و أجلّها له.

و الكياسة لغة جودة القريحة و انتقالها من المبادىء إلى النتائج بسرعةٍ من غير تراخٍ و استنباط ما هو الصحيح في الواقعة و تمييز الجيّد من الردىء و الخبيث من الطيّب و الحسن من القبيح لئلّا يضلّ قدم العالِمِ في الوقائع العلميّة أو الجماعية أو غيرهما.

و العقل و الكياسة قد يجتمعان و قد يفترقان، و كلٌّ حسنٌ، لكن الأحسن من الكلّ و أشدّ من النوعين مطلوبيّةً هو اجتماعهما في رجلٍ حتّى يكون عالماً كيّساً، فطوبى لهذا الرجل الّذي منحه الله تعالى هذه النعمة العظيمة.

و في روايات كثيرة أشير إليها كنعمةٍ عظيمةٍ و من تلك الرّوايات:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اتّقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله.[١]

و قال صلى الله عليه وآله وسلم: انّ المؤمن كيّس فطن حذر.[٢]

و قال على بن الحسين عليه السلام: انّ صلاح الدّنيا بجذافيرها في كلمتين اصلاح شان المعايش ملء مكيال ثلثاه فطنة و ثلثه تغافل لانّ الإنسان لايتغافل إلّا عن بشيء قد عرفه ففطن له.[٣]

و قد ذُكر هذه الخصلة في الذكر الحكيم و أُطلق عليها لفظة الوحى و الالهام و التوسّم.

قال الله تعالى: **﴿و اوحينا إلى امّ موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليمّ و لا تخافي و لا تحزنى انّا رادّوه اليك﴾**[٤]

و قال تعالى: **﴿و نفس و ما سوّيٰها فالهمها فجورها و تقويٰها﴾**[٥]

و قال تعالى: **﴿ انّ في ذلك لايات للمتوسّمين ﴾**[٦]

و قد حكى الله تعالى في كتابه الكريم ما يشير إلى شرافة هذه الفضيلة و علوّ رتبتها، منها ما ورد في حكاية ام موسى مع ابنتها و مع زوجة فرعون.

قال تعالى: **﴿ و اوحينا إلى امّ موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليمّ ... فالتقطه آل فرعون ... و قالت امرئة فرعون قرّة عين لي و لك لاتقتلوه عسىٰ ان ينفعنا أو نتّخذه ولداً و هم لا يشعرون و اصبح فؤاد امّ موسى فارغاً.... و قالت لاخته قصّيه ... و حرّمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلّكم على اهل بيت يكفلونه لكم و هم له ناصحون فرددناه إلى امّه﴾**[٧]

---

١ ـ بحار الانوار، ج ٣٨، ص ٧٩، باب ٦٠، ذيل ح ٢

٢ ـ بحار الانوار، ج ٦٤، ص ٣٠٧، باب ١٤، ح ٤٠

٣ ـ بحار الانوار، ج ٤٦، ص ٢٣١، باب ٤، ذيل ح ٧

٤ ـ القصص / ٧

٥ ـ الشمس / ٨ ـ ٧

٦ ـ الحجر / ٧٥

٧ ـ القصص / ١٣ ـ ٧

فالتأمُّل في هذه الآيات المباركات يدلّنا على كياسة تلك النساء المؤمنات، حيث حفظن موسى عليه السلام و هو طفلٌ صغير لا يدافع عن نفسه، عن القتل حتّى رضى فرعون و آله أن يربّوه كأنّه من أولادهم.

قال الله تعالى: ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّاً و حزناً ﴾[١]

فهنّ بفطانتهنّ بلغن مرتبةً كمرتبة الانبياء حتّى اطلق الله على عملهنّ لفظة الوحى و لايخفى مراتبه.

قال تعالى: ﴿ و اوحينا إلى امّ موسى ان ارضعيه ﴾[٢]

و من تلك الحكايات حكاية حبيب النّجار الاذي ّشتهر في الرّوايات بمؤمن آل يس و صاحب يس قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: الصّدّيقون ثلاثه: حبيب النّجار مؤمن آل يس الّذي قال يا قوم اتّبعوا المرسلين، و حزقيل مؤمن آل فرعون الّذي قال: اتقتلون رجلا يقول ربّى الله، و على بن ابيطالب و هو افضلهم.[٣]

قال تعالى: ﴿ و اضرب لهم مثلاً اصحاب القرية اذ جائها المرسلون اذ ارسلنا إليهم اثنين فكذّبوهما فعزّزنا بثالث.... و جآء من اقصى المدينة رجل يسعىٰ قال يا قوم اتّبعوا المرسلين انّى امنت بربّكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومى يعلمون بما غفرلى ربّى و جعلنى من المكرمين ﴾[٤]

يظهر من الايات انّ الثّالث من الرّسل الّذي عزّز الاثنين لم يقم بارشاد النـاس إلّا بدهاءٍ بالغ، حتّى آمن جمٌّ غفيرٌ من الناس به، فوقع بينهم الخلاف و التشاجر حتّى أوجب له تلخيص الرسولين من السجن، فهو و ان قُتل بيد اشرار أمّته، ولكنّه استطاع ان يرسخ الايمان في قلوب جمعٍ منهم، و ما كان ذلك إلّا بكياسته و دهاءه.

---

١ ـ القصص / ٨ ٢ ـ القصص / ٧

٣ ـ بحار الانوار، ج ٨٩، ص ٢٩٦،باب ٥٧، ح ٦. ٤ ـ يس / ١٣ إلى ٢٧

و ينبغى ان تكون هذه الحكاية اسوةً لنا حتّى نخطّى كلّ خطوةٍ من خطواتنا بالدّهاء غير عمياء و غير متّبعى سبيل الغىّ.

و من سنن القرآن درج بعض الكلام في بعضٍ و اتباع بعضه لبعضٍ، و على هذه السنّة قال: قيل ادخل الجنّة قال يا ليت قومى يعلمون بما غفرلى ربّى و جعلنى من المكرمين.(١)

فهو و ان قتل بيد القوم إلّا انّه بعد القتل و دخول الجنّة أراد أن يريه اللهُ قومَه ليهدوا به، و هو لم يكتف بان يعفو و يصفح عنهم، بعد أراد استهدائهم و لو كانوا قاتليه.

و من تلك الدروس العليا حكاية مؤمن آل فرعون التّى بيّنها الله في آيات و نظراً إلى ما لها من الأهميّة البالغة، قد سُمّى هذه السورة بسورة المؤمن.

قال تعالى: ﴿ و قال فرعون ذرونى اقتل موسى وليدع ربّه انّى اخاف ان يبدّل دينكم أو ان يظهر في الارض الفساد.... و قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلاً ان يقول ربّى الله و قد جائكم بالبينّات من ربّكم و ان يك كاذباً فعليه كذبه و ان يك صادقاً يصبكم بعض الّذي يعدكم.... قال فرعون ما اريكم إلّا ما ارى ... و قال الاذي ّمن يا قوم انّى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح و عاد و ثمود ... و قال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلّى ابلغ الاسباب اسباب السّموات فاطّلع إلى اله موسى و انّى لاظنّه كاذباً ... و قال الّذي آمن يا قوم اتّبعون اهدكم سبيل الرّشاد يا قوم انّما هذه الحيوة الدّنيا متاع ... فستذكرون ما اقول لكم و افوّض امرى إلى الله انّ الله بصير بالعباد فوقاه الله سيّئات ما مكروا﴾(٢)

فترى انّ هذا المؤمن بفطنته و كياسته و تبليغه خفية و علانيّة، تقيّة و جهاراً أنجى موسى عليه‌السلام من القتل و غلب على فرعون و ما أراد من قتل موسى عليه‌السلام، حيث الطف في القول اوّلاً ثم استبدّ فيه لينصرفه عن قتله، فاجبره على صرف الخاطر ممّا أراد، من غير أن

---

١ ـ يس / ٢٦ ـ ٢٧ ٢ ـ المؤمن ٢٦ إلى ٤٥

يسوء به فرعون و آله و حاق بآل فرعون سوء العذاب.

و نظير هذه الحكاية في القرآن كثير و لمّا اهتمّ القرآن بهذه القصص الثلاث ايّدنا بحثنا بها حتّى نأتى بنتائج:

أوّلاً: الفطن الكيّس له أن يصل إلى مراده، لو توكّل على الله و اتّكأ عليه، حتّى يلهمه الله تعالى ما خفى عليه و حينئذٍ يمكن له أن يقول: افوّض امرى إلى الله انّ الله بصير بالعباد.

و ثانيا: انّ الفطن الكيّس يسوس عواطفه و مشاعره، بحيث لم يتأثر منها تأثّر النساء من بعض ما لا واقع له، كالغول و الميّت القاتل و ما إليهما. و لا تظننَّ انّ هذا سهلٌ له، بل يُعدّ هذا أشدّ من الجهاد الأكبر و بهذا ذكره الله سبحانه و تعالى حين أخبر عن سيرة رسوله كأنّه من معاجزه.

قال تعالى: ﴿ و النّجم إذا هوىٰ ما ضلّ صاحبكم و ما غوىٰ ﴾[1]

فترى انّ الله تعالى جعل عدم ضلالته صلى الله عليه و آله بين القوم الضالّ و عدم انحرافه إليهم و ميله عن الحقّ معجزةً من معجزاته صلى الله عليه و آله.

و هكذا يكون ضرورة أنّه لو أريق قدراً من ماءٍ قراح في خزّانٍ فيه الماء القذر الوسخ، ثمّ لم يلث الأوّل بالثانى و لم ينصبغ بصبغة، يعدّ هذا من خرق العادة.

ففى تلك الآيات اشارة واضحة إلى صلوح الإنسان لأن لايُخدع لو أخذ الفطنة بيده و اتسمّ بسماتها، فالفطنة و الكياسة سلاحاه في عدم ميله عن الحقّ إلى الباطل.

قال عليه السلام: المؤمن كالجبل الرّاسخ لا تحركه العواصف.

تنبيه: و لاتتوهّم انّ الفطانة و الكياسة أمر ذاتى غير اكتسابى فمن شملته العناية الالهيّة و المصالح الأزليّة فله تلك الفضائل الرّحمانيّة فتلك فضل الله يؤتيه من يشاء لانّ الفضائل كلّها و إن كانت ذاتيّة و لكنّها على نحو الاقتضاء لا الفعليّة فمقام فعليّتها اكتسابى و الإنسان

---

١ ـ النّجم / ٢ ـ ١

يقدر ان يكتسبه بل مهمّة علم الأخلاق هو تبديل الرذائل بالفضائل، بل الانبياء كلّهم كما نُصّ عليه في اشرفهم خاتم الانبياء بُعثوا لتهذيب النّفس و ازالة الرذائل و تبديلها بالفضائل.

قال الله تعالى: ﴿ و لقد ارسلنا رسلنا بالبيّنات و انزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم النّاس بالقسط و انزلنا الحديد فيه يأس شديد و منافع للنّاس ﴾ (١)

و قال تعالى: ﴿ هو الّذي بعث في الاميّن رسولاً منهم يتلو عليهم آياته و يزكّيهم و يعلّمهم الكتاب و الحكمة و ان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ (٢)

نعم، تهذيب النّفس و تبديل الرذائل بالفضائل يُعدّ من صعاب الأمور و هذا وُصف بأنّه هو الجهاد الاكبر.

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الاصغر و بقى عليهم الجهاد الاكبر فقيل يا رسول الله و ما الجهاد الاكبر؟ قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: جهاد النّفس. (٣)

و لكن افضل الاعمال احمزها ـ كما ورد ـ و نحن خُلقنا لذلك و لا طريق إلى الوصول إلّا بهذا الجهاد.

قال تعالى: ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً و لا يشرك بعبادة ربّه احداً ﴾ (٤).

و بالجملة: انّ تأديب النّفس كتعليمها فكما أنّه يمكن ان يرتقى الإنسان نفسه من حضيض الجهل إلى مرتبةٍ راقية من العلم و العرفان الّذي هو أعلى مرتبةً من العلم فكذلك له أن يرتقيها من بلّاعة الرذائل إلى جنّة الفضائل حتّى يصل إلى مقام القرب.

---

١ ـ الحديد / ٢٥ ٢ ـ الجمعة / ٢

٣ ـ وسائل الشيعة، ج ١١، أبواب جهاد النّفس و ما يناسبه، باب ١، ص ١٢٢، ح ١

٤ ـ الكهف / ١١٠

قال تعالى: ﴿ انّ المتّقين في جنّات و نهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾[١]

و لا تنحصر الآية الشّريفة في الآخرة و ما يتعلّق بها لان الإنسان له أن يصل في هذه الدنيا الدنيّة إلى ما لا تعلم نفس قال تعالى: ﴿ تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً و طمعاً و ممّا رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة اعين جزاءً بما كانوا يعملون ﴾[٢]

فهم في هذه الدّنيا عندالله فما ظنّك بهم و هم في الآخرة؟!.

و لا يمكن ان يصل الإنسان في العقبى إلى ربّه حتّى يصل إليه في الدّنيا لانّ الدّنيا مزرعة الاخرة فمن كان زرعه من نبات الجنّة ففى الآخرة يحصدها و من كان زرعه اللّقا فيصل إليه و من كان زرعه النّار فيوردها.

فلنرجع إلى ما كنّا بصدده فنقول: انّ من أراد اكتساب الفطنة و الكياسة فعليه أن يفكّر أوّلاً فيما يغويه أو له أن يغويه من أمر الدنيا و ما إليه ثم عليه أن يجتهد في تجربة الأمور خيرها و شرّها، نعم لا مناص للانسان من الوقوع في الزلل، ولكن له أن لا يقع فيه ثانياً و ثالثاً.

قال اميرالمؤمنين عليه السلام: المؤمن لا يلسع من جحر مرّتين[٣].

فبالمراقبتين العلميّة و العمليّة يحصل له الكياسة كما أنّه لا طريق إلى تحصيل العلم إلّا بهاتين المراقبتين بل الذّاتى من كلّ فضيلة يحتاج إلى اكتسابى منها و لولا الاكتسابى منها لزال الذّاتى و تلف كما انّ الاكتسابى منها يحتاج إلى اجتناء ثمارها و هو اشرابها بماء الفطنة أوّلاً ثمّ ترقّب الأمور ثانياً ثمّ الأخذ بالصحيح منها و الاجتناب عن المشتبه و الردىء منها ثالثاً، حتّى يحصل له ملكة الفراسة شيئاً فشيئاً، و له الحمد.

---

١ ـ القمر / ٥٤ ـ ٥٥ ٢ ـ السّجدة / ١٦ ـ ١٧

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ٢٤١، كتاب الايمان و الكفر، ح ٣٨

و لقد أفردنا في المجلّد الأوّل من هذا الكتاب بحثاً لتهذيب النّفس و تحليتها بالفضائل أغنانا عن اعادته في كلّ مبحث فراجع.

و في الختام نذكر روايات الباب و التكرار فيها لا يُعدّ من المستقبح نظراً إلى أهميّة هذه الفضيلة.

رواياتٌ في الكياسة و الفطانة

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام رحم الله امرأً سمع حكماً فوعى، و دعى إلى رشاد فدنا، و اخذ بحجزة هاد فنجا، راقب ربّه، و خاف ذنبه، قدّم خالصاً. و عمل صالحاً، اكتسب مذخوراً و اجتنب محذوراً.... ركب الطّريقة الغرّاء، ولزم المحجّة البيضاء، اغتنم المهل، و بادر الاجل و تزوّد من العمل.[1]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام مثل الدّنيا كمثل الحيّة.... يهوى اليها الغرّ الجاهل، و يحذرها ذو اللّب العاقل.[2]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام ايّها النّاس اتّقوا الله، فما خلق امرؤ عبثاً فيلهو، و لا ترك سدى فيلغو،.... و ما المغرور الّذي ظفر من الدّنيا باعلى همّته كالآخر الّذي ظفر من الآخرة بادنى سهمته.[3]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام انّ الله سبحانه جعل الطّاعة غنيمة الاكياس عند تفريط العجزة.[4]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام كم من صائم ليس له من صيامه إلّا الجوع و الظّمأ، و كم من

---

١ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبه ٧٦

٢ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ١١٩

٣ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٣٠٧

٤ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٣٣١

قائم ليس له من قيامه إلّا السّهر و العناء، حبذا نوم الاكياس و افطارهم.(١)

* قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام .... و اليقين منها على اربع شعب: على تبصرة الفطنة، و تأوّل الحكمة، و موعظة العبرة، و سنّة الاوّلين، فمن تبصّر في الفطنة تبيّنت له الحكمة، و من تبيّنت له الحكمة عرف العبرة، و من عرف العبرة فكأنّما كان في الاوّلين.(٢)

* قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام فانّ للطّاعة اعلاماً واضحة، و سبلاً نيّرة، و محجّة نهجة، و غاية مطّلبة، يردها الاكياس، و يخالفها الانكاس.(٣)

* سئل رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: ایّ المؤمنين أكيس ؟ قال: اكثرهم ذكراً للموت، و اشدّهم له استعداداً.(٤)

* سئل الامام اميرالمؤمنين عليه‌السلام ایّ الناس اكيس ؟ قال: من ابصر رشده من غيّه فمال إلى رشده.(٥)

* في وصيّة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم لابی‌ذر: يا اباذر الكيّس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت، و العاجز من اتّبع نفسه و هواها و تمنّى على الله عزّوجلّ الامانی.(٦)

* قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: اكيس الكيّس التّقى، و احمق الحمق الفجور.(٧)

* قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام سمعت رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقول: الا أُخبركم باكيس الكيّسين و احمق الحمق ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال اكيس الكيّسين من حاسب نفسه، و عمل لما

---

١ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ١٤٥

٢ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الحكم ٣١ ـ ٣

٣ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الكتاب ٣٠

٤ ـ بحار الانوار، ج ٦٨، ص ٢٦٦، باب ٧٦، ذيل ح ١٣

٥ ـ بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٣٧٨، باب ١٥، ذيل ح ١

٦ ـ بحار الانوار، ج ٧٤، ص ٨١، باب ٤، ذيل ح ٣

٧ ـ بحار الانوار، ج ٧٤، ص ١١٧، باب ٦، ذيل ح ٨

بعد الموت، و احمق الحمق من اتبع نفسه هواها و تمنّى على الله الامانىّ.[۱]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام في الغرر:

الكيّس من عرف نفسه و اخلص اعماله.

الكيّس اصله عقله، و مروّته خلقه و دينه حسبه.

الكيّس من كان يومه خيراً من امسه، و عقل الذّم عن نفسه.

الكيّس من احيى فضائله، و امات رذائله، بقمعه شهوته و هواه.

الكيّس من كان غافلاً عن غيره، و لنفسه كثير التّقاضى.

الكيّس من ملك عنان شهوته.

الكيّس من تجلبب الحياء و ادرع الحلم.

الكيّس صديقه الحقّ و عدوّه الباطل.

الكيّس تقوى الله سبحانه، و تجنّب المحارم، و اصلاح المعاد.

انّ الكيّس من كان لشهوته مانعا، و لنزوته عند الحفيظة و اقماً قامعاً.

انّما الكيّس من إذا اساء استغفر و إذا اذنب ندم.

اشرف المؤمنين اكثرهم كيساً.

ضادّو الغباوة بالفطنة.

المرء بفطنته، لا بصورته.

الفهم بالفطنة.

الفطنة هداية.

انّ الاكياس هم الّذين للدنيا مقتوا، و اعينهم في زهرتها اغمضوا، و قلوبهم عنها صرفوا، و بالدّار الباقية تولّهوا.

---

۱ بحار الانوار، ج ۸۹، ص ۲۵۰، باب ۲۹، ذيل ح ۴۸

الدّنيا مطلّقة الاكياس.

أُكيس الناس من رفض دنياه.

انّ اكيس الناس من اقتنى اليأس و لزم الصّمت و الورع، و برئ من الحرص و الطّمع.

افضل النّاس اعلمهم بالرّفق، و اكيسهم اصبرهم على الحقّ.

اكيس الاكياس من مقت دنياه، و قطع منها امله و مناه و صرف عنها طمعه و رجاه.

اكيس الكيس التقىّ.

كفى بالمرء كيساً ان يغلب الهوى و يملك النّهى.

كفى بالمرء كيساً ان يقف على معائبه و يقتصد في مطالبه.

كفى بالمرء كيساً ان يقتصد في مآربه و يجمل في مطالبه.[١]

* عن سليمان الجعفرىّ قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام قال: يا سليمان اتّق فراسة المؤمن، فانّه ينظر بنور الله، فسكت حتّى اصبت خلوة، فقلت: جعلت فداك سمعتك تقول: اتّق فراسة المؤمن فانّه ينظر بنور الله ؟ قال: نعم يا سليمان انّ الله خلق المؤمن من نوره، و صبغهم في رحمته و اخذ ميثاقهم لنا بالولاية، و المؤمن اخ المؤمن لابيه و امّه، أبوه النور و امّه الرحمة، و انّما ينظر بذلك النور الّذي خلق منه.[٢]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: اتّقوا فراسة المؤمن فانّه ينظر بنور الله، ثمّ تلا: ﴿ انّ في ذلك لآيات للمتوسّمين ﴾[٣]

---

١ ـ ميزان الحكمة، ج ٨، باب الكيس، ص ٤٦٠

٢ ـ بحار الانوار، ج ٦٤، ص ٧٣، باب ٢، ح ١

٣ ـ بحار الانوار، ج ٦٤، ص ٧٤، باب ٢، ح ٤

الرّذيلة الثّامنة و العشرون: الاِغترار و الاِنخداع

و هي ضدّ الفطنة و الكياسة و هي ملكة يكون صاحبها شديد التّأثّر عن ظواهر الأمور و هي تمنع صاحبها غير الفطن الكيّس عن اختيار الصحيح من الأمرين، لا سيّما إذا اشتبها في البين.

و بعبارةٍ اخرىٰ: الغرور هو الخدعة و المتّصف به هو المغرور و المخدوع بـه، فـيُخدع بسهولةٍ.

و بهذا المعنى لايخلو انسانٌ عن الغرور، بل خلوّه منه يدلّ على كونه تالياً تلو المعصوم، و هو الأوحديّ من الناس.

قال الله تعالى: ﴿ انّ وعد الله حقّ فلا تـغرّنكم الحـيوة الدّنـيا و لا يـغرنّكم بـالله الغرور.[1]

و قال تعالى: ﴿ يا ايّها النّاس انّ وعدالله حقّ فلا تغرّنكم الحيوة الدّنيا و لا يغرّنكم بالله الغرور ﴾[2]

و قال تعالى: ﴿ و نادى اصحاب النّار اصحاب الجنّة ان افيضوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله قالوا انّ الله حرّمهما على الكافرين الّذين اتّخذوا دينهم لهـواً و لعـباً و غرّتهم الحيوة الدّنيا فاليوم ننسيٰهم كما نسوا لقاء يومهم هذا.[3]

١ـ لقمان / ٣٣　　٢ـ فاطر / ٥　　٣ـ الاعراف / ٥١ـ ٥٠

و قال تعالى: ﴿ و قيل اليوم ننسيكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا و مأواكم النّار و ما لكم من ناصرين ذلكم بانّكم اتّخذتم آيات الله هزواً و غرّتكم الحيوة الدّنيا فاليوم لا يخرجون منها ﴾ (١)

و قال تعالى: ﴿ و ما الحيوة الدّنيا إلّا متاع الغرور ﴾ (٢)

و قال تعالى: ﴿ اعلموا انّما الحيوة الدّنيا لعب و لهو و زينة و تفاخر بينكم و تكاثر في الاموال و الاولاد ... و ما الحيوة الدّنيا إلّا متاع الغرور ﴾ (٣)

فتأمّل في الايات كيف هدّد المغرور بالمادّيات و المشتهيات النفسانيّة.

فمن يُخدِع هو الغَرور ـ بالفتح ـ و من يُخدَع هو المغرور و الحالة هي الغرور ـ بالضّم ـ.

قال في المفردات: يقال غررت فلاناً اصبت غرّته و نلت منه ما اريده واصل ذلك من الغرّ و هو الاثر الظّاهر من الشّيء، إلى ان قال: فالغرور كلّ ما يغرّ الإنسان من مال و جاه و شهوة و شيطان.

و القرآن الشريف حذر الإنسان عن هذه الرّذيلة مراراً في آيٍ كثيرة مع بيان ما يغرّ الإنسان من الدّنيا أو الشيطان أو الهوى حتّى عدّ من جملته الرّحمة العميمة الالهيّة لانّ من غرّ برحمة الله من غير ان يكون أهلاً لها فهو أشدّ حمقاً ممّن أيس عنها، و هذا قد جعله القرآن الكريم من مصاديق الغرور.

قال تعالى: ﴿ يا ايّها النّاس انّ و عدالله حقّ فلا تغرّنكم الحيوة الدّنيا و لايغرّنكم بالله الغرور ﴾ (٤)

و هذه الرّذيلة بذاتها مقولة بالتشكيك و لها مراتب شدّة و ضعفاً.

إلّا انّ المهمّ انقسامها بحسب متعلّقها بأقسام، كما ان القرآن الكريم اهتمّ بها بهذا

---

١ ـ الجاثية / ٣٤ ـ ٣٥ ٢ ـ آل عمران / ١٨٥ ٣ ـ الحديد / ٢٠

٤ ـ فاطر / ٥

الاعتبار:

١ ـ الغرور بظواهر الحياة، كالجاه و السلطنة و الجمال و ما إليها و كلّ واحدٍ منها لمن يخصّه، فمن الناس من يكون غروراً بالمال، و منهم من يكون بأزيد منه، و هكذا و أشدهم حمقاً من يغرّ بما لا طائل تحته، كالمناصب الدنيويّة و هذه المرتبة تلازم الكبر و العجب و تنافي التّوحيد الصّفاتي.

ثمّ المتّصفون بهذه المرتبة قد هدّدهم القرآن بأن لا مآل لأمرهم إلّا الاستهزاء بالدين ـ ذلك بانّكم اتّخذتم آيات الله هزواً ـ.

حتّى يجعلون الدين لهواً و لعباً ـ الّذين اتّخذوا دينهم لهواً و لعباً ـ.

ثمّ هدّدهم بما هو أشدّ من السابقين إليهما،

قال تعالى: ﴿ و ذر الّذين اتّخذوا دينهم لعباً و لهواً و غرّتهم الحيوة الدّنيا و ذكّر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله وليّ و لا شفيع و ان تعدل كلّ عدل لا يؤخذ منها اولئك الّذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم و عذاب اليم بما كانوا يكفرون ﴾ (١)

و قال تعالى: ﴿ و غرّتهم الحيوة الدّنيا و شهدوا على انفسهم انّهم كانوا كافرين ﴾ (٢)

حيث إنّ الايتين تدلّ على تجسّم الاعمال و على انّ الإنسان رهين ما اكتسب ان كان خيراً فخيراً وان كان شرّاً فشرّاً فله صورةٌ توافق عمله، و حشره ليس إلّا مصحوباً بتلك الصورة فان كانت الصورة خيراً فهو على صورة الخير و الإنسان الكامل. و ان كانت شرّاً فهو على تلك الصورة فان كانت كلباً فهو كلب و ان كانت خنزيراً فهو عليها و هكذا ... فتلك الصّورة شاهدة له شهيدةٌ تكويناً على كونه من اهل الجنّة أو من اهل النّار فصاحب الصورة شاهد لنفسه أو على نفسه والآيتان لمكان قوله تعالى: و ذكر به ان تبسل نفس بما

---

١ ـ الانعام / ٧٠ ٢ ـ الانعام / ١٣٠

كسبت و قوله تعالى: اولئك الّذين ابسلوا بما كسبوا و قوله تعالى: و شهدوا على انفسهم تدلّان على انّ المغرورين بحيوة الدّنيا يردون النار و يشهد عليهم هويتهم و صورتهم لانّ البسل هو الضّميمة و الملازمة فلذا يقال للعبوس و كريه الوجه باسل.

قال في المفردات: البسل ضمّ الشيء و منعه و لتضمّنه لمعنى الضمّ استعير لتقطيب الوجه فقيل هو باسل و مبتسل الوجه ـ يعنى كريه المنظر ـ

و قال في المجمع يقال: ابسلته بجريرته أي: اسلمته و المستبسل المستسلم الّذي يعلم انّه لا يقدر على التّخلّص.

و قال في المنجد: بسل بسولاً الرجل عبس من الغضب أو الشّجاعة إلى ان قال: البسيل الكريه الوجه.

ولو لم ترد مذمةٌ أخرى لهم غير هاتين الآيتين، لكان كافياً في تحذيرهم عن سيرتهم غير المرضيّة الّتي تتمثّل للناس اجمعين في يوم القيامة. و لعلّ اعادة قوله تعالى: الّذين اتّخذوا دينهم لهواً و لعباً في تلك الايات اشارة إلى انّهم يحشرون يوم القيامة على صورة القردة اللاهي اللاعب نعوذ بالله من المزق و الهتر في الدّنيا و الاخرة.

كما انّ قوله تعالى: ليس لها من دون الله وليّ و لا شفيع لتهديد عظيم و يدلّ على عدم شمول شفاعة الشّافعين عليهم السلام لهم و ليس لهم إلّا ما اكتسبوا بأيديهم من شراب من حميم و من عذاب اليم.

٢ ـ الغرور بالشياطين، جنيّاً كانوا أو إنسيّاً، و لكون تلك المرتبة من أشد مراتب هذه الرذيلة، جعلها الله سبحانه تلواً للغرور بالدنيا، ثم أمر بالاجتناب عنها في كثيرٍ من آى القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ انّ وعدالله حقّ فلا تغرّنكم الحيوة الدّنيا و لا يغرّنكم بالله الغرور ﴾[١]

---

١ ـ لقمان / ٣٣

و قال تعالى: ﴿ يا ايّها النّاس انّ وعدالله حقّ فلا تغرنّكم الحيوة الدّنيا و لا يغرّنكم بالله الغرور ﴾[١]

و الغرور ـ بفتح الغين ـ كلّ ما يغرّ الإنسان و المراد منه في الآية هو الشّيطان انسيّة كانت أو جنيّة و الشيطان يغرّ الإنسان من حيث لايحتسب، بل يخيّل إليه أنّه من الرّشد، لا من الغيّ و الغرور، فيغرّه من وراء سبعين حجابٍ. و الكتاب الكريم بما أنّه كتاب هدايةٍ أخبر الناس بذلك.

قال تعالى: ﴿ قل اعوذ بربّ النّاس * ملك النّاس * اله النّاس * من شرّ الوسواس الخنّاس * الّذي يوسوس في صدور النّاس * من الجنّة و النّاس ﴾[٢]

و قال تعالى: ﴿ و كذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدواً شياطين الانس و الجنّ يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً و لو شآء ربّك ما فعلوه فذرهم و ما يفترون * و لتصغىٰ إليه افئدة الّذين لا يؤمنون بالآخرة و ليرضوه و ليقترفواماهم مقترفون ﴾[٣]

و كلمة الخنّاس و الوحى بمعنى ـ و هو على ما يختلج في الصدر ـ الالقاء في حجاب و هذا الحجاب هو زخرف القول أى قولٌ لا واقع له لكنّه حُشى بظواهر يقبلها الخيال، فيخيّله إلى العقل، فيقع في شبكة الشيطان، فيغرّ من لا ناصر له من الله تعالى، و لا طريق إلى الخلاص منه إلّا بالنصر الالهى.

قال تعالى: ﴿ انّه ليس له سلطان على الّذين آمنوا و على ربّهم يتوكلون * انّما سلطانه على الّذين يتولّونه ﴾[٤]

و قال تعالى: ﴿ و من يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين ﴾[٥]

و الذكر الحكيم ذكر في جملةٍ من آياته كيفيّة اغترار الابليس الإنسان حيث إنّ منهم

---

١ ـ فاطر ٥.
٢ ـ النّاس / ٧ ـ ١
٣ ـ الانعام / ١١٣ ـ ١١٢
٤ ـ النّحل / ١٠٠ ـ ٩٩
٥ ـ الزخرف / ٣٦

من يوحى إلى آخر، حتّى يلقاه في صدر الانسان، و ايحاء الشيطان و القاء الوساوس في صدر الإنسان ليس بغريبٍ، انّما الغريب ايحاء بعض الناس في عصرنا بعض الوساوس في صدر اللعين حيث انّهم يفعلون ما لا يتخيّله الشيطان!.

قال تعالى: ﴿ انّ الشّياطين ليوحون إلى اوليائهم ﴾[1]

و قال تعالى: ﴿ و كذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدوّاً شياطين الانس و الجنّ يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ﴾[2]

و للايحاء و الالغاء طرق مختلفة، ذُكر بعضها في القرآن:

قال تعالى: ﴿ لعنه الله و قال لاتّخذنّ من عبادك نصيباً مفروضاً * و لا ظلّنّهم و لامنّينّهم و لامرنّهم فليبتكنّ آذان الانعام و لامرنّهم فليغيّرن خلق الله و من يتّخذ الشّيطان وليّاً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً * يعدهم و يمنّيهم و ما يعدهم الشّيطان إلّا غروراً * اولئك مأواهم جهنّم و لا يجدون عنها محيصاً ﴾[3]

فهذه الايات تدلّ على انّ غرور الشّيطان يؤدّى بالغرور إلى الاضلال ثم السقوط في بحر الامانيات فلا محالة يوجب ستر الفطرة، بل كسر هذا الدر اليتيم، و ينجرّ إلى الخسران المبين في الدّنيا و الاخرة.

و قال تعالى: ﴿ قال فبما اغويتنى لاقعدنّ لهم صراطك المستقيم * ثمّ لا تينّهم من بين ايديهم و من خلفهم و عن ايمانهم و عن شمائلهم و لا تجد اكثرهم شاكرين ﴾[4]

روى في البرهان مذيّلاً على هذه الكريمة عن أبي جعفرعليه السلام من بين ايديهم اهون عليهم الاخرة و من خلفهم امرهم بجمع الاموال و منعهم عن الحقوق لتبق لورثتهم و عن ايمانهم افسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة و تحسين الشّبهة و عن شمائلهم بتحبيب

۱ـ الانعام / ۱۲۱ ۲ـ الانعام / ۱۱۲ ۳ـ النساء / ۱۱۸ ـ ۱۲۱

٤ـ الاعراف / ١٦ ـ ١٧

اللّذات إليهم و تغليب الشّهوات على قلوبهم.[١]

و قال تعالى: ﴿ لئن اخّرتن إلى يوم القيامة لاحتنكنّ ذرّيّته إلّا قليلاً * قال اذهب فمن تبعك منهم فانّ جهنّم جزائكم جزاءً موفوراً * و استفزز من استطعت منهم بصوتك و اجلب عليهم بخيلك و رجلك و شاركهم في الاموال و الاولاد و عدهم و ما يعدهم الشيطان إلّا غروراً * انّ عبادى ليس لك عليهم سلطان و كفى بربّك وكيلاً ﴾[٢].

و في الايات الشريفة تنبيه خاصٌّ على ان الشّيطان و اعوانه الجنيّة و الانسيّة كأنّهم خلقوا و امروا باغواء الناس بطرق مختلفة ـ و الظّاهر انّ الأوامر في هذه الايات أوامر تكوينيّة بمعنى انّ ذاتهم و جبلّتهم جُبّلت على الاغواء بصور مختلفة ـ كالأصوات اللافتة للنظر نظير الغناء و آلات اللّهو و كاعلاماتهم الفاسدة المعنى البهيّة المنظر المتزيّنة بشعائر الدين حتّى يجلب بها من لا رسوخ للشريعة في قلبه، فينحرف تارة بما يُفشى من الأنوثيّة، أو بما يُكتب ببعض الأقلام المتّسمة بأقلام العلماء و أهل المعرفة و ما إلى ذلك من الوساوس الابليسيّة.

و من أقوى مصائد الشيطان في عصرنا هذا، اغوائه الناس بجمع الأمور خلطاً بين الحلال و الحرام، و له طرق كبناء الرّجزات الدوليّة أو شركات المحاصّة و لا سيّما في الدول الثريّة بالذخائر الأرضيّة و كاقواء الناس باستجلاب قلوبهم إلى الجنس، و مآل هذا ليس إلّا إلى إهلاك الحرث و النسل.

و قال الله تعالى: ﴿ و من النّاس من يعجبك قوله في الحيوة الدّنيا و يشهد الله على ما في قلبه و هو الدّ الخصام * و إذا تولّى سعىٰ في الارض ليفسد فيها و يهلك الحرث و النّسل و الله لا يحبّ الفساد * و إذا قيل له اتّق الله اخذته العزّة بالاثم فحسبه جهنّم و

---

١ ـ البرهان، ذيل الآية الشريفة.

٢ ـ الاسراء / ٦٢ إلى ٦٥

لبئس المهاد ﴾[١]

و من أهمّ طرقه الغاء الوسوسة في صدور الشباب منهم بأنّ الانكفاف عن مبانى الدين القويمة يُعدّ من حرية الفكر و التّثقّف حيث لا ملائمة بين العلم و الدين و لا سيّما في العصر الحالى و هذه الوسوسة و إن كانت موجودةً من قديم الزمن و لكنّها الآن صارت أشدّ ممّا كانت عليه.

و الذكر الحكيم خير شاهد على استمرار تلك الوساوس طيلة الدهر بين وساوس الأبالسة الجنّية و الانسيّة.

٣ ـ و من خدائع اللعين، اغراء الناس بالخليل السوء، و قد اهتمّ به القرآن الكريم حيث أنزل فيه سورة كاملة، و على الكلّ و لا سيّما على الشباب المسلم أن يتعوّذوا من مكره صباحاً و مساءً بقراءة هذا السورة المباركة.

قال تعالى: ﴿ بسم الله الرّحمن الرّحيم قل اعوذ بربّ الفلق * من شرّ ما خلق * و من شرّ غاسق إذا وقب * و من شرّ النّفّاثات في العقد * و من شرّ حاسد إذا حسد ﴾[٢]

و لا ريب في أنّ القدر المتيقّن من شرّ ما خلق، هو شرّ الخليل السوء، و منهم الخَدَنة، فيشيعون في الناس رذائلهم الخُلقية كالميل إلى الجنس من غير باعثٍ من الشرع و لذا فُسّر قوله تعالى من شرّ غاسقٍ إذا وقب بثوران الغريزة الجنسيّة لأنّ ثورانها و تحرّكها ليس إلّا كظلمةٍ شديدةٍ أحاطت بصاحبها.

و القدر المتيقّن من قوله و من شرّ النفّاثات في العقد هو شرّ النّفوس الخبيثة من الشياطين الانسيّة إذا وسوسن و نفثن في الرّوع بالتّخيلات الواهية و التّحريكات المفسدة فلو فسّرت بالنّساء السّاحرات فهو من باب المثال و إلّا فلا خصوصيّة للنّساء و لا خصوصيّة لسحرهنّ و نفثهنّ في العقد بل يمكن تعميمها لغيرهنّ.

---

١ ـ البقرة / ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ـ ٢٠٦

٢ ـ الفلق / ١ إلى ٦

و القدر المتيقّن من قوله تعالى: و من شرّ حاسد إذا حسد، هو شرّ حسد الخليل السّوء.

فلا ريب في انّ السورة بعمومها تدلّ على المقصود.

و قال تعالى: ﴿ بسم الله الرّحمن الرّحيم قل اعوذ بربّ النّاس * ملك النّاس * اله النّاس * من شرّ الوسواس الخنّاس * الّذي يوسوس في صدور النّاس * من الجنّة و النّاس ﴾ [١]

و هذه السّورة من غير تكلّف تدلّ على وجوب الاستعاذة من وسوسة الخليل السّوء سيّما الخنّاس منه الّذي يعلم كيفيّة النفذ و الثقب في القلوب كما ينفذ الماء تحت التّبن.

فعلى الناس و لا سيّما على الشباب منهم أن يجتنبوا من تلكم الأخلّاء قبل أن يأتى لهم يوماً يندمون فيها على عمرهم و قوّة شبابهم.

قال تعالى: ﴿ و يوم يعضّ الظّالم على يديه يقول يا ليتنى اتّخذت مع الرّسول سبيلاً * يا ويلتى ليتنى لم أتّخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلّنى عن الذّكر بعد اذجائنى و كان الشّيطان للانسان خذولاً * و قال الرّسول يا ربّ انّ قومى اتّخذوا هذا القرآن مهجوراً ﴾ [٢]

و قال تعالى: ﴿ كلّما دخلت امّة لعنت اختها حتّى إذا ادّاركوا فيها جميعاً قالت اخراهم لاوليٰهم ربّنا هؤلاء اضلّونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النّار ﴾ [٣]

و قال تعالى: ﴿ و قالوا ربّنا انّا اطعنا سادتنا و كبرائنا فاضلّونا السّبيلاً * ربّنا آتهم ضعفين من العذاب و العنهم لعناً كبيراً ﴾ [٤]

و قال تعالى: ﴿ و إذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميراً ﴾ [٥]

و قال تعالى: ﴿ و من يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطاناً فهوله قرين * و انّهم

---

١ ـ النّاس / ٧ ـ ١ ٢ ـ الفرقان / ٢٧ إلى ٣٠ ٣ ـ الاعراف / ٣٨

٤ ـ الاحزاب / ٦٨ ـ ٦٧ ٥ ـ الاسراء / ١٦

ليصدّونهم عن السّبيل و يحسبون أنّهم مهتدون * حتّى إذا جائنا قال يا ليت بيني و بينك بعد المشرقين فبئس القرين * و لن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون ﴾ (١)

٤ ـ الإغراء بالله تعالى و برحمته و فضله، حيث إنّ الشيطان يغرّ الإنسان بأنّ رحمة الله واسعةٌ فافعل ما شئت و لا تخف منه! و القرآن الكريم حذّر الناس من ذلك حيث كرّر ذكره تنبيهاً لهم عليه،

قال تعالى: ﴿ انّ وعدالله حقّ فلا تغرنّكم الحيوة الدّنيا و لا يغرنّكم بالله الغرور ﴾ (٢)

و قال تعالى: ﴿ يا ايّها النّاس انّ وعدالله حقّ فلا تغرّنّكم الحيوة الدّنيا و لا يغرّنّكم بالله الغرور ﴾ (٣)

يظهر من الايتين انّ من حيل الشيطان اغرائه عبادالله تعالى برحمته و مغفرته فهم مغمرون في المعاصى الكبيرة بينما يرجون رحمته تعالى و ليس هذا برجاء بل حمق يحمّله الشياطين الانسيّة و الجنيّة على بعض النّاس عامّيهم و غافليهم.

توضيح ذلك: انّ الرّجاء على قسمين، قسم هو من النّعم الالهيّة و الكمال كلّ الكمال رهين هذا القسم و هو انّ الرّاجى كالزّارع الّذي يزرع و يرجو من الله تعالى البركة و الرّحمة لانّ الزّارع هو الله و لسنا إلّا الحارث.

قال تعالى: ﴿ افرأيتم ما تحرثون * ءانتم تزرعونه ام نحن الزّارعون * لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكّهون ﴾ (٤)

و هذا القسم من الرّجاء يلازم الخوف كما قاله الرّاغب في المفردات. (٥)

قال تعالى: ﴿ تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً و طمعاً و ممّا

---

١ ـ الزخرف / ٣٦ إلى ٣٩ ٢ ـ لقمان / ٣٣ ٣ ـ فاطر / ٥

٤ ـ الواقعة / ٦٣ إلى ٦٥ ٥ ـ المفردات، ص ١٩٥، ذيل لغة رجىٰ

رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة اعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾[١]

و هذا القسم ضدّ اليأس فمن تزيّن به لايكون آئساً عن ابتغاء نعم الله تعالى و فضله فهو من افضل النّعم و لولاه لما وجد كمال و لا خير كما انّ ما يضادّه و هو اليأس يعدّ من النّقم الالهية الموجبة لشرّ الدّنيا و الآخرة و يمنع الإنسان من كلّ خير و القرآن الكريم ذكره، ثمّ نبّه الإنسان على أنّه لا يليق إلّا بالكافر، فلا ينبغي للمؤمن أن يتّصف به.

قال تعالى: ﴿ فلا تايئسوا من روح الله انّه لاييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون ﴾[٢]

و القسم الثاني ما أشرنا إليه آنفاً من أنّه رجاء الحمقاء لا رجاء الرّاجين، كمن لايزرع و لا يقوم بما يجب على الزّارع، بينما يرجو أن يحصد من الأرض أفضل أقسام الّثمار.

و من المؤسف عليه أنّ الناس لم يتنبّهوا بما تنبّههم به القرآن، و أكّد عليه ما روى عن المعصومين عليهم السلام، فمنهم من اغترّ به، و ما هم بنذير، بل كثيرٌ منهم ابتلوا بهذه الرذيلة، فلازمهم البطالة و الفشل، و لا مآل لهم إلّا الخسران في الأولى و الندامة في الأخرى.

قال تعالى: ﴿ يوم ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم و بايمانهم بشراكم اليوم جنّات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم * يوم يقول المنافقون و المنافقات للّذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرّحمة و ظاهره من قبله العذاب * ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلىٰ و لكنّكم فتنتم انفكسم و تربّصتم و ارتبتم و غرّتكم الامانىّ حتّى جآء امرالله و غرّكم بالله الغرور ﴾[٣]

و لو لم يرد شيءٌ في التحذير عن هذه الرذيلة إلّا هذه الآيات المباركات، لكانت وافيةً للناس لأن لايبتلوا بهذه الرذيلة و لايخدعوا بهذه الخديعة. و والله انّه يليق أن يرتعد الجلود

---

١ ـ السّجدة / ١٦ ـ ١٧ ٢ ـ يوسف / ٨٧ ٣ ـ الحديد / ١٢ إلى ١٤

ممّا جاء في هذه الآيات، خوفاً من الابليس و اشفاقاً على النفس.

٥ ـ الغرور بالآمال و الا مانيّ، و هذا الغرور أيضاً قد اهتمّ به القرآن و المراد منهما هو رجاء الحمقاء الّذي مضى آنفاً معناه لانّ الامل لغة هو الرّجاء و المنىٰ لغة التقدير فان وقعا في محلّهما و هو تقدير العاقل عاقبة العمل مع التأمّل فهو من النّعم و السّعادة رهينةٌ لهما و قد أكّد الوحي و ما صدر عن المعصومين عليهم السلام على ذلك بل ليس الاسلام إلّا دين التدبّر و التّقدير و يظهر من غير واحد من الايات انّ القرآن نزّل للتّدبير و التّدبّر و التّعقّل و التّقدير و التأمّل.

و قال تعالى: ﴿ كتاب انزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته و ليتذكّر اولواالالباب ﴾[١]

و قال الله تعالى: ﴿ فبشّر عباد * الّذين يستمعون القول فيتّبعون احسنه اولئك الّذين هداهم الله و اولئك هم اولواالالباب﴾[٢]

بل القرآن جعل شرّ الدّواب الّذين لا يتفكّرون و لا يتأمّلون في عواقب الأمور و لاتقدير لهم فيما يقومون به،

قال تعالى: ﴿ انّ شرّ الدّواب عندالله الصّمّ البكم الّذين لا يعقلون ﴾[٣]

و امّا ان وقعا في غير محلّهما بحيث يُقدّر الأمور بالظّن و يطلب الشّيء من غير الاجتهاد في تحصيله، فهو رذيلةٌ، و لاسبب لها إلّا اغترار الابليس الانسيّ و الجني. و من اللافت للنظر المؤسّف عليه أنّ أماني الناس و ما يرجونه يُعدّ من هذا القسم، و لذلك ترى أنّ القرآن الكريم لايستعمل لفظه الأماني و ما يشتقّ منها إلّا و يريد بها هذا المعنى، و هكذا روايات المعصومين، و يشهد له سبر المادّة فيها و تدقيق النظر فيها.

قال في المفردات في ذيل لغة منىٰ: التّمنى تقدير شيء في النّفس و تصويره فيها و ذلك قد يكون عن تخمين و ظنّ و قد يكون عن رويّة و بناء على اصل لكن لمّا كان اكثره عن تخمين

---

١ ـ ص / ٢٩   ٢ ـ الزّمر / ١٨ ـ ١٧   ٣ ـ الانفال / ٢٢

صار الكذب له املك فاكثر التّمنى تصوّر مالا حقيقة له.(١)

و قد وردت من منبعى النبوّة و الولاية ما يدلّ على مذامّ تلك الرّذيلة منها قوله صلى الله عليه و آله و سلم: انّ اخوف ما اخاف على امّتى الهوى و طول الامل فامّا الهوى فانّه يصدّ عن الحقّ، و امّا طول الامل فينسى الاخرة.(٢)

و امّا القرآن فيحذّر عن المنيّة و الامل مؤكّداً على تحذيره،

قال الله تعالى: ﴿ ذرهم ياكلوا و يتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون ﴾(٣)

و قال تعالى: ﴿ و لا ضلّنّهم و لا منّينّهم و لآمرنّهم فليبتكنّ اذان الانعام و لآمرنّهم فليغيرنّ خلق الله ﴾(٤)

قال تعالى: ﴿ يعدهم و يمنّيهم و ما يعدهم الشّيطان إلّاغروراً ﴾(٥)

و قال تعالى: ﴿ و لكنّكم فتنتم انفسكم و تربّصتم و ارتبتم و غرّتكم الأمانى حتّى جاء امرالله و غرّكم بالله الغرور ﴾(٦)

۶ـ اغترار الابليس الشّباب فيمدّهم إلى الفسق و الفجور. و لهذا قد عُبِّر عن الشبيبة و الصباء بالجنون أو الفسق و الفجور.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: الشّباب شعبة من الجنون(٧).

و قال الصادق عليه السلام تظنّون انّ الفتوّة بالفسق و الفجور؟ كلّا الفتوّة و المروّة طعام موضوع و نائل مبذول و اصطناع المعروف و اذى مكفوف فامّا تلك فشطارة و فسق.(٨)

و السّرّ في ذلك: استيلاء المشاعر و العواطف و المشتهيات و الأمانى على الشباب، و

١ـ المفردات، ص ٤٩٦.
٢ـ بحار الانوار، ج ٧٤، ص ١١٩، ح ١٣.
٣ـ الحجر / ٣
٤ـ النساء / ١١٩
٥ـ النساء / ١٢٠
٦ـ الحديد / ١٤
٧ـ بحار الانوار، ج ٢١، ص ٢١١، باب ٢٩، ح ٢
٨ـ بحار الانوار، ج ٧٣، ص ٣١١، باب ٥٩، ح ١

ذلك لقوّتهم الجسدانيّة من ناحيةٍ، و ضعف عقولهم من ناحيةٍ أخرى فكأنّهم في بحرٍ لجيٍّ لاخيار لهم فيه، فكأنّهم و المجانين سيّان!. هذا مع ما لهذا المنزل من العمر من الفضائل الجمّة، بحيث لايستعمل لفظة الفتى في ألسن الوحى و المعصومين إلّا على المتّصف بالمحامد و المكارم الخُلقيّة.

قال الله تعالى: ﴿ انّهم فتية آمنوا بربّهم و زدناهم هدى ﴾[1]

و قال الصادق عليه السلام في رواية: اما علمت انّ اصحاب الكهف كانوا كلّهم كهولاً فسمّاهم الله فتية بايمانهم.[2]

و قال تعالى: ﴿ و لا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصّناً ﴾[3]

و الظّاهر انّ الاطلاق لمكان تحصنهنّ الّتي هي من أرقى الفضائل. و نظير هاتين الايتين في القرآن الكريم كثير.

و السّر في ذلك: أنّ صفاء القلب و قوّة نور المعرفة في الشباب اكثر من المعمّر المتقدّم في العمر، أضف إلى ذلك قدرته على مخالفة النّفس و المباراة معها فحينئذٍ ان اجتمع له مربّيان يربّيانه من باطنه و من خارجه فيصل إلى ما لا يصل إليه الطاعن في السّن، امّا من الباطن فيربّيه عقله و وجدانه و ضميره، و نعم المربّى لو انضّم إليه النُّصح و المشورة امّا من الخارج فيربّيه أبواه، و مجتمعه و بيعته، و الحكم، و علماء الدين و رجاله، ثمّ لو كان في قلبه ايمانٌ رسخ في زواياه، فأعان ذلكي المربّيين الداخلى و الخارجى، فطوبى له و حسن مآب فعلى الشباب بتقوية ايمانهم باختلافهم إلى رجال الدين الصلحاء، ليصلوا إلى ما جُبّل في طبعهم و طينتهم من المكارم و المحامد.

فايّاك أيها الشّاب ثمّ ايّاك ثمّ ايّاك من التنفّر و التّباعد من ذلكم الرجال الصالحين

---

١ ـ الكهف / ١٣

٢ ـ بحار الانوار، ج ١٤، ص ٤٢٨، باب ٢٧، ح ١٠

٣ ـ النّور / ٣٣

لانّك حينئذٍ تكون طعمة للشياطين الانسيّة و الجنيّة فيطمعون فيك كما يطمع البـازيّ في فريسته.

و على من يقوم بتربية الجيل الشابّ من الوالدين و المعلّم و الحكم و رجال الدين و المجتمع أن يرغبوهم إلى الحضور في المساجد و تحت المنابر و المراودة مع العلماء.

و الخبرة دلّت على انّ هذا الجيل لو كان مرتبطاً متّصلاً بأعلام الشريعة من الوعّاظ و المساجد و المنابر، فلا سبيل للأبالسة إلى أنّ يصيدوه.

قال علي عليه السلام: فان يدالله مع الجماعة و ايّاكم و الفرقة فانّ الشاذ من الناس للّشيطان كما انّ الشاذة من الغنم للذئب.(١)

٧ـ غرور الملاء، و الملاء اشراف القوم و يقال لهم الملاء امّا لكونهم يملئون عيون النّاس لشرفهم و رتبتهم العليا عندهم و امّا لكونهم يملاءون قلوب النـاس بـالمال و القـدرة و الرّياسة و الجمال و العشيرة و نحوها.

و اكثر استعماله في القرآن في اشراف القوم المغرورين بالعلم و المـال و الوجـاهة و الرّئاسة و نحوها حيث إنّ اللفظة توجد في الكتاب الكريم ما يربوا على ثلاثين مـورداً، و المراد منها فيه الّذين يصدون سبيل الحقّ و يمنعون النّاس عن الاقبال إلى الله تعالى.

و المفهوم منه أنّ هؤلاء المغترّين المعجبين بأنفسهم لما لهم من المكنة و الجاه، صدوا عن سبيل الأنبياء، بل اتّهموهم بما لايليق بهم و هو الجنون و السّفه؛ و ما ذلك إلّا لأنّ العلم و الجاه يتبعهما الكبر في غالب الأحيان، إلّا من عصمه الله عن هذا الزلل، اَلا ترى ان العلم لو لم يقترن بالمعرفة و بالتقوى، كيف يصير حجاباً يغطّي ستراً على النفّس يمـنعها عـن كـمالها الخاصّ بها، فهو الحجاب الاكبر.

و لعلّ كثرة استعماله في اشراف السّوء لانّ العلم و الوجاهة غالباً يغرّان الإنسـان و

---

١ ـ البحار، ج ٣٣، ص ٣٧٣،باب ٢٣، ح ٦٠٤

يوجبان التكبّر و العجب و الاستكبار إلّا من حفظه الله تعالى.

الا ترى انّ العلم بدون التّقوى كيف يكون حجاباً للانسان بل أنّه حجاب اكبر فكذلك انّه صدّ لترقّي الجامعة بل يترائى ان من يكون في ذىّ اهل العلم و ليس له نصيب من العلم مع علمه بانّه لا يعلم شيئاً انّه في كمال التّكبر و العجب و يغرّه ذىّ الرّوحانيّة إذا لم يكن من اهل التّقوى.

الا ترى انّ من فاز برئاسةٍ من غير أن يكون متحلّياً بحلى التقوى كيف يتعزز للنّاس مع كونه متذلّلاً عن من هو فوقه، و كيف يغترّ بمنصبه مع ان هذا المنصب ليس عند الناس إلّا من الأضحوكات؟

و بالجملة: هذا الغرور اشدّ ضلالة و ارذل من جميع تلك الاقسام.

فقل: اعوذ بالله من الغرور سيّما ما يختصّ منه بالملأ.

٨ ـ الاغترار بالتّقوى، و هذا الاغترار يلازم الكبر، و هو يلازم العجب، و هلمّ جرّا حتّى يصل إلى ما لايدرك قبحه إلّا الله تعالى. و من مفاسد هذا الغرور، ضعف المتّصف به، و سقوطه فيما يخاف منه، و هذا من آثاره الوضعيّة الّتي لاتنفكّ عنه.

قال تعالى: ﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة و يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً و ضاقت عليكم الارض بما رحبت ثمّ و لّيتم مدبرين ﴾[1]

و تدبّر فيما صدر عن صاحب الولاية الالهيّة الكبرىٰ حتّى تعرف انّ بالعجب يصير العابد فاسقاً و بالندم و الاقرار بالتقصير يصير الفاسق صدّيقاً، هذا لعجبه يسقط، و هذا لندمه يعلو و يرتقي!.

قال الصادق عليه السلام دخل رجلان المسجد احدهما عابد و الآخر فاسق فخرجا من المسجد و الفاسق صدّيق و العابد فاسق و ذلك انّه يدخل العابد المسجد مدلاًّ بعبادته يدلّ

---

١ ـ التوبة / ٢٥

بها فتكون فكرته في ذلك و تكون فكرة الفاسق في التّندم على فسقه و يستغفر الله عزّوجلّ ممّا صنع من الذّنوب.[1]

---

١ ـ وسائل الشيعة، ج ١، ص ٧٦، كتاب الطهارة، باب ٢٢، ح ١٠

رواياتٌ في الغرور

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا ابا النعمان لا يغرّنّك النّاس من نفسك، فانّ الامر يصل إليك دونهم، و لا تقطع نهارك بكذأو كذا فانّ معك من يحفظ عليك عملك، و احسن فانّى لم ارشيئاً احسن دركاً و لا اسرع طلباً من حسنة محدثة لذنب قديم.[1]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كم من مغرور بما قد أنعم الله عليه و كم من مستدرج بستر الله عليه [2] و كم من مفتون بثناء النّاس عليه.[3]

* عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا تغترّوا بصلاتهم و لا بصيامهم فانّ الرّجل ربّما لهج بالصلاة و الصوم حتّى لو تركه استوحش، و لكن اختبروهم عند صدق الحديث و اداء الامانة.[4]

* عن على بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: لا يغرّنكم رحب الذراعين بالدّم فانّ له عندالله عزّوجلّ قاتلاً لا يموت، قالوا يا رسول الله و ما قاتل لا يموت ؟ فقال: النار.[5]

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ٤٥٤، باب محاسبة العمل، ح ٣

٢ ـ استدراج الله تعالى العبد انه كلما جدد خطيئة جدد له نعمة و انساه الاستغفار و ان ياخذه قليلاً قليلاً و لا يباغته

٣ ـ الكافى، ج ٢، ص ٤٥٢، باب الاستدراج، ح ٤

٤ ـ الكافى، ج ٢، ص ١٠٤، باب الصدق و اداء الامانة، ح ٢

٥ ـ الكافى، ج ٧، ص ٢٧٢، باب القتل، ح ٤

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه محمّد بن الحنفية رضى الله عنه:.... و كلّ مقرون به الفناء، اليوم لك و انت من بلوغ غد على غير يقين، و لرب مستقبل يوماً ليس بمستدبره، و مغبوط في اول ليلة قام في آخرها بواكيه، فلايغرنك من الله طول حلول النعم و ابطاء موارد النقم، فانه لو خشى الفوت عاجل بالعقوبة قبل الموت.[۱]

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا تذهب بكم المذاهب، فوالله ما شيعتنا إلّا من اطاع الله عزّوجلّ.[۲]

* عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لى: يا جابر ايكتفى من ينتحل التشيّع ان يقول بحبّنا اهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلّا من اتّقى الله و اطاعه و ما كانوا يعرفون يا جابر إلّا بالتواضع و التخشّع و الامانة و كثرة ذكرالله و الصوم و الصّلاة و البرّ بالوالدين و التعاهد للجيران من الفقراء و اهل المسكنة و الغارمين و الايتام و صدق الحديث و تلاوة القرآن و كفّ الالسن عن الناس إلّا من خير، و كانوا امناء عشائرهم في الأشياء. قال جابر: فقلت يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم احداً بهذه الصفة، فقال: يا جابر لا تذهبنّ بك المذاهب حسب الرّجل ان يقول: احبّ عليّاً و اتولّاه ثمّ لايكون مع ذلك فعّالاً ؟ فلو قال: انّى احبّ رسول الله فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير من على عليه السلام ثمّ لا يتّبع سيرته و لا يعمل بسنته ما نفعه حبّه ايّاه شيئاً، فاتقوا الله و اعملوا لما عندالله، ليس بين الله و بين احد قرابة، احبّ العباد إلى الله عزّوجلّ (و اكرمهم عليه) اتقاهم و اعملهم بطاعته، يا جابر و الله ما يتقرّب إلى الله تبارك و تعالى إلّا بالطاعة و ما معنا براءة من النّار و لا على الله لاحد من حجّة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولىّ و من كان لله عاصياً فهو لنا عدوّ، و ما تنال ولايتنا إلّا بالعمل و الورع.[۳]

---

۱ ـ من لايحضره الفقيه، ج ٤، ص ٢٨٤، ح ٥٨٣٤.

۲ ـ الكافى، ج ۲، ص ۷۳، باب الطاعة و التقوى، ح ۱

۳ ـ الكافى، ج ۲، ص ۷٤، باب الطاعة و التقوى، ح ۳

* عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا معشر الشيعة ـ شيعة آل محمّد ـ كونوا النمرقة الوسطى يرجع اليكم الغالى و يلحق بكم التالى، فقال له رجل من الانصار يقال له سعد: جعلت فداك ما الغالى ؟ قال: قوم يقولون فينا ما لا نقوله في انفسنا، فليس اولئك منّا و لسنا منهم، قال: فما التالى، قال: المرتاد يريد الخير، يبلّغه الخير يوجر عليه ثمّ اقبل علينا فقال: و الله ما معنا من الله براءة و لا بيننا و بين الله قرابة و لا لنا على الله حجّة و لا نتقرّب إلى الله إلّا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا فمن كان منكم عاصياً لله لم تنفعه ولايتنا، و يحكم لا تغترّوا، و يحكم لا تغترّوا.[1]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام في غرر الحكم:

طوبى لمن لم تقتله قاتلات الغرور.

سكر الغفلة و الغرور ابعد افاقة من سكر الخمور.

غرور الامل يفسد العمل.

غرور الجهال بمحالات الباطل.

غرور الغنىٰ يوجب الاشر.

كفى بالاغترار جهلاً.

احمق الحمق الاغترار.

لا يلقى العاقل مغروراً.

جماع الشّرّ في الاغترار بالمهل و الاتكال على العمل.

جماع الغرور في الاستنامة إلى العدوّ.

لم يفكّر في عواقب الامور، من وثق بزور الغرور، و صبا إلى زور السّرور.

من اغترّ بالمهل، اغتصّ بالاجل.

---

١ ـ الكافى، ج ٢، ص ٧٥، باب الطاعة و التقوى، ح ٦

من اغترّ بمسالة الزّمن، اغتصّ بمصادمة المحن.

من غرّه السّراب، تقطّعت به الاسباب.

كفى بالمرء غروراً ان يثق بكلّ ما تسوّل له.

الحذر، الحذر ايّها المغرور فوالله لقد ستر حتّى كانّه قد غفر.

اتّقوا غرور الدّنيا فانّها تسترجع ابداً ما خدعت به من المحاسن، و تزعج المطمئنّ اليها و القاطن.

الاغترار بالعاجلة خرق.

الدّنيا حلم و الاغترار بها ندم.

سكون النّفس إلى الدّنيا من اعظم الغرور.

من اغترّ بالدّنيا اغترّ بالمنى.

لا يغرنّك العاجلة بزور الملاهى، فانّ اللّهو ينقطع و يلزمك ما اكتسبت من المآثم.

لا يغرنّك ما اصبح فيه اهل الغرور بالدّنيا فانّما هو ظلّ ممدود إلى اجل محدود.

من جهل اغترّ بنفسه و كان يومه شرّاً من امسه.

من اغترّ بنفسه اسلمته إلى المعاطب.

الشّقى من اغترّ بحاله و انخدع بغرور آماله.

من اغترّ بحاله قصر عن احتياله.[1]

❊ قال اميرالمؤمنين عليه السلام عند تلاوته ﴿ **يا ايّها الإنسان ما غرّك بربّك الكريم** ﴾.... يا ايّها الانسان، ما جرّاك على ذنبك، و ما غرّك بربّك، و ما انسك بهلكة نفسك.[2]

❊ قال اميرالمؤمنين عليه السلام و قد مرّ بقتلى الخوارج يوم النّهروان: بؤساً لكم لقد ضرّكم

---

١ ـ ميزان الحكمة، ج ٧، باب الغرور، ص ١٨٠

٢ ـ نهج البلاغة، صبيح الصالح، الخطبة ٢٢٣ / ١ و ٢

من غرّكم، فقيل له: من غرّهم يا اميرالمؤمنين ؟ فقال: الشّيطان المضلّ، و الانفس الامّارة بالسوء، غرّتهم بالامانيّ، و فسحت لهم بالمعاصى، و وعدتهم الاظهار، فاقتحمت بهم النّار.[١]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام و لا تغرّنّكم الحيوة الدّنيا كما غرّت من كان قبلكم من الامم الماضية.[٢]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام و حقّاً اقول، ما الدّنيا غرّتك، و لكن بها اغتررت، و لقد كاشفتك العظات و آذنتك على سواء و لهى بما تعدك من نزول البلاء بجسمك، و النّقص في قوّتك، اصدق و اوفى من ان تكذبك أو تغرّك....[٣]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام .... فلا يغرّنّك سواد النّاس من نفسك.[٤]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام ايها النّاس، انظروا إلى الدّنيا نظر الزّاهدين فيها، الصّادفين عنها، فانّها و الله عمّا قليل تزيل الثّاوى الساكن، و تفجع المترف الآمن.... فلا يغرّنّكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلّة ما يصحبكم منها.[٥]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام .... فلا يغرّنّكم ما اصبح فيه اهل الغرور.[٦]

* قال اميرالمؤمنين عليه السلام ايها النّاس، انّ الدّنيا تغرّ المؤمّل لها و المخلد اليها.[٧]

---

١ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الكلم ٣٢٣

٢ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبة ٢٣٠ ـ ١٠

٣ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبة ٢٢٣ ـ ١٠

٤ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبة ١٣٢ ـ ٣

٥ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبة ١٠٣

٦ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبة ٨٩ ـ ٨

٧ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبة ١٧٨ ـ ٦

* قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام في صفة الدّنيا: تغرّ و تضرّ و تمرّ.(١)

* قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام يا بنيّ اكثر من ذكر الموت.... وايّاك ان تغترّ بما ترى من اخلاد اهل الدّنيا اليها، و تكالبهم عليها.(٢)

* قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام امّا بعد، فانّى احذّركم الدّنيا، فانّها حلوة خضرة.... و تحلّت بالآمال، و تزيّنت بالغرور.... غرّارة ضرّارة.... غرّارة، غرور ما فيها.(٣)

* قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام و الشّقيّ من انخدع لهواه و غروره.(٤)

* قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام (العاصون) زرعوا الفجور و سقوه الغرور و حصدوا الثّبور.(٥)

* قال اميرالمؤمنين عليه‌السلام بينكم و بين الموعظة حجاب من الغرّة.(٦)

إلى هنا تمّ الجزء الثاني و يليه إن شاء اللّه الجزء الثّالث و اوّله الفصل السّادس و العشرون و يبحث فيه عن فضيلة الخلوص و رذيلة الرئاء

---

١ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الكلم ٤١٥

٢ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الكتاب ٣١ ـ ٧٨

٣ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبة ١١١ ـ ١ و ٢ و ٨

٤ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبة ٨٦ ـ ١٠

٥ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، الخطبة ٢ ـ ١٢

٦ ـ نهج البلاغة، صبحى الصالح، قصار الكلم ٢٨٢.

الفهرس